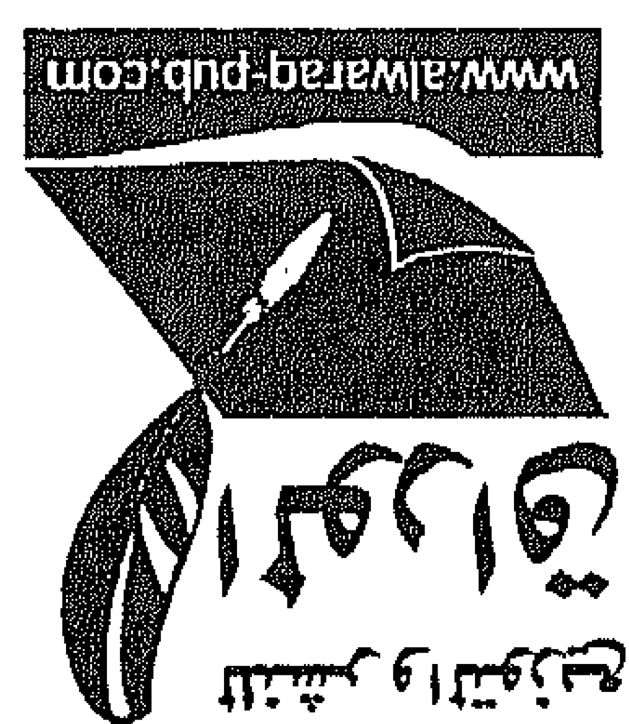
علم نفس النمو



حسين بن سالم الزبيدي

الوراق
للنشر والتوزيع
www.alwaraq-pub.com


للنشر والتوزيع
الوراق
www.alwaraq-pub.com




للنشر والتوزيع
الوراق
www.alwaraq-pub.com

www.alwaraq-pub.com

علم نفس النمو

علم نفس النمو

تأليف

حسين بن سالم الزبيدي



الطبعة الأولى

2015

للنشر والتوزيع
الوراق
www.alwaraq-pub.com

كل الحقوق محفوظة

١٥٥

الزبيدي ، حسين سالم جابر

علم نفس النمو/ حسين سالم جابر الزبيدي

ـ عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع،٢٠١٤.

( ) ص.

ر.أ. : (٢٠١٤/١٠/٤٨٧٩).

الواصفات: / علم النفس/سيكولوجية النمو/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN : 978 - 9957 - 33 - 426- 0 (ردمك)

للنشر والتوزيع
الوراق
www.alwaraq-pub.com

مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع

شارع الجامعة الأردنية – عمارة العساف – مقابل كلية الزراعة – تلفاكس 00962 6 5337798

ص . ب 1527 تلاع العلي – عمان 11953 الأردن

e-mail : halwaraq@hotmail.com

www.alwaraq-pub.com - info@alwaraq-pub.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء خاص

لأبي، ووالدتي، و أخواني، وخواتي، ولزوجاتي، ولأبنائي، وتحية خاصة لأخواني في الله، و لشباب الثورة العربية، والإسلامية في كل مكان، وعاشت أمتنا العربية والإسلامية، وعاشت فلسطين وجميع مقدساتنا الإسلامية حرة أبية، وعاش الأحرار في كل مكان، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

حسين بن سالم جابر الزبيدي

الفهرس العام للكتاب

الباب الثاني

طرق دراسة علم نفس النمو من الناحية الفسيولوجية

الباب الثالث

أهداف دراسة علم نفس النمو من الناحية الاجتماعية

الباب الرابع

الطرق والأساليب التطبيقية لدراسة علم نفس النمو

المقدمة

لقد جعل الله سبحانه وتعالى النمو من سنن الكون، والحياة، والإنسان، ولذلك فالإنسان يشهد، في كل يوم، بل في كل ساعة ولحظة حركة نمو في مختلف أنحاء الحياة والكون، ولما كان علم نفس النمو فرع من فروع العلوم الاجتماعية العامة، وعلم النفس خاصة، فقد اتخذا من دورة حياة الإنسان ومراحل نموه ونضجه موضوعاً لدراساته، كما يدرس التغيرات الداخلية، والخارجية التي تطرأ على الفرد عبر مراحل العمر المختلفة، وذلك منذ بدء وجوده عند الإخصاب، حتى نهاية وجوده في العالم عند الوفاة. كما يتعدى مرحلة الوصف والرصد للمظاهر النمائية المتعددة، إلى الكشف عن القوانين والمبادئ التي تفسر جوانب السلوك الإنساني، من أجل التعرف والوقوف على العمليات الكامنة التي تعطل مراحل النمو، ومن ثم اتخاذ الإجراءات ألازمة، التي تتناسب مع توجه السلوك لأجل تسيره نحو الطريق الصحيح والسوي البعيد عن الانحراف المؤدي إلى تغير فطرة الله التي فطر الناس عليها.

إن مسائل ومواضيع علم النفس النمو والعوامل المؤثره فيه كثيرة ومتشعبة، ومن الصعب التوصل إلى حل واحد دون المرور أو الربط بين كل مرحلة وأخرى، ولذلك ينبغي علينا عند إصدار الأحكام المتعلقة بالمشاكل النمائية وتأثيرتها، التأني حتى نتمكن من إجراء دراسة متكاملة وبكل عناية لكل فرد من أفراد المجتمع، لأن كل شخصية لها خصائصها وميزاتها الاجتماعية.

لقد جعل الله النمو فطرة في الإنسان، يتعاقبها الأجيال جيلاً بعد جيل، وسهل الله لهم رزقهم وكسوتهم، وهم في بطون أمهاتهم، وجعل نفقة المولود، من والواجبات على الوالد، حتى ينمو هذا الجنين وهو في بطن أمه، حتى يصبح طفلاً، ثم ينمو حتى يصبح شاباً في سن الأشد، ثم يصبح رجل في سن النشؤ . وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

ولما كانت هذه المدة قد تزداد، وقد تنقص بحسب الأمزجة جعل الغاية فيها مدة أربعين سنة. وهذا هو السن الذي يحصل فيه الكمال اللائق بالإنسان شرعاً وطباً، فإن في هذا الوقت تسكن أفعال القوى الطبيعية بعض السكون وتنتهي له أفعال القوة الحيوانية غايتها، وتبتدىء أفعال القوة النفسانية بالقوة والكمال.

وإذا عرفت هذا فيظهر لك أن بلوغ الإنسان وقت الأشد شيء، وبلوغه إلى الأربعين شيء آخر، فإن بلوغه إلى وقت الأشد عبارة عن الوصول إلى آخر سن النشوء والنماء، وأن بلوغه إلى الأربعين عبارة عن الوصول إلى آخر مدة الشباب، ومن ذلك الوقت تأخذ القوى الطبيعية والحيوانية في الانتقاص، وتأخذ القوة العقلية والنطقية في الاستكمال.

وهذا أحد ما يدل على أن النفس غير البدن .. فإن البدن عند الأربعين يأخذ في الانتقاص، والنفس من وقت الأربعين تأخذ في الاستكمال، ولو كانت النفس عين البدن لحصل للشيء الواحد في الوقت الواحد الكمال والنقصان وذلك محال .. يقول البقاعي في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ يدل على أن الإنسان كالمحتاج إلى مراعاة الوالدين له إلى قريب من هذه المدة، وذلك لأن العقل كالناقص، فلا بد له من رعاية الأبوين على رعاية المصالح ودفع الآفات، وفيه تنبيه على أن نعم الوالدين على الولد بعد دخوله في الوجود تمتد إلى هذه المدة الطويلة، وذلك يدل على أن نعم الوالدين كأنه يخرج عن وسع الإنسان مكافأتهما إلا بالدعاء والذكر الجميل[2].

---

(1) سورة الأحقاف:آية 15.

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين البقاعي (809 هـ - 885 هـ = 1406 - 1480 م).

خطة البحث

البحث العلمي هي محاولة لحل مشكلات الإنسان في مجالات متعددة، ولا يوجه نحو مشكلة معينة متخصصة بل نحو مشكلات متنوعة، ولذلك فقد قمت في تأليف هذا الكتاب الموسوم ب (علم نفس النمو) بمقدمة وخطة بحث، وهذه الخطة مكونة من أربعة أبواب، وهي تحتوي على العناوين التالية :

الباب الأول: لمحة عن الطرق العلمية والمنهجية في دراسة علم نفس النمو.

الباب الثاني: طرق دراسة علم نفس النمو من الناحية الفسيولوجية.

الباب الثالث: أهداف دراسة علم نفس النمو من الناحية الاجتماعية.

الباب الرابع: الطرق والأساليب التطبيقية لدراسة علم نفس النمو.

1- يشتمل الباب الأول والمسمى ب(لمحة عن الطرق العلمية والمنهجية في دراسة علم نفس النمو) على، مقدمة، وفصلين، كما يشتمل كل من تلك الفصول، على عدة أبحاث .

2- وأما الباب الثاني والمسمى ب(طرق دراسة علم نفس النمو من الناحية الفسيولوجية) يشتمل على مقدمة، وثلاثة فصول رئيسية، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: علم الوراثة وعلاقتها بالنمو

الفصل الثاني: الجهاز الغددي وعلاقته بالنمو

الفصل الثالث: الجهاز العصبي وعلاقته بالنمو

كما يشتمل كل فصلاً من تلك الفصول على مباحث عدة .

3- وأما الباب الثالث والمسمى ب (أهداف دراسة علم نفس النمو من الناحية الاجتماعية) يشتمل على مقدمة للباب وقسمين رئيسيين وهي على النحو الآتي :

القسم الأول: لمحة عن أهمية علم نفس النمو من المنظور الاجتماعي العربي الإسلامي.

القسم الثاني: الأساليب التربوية وعلاقتها الاجتماعية بعلم نفس النمو.

ويشتمل كل قسم على مباحث عدة .

4- وأما الباب الرابع والمسمى ب (الطرق والأساليب التطبيقية لدراسة علم نفس النمو) يشتمل كذلك على مقدمة للباب وقسمين رئيسيين ويشتمل كل قسم على عدة فصول، كما ضمنت كتابي هذا خاتمة في نهاية الكتاب، وذلك كما هو موضح في الفهرس العام لهذا الكتاب ..ومن خلال استعراض سريع لخطة هذا الكتاب، ومعرفة إجراءات وقواعد البحث العلمي فإننا سوف نتمكن من اكتشاف مدى دقة الدراسات والأبحاث التي نقوم بها.

،،، والله أعلم، وهو الهادي إلى سواء السبيل،،،

*****

التمهيد

الإنسان كائن من الكائنات الحية التي خلقها الله جل وعلا، ولكن جعل الله لهذا الإنسان خصائص، ومزايا فطرية خاصة، فهو حيوان من ناحية الخلقة، ولكن غير الحيوانات المخلوقة الأخرى، فنوات الإنسان غير نوات الحيوان وهذه الخاصية لها دلالتها من الناحية، الجسدية ومن الناحية العقلية، ومن الناحية الحركية، ومن الناحية الحسية، واللغوية، ولذلك فضل الإنسان وكرم بهذه المميزات، وليس من لازم المشابهة في بعض الجزئيات، مع باقي الحيوانات الأخرى، نسقط ذلك على الأمور الأخرى في الإنسان.

فكل إنسان حيوان، فإن إطلاق لفظ الحيوانية على الإنسان، هو حكم بالضرورة[1] والضرورة هي التي يحكم فيها بضرورة ثبوت المحمول للموضوع ما دام ذات الموضوع موجودة فيه ،أو بضرورة سلبه عنه، كقولنا: لا شيء من الإنسان بحجر بالضرورة، فالحكم فيها بضرورة سلب الحجر عن الإنسان في جميع أوقات وجوده[2].

ومن المعلوم بالضرورة، هو أن الله تعالى، خلق أبو البشرية آدم " وهذا الخلق تم مباشر من الله تعالى، وهو كما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز أن الخلق تم "بيده " قال تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[3]. وقد" أضاف خلقه إلى نفسه تكريما له، وإن كان خالق كل شيء[4].

---

(1) الضرورة: مشتقة من الضرر، وهو النازل مما لا مدفع له.

(2) التعريفات - للجرجاني.بتصرف.

(3) سورة ص: آية: 75 .

(4) وفي الآية دليل على أن " اليد " في خلق الله تعالى لآدم، دليل على أنها ليست بمعنى " النعمة، والقوة، والقدرة " وإنما هما صفتان من صفات ذات الله تعالى. والله أعلم بصفاته. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلتا يديه يمين" (قطعة من حديث أخرجه مسلم – برقم–

وقد تم الخلق من مكونات الأرض، كما في الأثر: خلقه من، قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب[1].

وقد تم الخلق في يوم الجمعة، وهذا ما جاء في الأثر: عن خلق، أبونا آدم في يوم الجمعة، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة[2] .. وقد خص الله بهذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة الذي خلق الله فيها أبو البشر، أمة العرب الإسلامي، فعن حذيفة، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق[3].

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ (أنه كان يقرأ في الفجر يوم الجمعة: الم تنزيل) و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[4]

(1827): 3 / 1458.) فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، كما جاءت عن الله في كتابه العزيز: "بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تمثيل".

(1) أخرجه الترمذي 2955 وأبو داود 4693 وعبد بن حميد 549 وأحمد 4/ 40. عن أبي موسى الأشعري. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذكر الحديث: قال الحافظ فى فتح الباري" 6 / 364: صححه ابن حبان .

(2) أخرجه: الترمذي491 وأبو داود 1046 والنسائي 3/ 113، وفي الكبرى 1766 وابن خزيمة 1738. قال الحافظ في "نتائج الأفكار" 2 / 408: قال الترمذي: حسن صحيح .

(3) أخرجه مسلم 3/ 7(1936 و1937) و"النسائي" 3/ 87، وفي "الكبرى" 1664 و"ابن ماجة" 1083.

(4) أخرجه :البخاري 891 وفي (1068) و(مسلم) 1989 وفي (1990) وعبد الرزاق (5239) و (ابن ماجة) 823 .

قال ابن زيد: لما خلق الله النارَ ذعرت منها الملائكة ذعرًا شديدًا، وقالوا: ربنا لم خلقت هذه النار؟ ولأي شيء خلقتها؟ قال: لمن عصاني من خلقي. قال: ولم يكن لله خلق يومئذ إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق، إنما خُلق آدم بعد ذلك، وقرأ قول الله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ (1) قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ليت ذلك الحين (2).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (3) .. ومعنى ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أي: قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (4) وقال ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (5). وقال ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ (6). وقال ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ (7).

---

(1) سورة الإنسان:آية: 1.

(2) الطبري في: جامع البيان في تأويل القرآن:ج1ص466. قول عمر رضي الله عنه، ليت ذلك الحين: يعني ليت الإنسان بقي شيئًا غير مذكور، طينًا لازبًا. وفي الدر المنثور 6: 297: أخرج ابن المبارك، وأبو عبيد في فضائله، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن عمر بن الخطاب: أنه سمع رجلا يقرأ: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا)، فقال عمر: ليتها تمت. فهذا في معنى كلمة عمر هنا .

(3) سورةالبقرة:آية:30.

(4) سورة الأنعام:آية: 165.

(5) سورة النمل:آية: 62.

(6) سورة الزخرف:آية: 60.

(7) سورة مريم:آية: 59.

قالت الملائكة لربها حينما أخبرهم أنه، جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" ولم يكن آدمُ بعد مخلوقًا ولا ذُرّيته. قال أبو جعفر: هل أعلمتِ الملائكة الغيبَ فقالت ذلك؟ أم قالت ما قالت من ذلك ظنًّا؟

روي عن ابن عباس أنهُ قال: كان إبليس من حَيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم"الحِنّ"، خُلقوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة: قال: وكان اسمه الحارث، قال: وكان خازنًا من خُزَّان الجنة. قال: وخُلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحيّ. قال: وخلقت الجنّ الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار - وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت. قال: وخُلق الإنسان من طين. فأوّل من سكن الأرضَ الجنُّ. فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضًا. قال: فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة - وهم هذا الحي الذين يقال لهم الحِن [1] - فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. فلما فعل إبليس ذلك اغترّ في نفسه. وقال: "قد صنعتُ شيئًا لم يصنعه أحد"! قال: فاطّلع الله على ذلك من قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه. فقال الله للملائكة الذين معه: "إني جاعلٌ في الأرض خليفة". فقالت الملائكة مجيبين له: "أتجعلُ فيها من

(1) قال محقق: جامع البيان في تأويل القرآن: أحمد محمد شاكر: في الحاشية: في المطبوعة في الموضعين "الجن" بالجيم، وهو خطأ، يدل عليه سياق هذا الأثر، فقد ميز ما بين إبليس، وبين الجن الذين ذكروا في القرآن. إبليس مخلوق من نار السموم، والآخرون خلقوا من مارج من نار. والجن (بالجيم) أول من سكن الأرض، وإبليس جاء لقتالهم في جند من الملائكة. وهذا بين. وقد قال الجاحظ في الحيوان 7: 177، وبعض الناس يقسم الجن على قسمين فيقول: هم جن وحن (بالحاء)، ويجعل التي بالحاء أضعفهما. وقال في 1: 291-292، وبعض الناس يزعم أن الحن والجن صنفان مختلفان، وذهبوا إلى قول الأعرابي حين أتى باب بعض الملوك ليكتتب في الزمنى فقال في ذلك:

إن تكتُبُوا الزَّمْنَى فإنّي لَزمِنْ   من ظاهر الداء وداءٍ مستكِنّْ
أبيتُ أهوِي في شياطينَ ترِنّْ   مختلفٍ نجارُهُمْ جِنٌّ وحِنّْ

ففرق بين هذين الجنسين. وانظر الحيوان 6: 193، أيضًا، واللسان (جنن)، وغيرهما .

يُفسد فيها ويَسفِك الدماءَ، كما أفسدت الجن وسفكت الدماء، وإنما بُعثنا عليهم لذلك[1].

قال: ثم أمر بتُربة آدم فرُفعت، فخلق الله آدم من طين لازب – واللازبُ: اللزِجُ الصُّلب، من حمأ مسنون – مُنْتِن. قال: وإنما كان حمأ مسنونًا بعد التراب. قال: فخلق منه آدم بيده، قال فمكث أربعين ليلة جسدًا ملقًى .. فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصَلصِل –أي فيصوّت– قال: فهو قول الله: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [2]... يقول: كالشيء المنفوخ الذي ليس بمُصْمت [3]. قال: ثم يَدخل في فيه، ويخرج من دُبُره، ويدخل من دُبُره ويخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئًا! –للصّلصَلة– ولشيء ما خُلقت! لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنك، ولئن سُلِّطتَ علي لأعصيَنَّك. قال: فلما نفخ الله فيه من روحه، أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صَار لحمًا ودمًا .. فلما انتهت النفخة إلى سُرّته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من حسنه، فذهب لينهضَ فلم يقدرْ، فهو قول الله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [4] قال: ضَجِرًا لا صَبرَ له على سَرَّاء ولا ضرَّاء .. قال: فلما تمت النفخة في جسده عطس، فقال: "الحمد لله ربّ العالمين" بإلهام من الله تعالى، فقال الله له: يرحمُك الله يا آدم .. قال: ثم قال الله للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات: اسجدوا لآدم.

فسجدُوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبَى واستكبر، لِما كان حدّث به نفسه من كبره واغترَاره. فقال: لا أسجُد له، وأنا خير منه وأكبرُ سنًّا وأقوى خَلْقًا، خلقتني

(1) فقال: "إني أعلم ما لا تعلمون"، يقول: إني قد اطلعتُ من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه، من كبره واغتراره.

(2) سورة الرحمن: آية: 14.

(3) المصمت: الذي لا جوف له، وكل ذي جوف إذ قرع صوت، أما المصمت فهو صامت لا صوت له. فمن الصمت أخذوه .

(4) سورة الإسراء: آية: 11.

من نار وخلقته من طين – يقول: إن النار أقوى من الطين. قال: فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله– أي آيسه من الخير كله، وجعله شيطانًا رجيما عقوبةً لمعصيته.

ثم علم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودابة وأرْض وسهلٌ وبحر وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة – يعني الملائكة الذين كانوا مع إبليس، الذين خلقوا من نار السموم– وقال لهم: أنبئوني بأسماء هؤلاء – يقول: أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، إن كنتم تعلمون أنّي لم أجعلُ خليفة في الأرض.

قال: فلما علمت الملائكة مؤاخذةَ الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب، الذي لا يعلمه غيرُه، الذي ليس لهم به علم، قالوا: سبحانك، تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيرُه – تبنا إليك، لا علم لنا إلا ما علمتنا، تبرّيًا منهم من علم الغيب، إلا ما علمتنا كما علّمت آدم. فقال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم – يقول: أخبرهم بأسمائهم. فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم – أيها الملائكة خاصة – إني أعلم غيبَ السموات والأرض، ولا يعلمه غيري، وأعلم ما تبدون – يقول: ما تُظهرون – وما كنتم تكتمون – يقول: أعلم السرّ كما أعلم العلانية، يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار(1).

قال أبو جعفر: في قول الله جل ثناؤه:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، خطابٌ خاص من الله جل ثناؤه، للملائكة دون الجميع، وأنّ الذين قيل لهم ذلك من الملائكة، كانوا قبيلة إبليس خاصةً – الذين قاتلوا معه جنّ الأرض قبل خلق آدم – وأنّ الله إنما خصّهم بقيل ذلك امتحانًا منه لهم وابتلاءً،

(1) قال محقق: جامع البيان في تأويل القرآن: أحمد محمد شاكر: على الخبر: 606 الذي أورده الطبري – خرجه السيوطي في الدر المنثور مفرقًا 1: 44-45، 49، 50. والشوكاني 1: 52 بعضه مفرقًا. وروى الطبري قطعة منه، بهذا الإسناد، في تاريخه 1: 42-43 .

ليعرِّفهم قصورَ علمهم، وفضلَ كثير ممن هو أضعفُ خلقًا منهم، من خلقه عليهم، وأنّ كرامته لا تنال بقوَى الأبدان، وشدّة الأجسام، كما ظنه إبليس عدوّ الله .

وهذا ما صرحُ به بقولهم، لربِّهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ وهذا كانت هفوةُ منهم، ورجمًا بالغيب ؛ وأن الله جل ثناؤه أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك، ووقَفَهم عليه حتى تابوا وأنابوا إليه، مما قالوا ونطقوا من رَجْم الغيْب بالظُّنون، وتبرَّأوا إليه أن يعلم الغيب غيرُه، وأظهرَ لهم من إبليس ما كان منطويًا عليه من الكبْر الذي قد كان عنهم مستخفيًا[1].

وعن قتادة قال: في قوله تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾، قال: استشار الملائكة في خلق آدمَ، فقالوا:أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماءُ – وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء أكره إلى الله من سفك الدماء، والفساد في الأرض – ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ فكان في علم الله جل ثناؤه أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياءُ، ورسل وقوم صالحون، وساكنو الجنة.

(1) هذا التعقيب من الطبري، على خبر ابن عباس السابق. جامع البيان في تأويل القرآن: ج1 ص456.

الباب الأول

لمحة عن الطرق العلمية والمنهجية في دراسة علم نفس النمو

مقدمة الباب الأول

النمو سلسلة متصلة من التغيرات ذات النمط المنتظم والمترابط، ويقصد من ذلك في المفهوم النفسي، التغيرات الجسمية، والفسيولوجية، والتغيرات العقلية المعرفية، والتغيرات الانفعالية، والاجتماعية التي يمر بها الفرد، في مراحل نموه المختلفة.

كما تتناول دراسة مظاهر النمو لدى الأطفال من عدة مراحل وأقسام، وذلك على حسب قول المتخصصون في هذا المجال وهي:

النمو الجسدي[1]	والنمو الحركي[2]	والنمو الحسي[3]	والنمو العقلي[4]
والنمو اللغوي[5]	والنمو الانفعالي[6]	والنمو الاجتماعي[7]	

وأما مايخص موضوعنا في هذا الباب، هو دراسة النمو الإنساني، وطريقة البحث المنهجي فيه، والذي نسعى فيه إلى إيجاد أداة لمعرفة العلاقات والقوانين التي تحكم ظاهرة النمو، كما يقوم علم النفس النمائي كسواه من العلوم، على الجمع المنهجي للوقائع وعلى التحليل العميق والدراسة الشاملة للمراحل الإنمائية.

---

(1) ويقصد به النمو الهيكلي – نمو الطول والوزن – التغيرات في أنسجة وأعضاء الجسم.

(2) مثل الكتابة وغير ذلك مما يلزم في أوجه النشاط المختلفة في الحياة.

(3) ويقصد به: السمع، والبصر، والشم، والذوق، و الإحساسات الجلدية و الإحساسات الحشوية كالإحساس بالألم والجوع والعطش وامتلاء المعدة والمثانة .

(4) يقصد به مثل: الذكاء العام والقدرات العقلية المختلفة – العمليات العقلية العليا كالإدراك والحفظ والتذكر والانتباه والتخيل والتفكير .

(5) يشتمل على السيطرة على الكلام، وعدد المفردات ونوعها وطول الجمل إلى غير ذلك.

(6) مثل الانفعالات المختلفة: الكره والتهيج والحب والانشراح والبهجة والحنان والانقباض والغضب والخوف .

(7) الاجتماعي للفرد: في الأسرة والمدرسة والمجتمع وفي جماعة الرفاق – المعايير الاجتماعية – الأدوار الاجتماعية – الاتجاهات الاجتماعية – القيم الاجتماعية – التفاعل الاجتماعي – القيادة – التبعية .

الفصل الأول

منهجية البحث العلمي في علم نفس النمو

المنهجية العلمية تعني وجوب إعداد خطوات لازمة لأداء أي عمل من الأعمال، وذلك من أجل الوصول إلى مجموعة من المعارف، والمعلومات المتعلقة بهذا الموضوع أو ذاك، كما تعد هذه المنهجية، مقياس عام وشامل، لكل علم أو بحث قد يحتاجه الطالب في أبحاثه العلمية الأكادمية، وقبل الدخول في الموضوع نرسم خارطة ذهنية عامة لمراحل النمو، وتحديد زمانه، وكما هو معلوم لدى المهتمين بهذا الأمر بأن مواسم العمر لدى الإنسان يمر عبر خمسة مواسم رئيسية وهي:

الأول: من وقت الولادة إلى زمان البلوغ، وذلك، خمس عشر سنة.

والثاني: من زمان بلوغه إلى نهاية شبابه، وذلك إلى تمام خمس وثلاثين سنة، (وهو زمن الشباب).

والثالث: من ذلك الزمان إلى تمام خمسين سنة، وذلك زمان الكهولة. وقد يقال: (كهلٍ) لما قبل ذلك.

الرابع: من بعد الخمسين إلى تمام السبعين، وذلك زمان الشيخوخة.

والخامس: ما بعد السبعين إلى آخر العمر، فهو زمن الهرم.

ولابد من معرفة بعض المفاهيم الضرورية، حول موضوع علم النفس النمو، التفصيليه ومنها:

1ـ تعريف النمو في اللغة

معنى كلمة نمو في لسان العرب: على أن الأشياءُ كلُّها على وجه الأرض، نامٍ وصامِتٌ، فالنَّامي مثل النبات والشجر ونحوه، والصامتُ، كالحجَر والجبل ونحوه، ونَمَى الحديثُ يَنْمِي ارتفع، ونَمَيْتُه رَفَعْتُه، وأَنْمَيْتُه أَذَعْتُه على وجه النميمة،

وقيل نَمَّيته مشدَّداً أسندته ورفعته، ونمَّيته مشدداً أيضاً بَلَّغته على جهة النميمة والإشاعة، والصحيح أن نَمَيْته رفعته على وجه الإصلاح ونمَّيته بالتشديد رفعْته على وجه الإشاعة أو النميمة ... وفي الحديث: ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نمى خيرا[1].

قال الأصمعي يقال نَمَيْتُ حديث فلان مخففاً إلى فلان أَنْمِيه نَمْياً إذا بَلَّغْته على وجه الإصلاح وطلب الخير قال وأصله الرفع ومعنى قوله ونَمَى خيراً أي بلغ خيراً ورفع خيراً [2] .. وقال سيبويه وقالوا: نمى ينمي نماءً، وبدا يبدو بداءً، ونشا ينشو نشاءً، وقضى يقضي قضاءً. وإنما كثر الفعال في هذا كراهية الياءات مع الكسرة، الواوات مع الضمة [3].

وفي كتاب: المزهر للسُّيوطي [4] قال: قال الكسائي: نمى الشيء ينمي بالياء لا غير، قال: ولم أسمعه ينمو إلا من أخوين من بني سليم، ثم سألت عنه بني سليم، فلم يعرفوه بالواو ... وقال أنشد أبو زيد في نوادره للبعيث:

---

(1) الألباني في الصحيحة (545) وفي الروض النضير (1196) وقال صحيح.

(2) انظر كتاب لسان العرب – لابن منظور (نمي): وابن منظور هو محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.

(3) كتاب سيبويه: : وسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (148-188هـ، 769 – 804م). الشهير رائد النحو العربي وعالم اللغة ، وأول مُنظّر في قواعد العربية وإمام هذا المجال . وسيبويه* كلمة فارسية معناها ,رائحة التفاح* ويقال: إن أمّه كانت تطلق عليه ذلك على سبيل التدليل وهو صغير. وهو فارسي الأصل من مدينة البيضاء ، ومنشؤه بالبصرة. مع اختلاف في مولده ووفاته.

(4) السُّيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (849 – 911 هـ 1445 – 1505م) .. والسيوطي نسبة إلى أسيوط مدينة في صعيد مصر. عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم. وُلد في القاهرة ونشأ فيها. رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقر بها. تولى مناصب عدة. ولما

وقد ينعش الله الفتى بعد عثرة   وقد يجمع الله الشتيت من الشمل
مالي نمى ينمو وينمي زاد لي   وحشوت عدلي يا فتى وحشيته

نمو، نمى: ونما الشيء: زاد، ونمو: لغة .. قال اللحياني وزعم الكسائي أن أبا زياد أنشده:

يا حُبُّ لَيْلى لا تَغَيَّرْ وازْدَدِ   وانْمُ كما يَنْمُو الخِضابُ في اليَدِ

ونما الخضاب ينمو وينمي: يعني في اليد: إذا ازداد حمرة وسوادا... والخضاب هو نوع من أنواع الزينة يضعنه النساء على اليد في السابق، وهذا عند أهل اليمن يستخدم إلى اليوم ويسمى خضاب.

2ـ النمو بمعناه النفسي

يتضمن النمو بمعناه النفسي التغيرات الجسمية والفسيولوجية، من حيث الطول والوزن والحجم، والتغيرات التي تحدث في أجهزة الجسم المختلفة، والتغيرات العقلية المعرفية، والتغيرات السلوكية الانفعالية والاجتماعية التي يمر بها الفرد في مراحل نموه المختلفة ... كما يعرف علماء النفس النمو أو سيكولوجية النمو، بأنهُ فرع من فروع علم النفس الذي يدرس النمو النفسي في الكائن الحي[1].

3ـ النمو بمعناه التربوي

يتضمن النمو التربوي، حدوث تعديل أو تغيير في السلوك، يحدث ذلك نتيجة للممارسة أو التدريب، وارتباط التعلم بالنمو، يعنى اكتمال استعداد العضو للتدريب أو الأداء ... وبالتالي لا يتم التعلم إلا إذا بلغة كل مرحلة من مراحل

بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف. ذكر له من المؤلفات نحو 600 مؤلف. منها المجلدات الكبيرة ومنها الرسالة القصيرة ذات الورقة أو الوريقات.

(1) حامد عبد السلام زهران: الميلاد: 1 يوليو عام 1950، الدقهلية. دكتوراه الفلسفة فى علم النفس من جامعة لندن ، عام 1996 – ورئيس قسم الصحة النفسية بجامعة عين شمس في الفترة من عام 1981 إلى 01987

النمو حقها في الأداء والاستعداد، وذلك في السن المناسب، والوقت المناسب، ولذا وجب انتظار تمام النضج، واكتمال الاستعداد قبل محاولة تعليم مهارة تعتمد على هذا النضج، أو ذلك الاستعداد، وإذا لم تراعى المراحل العمرية فقد تحدث مساوئ و عواقب سلبية وضارة بالمعلم والمتعلم على حداً سواء .. ومن العناء تأديب الكبير أو الهرم لأن هذه المرحلة لا ينفع فيها تربية ولا أدب لأنا هذه المرحلة تجاوزت المرحلة المناسبة لها وفيها يقول الشاعر:

تروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

ونحوه قول الآخر:

إن الغلام مطيعٌ من يؤدبه وما يطيعك ذو شيبٍ لتأديب

وقالت امرأةٌ من العرب:

أنشا يمزق اثوابى يؤدبنى أبعد خمسين عندي يبتغى الأدبا

وقال صالح بن عبد القدوس:

وإن من أدبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه(1)

فالنضج وظيفة زمنية تمر عبر عدة مراحل من فترة النمو، ومفهوم النضج هو نمو الإنسان من الناحية الفسيولوجية للجسم، وكذلك يشتمل على نمو الإنسان من الناحية العقلية والنفسية والمعرفية والانفعالية والاجتماعية، فكل ناضج نامي، وليسا كل من ينمو يسمى ناضج.

4ـ النمو بمعناه الاجتماعي

النمو الاجتماعي وهي عملية مهمة في نمو الطفل والمراهق، كما تقوم عملية التنشئة الاجتماعية على إكساب الأطفال، والمراهقين الصفات الاجتماعية المقبولة، وذلك في مراحل العمر المختلفة، وتختلف أساليب التدريب في التنشئة الاجتماعية

---

(1) انظر كتاب: جمهرة الأمثال: للمؤلف: أبو هلال العسكري.

من الإفراط والمغالاة إلى التراخي والتهاون في التنشئة، وقد يحدث صراع ومشاكل لدى الأطفال والمراهقين، وذلك عند اختلاف البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الآباء والأمهات عن البيئة التي يعيش فيها أبنائهم من بعدهم، وذلك نتيجة لاختلاف العادات والتقاليد.

فسكان البادية عندما ينتقلون إلى المجتمع المدني، فتختلف ظروف تنشئتهم الاجتماعية عن الظروف التي قد نشئُ عليها من قبل، وما لم نتفطن لتلك الفوارق في النشأة، قد يترتب على ذلك انفصام في التفكير والعادات والتقاليد، ومن ثم قد تصاب الشخصية بمرض يسمى بالانفصام الشخصي، لأن النشأة البدوية تختلف عن النشأة الحضرية أي المدنية، ولا يمكن الجمع بين شخصيتان مختلفتان.

فالشخصية الحضرية أي المدنية هي الأصل، التي ينبغي على كل إنسان بأن يجتمع فيها وأن يتصف بصفاتها المدنية، وكما يقال بأن الإنسان مدني الطبع، والله جل وعلا فضل أهل المدن بأن جعل منهم الأنبياء والرسل كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [1] وذلك لأن الرسل لهم الكمال في عامة الأمور، حتى في النسب ... ويقال: أنّ القرىٰ لا تسمى "قرى" ولا" القرية "قرية"، إلا وفيها مساكن معمرة.

وقد قيل إن مكة سميت "أمّ القُرى"، لتقدُّمها أمامَ جميعِها، وجَمْعِها ما سواها. وقيل: إنما سُميت بذلك، لأن الأرض دُحِيَتْ منها فصارت لجميعها أمًّا. ومن ذلك قولُ حُميد بن ثَوْر الهلاليّ:

إذا كانتِ الخمسُونَ أمَّكَ لَم يكنْ   لِدَائك إلا أنْ تمُوت طَبِيبُ

لأن الخمسين جامعةٌ ما دونها من العدد، فسماها أمًّا للذي قد بلغها .. وذكر الطبري في تفسيره، عن يحيى بن يعمر أنه قال في الآية التي في سورة

(1) سورة يوسف: من الآية 109 .

آل عمران: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾. قال يحيى: هن اللاتي فيهنّ الفرائضُ والحدودُ وعمادُ الدين = وضرب لذلك مثلا فقال: "أمّ القرى" مكة، "وأم خراسان"، مَرْو،" وأمّ المسافرين"، الذي يجعلون إليه أمرَهم، ويُعنى بهم في سفرهم، قال: فذاك أمهم[1].

ولهذا فرق الله جل وعلا بين أهل المدن وهم الحاضرة وبين سكان البادية وهم الأعراب، وقد وصف الأعراب بالكفر والنفاق كما وصف اليهود والنصارى بالكفر والنفاق، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾[2] .. قال أبو جعفر: وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفائهم، وقسوة قلوبهم، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير، فهم لذلك أقسى قلوبا، وأقل علما بحقوق الله.[3] .. ولفظ: (الأعراب) هو في الأصل: اسم لبادية العرب، فإن كل أمة لها حاضرة وبادية، فبادية العرب: الأعراب، ويقال: بادية الروم: الأرمن، وبادية الفرس: الأكراد، وبادية الترك: التتار .

كما أن ضد الإيمان: إما الكفر الظاهر، أو النفاق الباطن، ونقيض العلم: عدمه. ولذلك فإن الله تعالى لم يذم أصحاب البادية إلا لأنهم يتصفون بصفات مذمومه وهي البعد عن الجماعة وعن العلم والمعرفة وفي هذا، قال تعالى عنهم بأنهم: أجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله: أي أحرى منهم أن لا يعلموا حدود الكتاب والسنة، والحدود: هي حدود الأسماء المذكورة، فيما أنزل الله من الكتاب والحكمة، مثل: حدود الصلاة والزكاة والصوم والحج، والمؤمن والكافر، والزاني والسارق والشارب، وغير ذلك حتى يعرف من الذي يستحق

(1) انظر: تفسير الطبري ج6 ص 182: رقم الأثر: - 6589-.

(2) سورة التوبة: الآية 97 .

(3) تفسير الطبري: ج14ص429.

ذلك الاسم الشرعي ممن لا يستحقه، وما تستحقه مسميات تلك الأسماء: من الأحكام .

ولهذا: روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قولهُ: من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن[1] .. ولهذا: كانوا يقولون لمن يستغلظونه: إنك لأعرابي جاف، إنك لجلف جاف، يشيرون إلى غلظ عقله وخلقه.

ولذلك فالفوارق للحياة الحضرية، أو الحياة البدوية، لها تأثيرها على شخصية الفرد، ونموه الطبيعي من الناحية، العقلية، والنفسية، والجسدية، والحركية، واللغوية، فالمدنية أكثر اهتمام بالإنسان ونموه، من جهة الجسد مثلاً ومن جهة اللغة، ومن جهة الحركة ومن جهة الحس والعقل، لأن المدنية تتوفر فيها المقومات والوسائل، التي تمكن الفرد والأسرة العيش لحياة كريمة، وذلك بخلاف الحياة البدوية التي تكون بعيدة عن الوسائل الحديثة والمجتمع، وقد تشترك الطبيعة البدوية مع الحضرية أو قد تتميز، من جهة الحركة والقوة الجسدية، لأنها تعتمد على الغذاء الطبيعي والصحي في بعض الأحيان، ولكن تبقى ناقصة من جهة التغذية العقلية، واللغوية، فالحاصل أن الحياة البدوية تبقى ناقصة النمو للبعد عن كماليات الحياة الضرورية، ومن أجل ذلك، أن غاية البدوي يسعى إلى الوصول للمدنية والتحضر، لأن الإنسان بالأساس مدني الطبع والفطرة وهذا ما يقولهُ علماء الاجتماع.

خلاصة القول، أن العوامل المعيقة من أجل الوصول إلى تحقيق النمو الصحيح، وتتسبب، في تأخر النضج المعرفي والعقلي، للأبناء وللبنات كثيرة، ولكن يمكن إجمالها بما يأتي :

عوامل عقلية	عوامل نفسية	عوامل اجتماعية	عوامل جسمية	عوامل اقتصادية

(1) أخرجه: الترمذي، (69)، الحديث رقم (2256) وذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال: «حديث حسن» (2 / 610) ، الحديث رقم (8753) .

5ـ النمو الجسدي

تختلف سرعة نمو الطفل من مرحلةٍ عمرية لأخرى، لأنه لا يوجد طفل ينمو بسرعة أو على وتيرة ثابتة، أو منتظمة طيلة فترة الطفولة و المراهقة، و قد تتخلل حياة الطفل فترات من بطء النمو و أخرى من هبة سريعة للنمو بشكلٍ طبيعي، و تحدث هبة النمو أو فترة النمو السريع خلال البلوغ عند الجنسين، إلى غير ذلك.

أـ الغاية والهدف من النمو الجسدي

إن انتشار الإسلام الحق، لا يشابه أي انتشار سبقه، أو أتى بعده من غزوات كانت تقوم بها أعراب آسيا، وكذلك من احتلال قام به الأوروبيون لغزو البلاد الضعيفة بالمدفع والبندقية والرشاش، فلم تكن الجزيرة العربية آهلة بالسكان، ولم يمتلك العرب مثل ما كان في بلاد فارس، أو بيزنطة من الأسلحة والتقنيات العسكرية. ولذلك كان المفكر الفرنسي روجيه جارودي [1] – قبل أن يشهر

---

(1) رجاء جارودي (Ragaa Garaudy): فيلسوف و كاتب فرنسي ولد في 17 يوليو 1913 م في مرسيليا، فرنسا. أُخذ كأسير حرب في الجلفة (جزائر) خلال الحرب العالمية الثانية، وفي عام 1945 انتخب نائبا في البرلمان ثم حصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة السوربون عام 1953 وفي عام 1954 حصل على الدكتوراة في العلوم من موسكو . ثم انتخب عضوا في مجلس الشيوخ وفي عام 1970 أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديرا له لمدة عشر سنوات...وفي الثاني من يوليو عام 1982 أشهر جارودي إسلامه، ويقول جارودي عن اعتناقه الإسلام ، أنه وجد أن الحضارة الغربية قد بنيت على فهم خاطئ للإنسان ، وأنه عبر حياته كان يبحث عن معنى معين لم يجده إلا في الإسلام ... وكان قد اعتنق البروتستانتية وهو في سن الرابعة عشرة ، وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي ... وعندما شرح الله صدره للإسلام تكونت لديه قناعة بأن الإسلام ليس مجرد دين يختلف عن بقية الأديان فحسب ، بل إنه دين الله دين الفطرة التي خلق الله الناس عليها وهو يعني أن الإسلام هو الدين الحق منذ أن خلق الله آدم.. وفي هذه المرحلة اختلطت الكثير من القناعات لدى جارودي لكن بقي الإسلام القناعة الوحيدة الراسخة وظل يبحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل، ويعتبر أن الإسلام مكنه بالفعل

إسلامه- شديد الوعي بهذه التجربة العسكرية الإيمانية الفريدة ؛ إذ نجده يستطرد حديثه قائلاً:

فالدولة الإسلامية إذاً لم تقم على مبدأ القوة الآلية في مختلف الوسائل، الذي يمنحها تفوقاً عسكرياً ساحقاً ولا يمكن فضلاً على ذلك تطبيق أي من النظريات ذات المنحى الماركسي الضيق والموجز، والتي تحاول أن تبحث عن سبب التاريخ وثوراته وتحولاته، قياساً على التقنيات والعلاقات الاقتصادية وصراعات الطبقات التي تنشأ عنها.

ثم يذكر جارودي بقوله: إن هذا التوسع الإسلامي السريع، خلال اثني عشر عاماً من عام 633 م حتى عام 645 م والذي أدى غداة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، إلى تثبيت تفوق المسلمين في فلسطين وسوريا وما بين النهرين ومصر، وهو انتشار لم يستطع إيقافه إلاّ العوائق الطبيعية فقط كسلاسل الجبال في آسيا الوسطى وفي إيران الشرقية وصحارى سيرتيايك والنوبة ... إن سبب هذا الانتشار السريع يرجع إلى أسباب داخلية مرتبطة بجوهر الإسلام نفسه، ولا يمكن تفسيره بأسباب خارجية أو حتى بضعف أو تفكك الإمبراطوريات المهزومة مثل: الرومانية في الشرق والفارسية، وقبائل القوط الجنوبية في آسيا ولا حتى لأسباب عسكرية فقط" ... إنه لمن الثابت أن العقيدة القتالية في الفكر العسكري الإسلامي ترتكز إلى تضافر ما يُسمّى بالشروط الموضوعية أي فهم واستيعاب أبعاد الواقع

من بلوغ نقطة التوحيد بينهما ففي حين أن الأحداث تبدو ضبابية وتقوم على النمو الكمي والعنف، في حين يقوم القرآن الكريم على اعتبار الكون والبشرية وحدة واحدة. يكتسب فيها الدور الذي يسهم به الإنسان معنى، وان نسيان الله خالق هذا الكون يجعلنا عبيدا هامشيين خاضعين للعديد من الاعتبارات الخارجية ، بينما ذكر الله في الصلاة فقط يكسبنا وعيا بمركزنا وبموردنا: الذي هو أصل الوجود دين المستقبل ورغم حداثة إسلام جارودي وكثرة المصاعب التي واجهته سواء من حيث اللغة أو الثقافة استطاع أن يؤلف أكثر من أربعين كتابا .

الجيو سياسي، الذي ستُدار المعركة في كنفه، مع الشروط العقائدية؛ أي المخزون الإيماني المتجذر في الوجدان الجماعي للأمة، والذي يجعله الإسلام العامل الأكثر حسماً في توجيه مسار الحرب، إما نحو النصر أو نحو الهزيمة.

ولئن كان الخطاب القرآني يعلي من شأن الشروط الموضوعية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (1). وكذلك كان النبي القائد مؤصلاً لهذا المفهوم على الصعيدين السياسي والعسكري حين أبرم عقود البيعة "بيعة العقبة"، وعقود الصلح "صلح الحديبية"، وفاوض قادة غطفان و"نجد" في غزوة الأحزاب، واختار موقع نزول الجيش يوم "بدر" بعد إعمال أساليب استثمار الخصائص البيئية والجغرافية للموقع عسكرياً امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "بل إنها الرأي والحرب والمكيدة"(2).

فالحياة العسكرية تحتاج إلى نمو جسدي قوي، وشخصية منضبطة، لأن من أسس النجاح في الحياة العسكرية الشخصية المتزنة المنضبطة ... لقد اكتسبت الشجاعة عند العرب قبل ظهور الإسلام معانيها من خلال الصفات التي تحلو بها. فقد كان لطبيعة حياتهم الأثر الكبير على أن تكون شخصياتهم من طراز خاص فالصحراء الواسعة قد فرضت على العرب أخلاقا وطباعا خاصة وتقاليد معينه لا زمتهم على مر السنين وصارت لهم رمزا بين الآخرين. إن هذه الطبيعة الخشنة قد أثرت على نفس العربي قوة وصرامة لا يرهبها ولا تتزعزع نفسه أمامها.

فتراه لا يخاف الليل ولا يرهبه ولا يتعب من السفر ويتحمل كل المشاق في سبيل ذلك. هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يكن للعرب قديما قصور محصنه

(1) سورة الأنفال: الأية 60

(2) نظرات في العقيدة القتالية في الإسلام: محمود سلطان: من موقع: مؤسسة الإسلام اليوم 2009

يسكنوها بل كانوا يقيمون في بيوت من الشعر تهزها الريح كلما هبت ويجرفها السيل إذا تدفق وليس لهم حارس سوى سيوفهم أو أسنة رماحهم.

إن العيش في هذه الطبيعة القاسية قد رسخت في نفس العربي هذه القوه فصار يحس بالخطر قبل قدومه، ويعرف عن الطبيعة وأحوالها مالا يعرف كثير من الناس قي حياتنا الحاضرة. لقد علمته هذه الطبيعة الصبر والكفاح ورسخت في نفسه صفات متميزة منها الشجاعة.

لقد كانت الشجاعة في بلاد العرب قبل الإسلام تهدف إلى المجد القبلي أو الفردي وجاء الإسلام موجهاً لها في سبيل خدمه الأمة جمعاء، والدفاع عن مبادئ شريفه ودين كريم فلم تعد للقبلية العصبية الجاهلية هي الحافز للجهاد ولكن الدفاع عن الحق ونصرة الدين هي الدافع والهدف لقد استند الإسلام إلى الأصول الأخلاقية لدى العرب وهذبها ووجهها وجهة خيرة واعتمد عليها في نشر مبادئه كما أن الدعوة الإسلامية وجدت رجالا خالدين.

تعودوا بالصحراء وخبروها بعد أن تشربت نفوسهم بحب الإسلام حتى امتزجت القوة والشجاعة العربية بالمثل الأخلاقية والدينية ... لقد كان الجهاد في سبيل الله يتطلب قوة وشجاعة ولقد اهتم المسلمون بذلك. لقد كان العرب من المسلمون يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويجاهدون بالسيف وبالكلمة من اجل نصرة القيم الرفيعة والمبادئ السامية وإشاعة نور الإيمان والمعرفة بين الأمم والشعوب وذلك استجابة لنداء الخالق ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[1] كما أن الإسلام حث على التدريب وإتقانه كما جاء في القران الكريم قوله

(1) سورة آل عمران أية 104

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾.(1)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم: يحث على تعلم الرمي والطعن بالحراب والتفنن بإعمال القتال)) وركوب الخيل والمصارعة وقد سمح الرسول صلى الله عليه وسلم باتخاذ المسجد ميدانيا للتدريب.

لقد ظهر من المسلمين الأوائل شباب كانوا يتطوعون لكل مهمة ويتصدرون الصفوف فهذا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه الذي لقب بغزوة أوحد بالفتى الشجاع نضرا لشجاعته.

ومن أمثلة الشجاعة عند شباب العرب ما دار بين الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وبين رافع وسمره أ ثناء الذهاب إلى معركة أحد حيث أن سمرة طلب من الرسول أن يضمه إلى الكتيبة المحاربة فلم يضمه الرسول لصغر سنه فقال له سمره : (إن السيف لا يقاس بعمر الفتى ولكنه يقاس بضربة شجاعة). ثم قال يا رسول الله إني اصرع رافعا وهو الذي قبلته بالكتيبة فناداهما الرسول صلى الله عليه وسلم للمصارعة فصرعه سمره فقبله الرسول صلى الله عليه وسلم وضمه إلى الكتيبة.

وهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عندما آلت إليه ألخلافه فأخذت الوفود ترد عليه من جميع أنحاء البلاد مهنئه ومستبشرة وكان من تلك الوفود وفد من الحجاز وكان فيه صبي صغير يبلغ من العمر 12عاما قام في مجلس الخليفة يتكلم ... فقال له الخليفة ليتكلم من هو اكبر منك سنا فقال الصبي أيها الخليفة إن كان المقياس للكفاءة كبر السن ففي مجلسك من أحق بالخلافة منك) فتعجب الخليفة عمر بن عبد العزيز من هذا الكلام وأيده على ذلك ثم أذن له بالكلام.

(1) سورة الأنفال آية 60

وللمرأة أيضا دور بارز في مشاركة الرجل في ميادين القتال في الجبة الداخلية ففي معركة بدر كانت عايشه تحمل الماء لتسقي المقاتلين وفي احد كانت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم مع المقاتلين تقوم بالخدمة الطبية فلما أصيب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في المعركة أسرعت تضمد جراحه. فجاءت بقطعة من حصير مصنوع من عسف النخيل وحرقتها وأخذت رمادها. ووضعته على الجرح.

وهذه صفيه بنت عبد المطلب تشارك في القتال دفاعا عن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في معركة أحد وهذه الخنساء ذات الروح المعنوية العالية والتي تقبلت نبأ استشهاد أولادها الأربعة بصبر وجلد وتقول الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ... إن الشجاعة وحدها في الميدان العسكري لا تفي بالغرض المطلوب إذا لم تصاحبها العقيدة بالله، ثم المقدرة والخبرة على استعمال السلاح.

إن أسلحة اليوم قد تنوعت وأصبحت في غاية التعقيد وهذا يتطلب فرز المجندين الذين يؤهلون لهذه الأنواع من الأسلحة فبندقية اليوم تختلف عن بندقية الأمس، لكونها أصبحت بأشكال مختلفة ومتعددة من بنادق عادية إلى بنادق آلية وصاروخية وهذا ينسحب على الأنواع الأخرى من الأسلحة، كالمدافع، والدبابات، والطائرات إلى غير ذلك.

فالبدايات الأولى تشير إلى ظهور نماذج بسيطة من الأسلحة كان الإنسان يستخدمها قديما ابتداء من الأسلحة الخفيفة والتي تستخدم في الدفاع والهجوم ومنها الرمح والحربة والخنجر، والسيف والفأس، وهي من الأسلحة التي تستخدم في الاشتباك القريب وأنواع أخرى من مثل القوس، ويستخدم كسلاح يسند عملية التقدم للمقاتلين.

وقد تنوعت الأسلحة والتجهيزات وتطورت بتطور وسائل التكنولوجيا الحديثة المختلفة فلم يعد مكان لأسلحة الأمس في يومنا هذا وإنما صنعت وسائل

عسكرية مدمرة فقد تم تصنيع البنادق الأوتوماتيكية والرشاشات والقاذفات والدبابات والمدافع البعيدة المدى والطائرات والصواريخ والأسلحة الكيماوية المختلفة. إن هذا التطور في ميدان التصنيع العسكري، وخاصة في ميدان الأسلحة له أضرار كبيرة، لذلك تحاول الدولة جاهدة التوقي من الأخطار الأسلحة النووية المدمرة وذلك من خلال ابتكار أفضل الأساليب لمواجهة حالات الدمار الشامل ... ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن المؤسسة العسكرية بما فيها من تكنولوجيا حديثة تتطلب مهارات وشخصيات مختلفة أصبحت هذه المؤسسة تعتمد على ركنيين أساسيين هما:

الجندي	والسلاح

فلا السلاح يعمل لوحده، ولا الجندي قادر أن يفعل شيأ دون السلاح .. ولذلك فإن الأفراد يختلفون فيما بينهم في مجال الاتزان الانفعالي، وفي حسن استعمالهم للبصر واليدين والتآزر الحركي وثبت بالدليل لدى مختلف القيادات أن أداء الأسلحة الآلية لوظائفها يتفاوت في جودته بتفاوت القائمين على إدارتها وحسن استخدامهم لها. لذا يمكن القول أن طبيعة الحياة العسكرية تختلف عن طبيعة الحياة المدنية فهي حياة ذات طابع معين، وهذا متأتي من طبيعة العسكري وطبيعة المهمات التي تقوم بها المؤسسة العسكرية وتتميز هذه المؤسسة ببعض الخصائص منها:

1- أنها منطقة مسيطرة تتطلب من أعضائها إطاعة شبه مطلقة.

2- وجود التمايز الشديد بين مختلف الرتب ومن خلال هذه الرتب يتم تحديد الواجبات والحقوق والوظائف فلا نجد مثلا شخصين داخل المؤسسة العسكرية بنفس الرتبة وفي نفس الموقع فالتسلسل على أساس الرتبة والقدم والمنصب ابتداء من الجندي وصعودا إلى أعلى الرتب.

3- وجود التقاليد والأنظمة العسكرية التي تختلف عن تقاليد معظم المنظمات المدنية والتي نتجت إلى تحديد فردية العضو وعدم السماح لها بالانطلاق حسب طبيعتها ويترتب على ذلك نوع من السلوك العسكري ... من هنا نستنتج أن الحياة العسكرية بما تميز بة من ضبط وخشونة تحاول خلال هذا الضبط أن تحول الفرد من حياته المدنية إلى حياته الجديدة (الحياة العسكرية).

إن عمليات الضغط التي يواجهها بعض الأفراد من خلال التحاقهم بالخدمة العسكرية قد تعرضهم إلى فقدان الاتزان الانفعالي واضطراب الشخصية، كما أن هذا الضغط وهذه الصرامة قد تبلغ أشدها في أيام المعارك حينما تتطلب من الجندي أن يمتثل للأوامر التي تصدر إلية ويطبقها، ففي وقت المعارك تبرز صور الجندية ألحقه بين الثبات والتضحية من اجل المبادئ والقيم أو الفرار من ساحة المعركة طلبا للأمن والبقاء وفي هذه الحالة تلاحقه مدى الزمن إن لم يتعرض للعقوبات من الأنظمة العسكرية اليوم.

كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [1] وكما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

6ـ النمو الحركي

الحركة تعني الخروج من القوة إلى الفعل، على سبيل التدريج، قيد بالتدريج ليخرج الكون عن الحركة، وقيل: هي شغل حيز بعد أن كان في حيز آخر، وقيل: الحركة: كونان في آنين في مكانين، كما أن السكون: كونان في آنين في مكان واحد.

(1) سورة الأنفال آية 48

(2) سورة آل عمران166

وللحركة أنواع عدة ومنها:

الحركة الطبيعية	الحركة الإرادية	الحركة الذاتية	الحركة العرضية
الحركة في الوضع	الحركة القسرية	والحركة في الكم	الحركة في الكيف

الحركة الطبيعية: ما لا يحصل بسبب أمر خارج، ولا يكون مع شعور وإرادة، كحركة الحجر إلى أسفل.

والحركة الإرادية: هي ما لا يكون مبدؤها بسبب أمر خارج، مقارناً بشعور وإرادة، كالحركة الصادرة من الحيوان بإرادته. ومن الحركات الإرادية: وهي أن يكون الجسم واصلاً إلى حد من حدود المسافة في كل آن، لا يكون ذلك الجسم واصلاً إلى ذلك الحد قبل ذلك الآن وبعده .. وبمعنى القطع: إنما تحصل عند وجود الجسم المتحرك إلى المنتهى، لأنها هي الأمر الممتد من أول المسافة إلى آخرها.

والحركة الذاتية: ما يكون عروضها لذات الجسم نفسه.

والحركة العرضية: ما يكون عروضها للجسم بواسطة عروضها لشيء آخر بالحقيقة، كجالس السفينة.

والحركة القسرية: ما يكون مبدؤها بسبب ميل مستفاد من خارج، كالحجر المرمي إلى فوق.

والحركة في الكم: هي انتقال الجسم من كمية إلى أخرى، كالنمو والذبول.

الحركة في الكيف: وهي انتقال الجسم من كيفية إلى أخرى، كتسخين الماء وتبريده، وتسمى هذه الحركة: استحالة. والحركة في الكيف أيضاً، هي الكيفية الحاصلة للمتحرك، ما دام متوسطاً بين المبدأ والمنتهى، وهو أمر موجود في الخارج.

والحركة في الوضع: هي الحركة المستديرة المنتقل بها الجسم من وضع إلى آخر، فإن المتحرك على الاستدارة إنما تتبدل نسبة أجزائه إلى أجزاء مكانه ملازماً لمكانه غير خارج عنه قطعاً، كما في حجر الرحا .. ومن الحركة في الوضع أيضاً: قيل هي التي لها هوية اتصالية على الزمان لا يتصور حصولها إلا في الزمان.

خلاصة القول: فإن الحركة الجسدية لها مفاهيم عدة، قد تكون مجرَّدةً من كل وصف في الجسم، حيث يكون للجسم حركاتٌ في جهاتٍ مختلفةٍ، نحو أنَّ بعضها يتحرك إلى يمين والبعض إلى شمال، وبعضٌ إلى فوق وبعض إلى قُدّام ونحو ذلك، وقد تكون الحركة مرتبة على وضعاً منسق، كما هو مشاهد في النظام العسكري أو النظام الرياضي. وقد تكون مركبة كحركة الرَّحا والدُّولاب وحركة السهم لا تركيب فيها، لأن الجهة واحدةٌ.

كما يشتمل مفهوم النمو الحركي، على تحكُّم الطفل في حركة الرأس، ثم الجذع، ثم الأطراف، ثم رفع أجزاء من جسمه ثم يلي ذلك الجلوس، ثم الوقوف، ويتبع ذلك الحبو، ثم المشي، ثم الجري .. ونتيجة لهذا النمو الحركي المتزايد توصف هذه المرحلة من النمو بأنها المرحلة التأسيسية لمعظم المهارات الحركية، وخاصة المهارات اليدوية، ومهارات استخدام الساقين، وإلى أخر المنظومة الحركية.

أ- الفرق بين حركة الإنسان وحركة الحيوان والجماد

لكل سلوك له غاية ومن خصائص سلوك الإنسان والحيوان أنهُ نشاط يهدف إلى غاية هي إرضاء دوافع الفرد أي خفض ما يعانيه من ضيق وتوتر يثيره نشاط الدافع. فهو يشرب إرواء للظمأ، ويبحث، وينقب أرضاء لدافع الاستطلاع، ويعتدي رداً على أهانه، أو لا يعتدي خوفا من العقاب. وسلوك الكائن الحي في هذه الناحية يختلف عن حركة الجمادات.

فالفكرة المتحركة أو الحجر المتحرك لا تلبث حركتها تنتهي، إلا إذا اعترضها حائط أو ارتطم بحاجز. وهذا على خلاف سلوك الأحياء، إذ يمضي في محاولاته حين يرتطم بعقبة، بل قد تزيده العقبة إصراراً وإلحاحاً.

فالغائية من الخصائص الأساسية التي تميز سلوك الكائنات الحية، عن حركة الجمادات. وهي التي تجعل سلوك هذه الكائنات تتسم بالمرونة، والتغير، والتنوع والقابلية للتكيف وفق الظروف المتغيرة ... وهذا بخلاف حركة الجماد، فالجماد لا يتحرك إلا بمحرك خارجي، ونفس المحرك الخارجي يحدث في الجماد دائماً نفس

الحركة... وهي حركة يمكن تحديدها بدقة والتنبؤ بمداها واتجاهها وخط سيرها بخلاف الحال في سلوك الكائن الحي إذ يؤدي نفس المثير إلى ضروب مختلفة من السلوك.

ب- الغاية والهدف من النمو الحركي

الغاية من النمو الحركي، هي من أجل أن يقوم الفرد بالوجبات المنوطه به، على أكمل وجه سواءً، من الناحية الجسدية، أو من الناحية الاجتماعية والتي تشتمل على دعم روابط المجتمع العربي والإسلامي، لتشد أواصر التآخي والتواد والتراحم بين أفراد المجتمعات العربية والإسلامية، وهذا ما أوجبه الإسلام لتقوية مفهوم الجسدية الواحدة للأمة الإسلامية [1] ... كما جاء عن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :« إنما مثل المؤمنين في توادهم وتواصلهم وتراحمهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى [2] سائره بالحمى والسهر »[3] وقال الألباني و له طريق ثان عن النعمان "مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

(1) عبد الرّحمن بن حسن حَبَنّكة الميداني: كواشف الزيوف: في المذاهب الفكريّة المعاصرة بتصرف

(2) تداعى له: شاركه فيما هو فيه

(3) أخرجه مسلم 8 / 20 . وأخرجه البخاري 10 / 360 - 361 - كما في الفتح من هذا الوجه بلفظ: "ترى المؤمنين".

بالسهر و الحمى[1].. وفي رواية:المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله و إن اشتكى رأسه اشتكى كله[2].

وعن سالم، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عز وجل عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة[3].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تحاسدوا، ولا تباغضوا [4]، ولا تناجشوا [5]، ولا تدابروا [6]، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره التقوى ههنا يشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[7].

(1) " السلسلة الصحيحة " 3 / 71: قال صاحب السلسلة: أخرجه الطيالسي رقم 793 و أحمد 4 / 274 عن سماك بن حرب عنه به مختصرا .و سنده صحيح على شرط مسلم . و له طريق ثالث بلفظ: المسلمون كرجل واحد.

(2) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " 6 / 66: رواه مسلم 8 / 20 و أحمد 4 / 271 و 276 عن الأعمش عن خيثمة عن النعمان بن بشير مرفوعا به ، و قال أحمد: " المؤمنون.

(3) أخرجه البخاري" 3/ 1682442 و9/ 28 695. و"مسلم" 8/ 186670.

(4) لا تباغضوا: لا تكسبوا أسبابا مفضية إلى البغض والعداوة

(5) النجش: أن يمدح الرجل السلعة ليروجها أو يزيد في الثمن ولا يريد شراءها ولكن ليغتر بذلك غيره

(6) التدابر: الإعراض والهجر والخصومة

(7) أخرجه مسلم" 6633. وفي 6634 و"ابن ماجة" 3933 وفي 4213 وأحمد 2/ 2777713 وفي 2/ 3118089 وفي 2/ 3608707 و"عبد بن حميد" 1442.

لقد أدرك الإسلام الطبيعة البشرية المحايدة الطاقة المزدوجة الاتجاه: فيعطي ضرورات جسده نصيبها المعقول: كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [1].
والإنسان من أعظم معجزات الخلق: لا هو بالملاك ولا بالشيطان.

ج- الطاقة في اللغة

معنى الطاقة في المفهوم الغوي، الوسع والقدرة، وهي مشتقة من الطوق، الذي يوضع في العنق، كطوق الحمام، أو كطوق الذهب والفضة، ويقال: طوقته كذا، أي قلدته. وقال تعالى: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾ ومن هنا يتضح لنا كون الطاقة شي يحيط بالإنسان سواءً معنوياً أو حسياً ... و قد وردت كلمة الطاقة بلفظها و معناها في القرآن الكريم في عدة مواضع أيضاً، ومنها: ﴿ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [3].

واصطلاحاً: هي قوة محركة ومؤثرة في المادة [4] وفاعلة. والطاقة هي الباعث على النشاط و الحركة لدى الإنسان و جميع المخلوقات في الكون.

ولطاقة البشرية أنواع منها .

طاقة: الروح	طاقة: الجسد
طاقة:الكون	طاقة:العقل

(1) سورة الأعراف آية 42
(2) سورة البقرة آية 249
(3) سورة البقرة أية 286
(4) والمادة: هي أي شيء له أثر .. سواء أدركناه بوعي أو لم ندركه وكل ما يقع تحت دائرة الإدراك بالحواس الخمس أو بغيرها وتشمل المشاعر والأخلاق وغيرها.

كما تختلف أنواع الطاقات باختلاف المادة التي تحركها... كما أن اكتساب مزيد من الطاقة لا يجعلك بالضرورة شخصًا أفضل لكنه يساعدك لتصبح أكثر فعالية ... كما أن هنالك عدد غير محدود من الأساليب للحصول على الطاقة كما أن للطاقة البشرية مقدرة وقوة طبيعية، وهي موجودة في كل شخص، وهي قابلة للتطور بالتدريب وحسن الإستخدام المناسب... وكما أن للطاقة مصادر تغذيها وأخرى تستهلكها فأن الطاقة البشرية ينطبق عليها نفس القانون.

الطاقة الروحية: وهي من أهم مصادر الطاقة، لأنها تغذي الإنسان بنوعين من الطاقة وهي تغذي الجسد والعقل، ليقوم هذا الإنسان بأمور لا يستطيع القيام بها إلا من وصل إلى هذه المرحلة .

الطاقة الجسدية: فهي تعينك في قضاء حوائجك وإنجاز أعمالك على أحسن وجه، وأي تقصير في حق هذه الطاقة فإنها تعيقك عن الوصول إلى مرادك، ينبغي علينا أن نحافظ عليها ونحسن استغلالها.

الطاقة العقلية: فالعقل هو أهم الأعضاء عند الإنسان وأعظم نعمة من الله به علينا، ينبغي المحافظة عليه وتطويره بالعلم النافع سواء علوم شرعية أو علوم دنيوية. والطاقة العقلية أكثر أهمية من الطاقة الجسدية.

وكما يقال أن أكثر الناس كآبة، وإحباطا هم أصحاب الطاقات الكامنة المعطلة.. الذين لا يستطيعون أن يحققوا ولو شيئا من طموحاتهم، ولا يكون ذلك بسبب قصور منهم في جهودهم أو محدودية في قدراتهم أو نقص في إعدادهم أو تردد في استعدادهم، ليس من أجل كل ذلك أو حتى بعض من ذلك، ولكن لسبب يمنعه الدين الحنيف، وترفضه الأعراف الصحيحة، وتمجه النفوس الأبية، وتأباه الضمائر الحية، كما يحول دون تمكينهم من أن يعطوا مجتمعاتهم كل جهدهم وتضحياتهم، وجميع طاقاتهم وقدراتهم...

والمتأمل اليوم في أحوال البشر وذلك في المجتمعات البشرية متفاوتون عموما في قدراتهم، وفي طموحاتهم، وفي غاياتهم، فمنهم من يقضي جل حياته وهو يلهث [1] خلف سراب ومحصلة جهده هباء في هباء، ومنهم من يحقق جل طموحاته وآماله، ويقنع بما أنجز أو لا يقنع فيظل على طريق العمل والجهد الطويل الممتد بامتداد عمره يجري خلف آماله ليحقق ما تبقى منها، وقد ينجح، وقد لا ينجح لكنه يشعر بالرضا في داخله في نهاية المطاف بأنه أعطى من طاقته ما يستطيع، ولم يترك فرصة من دون أن يغتنمها أو مناسبة من دون أن يقتنصها.

---

(1) ويلهث معناها أنه يتنفس بسرعة، وعادة إذا فزعت فتجري هربًا من الخطر وبعد هذا الجري فلا بد للقلب أن يعمل بسرعة، ولا بد للرئتين أن تعملا بسرعة لتنقية الدم فيتم التنفس بسرعة، ولذلك عندما تجلس على كرسي مثلاً لا تحس بتنفسك لأن الهواء الذي يدخل الصدر كاف جدًا لحاجة الجسم من الأوكسجين، ولكن إذا بذلت جهدًا فإنك تلهث لزيادة حاجة جسمك من الأوكسجين .

فالكلب وحده هو الذي يلهث دائمًا إن كان جائعا، شبعانا، ظمآنا، عطشانا، واقفا بلا حركة أو يبذل أقصى حركته. كما يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ الأعراف 176 . لماذا شبه الحق سبحانه وتعالى هذا الإنسان بالكلب الذي يلهث دائما ؟؟؟؟؟؟؟ لأن الإنسان الذي يتبع هواه لا تكون لأطماعه نهاية، لا يقنع أبدا... وهو يلهث دائما وراء ما تعطيه الدنيا من شهوات، فهو يحاول أن يحصل على كل شيء المال والصحة والشهرة، يملك ما يكفيه حتى آخر عمره ويزيد، ومع ذلك يلهث وراء المزيد المزيد !!!! سواء كان آمنا أو غير آمن جائعا أو غير جائع، ومهما أُعطي ومهما مَلك فإنه يظل يلهث .

د- نهاية الطاقة لدى الإنسان

ولقد أخبر تعالى عن ابن آدم، أنه كلما طال عمره ردّ إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط والحركة قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (1).

ولذلك يحتاج الإنسان إلى الرعاية الحركية في الصغر أي في مرحلة الطفولة، حتى المرحلة الأخيرة من النمو وهي مرحلة الشيخوخة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ (2). وقال تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾.

7- النمو العقلي

وتتمثل في هذه المرحلة على قدرة الطفل على ملاحظة أوجه الشبه، وأوجه الاختلاف بين الأشياء، ويتعلم بالتدريج تصنيفها في ذهنه حتى لا يحتار الطفل عندما يفكر عندما يسأل عن بعض الأشياء المتشابهة: مثل البرتقالة والكرة، وهل البرتقالة توضع مع الكرة، لأن كليهما مستديرة؟ أم البرتقالة توضع مع البسكويتة لأن كلتيهما تؤكل؟ فإدراك الطفل الذي لديه معرفة بالعالم من حوله تتزايد من الناحية الحسية، وأما إدراك الزمن بالنسبة إلى الطفل يكون غامضًا، فهو لا يستطيع أن يفرّق بين الماضي والحاضر والمستقبل. ولتحديد ذكاء المولود مهمة صعبة في المرحلة الأولى، ولذا تقوم الجهات التربوية الخاصة بملاحظة المهارات الإدراكية، وهي:

والعقلية(3)	والحركية	الحسية

(1) سورة الروم: آية: 54

(2) سورة الحج: آية: 5.

(3) ويقصد بالمهارات العقلية هي الوظائف العقلية مثل: الذكاء العام، والعمليات العقلية العليا كالإدراك، والحفظ، والتذكر، والانتباه، والتخيل، والتفكير إلى غير ذلك.

المرحلة الأولية من النمو العقلي

ولما عاد بياجي ببحث في جذور المعرفة عاد ذلك إلى ما سماه في المرحلة الأولى من النمو العقلي للطفل بالتنسيق بين الأفعال، ويعيد ذلك إلى الجذور البيولوجية للمعرفة.

وحينما يتحدث بياجي عن التنسيقات بين الأفعال، فإنه يؤكد أنها تمثل جذورا للبنيات المنطقية. ويقول بياجي بهذا الصدد: "تجد كل أشكال التنسيق بين الأفعال ما يوازيها في البنيات المنطقية، وهذا التنسيق في مستوى الفعل يبدو لي بمثابة القاعدة التي تتأسس عليها البنيات المنطقية بالشكل الذي يتم عليه لاحقا تطورها في التفكير .. ويقول: لا توجد جذور التفكير المنطقي في اللغة فحسب، مهما تكن من أهمية للتنسيقات اللغوية، بل إن تلك الجذور توجد بصفة أعم في التنسيق بين الأفعال التي هي أساس التجريد المتأمل. وليس ما قلناه إلا بداية لتحليل تراجعي يمكن أن يذهب أبعد من ذلك. وهذه، في الواقع، أطروحتي[1].

كما يربط بياجي نشأة الذكاء باللغة، ويتحدث عن ذكاء سابق على اللغة، هو الذي يسميه بالحس الحركي ... ويفترض بياجي أن للبنيات المنطقية جذوراً، ترجع إلى المراحل الأولى من تكيف الإنسان بوصفه كائنا حيا مع محيطه الخارجي.

8ـ النمو اللغوي

لقد أجمع العلماء في مجال التربية من العرب والعجم على أهمية دراسة اللغة، لما للغة من أهمية في حياة الفرد ونموه، وقد قال الشاعر العربي، وألمح إلى أن الفتى نصفه مكون من لسانه، والباقي الأخر عقله، وذلك بقوله:

وكائن ترى من صامتٍ لك مُعجبٍ زيادتــه أو نقــصُه في التكــلُّم

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدَّم

(1) Jean Piaget: The man and his ideas, 1973. التحليل الإبستمولوجي التكويني للمنطق – محمد وقيدي – مدارات فلسفية العدد 6 – من موقع الجمعية الفلسفية المغربية.

أهمية اللغة من الناحية التربوية

لقد أظهرت عدة دراسات تتحدث عن أهمية اللغة وارتباطها بالنمو، وأن الصعوبات في النطق تعود إلى النقص في أداء النمو لدى الفرد، ومن الصعوبات التي تجعل النطق عسيرا أو غير سوي، لدى الإنسان، مثل:(التمتمة أو الفأفأة أو التأتأة) ... ويقال أن (التمتة و الفأفأة و التأتأة) بأنه اضطراب عاطفي أو اعتلال نفساني، ويرد البعض أن العجز عن النطق وعدم سهولته بأنهُ ضعف في الشخصية ... وذهب فريق أخر إلى القول بأن التمتمة لا تزال حتى اليوم مجهولة السبب. ويقال أياً ما كان فقد وفق كثير من التمتامين إلى التغلب جزئياً أو كلياً على ما يشكون منه، وذلك عن طريق القيام بتدريبات خاصة حيناً، ومن طريق تعزيز الثقة بالنفس حينا آخر. وقد أظهرت دراسات أن هناك فروقًا فردية في السرعة والقدرة على اكتساب اللغة، فقد وجد أن البنات أسرع في اكتساب اللغة من الأولاد الذكور.

كما يبدأ الطفل في نطق كلماته الأولى في مدى الستة أشهر التالية للسنة الأولى من حياته، وتعبر كلماته الأولى عن اهتماماته المباشرة، وعما يجذب انتباهه من الأشياء التي تقع في محيط بيئته. وتزداد مفردات الطفل على مدى السنة الثانية إلى حوالي خمسين كلمة.

أهمية اللغة من الناحية الطبية

أثبت علم النفس الفيزولوجي أن في الدماغ البشري مراكز خاصة باللغة، وهي ما تسمى بالكلام البصري، والكلام السمعي، والكلام المنطوق، وإذا تعرضت المراكز السابقة، بأي سبب ما انعكس ذلك على الفكر وخاصة بالذاكرة، كما تفيد تلك الدراسات، على أن الأمراض العقلية أو الحسية، لها تأثير على اللغة بشكل واضح لدى المصابين، وأن أثار ذلك يكون من خلال صعوبة النطق ببعض الحروف أو الكلمات.

أهمية اللغة من الناحية النفسية

لقد أهتم الباحثون في مجال علم النفس بموضوع اللغة، وخاصة علماء النفس النمو التربوي، وأولوه أهمية بالغة، لما للغة من أهمية من جهة التواصل الاجتماعي، ودور أساسي في نمو الطفل وذكائه، حتى جعل هذا الموضوع محور مهم، عند البحث في علم النفس النمو، وذلك من خلال مراحل تطور الطفل، حيثُ أن الرضيع يستطيع إصدار أصوات مسترخية تصدر من خلف الفم، وتعبر عن الارتياح والاسترخاء، يطلق عليها: أصوات المناغاة وتعتبر المواد الخام التي تتكون منها لغة الطفل فيما بعد. والمناغاة تصدر من الطفل بعد مضي شهر إلى شهر ونصف تقريبًا.

أهمية اللغة من الناحية العلمية

تركز اهتمام العلماء في السابق على منشأ اللغة، متسائلين عما إذا كانت اللغة وضعية؟ هل البيئة المحيطة بالإنسان هي المصدر الطبيعي الذي يتلقى منه الإنسان اللفظ واللغة للدلالة على المعنى؟ .. أو هل هي توقيفية؟ أي من وضع الله جل وعلا.

قال أبو الفتح بن برهان: في كتاب الوصول إلى الأصول: اختلف العلماء في اللغة: هل تثبت، توقيفا أو اصطلاحا؟ فذهبت المعتزلة إلى أن اللغات بأسرها تثبت اصطلاحا، وذهبت طائفة إلى أنها تثبت توقيفا.

وقال الغزالي في المنخول: قال قائلون: اللغات كلها اصطلاحية؛ إذ التوقيف يثبت بقول الرسول عليه السلام، ولا يفهم قوله دون ثبوت اللغة.

وقال آخرون: هي توقيفية؛ إذا لاصطلاح يعرض بعد أدعاء البعض بالاصطلاح؛ ولا بد من عبارة يفهم منها قصد الاصطلاح.

وقال القاضي أبو بكر: يجوز أن يثبت توقيفا، ويجوز أن يثبت اصطلاحا، ويجوز أن يثبت بعضه توقيفا وبعضه اصطلاحا والكل ممكن.

وعمدة القاضي أن الممكن هو الذي لو قدر موجودا لم يعرض لوجوده محال؛ ويعلم أن هذه الوجوه لو قدرت لم يعرض من وجودها محال، فوجب قطع القول بإمكانها.

قال الرازي في المحصول، وتبعه تاج الدين الأرموي في الحاصل، وسراج الدين الأرموي في التحصيل ما ملخصه: في وضعية الألفاظ:

الأول: إما أن تدل على المعاني بذواتها.

الثاني: بوضع الله إياها.

الثالث: بوضع الناس.

الرابع: بكون البعض بوضع الله، والباقي بوضع الناس.

والأول مذهب عباد بن سليمان، والثاني مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وابن فورك، والثالث مذهب أبي هاشم، وأما الرابع فإما أن يكون الابتداء من الناس والتتمة من الله، وهو مذهب قوم، أو الابتداء من الله والتتمة من الناس، وهو مذهب الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني.

والمحققون متوقفون في الكل، إلا في مذهب عباد، ودليل فساده أن اللفظ لو دل بالذات لفهم كل واحد منهم كل اللغات؛ لعدم اختلاف الدلالات الذاتية، واللازم باطل، فالملزوم كذلك .. واحتج عباد بأنه لولا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من بين الألفاظ بإزاء معنى من بين المعاني ترجيحا بلا مرجح، وهو محال.

أهمية اللغة من الناحية الشرعية

العربية هي لسان القرآن، ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا بانقضائه، ولا تزول إلا بزواله؛ وكلام الله لا ينقضي ولا يزول، واللسان العربي هو الطريق أسلوباً ومنهجاً، وغاية، والعمدة في إدراك الأسرار، وعليها يتوقف معرفة وفهم القرآن وأسراره.

ولذلك كان لسان الرسول صلى الله عليه وسلم عربي، قال المناوي: كان كلامه صلى الله عليه وسلم، كلاماً فصلاً، أي فاصلا بين الحق، والباطل، وآثره عليه لأنه أبلغ أو مفصولا عن الباطل، أو مصونا عنه فليس في كلامه باطل أصلاً، أو مختصا أو متميزا في الدلالة على معناه، وحاصله أنه بين المعنى لا يلتبس على أحد، بل (يفهمه كل من سمعه) من العرب، وغيرهم لظهوره، وتفاصيل حروفه وكلماته، واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام، وتبيينه ولهذا تعجب الفاروق من شأنه وقال له: مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا قال: كانت لغة إسماعيل قد درست أي متممات فصاحتها فجاءني بها جبرائيل فحفظتها[1].

قال ابن فارس: وقد كان في الصحابة رضي الله عنهم - وهم البلغاء والفصحاء - من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به؛ وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة، أو إحداث لفظة لم يتقدمهم. انتهى.

لقد كانت العربية سليقة الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يعرفون مقصد الكلام، ومغزاه من لحن القول وفحواه، لأنهم شهدوا عهد الوحي والتنزيل، ولزموا النبي صلى الله عليه وسلم في سفره وإقامته، وكانوا مع ذلك على جانب

---

(1) فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي ج5ص103. ذكر الغطريفي في جزئه حديث عمر برقم - 51 - وأخرجه صاحب كنز العمال ج12ص419 برقم: 35462، وقال أخرجه الغطريفي في جزئه. وأخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث: ثم قال: لهذا الحديث علة عجيبة.

عظيم من الفطنة والذكاء وسلامة الذوق، ونور البصيرة والحرص على التشريع علما وعملاً، فوقفوا على أسرار الشريعة ومقاصدها، ولم يجدوا في أنفسهم حاجة إلى دراسة قواعد يستعينون بها في استثمار نصوص الشريعة، ولا ضرورة تلجئهم إلى تداول أصول، يرجع إليها في استنباط الأحكام من الأدلة.

وقد سار التابعون على هذا الطريق، وسلكوا سبيلهم، فاستغنوا غناهم لقرب العهد بالوحي، وقوة الصلة بالصحابة، وكثرة الأخذ عنهم والمخالطة لهم، وغلبة السلامة على اللغة العربية من الكلمات الدخيلة.

ولما بعد العهد بزمن النبوة، وكثر اختلاط العرب بغيرهم من الفرس، والروم، وترجم كثير من الكتب اليونانية، وغيرها إلى العربية، أيام الدولة العباسية، استعجم كثير من العرب في لغتهم، وأساليب كلامهم، وتأثرت أذواقهم، واختلف مناهجهم وتغيرت أغراضهم في نثرهم وشعرهم .. ولذا أعتني كثيراً من العلماء بحفظها في جوانب مختلفة، حتى أنهم توسعوا في تدوينها وجعلوا لها قواعد. وساعدهم على ذلك ما وقفوا عليه، من كتب الأدب والتاريخ والسيرة والحديث، ثم بعد ذلك أفردت كتب مستقلة تعنى باللغة وباللسان العربي.

خلاصة القول: لقد تطور علم اللغة بشكل كبير وذلك لأهمية هذا اللسان على ثقافة الإنسان ونموه الطبيعي، وكان السبب في ذلك التطور، الدراسات التي قدمت في هذا المجال عن اللغة، وعلاقة الحرف بالمعنى، كما أهتم البعض بالأصوات، ودرسوا الجهاز الصوتي للإنسان، ومخارج الحروف منه، حتى خرجت دراسات تربط بين العلاقة باللغة وقوة الفكر. ولذلك فإن أصح لسان وأفضل لغة، في العالم هو اللسان العربي فهو أصل الثقافة والعلم والمعرفة وقد وصف أحد علماء اللغة وهو، ابن جني، شعوره اتجاه اللسان العربي بقوله: إذا تأملت حال هذه اللغة (يعني العربية) الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة، والدقة، والإرهاف، والرقة، ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة

السحر؛ فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله، ومنه ما حذوته على أمثلتهم، فعرفت، بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده، صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفرق لهم عنه؛ وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة، بأنها من عند الله تعالى؛ فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه، وأنها وحي .

9- النمو الحسي

الحواس هي النوافذ التي يستقي بها الطفل اتصاله بعالمه الخارجي، إذ أنها تستقبل المثيرات الحسية وتنقلها عبر أعضاء الحس إلى الجهاز العصبي الذي يستجيب لها بطرق مختلفة، كاللون والطعام، والحرارة، والبرودة، وغير ذلك مما يؤثر في الحواس الخمس وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس.

إلا أننا نهتم بحسب تلك الأقسام بدراسة ظاهرة في الكائن البشري منذ بدء وجوده، وذلك عند الإخصاب إلى نهاية وجوده في هذا العالم عند الممات ... وذلك عبر مراحل النمو المتتابعة منذ كما في الشكل التالي :

مرحلة ما قبل الميلاد	ومرحلة المهد	ومرحلة الطفولة
ومرحلة المراهقة	ثم مرحلة الرشد	ثم مرحلة الشيخوخة

ولذلك هناك في كل خبرة عقلية واعية ثلاث عوامل فعالة وهي عامل: المؤثر - والإرادة - والإدراك. وهذه العوامل لها علاقة بالحواس، وهي متلازمة فيما بينها وذلك: عندما تسمع صراخ طفل بإزعاج، تشعر بمشاركة وجدانية نحوه وهذا يسمى بـ(المؤثر) أما الأمر الأخر وهي (الإرادة) وتعني أذهاب إلى الطفل من أجل مساعدته، أما الأمر الثالث وهو (الإدراك) وهذا يتمثل في طريقة المساعدة، وهذه العوامل متلازمة بالشعور الحسي.

ولا ريب أن الفكر مركب من الأحاسيس التي يترابط بعضها البعض، وكذلك النمو البشري سلسلة متلاحقة الحلقات من مراحل ثمانية ترتبط بالعمر،

وتتميز الواحدة منها بعدد من الخصائص العضوية والعقلية والطباعية والاجتماعية المترابطة.

ولذا فإن مستوى الإدراك الحسي، إلى مستوى الإدراك الصوري، يجري عبر الحواس والفكر لأن العملية مترابطة ومتلازمة فيما بينها، فالإدراك نتاج عقلي لموضوع غير منفصل عن وضعه الذي نعيه، وأما التصور قابل للفصل إلى حدٍ ما، ولذا نستطيع أن نفكر بشيء ما، دون ربطه بالضرورة بأشياء أخرى(1).

إن الإدراك مفعم بالحيوية وبالأخص إذا ما جاء من ساحة الشعور البؤري وقتذاك يكون متميزاً وواضحاً، إلا أن التصور يكون غامضاً على العموم، ولذا فإن التذكر لا يعتمد على ما نحتفظ به في أذهاننا فقط، ولذلك فإن التذكر يعتمد على الخبرات الماضية، أي على المدركات الحسية والتصورات، ويعتمد كذلك على تداعي المعاني وترابط الخواطر والأفكار في الذاكرة، ولهذا فإن من أسباب عجزنا لتذكر أشياء معينة في أذهاننا، هي في الحالات التي لم تنزل في القوة الذهنية للانطباعات لدينا، والتي تأتي من خلال الخبرات وهي المعتمدة على الإدراك الحسي بالمقام الأول.

وإذا تابعنا عملية التذكر سوف نجد أمراً مذهلاً وذلك ما تجده الذكريات الماضية طريقها إلى مستوى الشعور، وإذا كانت الطرائق التقنية وبخاصة علم النفس التحليلي يعتمد على تداعي المعاني، وذلك عندما يخضع المريض لطريقة التحليل النفساني سيكون قانعاً بأن يدع الأفكار أن تتوارد إلى ذهن المريض دون انتقادها، وتُتابع كل فكرة أثر الفكرة السابقة وذلك لوجود رابطة ما في تداعي المعاني، والأفكار التي احتفظت بها معاً في الذهن. وعند الحديث عن قانون التداعي

(1) علم النفس ص122.تأليف.و.ي.سرجنت. ترجمة. محمد ديركي.الناشر.دار الجليل .دمشق . ط أولى. 1994 م

للمعاني والأفكار، يلازم بالضرورة الحديث عن قانون التشابه والتماس. وهذا بحث واسع[1].

10ـ النمو الفسيولوجي

يدرس هذا المجال، الأساس الفسيولوجي للسلوك الإنساني، وعلاقة جسم الإنسان بسلوكه؛ فهو يتخصص في دراسة أثر الجهاز العصبي، والغدد الصماء على السلوك الإنساني، والشخصية، والأمراض النفسية والعقلية. ويدرس هذا العلم أيضاً الجوانب الفسيولوجية في الانفعالات المصاحبة للدوافع. وهي جوانب متعلق ببنية الجسم، وما يحمله من استعدادات، وبعضها ما يطرأ على الفرد من حوادث خارجية تؤثر فيه.

لقد اهتم علماء النفس، وعلماء الاجتماع، بحاجات الإنسان بأنواعها المختلفة، وكان من ضمن المهتمين في العلوم المعاصرة بفهم حاجات الإنسان وأنواعها، (مازلو A. H. MASLO) فقد طرح نظرية تدرج الحاجات، مؤكدًا أن الناس مدفوعون بخمسة أنماط من الحاجات المحددة، والمتمثلة في:

الحاجات الفسيولوجية	الحاجة إلى الأمن	الحاجة إلى الحب	الحاجة إلى التقدير	الحاجة إلى تقدير الذات

*****

(1) المرجع السابق ص126.

الفصل الثاني

الطرق المنهجية العلمية التجريبية في دراسة علم نفس النمو

يختلف سلوك الباحث العلمي عن سلوك الإنسان العادي في اتجاهاته الفكرية والعلمية، لأن الشخص العادي يعتمد في تلقي معلوماته وخبراته، بما تنطوي عليه ميوله الشخصي من ميول وتحيزات أو رغبات، ويفسر الحوادث ويقيسها وفق معايير ذاتيه محدوده، وفي المقابل نجد الباحث العلمي لايقيس الأمور على حسب وجهة نظره بل يعتمد مجموعة من الفروض والنظريات ويخضعها للتجربة والفحص الدقيق، مع إعطاء ذاته حرية البحث عن الحقيقة وفق قواعد ومعايير علمية دقيقة.

كما يعتمد علماء النفس في دراستهم للسلوك البشري، إلى اختيار طرائق بحث تلائم مع المشكلات المدروسة بهدف الإجابة عن الأسئلة التي تطرحها تلك المشكلات. ولذلك فإن اختيار طريقة معينة تتحدد بطبيعة المشكلة المدروسة، وبعدد من الاعتبارات العلمية ... وبمجموع باقي الطرق يتم الحصول، المطلوب من الطرائق المتنوعة بدءاً من الملاحظة الموجهة وانتهاء بالتجربة. على الإجابة عن سؤال المطروح. ومن أشهر تلك الطرق لدراسة النمو وهي كما يلي:

1ـ الملاحظة العلمية

الملاحظة هي وسيلة يستخدمها الإنسان العادي في اكتسابه لخبراته ومعلوماته حيث نجمع خبراتنا من خلال ما نشاهده أو نسمع عنه، ولكن الباحث حين يلاحظ فإنه يتبع منهجاً معيناً يجعل من ملاحظاته أساساً لمعرفة واعية أو فهم دقيق هناك، لظاهرة معينة[1].

(1) انظر: البحث العلمي مفهومه -أدواته-أساليبه. ص149. الناشر دار الفكر - عمان. 1987م.

والملاحظة في علم الأخلاق، يقصد بها المراقبة لسلوك ما، وذلك لمعرفة مدى مطابقته للقواعد المرسومة [1] .. وهناك ما يسمى "الملاحظة المنجدة" وهي التى يستعين بها العالم على اختبار فكرته، مثلما يستعين بالتجربة تماما .. إن استخدام الملاحظة كأداة في جمع المعلومات والبينات تعتبر وسيلة ضرورية وأساسية في دراسة بعض الظواهر الاجتماعية حيث تعتبر الملاحظة هي الوسيلة الأكثر ملائمة لدراسة سلوك الأطفال أو بيئة العمال أو علاقة العمال بالآلات التي يعملون بها أو في دراسات تحليل المضمون ودراسة الوثائق والسجلات.

أ- الملاحظة في اللغة

لاحظه ملاحظة ولحاظا: راعاه[2] .. وراقبه. ولاحظ عليه كذا: أخذه عليه والملاحظة: النظر بشق العين الذى يلى الصدغ .. وتعنى كذلك ما يؤخذ على الرأى أو الكتاب من هنات.

وقد جاء معنى كلمة ملاحظة في القرآن بالأمر بالتفكر والاعتبار بما في السموات والأرض من آيات الله الكونية البينة والواضحة، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [3] وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [4].

كما أنها تعنىفي مناهج البحث العلمى: مشاهدة يقظة للظواهر كما هى، دون تغيير أو تبديل.

---

(1) المعجم الفلسفى 2/ 416

(2) مختار الصحاح، الرازى (محمد بن أبى بكر ت 616هـ) مادة "لحظ"، استانبول تركيا سنة 1408هـ سنة 1987م.

(3) سورة يونس: آية101

(4) سورة العنكبوت: آية20

والملحوظة: كلمة توضع على هامش الكتاب أو غيره عنوانا إلى ما ينبه عليه من خطأ أوسهو أو نقص[1] .. واصطلاحا: هى أن يوجه الباحث عقله وحواسه، إلى طائفة خاصة من الظواهر، لا لمجرد مشاهدتها بل معرفة صفاتها وخواصها، سواء أكانت شديدة الظهور أو الخفاء[2].

ب- أهمية الملاحظة في دراسة نمو الاطفال

تزداد أهميتها بالنسبة للاطفال فهي الاسلوب الامثل في دراسة الاطفال حيث أنهم لا يستطيعون الاجابة على أسئلة الباحثين. كما تتيح للباحث فرصة ملاحظة السلوك التلقائي الفعلي في مواقف طبيعية. تقضي على مقاومتهم في التحدث عن أنفسهم بصراحة.؟

كذلك دراسة الملاحظة، أثناء تعرضهم لمواقف مختلفة من الحباط .. مع تسجيل سلوكياتهم وتكرر العملية، على أفراد من أعمار مختلفة من ذكور وأناث لعقد المقارنات اللازمة واستخلص النتائج .. والعمل على خلق مجال سلوكي يوضع أفراد كعينة. عالم النفس في مجال النمو ماذا يجب عليه أن يلاحظ: فهو يقوم بملاحظة النماط السلوكية والمظاهر النمائية لدى مجموعة من الافراد .. ثم يقوم بتسجيل ما يلحظه مستخدما الأجهزة المختلفة .. ثم يستخلص نتائج عامة عن الظاهرة المدروسة.

والملاحظة هي إحدى صور المعرفة التجريبية، التي تستلزم اليقظة والانتباه. وهى ليست مجرد عملية حسية في التفكير بل هى تتضمن تدخلا إيجابيا من جانب العقل، الذى يقوم بنصيب كبيرفي إدراك الصلات الدقيقة بين الظواهر، أو ما

---

(1) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية مادة "لحظ" طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر ط سنة 1414هـ سنة 1993م.

(2) المنطق الحديث ومناهج البحث د/ محمود قاسم دار المعارف بمصر ط6 سنة 1970م ص110.

يسمى "الحدس بالقانون" ولابد في كل ملاحظة من التفريق بين الذات المدركة والشيء المدرك. فلولا ذلك لما أمكن الانتقال من الذاتى إلى الموضوعى[1] .. والملاحظة نوعان:

ج- ملاحظة فجة

وهي كل ملاحظة سريعة يقوم بها الإنسان في ظروف الحياة العادية، مثل ملاحظة الرجل العامى لأطوار القمر هلالا ثم بدرا وغير ذلك. لكن ملاحظته هذه لا تعين له السبب في اختلاف أوجه القمر، وهى لا تهدف إلى تحقيق غاية نظرية أو الكشف عن حقيقة علمية، لكن بعض الملاحظات السريعة قد تكون سببا في الكشف عن بعض القوانين الطبيعية الكبرى، مثل كشف نيوتن عن قانون الجاذبية، بعد أن شاهد تفاحة تسقط من شجرتها.

د- ملاحظة علمية

وهى كل ملاحظة منهجية يقوم بها الباحث في صبر وأناة، للكشف عن تفاصيل الظواهر وعن العلاقات الخفية التى توجد بين عناصرها، أو بينها وبين ظواهر أخرى ... وهنا نوعين من الملاحظة العلمية يمكن التفريق بينهما من ناحية :

هـ- ملاحظة الكيف

وتستخدم في العلوم التي تعمل على تصنيف الأشياء إلى أجناس أو أنواع، كعلوم الحيوان والنبات، بواسطة تحديد الصفات النوعية.

و- ملاحظة الكم

وهي معرفة العلاقات بين العناصر التي تتألف منها ظاهرة معينة، ومنها الملاحظات الفلكية والكيميائية والفيزيائية. وهى ترمى إلى التعبيرعن العلاقات

(1) المعجم الفلسفى د/ جميل صليبا مادة "ملاحظة" دار الكتاب اللبنانى ط1 سنة 1973م 2/ 416.

التى تكشف عنها بنسب عددية، محاولة الوصول إلى مرحلة الدقة التى وصلت إليها العلوم الرياضية[1].

والملاحظة في مقابل التجريب، الذى هو منهج علمى يقوم على الملاحظة والتصنيف ووضع الفروض والتحقق من صحتها[2].

الملاحظة والتجربة، تعبران عن مرحلتين متداخلتين من الناحية العلمية[3].

ويلاحظ مما سبق بأن الملاحظة هى المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما، مع الاستعانة بأساليب البحث التى تتلاءم مع تلك الظاهرة .. والملاحظة تطلق أيضا على الحقائق المشاهدة التى يقررها الباحثفي فرع خاص من فروع المعرفة، كأن يقال: ملاحظات طبية، لكن يمكن أن يقال "طب إكلينيكى" وهو الذى يقوم على مجرد الملاحظة، في مقابل "طب تجريبى" الذى يقوم على التجريب.

2ـ الطريقة التحليلية

فطريقة التحليل لم ترد كثيراً في المصنفات إلا من جهة التشريع بالمعنى القطعي بمعنى كقولنا تحليل الحلال، وقد استخدم لفظ "الظن" في السابق بدل من لفظة التحليل في الوقت الحاضر، وتستخدم لفظ التحليل لأجل الدلالة على أولى مراحل العلم في إطار ما يسمى بنظرية المعرفة، وتعرف مرحلة "الظن" بأنها تكون حينما تتعادل دلالات الإثبات مع دلالات النفي. أما المرحلة التي تلي مرحلة "الظن" فهي مرحلة "غلبة الظن" وتأتى هذه المرحلة بعد البحث والتمحيص في أدلة النفي

(1) المنطق الحديث ص112-118.

(2) المعجم الفلسفى د/ مراد وهبه. مادة "ملاحظة" دار الثقافة الجديدة بالقاهرة ط3 سنة 1979م ص423.

(3) المنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج د/ محمد عزيز سالم ط1983م مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ص166.

وأدلة الإثبات، فترجح إحدى الكفتين دونما دليل قطعي يقيني فيبقى هناك مجال للنظر.

وقد استخدم لفظ الظن في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام بالمعنى الغالب في آيات القرآن الكريم ومقابلا للعلم أو الحق طبقا لما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾(1).

والظن درجة من درجات العلم، ولكن لا يصل إلى درجة اليقين. وقد قسم المفكرون المسلمون العلوم إلى:

علوم ظنية	وعلوم يقينية

أ- فالعلوم الظنية: هي العلوم التي يحصلها الإنسان بإدراكاته الحسية والعقلية.

ب- أما العلوم اليقينية: فهي العلوم التي يأتي بها الوحي كما ورد هذا اللفظ عدة مرات معظمها بمعنى الظن أو الاعتقاد الراجح وبعضها الآخر يتضمن اليقين، كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وهما في الغار: (ما ظنك بأثنين الله ثالثهما)(2) .. وفي الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني(3).

وأما التحليل في اللغة: يعني حلَّل العقدة، فكَّها، وحلَّل الشيء: أرجعه إلى عناصره، وحلَّل نفسية فلان: درسها لكشف خباياها، وتحليل الجملة :بيان أجزائها

(1) سورة يونس: 36

(2) أخرجه البخاري 3653 وفي (3922) وفي (4663) ومسلم 6244 والترمذي 3096 وعبد بن حميد 2 وأحمد 1/ 4 (11) .

(3) أخرجه البخاري 9/ 177 7405 ومسلم 8/ 66 6902 والترمذي 2388

ووظيفة كل منها. كما في الوسيط [1] ... واصطلاحا :على وجهين، وجه العموم، ووجه الخصوص.

فالتحليل في المفهوم المنطقي يقصد به الأمور المحسوسة والمركبة ومن ذلك:

أ- فعلى وجه العموم هو إرجاع ظاهرة مركبة إلى أبسط عناصرها أو أجزائها.

ب- وأما على وجه الخصوص فيستخدم في علوم إنسانية وطبيعية كثيرة بمعان متعددة، لكنها جميعا ترتبط بهذا المعنى العام.

1- ففي علم المنطق يعتبر التحليل - بمثابة طريقة لدراسة الظواهر تجزئ الشيء المدروس إلى وحدات متشابهة، إما بالتقسيم المادي وإما بالتفكير في أجزاء أو صفات الشيء المتمايز كل على حدة.

2- وفي علم النفس فإن التحليل هو تحديد مكونات أية خبرة كلية أو مركبة أو عملية عقلية، وقد استخدم لفظ التحليل، اختصارا للتحليل النفسي، للدلالة على منهج ومزاولة التحليل النفسي، وهو ما يطلق عليه: نظرية التحليل النفسي، والتي أسسها فرويد حيث تدرس الأحلام والتداعيات غير المقهورة وأحلام اليقظة بتوجيه عدد كبير- من القوانين وقواعد التفسير، وتتمايز أنواع مختلفة من التحليل تبعا لهذا، فالتحليل الفعال هو الطريقة التي لا يقتصر فيها المحلل نفسه على تسجيل وتفسير التداعيات الحرة، بل يتدخل بجده وفاعلية، إثارة ارتباطات ذات دلالة، ومقدما النصح على أساس المحتوى الصريح. وتحليل الذكريات هو بحث التاريخ العقلي للفرد المستمد في جزء منه من الشخص نفسه، وفي بقيته من أقرانه ومعارفه.

(1)المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار المعارف ، ط3 ، 1 / 200

3- وفي علوم التربية يطلق تحليل المناشط على أسلوب يعمد إلى تجزئة السلوك المركب والمعقد إلى وحدات أصغر، هي أكثر نوعية وتحديدا، ويستخدم هذا بصفة خاصة في المفردات الدراسية.

4- وفي علوم الاجتماع يستخدم تعبير تحليل الصفة أو الجانبفي الدراسات التي تستهدف إيجاد ذلك الجانب المتميز- من سمة معينة في مجموعة مدروسة من الناس، على نحو ما يحدث في دراسة الثقافات المختلفة، وذلك لتحليل المعاني والصفات المشتركة المرتبطة بالقيم المختلفة. وتحليل المضمون يقودنا إلى دراسات موسعة وشائعة الانتشار الآن في الدراسات الإعلامية والأدبية، تعنى بتحليل الخطاب الذي يدلي به الشخص على أساس ما يقال لا على أساس كيف قيل، وبمعناه العام فإن تحليل المضمون قد يكون بمثابة الجدولة الموضوعية للتكرار، التي تظهر عناصر معينة في النص المحلل، وهو إذن بمثابة اكتشاف وتبويب الأفكار والمشاعر والحقائق والأطر المرجعية وفق خطة منظمة.

5- وفي الطب بصفة عامة يعنى الأطباء بتحليل مضمون شكوى المريض، للحصول على المعلومات التي تتعلق بعناصر المرض، ويدربون في دراستهم الإكلينيكية على القدرة على تحليل ما يتاح لهم من معلومات، حتى لو كانت ظاهرة البطلان، فالذي يشكو مما ليس فيه يريد بمثل هذه الشكوى الكاذبة شيئا آخر يستطيع الأطباء استنتاجه، والوصول إليه بحكم خبرتهم الطويلة بمثل هذه الحالات.

6- وفي الطب النفسي يطلق التحليل المباشر على إحدى الطرق المتبعة في علاج المصابين بانفصام.

7- وفي حطوم الإحصاء يستخدم لفظ التحليل في كثير من المصطلحات الإحصائية، ومنها التحليل التوزيعى. أما تحليل متعدد المتغيرات فأسلوب

إحصائي يستخدم بكثرة وافرة الآن في البحوث العلمية والطبية، ويهدف إلى بيان أثر عدة متغيرات وهى تتفاعل معا، وذلك من خلال عدة طرق مختلفة: كتحليل العوامل المتعددة وتحليل التباين الاقتراني.. أما تحليل التباين فهي طريقة لتحديد ما إذا ثانت الفروق (ويعبر عنها بالتباين) الموجودة في المتغير التابع تتجاوز ما يمكن أن نتوقعه عن طرق المصادفة.. وقد يعامل كل متغير بدوره على أنه المتغير التابع.

8- وفي علوم الصوتيات يطلق تحليل الصوتيات على تجزئة تتابع صوتي إلى وحدات أصغر.

9- وفي علوم الكيمياء يطلق على العملية التي تثبت العناصر المختلفة المكونة لمركب ما، وقد تطرق هذا المعنى إلى تحليل لبول والدم والبراز وسوائل الجسم الأخرى بل وأنسجته في المختبرات الطبية للكشف عن عناصر معينة تنبئ عن حالة المرض، أو نسبة معينة من مكون معين تنبئ زيادتها عن المرض وتطوره[1].

3ـ الطريقة الكلينيكية

الإكلينيكي [2] هو يستهدف تشخيص وعلاج الاضطرابات النفسية الخفيفة علاجا نفسياً، والشعور الموصول بالنقص أو بالحيرة والتردد أو بفقد الأمن والطمأنينة وبعض الأمراض النفسية. والقياس السيكولوجي جزء من وظائف الخبير الإكلينيكي.

---

(1) مفاهيم إسلامية: أ.د/ محمد محمد الجوادى: المصدر: موقع وزارة الأوقاف المصرية.

(2) علم النفس الإكلينيكي: هو تشخيص السلوك الشاذ بغرض معرفة ما يشكو منه الفرد والظروف المختلفة التي أحاطت به وأدت إلى ظهور مشكلته مما يساعد على فهمها ويمهد الطريق إلى إرشاد الفرد وعلاجه، وهو أحد المجالات التطبيقية والهامة لعلم النفس، وهو يعنى أساسا بمشكلة التوافق الإنساني بهدف مساعدة الإنسان ليعيش في سعادة وأمن.

ويقصد به ملاحظة وتحليل وتقدير ما لدى المريض من ذكاء وقدرات عقلية وسمات خلقية واتجاهات نفسية إلى غير تلك من الصفات التي لو أضيفت إلى الفحص الجسمي للفرد ودراسة حالته الاجتماعية أعطت صورة متكاملة عنه تساعد على تقديم الاقتراحات والوصايا إليه... كما يعتبر القياس احد أهم مكونات الحياة اليومية للإنسان والذي من خلاله يتعامل مع البيئة من حوله فمقاييس الطول والعرض والحجم والوزن والحرارة هي مما تساعد الإنسان على استكشاف طبيعة المحيط الذي يعيش فيه. على نحواً مشابه القياس هو أداة الباحث في العلوم النفسية لفهم السلوك الإنساني ولتفسير الظواهر النفسية من حيث مدى انتشارها من عدمه وكذلك الأسباب المؤديه لذلك والهدف النهائي هو اعطاء تقرير مفصل عن الظاهرة المقاسه ثم يتم على ضوء هذه البيانات اتخاذ القرارات فيما يتعلق بكيفية التعامل مع الظاهرة.

كما مر علم النفس الإكلينيكي في تطوره بمراحل مختلفة، فقد كان اهتمام علماء النفس الإكلينيكيين قبل الحرب العالمية الثانية [1] مقتصرا في الأغلب على دراسة مشكلات الأطفال ... وكانت وظيفتهم الرئيسية هي دراسة حالة الأطفال المشكلين، وتطبيق الاختبارات النفسية عليهم لقياس قدراتهم العقلية بغرض تقديم بعض التوصيات للآباء، أو المدرسين، أو الأطباء المعالجين، أو المؤسسات المسؤولة عن الأحداث الجانحين ... كما حدث تطور كبير في علم النفس الإكلينيكي أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها.

فقد تسببت الحرب في كثرة عدد المصابين باضطرابات نفسية، ووجد الأطباء أنهم لا يستطيعون لقلة عددهم مواجهة أعباء العلاج النفسي لهذا العدد الضخم

(1) الحرب العالمية الثانية نزاع دولي مدمر بدأ في 7 يوليو 1937 في آسيا و1 سبتمبر 1939 في أوروبا وانتهى في عام 1945 باستسلام اليابان. شاركت سبعون دولة في معارك جوية بحرية و أرضية.

من المصابين باضطرابات نفسية مما أدى إلى زيادة الاهتمام بعلماء النفس الإكلينيكيين والالتجاء إليهم ليساهموا في علاج المصابين باضطرابات نفسية ... وهكذا بدأ علماء النفس الإكلينيكيون يعنون بالعلاج النفسي للكبار، بعد أن كان معظم اهتمامهم مقتصرا من قبل على العلاج النفسي للأطفال ... ومن مجالاته الرئيسية وهي كما يلي:

الأول: قياس الذكاء والقدرات العقلية العامة.
الثاني: قياس الشخصية، ووصفها، وتقويمها.
الثالث: العلاج النفسي بأساليبه وطرقه المختلفة.

كما يهتم علماء النفس الإكلينيكيين بقياس الذكاء في عمليات التشخيص بغرض تحديد أسباب التأخر الدراسي والتحصيلي، وتشخيص حالات الضعف العقلي حتى يمكن مساعدة هؤلاء الأطفال بإعطائهم العناية التربوية اللازمة، أو توجيههم إلى أنواع التدريب الملائمة.

يقول جوليان روتر [1]: إن علم النفس الإكلينيكي علم حديث نسبيا، وهو لازال في دور النمو والتطور. ولقد تأثر في نشوئه بمجالين هامين من مجالات الدراسة.

(1) صاحب كتاب علم النفس الإكلينيكي: ومدير برنامج التدريب في علم النفس الإكلينيكي: بجامعة (بالإنجليزية: Yale University) ييل في مدينة كونيتيكت في الولايات المتحدة الأمريكية. وهي جامعة خاصة تقع في كنتيكت. تأسست عام 1701. تعتبر ثالث أقدم معهد للتعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية. وهي إحدى أعضاء رابطة اللبلاب لأعرق جامعات أمريكا. ولها ثاني أكبر وقف (22.8 بليون دولار) بين الجامعات الأمريكية (بعد هارفارد) يتبرع به خريجوها. وأساتذة جامعة ييل معروفون بتفانيهم في خدمة طلابهم وهذا التزام تشتهر به ييل كثيراً، حيث يقوم أشهر أساتذتها المرموقين بتدريس مواد

المجال الأول: هو دارسة الاضطرابات النفسية والعقلية والتخلف العقلي التي كانت تحظى باهتمام كثير من الأطباء.

والمجال الثاني: هو دراسة الفروق الفردية.

4ـ الطريقة التجريبية

يعتبر التجريب أساس التقدم العلمي في مجالات المعرفة البشرية وهو من أكثر الطرق دقة وموضوعية وأهمية لانه يتعدى وصف الظاهرة إلى معرفة العوامل والشروط اللازمة لحدوثها. ولذا تعد هذة الطريقة، الطريقة الرئيسيةفي ابحاث العلوم الطبيعية، وتقترب العلوم الانسانية من دقة وموضوعية تلك العلوم بمقدار استخدامها الطريقة التجريبية في أبحاثها المختلفة. وهى تحقق كل الاهداف الأساسية للبحث العلمي وهي: التنبؤ، والفهم، والتحكم.

وكثيرا ما تكون التجربة مجرد ملاحظة لتوليد فكرة جديدة في ذهن العالم، لا لاختبار فكرة سابقة موجودة لديه[1].

يقال: 'اسأل مجرب ولا تسأل طبيب' إن التجربة عامل مهم في حصول الحكمة وتحققها .. وإن قراءة التاريخ والاطلاع على أحوال الأمم الماضية يضيف إلى رصيد التجربة رصيدا علميا من تجارب الآخرين، كما قال الشاعر:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

وكلما تعمق الإنسان في رؤية الماضي من خلال السنن الكونية والشرعية، كان أكثر قدرة على وضوح الرؤية في المستقبل، ضمن الضوابط الشرعية والعقلية.

السنوات الأولى خاصة لطلاب البكالوريوس. ويعتبر الحصول على شهادة من هذه الجامعة بمثابة المفتاح السحري للثراء والمناصب الحكومية الحساسة.

(1) المعجم الفلسفى 2/ 416.

وفي الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة[1].

ولقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى العمل بالتجربة في الحديث السابق الذكر، وكذلك طبق هذا الأمر من خلال ما رأى من أهل المدينة بما يقومون فيه من تأبير النخل، وذلك عن تجربه لهم سابقة، فقال لهم « لو تركتموه لصلح » من باب التجربة إلى ما سوف يؤل إليه عدم التأبير من قبلهم .. ولذلك لما تركوا تأبير النخل طاعة لرسول لله، تبين أن عدم التأبير الذاتي لا يصلح النخل، ثم بعد ذلك حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم قال لهم: « أنتم أعلم بأمور دنياكم »[2].

---

(1) وقال الشيخ الألباني في المشكاة – 5056 – (لم تتم دراسته) ثم ذكره في عدة كتب له وهو يشير إليه بالضعف، ذكره في سنن الترمذي 2033وقال ضعيف كما ذكره في السلسلة الضعيفة له (5646) وفي ضعيف الجامع الصغير (6283) : وهذا مستغرب من الشيخ رحمه الله، ومحتمل أن الشيخ لم يتمكن من دراسته دراسة دقيقة وقد ذكر هذا في المشكاة كما سبق، ولكن المشكلة على أن الشيخ يشير إلى تضعيف هذا الحديث، وقد أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) 565 ، قال: حدثنا سعيد بن عفير ، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، عن ابن زحر، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، قال: حليم إلا ذو عثرة. فذكره موقوفا. والترمذي 2033 قال: حدثنا قتيبة.وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه: أحمد 3/ 8(11071) قال: حدثنا قتيبة. وفي 3/ 69(11684) قال: حدثنا هارون ، هو ابن معروف. كلاهما (قتيبة، وهارون) قالوا: حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، فذكره. مرفوعاً: وقال الحافظ في الفتح 10 / 529: حديث أبي سعيد مرفوعا صححه ابن حبان .. وقال العجلوني في كشف الخفاء: ج2ص362 –: رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعا وقال صحيح الإسناد.

(2) أخرجه مسلم 7/ 95(6203 و6204) وابن ماجة 2471 وقد ذكر هذا الحديث من عدة طرق وألفاظ مختلفة .

إن التجربة في الحياة هي علم إذا أضاف الشخص إلى رصيده علوم أخرى ينتفع بها، كما تعادل تلك التجارب الحياتية، شهادات عليا، والشهادة ما هي إلا علم وتجربة، وقد تكون تلك الشهادة في الغالب تجربة قاصرة .

ويمكن الجمع بين الملاحظة والتجربة بشرطين :

1- **الموضوعية:** والتي تعني الدقة التامة مع التجرد من العاطفة.

2- **تحقيق بعض الصفات العقلية:** كأن يتسم الباحث ملاحظاً أم مجرباً بروع النقد والتمحيص، والفطنة والحذر وعدم التسرع في التفسير والتأويل(1).

ولا ينبغى أن يغيب عن الباحث ملاحظا أو مجربا أن البحث عن السبب شيء هام جداً، مع التأكيد على أن المسبب هو الثمرة المنشودة ، فتسخين الحديد مثلا سبب، لكن تشكيله هو المسبب وهو الغاية(2).

5ـ الطريقة المستعرضة

وتعتمد في جوهرها على انتقاء عينات مختلفة من الافراد من مختلف الاعمار، ثم نلاحظ فيهم بعض جوانب السلوك موضع الاهتمام أو تطبيق عليهم مقاييس لهذة الجوانب من السلوك، على ان تتم الملاحظة أو القياس في نفس الوقت تقريبا، ويقارن أداء العينات المختلفة في كل مقياس على حدة، وتتم هذة المقارنات في ضوء متوسطات العينات أى أن المقارنة بين مختلف الاعمار تتم في ضوء الفروق بين المجموعات، وتفترض هذة الطريقة أن هذة المتوسطات توضح مسار النمو العادى وتقترب بنا الى حد كبير من الدرجات التى نحصل عليها لو أجرينا البحث

---

(1) التفكير المنطقى د/ عبد اللطيف العبد دار الثقافة العربية بالقاهرة ط3 سنة 1417هـ سنة 1997م ص156.

(2) المنطق نظرية البحث جون ديوى ترجمة د/ زكى نجيب محمود، ط1969م دار المعارف بمصر ص705.

على افراد من عمر معين ثم أعيد اختبارهم تتبعيا عدة مرات حتى يصلوا الى الحد الاقصى من العمر موضع البحث.

6ـ الطريقة الطولية

وفيها تتم ملاحظة نفس العينة من الافراد التى تكون من نفس العمر لحظة البدء في البحث واعادة ملاحظتهم أو اختبارهم عدة مرات على فترات زمنية مختلفة، وهذة الفترات تختلف حسب طبيعة البحث أى أن هذة الطريقة تتطلب تكرار الملاحظة والقياس لنفس المجموعة من الافراد لفترة زمنية معينة. وبالطبع فان مدى الزمن المستغرق والفواصل الزمنية بين الملاحظات والاختبارات تختلف من بحث لآخر، وذلك حسب طبيعة موضوعة ففى بحث حول نمو تفضيل احدى اليدينفي العمل اليدوى يختبر الاطفال ابتداء من سن 10 شهور مرة كل شهر حتى يصلوا الى العمر الذى يظهر فية تفضيل لاحدى اليدين على الاخرى، وهو عادة ما يكون سن 18 شهرا.

7ـ الطريقة (التتبعية)

تقوم هذه الطريقة بتتبع بعض الأفراد أو المجموعات، وذلك من ذوي العمر الواحد تقريباً ولمدة محددة، من ستة أشهر إلى سنة مثلاً، وكذلك لأعمار محددة، وذلك لقصد معرفة الزيادة الحاصلة لتلك الفئات المرصودة وهي التي تشتمل على النتائج الحاصلة منها، مثال ذلك من الناحية الجسمية وذلك في، الوزن مثلاً و الطول بشكلٍ رئيسي. كما يقوم الطبيب، أو التربوي، برصد قياس نمو الطفل وذلك من خلال القياس التالي:

الوزن	والطول	ومحيط الرأس

كما تسجل هذه المقاييس على مخطط بياني، يتم من خلالها معرفة ومراقبة كل طفل عند زيادة نموه الطبيعي ... و هناك منحنى خاص للطول، و آخر للوزن

ولمحيط الرأس، فالطفل الذي ينمو نمواً طبيعياً يكون له منحنى نمو يوازي المخططات الطبيعية، أما في حال وجود اضطراب في النمو فيشاهد انحراف مخطط الطفل عن المنحنيات الطبيعية.

ولابد من التفريق بين قياس وأخر، فهناك مخططات خاصة لكل شعبٍ من الشعوب، فلا يمكن قياس طفل من الشرق على مخططات تخص الأطفال من الغرب أو من شرق آسية أو أفريقيا. و بذلك تتم مقارنة نمو الطفل مع المعدلات العامة للنمو للمجتمع من خلال هذا المخطط. كما يكون لدى الوالدين شغف في مراقبة نمو الطفل منذ اللحظة الأولى لولادته، و يتلهفون لرؤيته و هو ينمو ويتطور من حركة لأخرى، وهكذا حتى البلوغ.

من الأدوات التي تستخدم في البحوث: (المقاييس، الاختبارات، الاستبيان، الملاحظة، المقابلة.

وخلاصة القول في البحث العلمي، في علم نفس النمو، بأنه عمل ينتمى الى فئة العلم التجريبى، والباحثونفي هذا النوع من المعرفة يلتزمون بنظام قيمى يسمى الطريقة العلمية يوجة محاولاتهم للوصف (الفهم) والتفسير (التعليل) والتحكم (التوجية والتطبيق) وهى أهداف العلم التقليدية ... الطريقة العلميةفي البحث اذن هى لون من الاتجاه أوالقيمة العلمية، وهذا الاتجاه يتطلب من الباحث الاقتناع والالتزام بمجموعة من القضايا .. وما يهمنا من هذا التطور المعرفي في مجال النمو هو الإنسان، ولايمنع من الإستفادة، من توفير الحقائق والمعلومات المتعلقة بمظاهر النمو المتعاقبة، والتعرف على طبيعة العمليات النفسية المصاحبة للنمو وتوقيت حدوثها، وتحديد العوامل المؤثرة في تلك العمليات سلبا أو إيجابا.

كما أن تلك الطرق تستخدم المعاير من أجل قياس مراحل النمو المختلفة كما تختلف وجهة النظر من قياس لأخر، وذلك بحسب إختلاف الباحثين في هذا المجال، ومن الملاحظ بأن علماء التربية في السابق قد أتخذ معياراً ثابتاً في مجال التربية

دون أن يكلفوا على أنفسهم، بتطبيق تجارب ميدانية وكان أكثر اهتماماتهم منصبها على طريقة الملاحظة، وبذلك يكون المنهج السائد في السابق في المجال التربوي قائم على الملاحظة، لأن التجارب الميدانية تحتاج إلى وقت طويل وهذا أمر شاق جداً، كما قسم علماء التربية من السلف في السابق التربية إلى ثلاثة مراحل وذلك بقولهم في المقولة المشهورة ويقال أنها تروى عن عبد الملك بن مروان وهي: لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً واستصحبه سبعاً، فإن أفلح فألق حبله على غاربه.

فأما المرحلة الأولى: فتبدءا من الولادة إلى السن السابعة، وفي هذه المرحلة سماها مداعبه سبعاً. وهذه المرحلة تشتمل على مرحلة الطفولة الأولى وهي الرضاعة ثم التمهيد ثم الطفولة المبكرة إلى بداية الطفولة المتأخرة.

وأما المرحلة الثانية: وهي من نهاية العمر السابع إلى أثنى عشر سنه، وهي مرحلة التأديب. وهي تشتمل على بداية الطفولة المتأخرة إلى مرحلة المراهقة الأولى.

وأما المرحلة الثالثة: وهي من نهاية الثانية عشر إلى واحد وعشرين سنه، وهي مرحلة المصاحبة. وهي فترة البلوغ، والمراهقة الأولى والمتوسطة والمتأخرة، إلى بداية سن النضوج.

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نقول بأنها نظرية وقاعدة دقيقة وشاملة، في مجال التربية ومراحلها الصحيحة والسليمة. ولو حسبنا جميع تلك الفترات، فسوفا نستنتج منها بأن اكتمال النضج التربوي لشخص في هذا السن هو 21سنه.

وهذا التقسيم التربوي السابق الذكر، قد أشار إليه المربي العظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثّ قال: مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع[1]. وفي الحديث تنبيه على مرحلة

---

(1) أخرجه أبو داودْ 495 وفي (496و4114) وأحمد 2/ 180(6689) وفي 2/ 187(6756).

عمرية من أجل التنبه لها والبدء في مراقبتها، لأنها مرحلة تحول يمر به الطفل، وقد حددت بالسن السابعة إلى العاشرة.

خلاصة ماسبق: يمكن تلخيص أهمية دراسة هذا العلم بصفة عامة، في عدة نقاط أهمها:

أ- الجانب النظري

تساعد دراسة هذا العلم الأخصائيين النفسانيين في جهودهم لمساعدة الأطفال والمراهقين و الراشدين. خاصة في مجال علم النفس العلاجي و التوجيه و الإرشاد النفسي و التربوي و المهني ... كما تعين دراسة قوانين و مبادئ النمو و تحديد معاييره، في اكتشاف أي انحراف أو اضطراب أو شذوذ في سلوك الفرد. كما تتيح معرفة أسباب هذا الانحراف و تحديد طريقة علاجه.

والجوانب النظرية تزيد من معرفتنا للطبيعة الإنسانية و لعلاقة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها و ذلك من خلال، التعرف على تأثير كل من العوامل الوراثية، والبيئية على النمو، مما يؤدي إلى توفير العناصر المساعدة لتلك العوامل على تأدية عملها في أحسن الظروف وتحقيق أفضل النتائج الإيجابية التي يمكن توقعها.

ب- الجانب التطبيقي

يساعد الجانب التطبيقي، المعلم في إدراك المدرس للفروق الفردية بين تلاميذه، في معرفة خصائص الأطفال والمراهقين و في معرفة العوامل التي تؤثر في نموهم و أساليب سلوكهم، وأنهم يختلفون في قدراتهم و طاقاتهم العقلية و الجسمية و ميولهم، وبهذا يوجه المدرس انتباهه لبناء المناهج و طرق التدريس و إعداد الوسائل المعينة في العملية التربوية.

كما تزيد من القدرة على توجيه الأطفال والمراهقين و التحكم في العوامل و المؤثرات المختلفة التي تؤثر في النمو و ذلك من خلال، مساعدة الأفراد على فهم أنفسهم و ما ينتابهم من تغير يرتبط بمراحل النمو المختلفة، و تقبل المظاهر المصاحبة له، والتوافق مع عالم الواقع.

كما يمكن قياس مظاهر النمو المختلفة بمقاييس علمية تساعدنا على من الناحية النفسية و التربوية في التكفل بالأفراد، إذا ما اتضح شذوذ النمو في أي ناحية عن المعيار العادي.

كما يؤدي فهم النمو العقلي و نمو الذكاء، و القدرات الخاصة والاستعدادات والتفكير والتذكر والتخيل والقدرة على التحصيل في العملية التربوية (تطور الملكات العقلية) حيث يحاول الوصول إلى أفضل الطرق التربوية والتعليمية التي تناسب مرحلة النمو و مستوى النضج الملائم.

ج- الجانب التجريبي

تستفيد التجربة من جميع الجوانب من العلوم النظرية والعلوم التطبيقية، لأجل إستخراج نتائج جديدة ومتطورة، ولقد إجريت دراسات وتجارب عدة على فهم المشكلات الاجتماعية وثيقة الصلة بالتكوين و النمو الشخصية للفرد والمجتمع من خلال العوامل المحددة لهذا العلم، كما ساعدة على ضبط سلوك الفرد و تقويمه في الحاضر بهدف تحقيق أفضل مستوى ممكن من التوافق النفسي و التربوي و الاجتماعي والمهني بما يحقق صحة الفرد في الحاضر و المستقبل كإنسان صالح. كما ساعدة أولياء الأمور، في معرفة الفروق الفردية الشاسعة في معدلات النمو، لأجل التفريق بين مرحلة وأخر، فلا يكلف الوالدان الطفل فوق وسعه و لا يحملانه ما لا طاقة له به، ويعرفون أن لكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها المميزة حيث تنمو شخصية الفرد بمظاهرها المختلفة. إن أهتمام أولياء الأمور وتوصلهم مع القائمين على التربية و الرعاية النفسية والاجتماعية و الطبية،

يساعد على تحقيق أفضل النتائج المرجوة لنمو أفضل، للأفراد من الطفولة إلى الشيخوخة .. كما ينبغي أن يساهم الفرد على نشر الوعي والمعرفة في هذا المجال، وعلى التفريق في طبيعة المرحلة والنمو التي جربها في السابق، وبهذا يساهم على فهم النمو الصحيح في المجتمع.

خلاصة ما سبق: إن استخدام جميع القواعد العلمية تساعد، كأداة في تطبيقها على جميع المعلومات والبينات، كما تعتبر تلك القواعد وسيلة ضرورية وأساسية في دراسة بعض الظواهر الاجتماعية ،أو دراسة الوثائق والسجلات .. إن الوسائل العلمية المعتمدة في البحث العلمي كثيرة ومتنوعة ولا تقتصر على تلك القواعد، بل يوجد لكل علم لهُ قواعده وقوانينه الخاصة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

*****

الباب الثاني
طرق دراسة علم نفس النمو
من الناحية الفسيولوجية

مقدمة الباب الثاني

يعتبر علم النفس الفسيولوجي من فروع علم النفس، والذي يدرس الأساس الفسيولوجي للسلوك الإنساني، وعلاقة جسم الإنسان بسلوكه؛ فهو - أي هذا العلم - يتخصص في دراسة أثر الجهاز العصبي، والغدد الصماء على السلوك الإنساني، والشخصية، والأمراض النفسية والعقلية. ويدرس هذا العلم الجوانب الفسيولوجية في الانفعالات المصاحبة للدوافع. وهي جوانب متعلق ببنية الجسم، وما يحمله من استعدادات، وبعضها ما يطرأ على الفرد من حوادث خارجية تؤثر فيه.

وسوف نتطرق في هذا الباب إلى ثلاثة عوامل مهمة، لعلاقتها بعلم النفس النمو، ومن المعلوم أنّ جميع العلوم العقلية والمنطقية، هي نتاج التفكير الإنساني، وحينما يفكّر الإنسان قد يهتدي إلى نتائج صحيحة ومقبولة وقد ينتهي إلى نتائج خاطئة وغير مقبولة. فالتفكير الإنساني -إذن- معرّض بطبيعته للخطأ والصواب، ولأجل أن يكون التفكير سليماً وتكون نتائجه صحيحة، أصبح الإنسان بحاجة إلى قواعد عامة تهيئ له مجال التفكير الصحيح متى سار على ضوئها .. فكما أنّ النحو والصرف لا يُعلّمان الإنسان النطق وإنّما يعلّمانه تصحيح النُطق، فكذلك عِلم المنطق لا يُعلّم الإنسان التفكير بل يرشده إلى تصحيح التفكير. وعلم المنطق هو العلم الذي يدرس القواعد العامة للتفكير الصحيح من جهة، ومن جهة أخرى هو الأداة التي يستعين بها الإنسان على العصمة من الخطأ، والتي ترشده إلى تصحيح أفكاره.

الفصل الأول

علم الوراثة وعلاقتها بالنمو

مقدمة الفصل الأول

إن التأثير الوراثي على النمو الإنساني لهُ دور كبير جداً في حياتنا وهو ملاحظ بشكل واضح، ولكن هذا التأثير لهُ عدة أسباب، ولقد توعد الشيطان وتكفل بهذا الأمر كما أخبر الله جل وعلا عنه بقوله: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[1] أي لأدعونَّهم إلى تقطيع آذان الأنعام، وتشقيقها لما أزينه لهم من الباطل، وإلى تغيير خلق الله في الفطرة، وهيئة ما عليه الخلق ... ومن يستجب للشيطان ويتخذه ناصرًا له من دون الله القوي العزيز، فقد هلك هلاكًا بيِّنًا.

علم الوراثة هو علم يبحث في إنتقال صفات الكائن الحي من جيل إلى آخر، و تفسير الظواهر المتعلقة بطريقة هذا الإنتقال، و أصل الورث أو الإرث، الإنتقال تقول: ورث المال، يرثه ورثاً إرثاً، و وراثةً أي صار إليه بعد موت مورثه، و يقال: ورث المجد و ورث أباه ماله و مجده أي ورثه عنه، فهو وراث و هي وارثة و الجمع ورثة، و أورثه الشي أي أعقبه إياه.

ولقد أثبتت الدراسات العلمية، على أن العوامل الوراثية لها تأثيرها على النمو وذلك بشكل مباشر من الوالدين، أو غير مباشر من الأقارب مثلاً أو من البيئات المختلفة، وهذا ملاحظ من خلال الدراسة والبحث في مجال علم الوراثة، وهذا يتبين من خلال مثلاً:

(1) سورة النساء: آية 119

1- البيئة الداخلية: وذلك يتمثل في الغدد الصماء وغير الصماء كما هو مبين في مباحث الغدد وتأثيرها على النمو، وكذلك الجهاز العصبي وإفرازاته وهذا يشكل عامل من العوامل المؤثرة على الجينات من ناحية القوة أو الضعف، وقد بحثنا هذه المسألة في الحديث عن الجهاز العصبي وتأثيره على النمو، لأن الجهاز العصبي وجهاز الغدد يعملان جنباً إلى جنب في تقوية النمو أو تضعيفه، وكذلك تقدم الإنسان في العمر وذلك يؤدى إلى تراكم التغيرات في الجسم، مما يؤثر على الطفرات في الجينات وقد يسبب خلل في نسخ الجينات عند انقسام الخلايا، أو بسبب تراجع في عملية تصحيح الأخطاء التي قد تحدث عند انقسام الخلايا. وهذا النوع الوراثي ينتقل من ذرية لأخرى على حسب تحرك تلك الجينات "الطفرة" أو سكونها، لأن احد الآباء أو الأجداد نقلها عبر الأجيال والتي تكون مستقرة في البويضة أو الحيوان المنوي الذي خلق منه ذلك الإنسان.

فقد أوضحت الدراسات التي أجراها العالم (ديفيد روزنثال)[1] أن أقرباء الوالدين والأخوة، والأبناء يمكن أن تظهر بينهم اضطرابات الشخصية بمعدل الضعف بالمقارنة مع، الأجداد والأعمام والأحفاد ... حيث تزداد احتمالية تعرض الأفراد لتلك المشكلات كلما زادت درجة القرابة بينهم.

كما أوضحت الدراسات التي أجراها كل من الباحثون بكلية الطب (بجامعة بيل) الأمريكية [2] إن أقارب الدرجة الأولى لأفراد مصابين باضطرابات الاكتئاب أو الهلع هم أكثر عرضة للإصابة بتلك الاضطرابات، كما اتضح من تلك الدراسات أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين (5 ـ 17) سنة، والتي تنتشر تلك الاضطرابات بين والديهم هم أكثر عرضة أيضاً للإصابة باضطرابات

---

(1) رئيس معمل علم النفس بالمعهد الوطني للصحة النفسية في الولايات المتحدة

(2) ليكمان وايزمان و مريكانجر و بوليس و بروسوف.

القلق والاكتئاب والهلع مثل الوالدين تماماً، وأن هناك علاقة وثيقة بين اضطرابات القلق والاكتئاب لدرجة أن حدوث أحدهما يزيد احتمالية حدوث الآخر.

كما أجرى الباحثين أزنك وبريل: دراسات على التوائم (أحادي البيضة) و (ثنائي البيضة) وقد أوضحت تلك الدراسات تزايد معدل حدوث تلك المشكلات الشخصية بين زوجي التوائم المتماثلة بحيث إذا أصيب أحدهما بمشكلة ما فغالباً ما يصاب الآخر بها .

2- البيئة الخارجية: وهذا يتمثل في الغذاء الغير جيد، وكذلك المياه الغير نظيفة، ومن العوامل الخارجية والمسببة للعطب في جسم الإنسان حرارة الشمس، فالحرارة تؤثر على الجلد، وذلك مما يجعل المنافذ سهله، للدخول على الأعضاء الداخلية للجسم، حتى ولو سلم الجسد الخارجي تأتي المؤثرات الأخر والخطيرة على الإنسان، ومنها السموم، و الأشعاعات النووية، وغيرها من المواد الكيماوية، فالحديث عن البيئة وتأثيرها على الإنسان كثيرة ومتشعبة ويطول بحثه وسوف نتطرق لهذا الموضوع من خلال هذا البحث .. فالبيئة الداخلية والبيئة الخارجية فجميع تلك العوامل تؤثر وتضر بالحمض النووي وبالتالي تؤدي إلى العطب والسرطان وغيرها من الأمراض، وبالتالي يكون لها التأثير على الجينات الوراثية. والتي بدورها تنتقل إلى بقية الذرية.

وهناك العديد من العلماء الذين يمزجون بين عوامل الوراثة وعوامل البيئة كعوامل مترابطة ومتلازمة في كل مرحلة من مراحل نمو الفرد، وهناك من يعتقد أن البيئة لا يمكن أن تؤثر إلا على الإنسان الذي يحمل خصائص وراثية معينة.

وعليه فقد أصبح واضحاً أن العوامل الوراثية تلعب دوراً أساسياً كمسببات للمشكلات الشخصية لدى الأطفال والمراهقين، ورغم صعوبة تحديد مدى تأثير العوامل الوراثية، فإن هناك بعض الأفراد قد تظهر لديهم استعدادات للإصابة بالقلق والاكتئاب كرد فعل للنظام البيئي الذي يعيشون فيه، ومن المهم أن نأخذ في

اعتبارنا أن الأطفال والمراهقين يحملون معهم خصائص واستعدادات وميولا معينة إلى النظام البيئي الذي يعيشون فيه، وينبغي عدم اعتبارهم مجرد متلقين سلبيين لتأثير العوامل البيئية عليهم، فهم يتأثرون بالبيئة ويؤثرون فيها ... إن معالجة هذه الحالات لدى الأطفال والمراهقين تتطلب دراسة شاملة لأحوالهم الأسرية بغية التعرف على مسببات تلك المشاكل وعلاجها.

1- لمحة عن علم الوراثة و الجينوم البشري

يعرف علم الوراثة: (Genetics) بأنه العلم الذي يدرس المورثات الجينات: gene، و الصفات الوراثية التي تنتقل من الآباء للأبناء عن طريق المورثات، كما يدرس تباين الأنواع و اختلاف صفاتهم نتيجة اختلاف المادة الوراثية (الصبغيات Chromosomes) المعلومات الوراثية بشكل عام، وتكون محمولة ضمن الصبغيات الموجودة في نواة الخلايا و تحوي ضمنها الدنا الحامل الأساسي للمورثات genes كما أن التقنيات الحديثة سمحت لعلماء الوراثة حاليا باستقصاء آلية عمل الجينات و معرفة التسلسل الدقيق للحموض الأمينية ضمن دنا (DNA) و رنا (RNA) المادة الوراثية ليقوموا بعد ذلك بربط هذا التسلسل بالمورثات، ويقال أن الجينات تقوم بتشفير encode المعلومات الضرورية لاصطناع سلاسل الأحماض الأمينية amino-acid sequences التي ستدخل في تركيب البروتينات المختلفة، وهذه البروتينات ستلعب بدورها دورا كبيرا في تحديد النمط الظاهري phenotype النهائي للمتعضية organism. و قد سمح علم الوراثة هذا بإتمام واحد من أضخم مشاريع القرن العشرين.

أ- مصطلح جينوم (genome)

مصطلح جينوم جديد في علم الوراثة وهي تعني الصبغيات (الكروموزومات)، أي الحقيبة الوراثية البشرية وهي التي تعطي جميع الصفات والخصائص الجسمية، داخل نواة الخلية البشرية. كما يمكن أن يتعرف البشر على طبيعة خلقهم المادية، ومعرفة الخريطة الوراثية، وفك شفرة المورثات

البشرية، التي أودع الله سرها في هذه التركيبة الكيميائية المسمى بـ(DNA) من خلال الدلالة العلمية .. والجينوم هو كامل الحمض الريبي النووي منزوع الأكسجين (أو الدنا DNA اختصاراً) في كائن حي معين، بما فيه جيناته genes.

وإذا كان "الجينيوم" من التعقيد في خلايا الجسم، بحيث ينطوي على ملايين العمليات الكيميائية، فإن "البروتيوم" (Proteome) يحتوي على معلومات تزيد ألف مرة مما يحمله الجينيوم!

بعد الانتهاء من رسمه تفاصيل الخريطة الوراثية «الجينوم» عند البشر، شهد المجتمع العلمي العالمي إعلاناً أوروبياً يشير إلى أن الورشة العلمية العملاقة المقبلة في علم البيولوجيا تتصل بتفكيك رموز الخرائط الوراثية عند أنواع البكتيريا التي تعيش بصورة طبيعة في الجسم البشري. وتوجد هذه الأنواع في الجهاز الهضمي والأمعاء والأنف والفم والأذنين وفوق سطح البشرة وغيرها. وتبدأ في التكوّن مباشرة بعد الولادة. ويفوق عدد أنواعها الألف، في ما يصل عددها إجمالياً إلى عشرة أضعاف خلايا جسم الإنسان.

وعالم هذه الكائنات أضخم وأعقد بكثير من عالم الجينات الموجودة في البشر. فإذا كان الجينوم البشري مثلاً يحتوي على قرابة 30 ألف جين، فإن مجموع عدد جينات هذه الأنواع من البكتيريا يصل إلى قرابة 3 ملايين جين.

ب- البروتيوم

وتحمل الجينات (المورثات) جميع البروتينات اللازمة لجميع الكائنات الحية. ولقد ظهر مصطلح "البروتيوم" في دنيا المعرفة في عام 1994م، كما تتكون البروتينات من تسلسل مئات الجزيئات الصغرى والأحماض الأمينية التي يوجد منها عشرون نوعا مختلفا ... وعملية بناء البروتين داخل الخلايا الحية تعتمد على المعلومات المحفوظة في الجينات الكامنة في الحمض النووي DNA (الحمض النووي الريبي منقوص الأوكسجين) الموجود في كل خلية حية .. وعادة ما يتم نسخ هذه

المعلومات في الحمض النووي RNA (الحمض النووي الريبي)، وهو عبارة عن جزيء شبيه بالحمض النووي DNA لكنه يتواجد بكثرة خارج النواة. ويعمل هذا الحمض بمثابة قالب لتجميع البروتينات بواسطة مختبر بيوكيميائي صغير يعرف بـ"الريبوزوم". ويقول العلماء بأن الجينات ترمز للبروتينات. ولتبسيط الصورة اعتبر العالم البريطاني "جون سميث" أن الحمض النووي DNA شريط ممغنط كشريط التسجيل، و"الريبوزوم" جهاز التسجيل، والبروتينات هي موسيقى الحياة.

وتكتسب البروتينات هذه الأهمية الكبيرة؛ لأنها الناتج النهائي لعمل الجينات، ولأنها تحكم تصرفات وأفعال الكائنات الحية من المهد إلى اللحد. وكل بروتين يحتاجه الجسم محفوظ كشفرة كيميائية في الحمض النووي DNA، ولأن هذه الجزيئات تؤدي الأدوار الضرورية لعمل الخلية الحية، ومنها: الإنزيمات (الخمائر) التي تسرع التفاعلات الكيميائية، والمستقبلات التي تخبر الخلايا عن حالة الوسط الخارجي، والأجسام المضادة التي تتعرف على الجسيمات الغريبة في الكائن الحي.

وعندما يحدث المرض تكون البروتينات هي المسؤولة؛ لأنها تكون عاجزة عن حماية الخلية، ولأن ميكروبا أدى إلى اضطرابها. ولهذا فالبروتينات هي الهدف الرئيسي للأدوية. وإذا أراد العلماء إعطاء المريض جرعات دوائية ناجعة تصيب هدفا محددا بوضوح، فلن يكون هذا الهدف سوى أحد البروتينات أو عملية بيولوجية وثيقة الصلة بهذا البروتين.

ويقدر العلماء عدد أنواع البروتينات المنطلقة في الجسم فيما بين 500 ألف إلى مليون بروتين، لكن كل خلية من جسمنا لا تحتوي غير عشرة بالمائة من هذا المجموع؛ لأنه في لحظة معينة واستنادا إلى تخصصها لا تعبر الخلية إلا عن جزء من جيناتها. ونتيجة ذلك تحتوي كل خلية مجموعة متميزة من البروتينات، وهذا هو البروتيوم الخاص بها، ومعرفة كل نوع تعتبر ضرورية للتشخيص الدقيق للمرض .. وتبعا لهذه الآلية تنتج الخلايا بروتينات مختلفة انطلاقا من متوالية

الحمض النووي DNA نفسها. وهذه التغيرات البسيطة تكفي في غالب الأحيان إلى تغيير وظيفة البروتين كليا، وقد يقدر جين واحد على إنتاج نحو عشرين بروتينا مختلفة.

2. لمحة عن النظرية الإسلامية في خلق الإنسان وتكوينه

لقد أهتم العلماء بموضوع النمو إهتماماً واسعاً، وخاصة علماء الإسلام فمنهم من أفرده في كتاب مستقل، ومنهم من جعلهُ بحثاً ضمنين، يدرجه ضمن فصوله أوضمن أبواب كتابه، وذلك على طريقة كتب التفسير، أوكتب السنة والفقه، وهذه المسائل مدرجة، ضمن كتاب، النكاح، والرضاعة، وغيرها من المواضيع المتفرقة، عند أهل العلم، والملاحظ من الباحثين المعاصرين أنهم لايهتمون بموضوع النمو من الناحية الشرعية فتجدهم مقلدين في هذه العلوم الطريقة الغربية، أو الطرق المقرره التي لاتجدي نفعاً من الناحية العلمية والتطور المعرفي، لأنها في كثيرا من الأحيان تجدها لاتقدم شيئاً جديداً في سبيل المعرفة والتطورة، لأنها تسير في فلك التقليد وهذا ما يجعلها تابعة بحيث لاتجدي نفعاً، فأما العلوم الشرعية فهي علوم حيوية، فإنا الناظر فيها والمجتهد قلما يخرج منها، إلا وقد قدم الشيء الكثير والمفيد والجديد والذي هو صالح لكل زمان ومكان، أما العلوم الأخرى النظرية أو التطبيقية منها كذلك، فالكثير منها لايتعدى محيطها الذي نشأ فيها لأنها قائمة على نظرية شخصية، وقد تكون تلك الشخصية لاتعرف ذاتها فضلاً من أن تقدم نظرية غير مسبوقة، ومع ذلك لانقلل من تلك الجهود ولكن بشرط عدم الإدعاء بأن هذه النظرية أو تلك حكراً على أحداً من الناس.

كما أن علاقة النو بالشريعة الإسلامية ومحاولة الربط بينها، وبين العلوم النظرية الأخرى، يغفل عنها كثيراً من الدارسين أو المهتمين بالعلوم النظرية، من الباحثون العرب وغيرهم من المسلمين، فتجد القليل منهم من يهتم بالمسائل الجزئية والتي لاتكاد تذكر في قضية النمو في الشريعة الإسلامية، وقد وردة عدة

آيات في كتاب الله، تتحدث عن النمو والخلق بشكل واضح ومفصل ومبين بيـان، لا يدع لشك مجال في هذا الأمر الهام ألا وهو، الخلق، وهـذا الموضـوع مـن أصـول الشريعة الإسلامية، ومن المعلومة من الدين بالضرورة.

ولذلك بين الله هذا الأمر بياناً شافياً ووافياً وكافيـاً، في كتابـه العزيـز، ومـن تلك الآيات البينات، على سبيل مثال:

قـال الله تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (1). وقـال تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (2) أولم يعلـم هـؤلاء كيـف ينـشئ الله الخلـق من العدم، ثم يعيده من بعد فنائه، كما بدأه أول مرة خلقًا جديـدًا، لا يتعـذر عليـه ذلك؟ إن ذلك على الله يسير، كما كان يسيرًا عليه إنشاؤه.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (3) وقال تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (4) قال تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (5) يعني، أفَعَجَزْنا عن ابتداع الخلق الأول الذي خلقناه ولم يكن

(1) سورة غافر آية 64

(2) سورة العنكبوت آية 19

(3) سورة العنكبوت آية 20.

(4) سورة يس آية 68.

(5) سورة ق آية15

شيئًا، فنعجز عن إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم؟ لا يعجزنا ذلك، بل نحن عليه قادرون، ولكنهم في حَيْرة وشك من أمر البعث والنشور.

فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له: كُنْ فيكون كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (1).

قالت مريم متعجبة من هذا الأمر: أنّى يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بَغِيٌّ؟ قال لها المَلَك: هذا الذي يحدث لكِ ليس بمستبعد على الإله القادر، الذي يوجِد ما يشاء من العدم، سبحانه وتعالى ... والآيات في هذا الباب أكثر مما تحصر فموضوع الخلق من المعجزات الدالة على قدرة الله وعظمته سبحانه وتعالى.

أ ـ المعنى اللغوي للخلق

تأتي مادة (خَلَقَ) في القاموس العربي بعدة معاني ومن ذلك :التقدير والإبداع: ومنه قوله ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (2) ومنها الكذب: كقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ (3) ومنها البالي: كما يقال: ثوب خَلِقٌ؛ أي بالٍ. ومنها السجية والطبيعة: ومنه قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (4) وخَصَّ الخَلق – بفتح الخاء- بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُصَّ الخُلق – بضم الخاء – بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة .

(1) سورة آل عمران آية 47

(2) العنكبوت: 44

(3) العنكبوت: 17

(4) القلم: 4

ب- الأطوار التي أشار إليها كتاب الله

قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (1). يبين تبارك وتعالى أن تخلق الإنسان إنما يتم على أطوار متتالية، ثم يشير في سورة المؤمنين إلى أهم هذه الأطوار حيث يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (2).

إن الناظر اليوم، في هذه الآيات البينات وهو يضع في جعبته حقائق القرن العشرين عن علم الأجنة يشعر بأن الله تبارك وتعالى إنما خصه هو بهذه الآيات، وإن كانت قد نزلت منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، لأنها تخاطبه باللغة التي يتباهى بها اليوم (3).

وقد ذكر العلماء بأن المقصود في ترتيب الأطوار في الآية بالفاء، لأن المراد أنه لا يتخلل بين الطورين طور آخر، ورتبها في الحديث بـ ثم إشارة إلى المدة التي تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور، وإنما أتى بـ ثم بين النطفة والعلقة لأن النطفة قد لا تتكون إنسانا، وأتى بـ ثم في آخر الآية عند قوله:﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ليدل على ما يتجدد له بعد الخروج من بطن أمه ... وأما الإتيان بـ ثم في أول القصة بين السلالة والنطفة فللإشارة إلى ما تخلل بين خلق آدم وخلق ولده.

---

(1) نوح: 13-14

(2) المؤمنون :14:12

(3) مع الطب في القرآن الكريم للدكتور / عبد الحميد دياب، د / أحمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن دمشق ص 80 وما بعدها.

فالله وحده هو المتفرد بإنشاء المخلوقات كلها، وهو القادر وحده على إعادتها مرة أخرى، ثم إليه يرجع جميع الخلق، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

جـ. خلق آدم يختلف عن خلق الذرية

لقد خلق الله تعالى، آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، ليبين عموم قدرته، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، حيث خلق من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان[1].

لقد قرر الله في كتابه الكريم بشكل قاطع، وحدة خلق النوع البشري من أصل واحد وهو آدم أبو البشر، وذلك في عدة آيات: كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[2] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وقد أعلن الإسلام المساواة والتكافؤ بين الحقوق والواجبات الأسرية للمرأة فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وأعلن كذلك حقها في الشورى داخل الأسرة في أمر الأبناء وتربيتهم وغير ذلك من أمور الأسرة فقال تعالى في شأن فطام الأبناء ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ وقال

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 2 / 294، ودقائق التفسير لابن تيمية 2 / 334، وتفسير ابن كثير 1 / 368 .

(2) سورة النساء، الآية 1 .

تعالى: ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ أي ليأمر كل واحد من الزوجين الآخر بالمعروف في شئون الأسرة، من إرضاع للأبناء وتربيتهم وغير ذلك ... كفل الإسلام للإنسان ذكرا أو أنثى حق التفكير والاعتقاد، بل اعتبر التفكير والنظر أمرا واجبا على الإنسان، فتعددت الآيات التي تحض الإنسان على النظر والتفكير في ظواهر الكون والحياة.

فقد كفل الإسلام كذلك حق الاعتقاد للإنسان ومنع الإكراه على تغيير المعتقد ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ ولما جاء الإسلام أسلمت كثيراً من النساء الأشراف القرشيات وهاجرنا إلى المدينة، مع كفر الزوج والأب وكافة الأقارب من الرجال فهذه أم حبيبة بنت أبي سفيان تسلم وتهاجر مع أن أباها كان إذ ذاك من رؤوس الكفر ويرتد زوجها فتثبت هي على الإسلام .. وكثيرات هن اللواتي كن السبب في إسلام أزواجهن منهن أم سليم زوجة أبي طلحة الأنصاري، وأم حكيم بنت حزام زوجة عكرمة بن أبي جهل، وغيرهن كثير .. ومنهم أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط تسلم وتهاجر رغم أن كل أفراد أسرتها كانوا على الشرك .. ومن مفهوم الإسلام الصحيح تتجلى استقلالية الشخصية الدينية للمرأة وأنه لا أحد يقرر لها معتقدها وإنما هي التي تقرره بإرادتها الحرة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾. فشخصية المرأة تجاه الرجل مستقلة تماما: فهي مطالبة بالإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ومخاطبة بكافة التكاليف الشرعية دون وساطة أحد أو وصايته، وهي تتحمل المسؤولية الكاملة في كل ذلك. وللمرأة حقها في التقاضي ورفع الظلم إن وقع عليها.

فخطاب الله إلى البشر ورسالته إلى الناس متجهة إلى، المرأة، والرجل على حد سواء وعلى كل جنس من ذكراً، أو أنثى أن يلتزم حدوده الممنوحة لهُ من الشرع.

د- هيئة الإنسان الحقيقية التي خلق عليها أول مرة والتي سوف يعود إليها

وقبل البدء في الخوض في مراحل النمو وتطوره في القرآن الكريم أحب أن أشير، أيضاً إلى بداية خلق أبونا أدم كما ذكر ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: كان طول آدم ستين ذراعا، في سبعة أذرع عرضا.[1] وفي رواية أخرى: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه، قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع إلى ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن[2].

قال المهلب: هذا الحديث يدل أن الملائكة في الملأ الأعلى يتكلمون بلسان العرب، ويحيون بتحية الله، وأن التحية بالسلام هي التي أراد الله أن يتحيا بها[3].

والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها، لم ينتقل في النشأة أحوالا ولا تردد في الأرحام أطوارا كذريته، بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقب ذلك بقوله "وطوله ستون ذراعا" فعاد الضمير أيضا على آدم، وقيل معنى قوله "على صورته: أي لم يشاركه في خلقه أحد، إبطالا لقول أهل الطبائع. وخص بالذكر تنبيها بالأعلى على الأدنى، والله أعلم.

(1) أخرجه أحمد 2/ 535(10926) .

(2) أخرجه "البخاري" 3326، وفي "الأدب المفرد" 978 وفي 8/ 62(6227) و"مسلم" 7265.

(3) أنظر :شرح البخاري لابن بطال.

وقال ابن بطال: في قوله: « فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » فهوا في معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[1]. ووجه الحكمة في ذلك أن الله خلق العالم بما فيه دالا على خالق حكيم، وجعل في حركات ما خلق دليلا على فناء هذا العالم وبطلانه خلافا للدهرية التي تعبد الدهر وتزعم أنه لا يفنى، فأبقى الله هذا النقص دلاله على بطلان قولهم، لأنه إذا جاز النقص في البعض جاز الفناء في الكل[2].

وقال ابن التين كما نقله عنه ابن حجر قوله "فلم يزل الخلق ينقص" أي كما يزيد الشخص شيئا فشيئا، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين، فكذلك هذا الحكم في النقص. أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك.

وقال ابن حجر: يشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السابقة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب المار وعهدهم قديم والزمن الذي بينهم وبين آدم دون ما بينهم وبين أولاد هذه الأمة ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال[3].

وقال عبد الرزاق كما ذكره ابن حجر في روايته "وطوله ستون ذراعا" إثبات الواو فيه لئلا يتوهم، أي أن الضمير يعود إلى الله، بل يعود "على صورة آدم" وهذا من باب الخاص بعد العام ... قال ابن حجر: وروى عبد الرزاق أن آدم لما هبط كانت رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء، فحطه الله إلى ستين ذراعا فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء فطرته، وظاهر هذا الحديث أنه، خلق ابتداء على طول

(1) سورة التين آية 4 – 5.

(2) شرح البخاري لابن بطال.

(3) فيض القدير – ج3ص595.

ستين ذراعا، وهو المعتمد (فلم تزل الخلق تنقص بعده) في الجمال والطول (حتى الآن) فانتهى التناقص إلى هذه الأمة، واستقر الأمر على ذلك فإذا دخل الجنة عادوا إلى ما كان آدم عليه من الكمال والجمال وامتداد القامة وحسن الهامة وفي مثير الغرام في زيارة القدس والشام أن آدم كان أمرد وإنما حدثت اللحية لولده وكان أجمل البرية[1].

3ـ لمحة عن النظرية الدرونية وانطباعاتها حول خلق الإنسان وتطوره

لقد لاقت الدرونية انطباعات وآراء متضاربة منذ انطلاقتها الأولى وحتى الآن، لقد رأى تشارلز دارون [2] في نظريته أن المخلوقات لها ((أصل واحد مشترك انبثقت منه)) وبمرور الزمن حصلت لها تغيّرات، ومع إدراكه لردّة الفعل الذي يمكن أن تحدثه هذه النظرية (الإشتراكية في أصل الخلقة)، ومع ذلك تابع أبحاثه ليحضّر نفسه للإجابة على الاعتراضات التي كان يتوقعها على نظريته.

ويقال أنهُ لم يصرّح (داروين) بنظريته في البداية إلا إلى أصدقائه المقربين إليه، وفي عام 1858 م، بلغ أن هنالك من يعمل على نظرية مشابهة لنظريته، وهو ألفريد رسل ووليس، مما أجبر داروين على نشر نتائج بحثه. ومن العوامل التي جعلت هذه النظرية تأخذ مكاناً عريضا في الأوساط العلمية الدعاية العالمية الخارجية حيثُ روجت لهذه الفكرة على نطاق واسع.

وعن التساؤلات التي ترد على هذا النظرية، وما نتج عن تلك التساؤلات أنهم قالوا، أن تلك النظرية لم تفسر كيف حدثت تلك التغيرات، بشكل واضح

(1) انظر: فيض القدير – ج3 ص594.

(2) تشارلز روبرت داروين (بالإنكليزية: Charles Robert Darwin) عالم حيوان، إنجليزي الجنسية، ولد في إنجلترا في 12 فبراير 1809 وتوفي في 19 أبريل 1882 م. اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي، حول نشأة الإنسان. اكتسب شهرته كواضع لنظرية التطور بدأ اهتمام داروين بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب ثم اللاهوت في الجامعة.

ومقنع. وحاصل الأمر أنها فجرت خلاف دون أن تقدم أدلة صحيحة يمكن الرجوع إليها في حالة النزاع.

أـ لمحة عن نظرية التطور وعلم الأحياء التطوري

وعلى ضوء ذلك فنقول أن التطور والتنوع هو مصدر أساسي وحيوي على كوكب الأرض، وإن نظرية التطور بمفهومها الحالي لم تظهر إلا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، من قبل تشارلز داروين، وألفرد راسل، والاس .. ونشرت ضمن كتاب داروين ((أصل الأنواع)).

وحسب نظرية داروين ووالاس: يحدث التطور نتيجة تغير أو طفرة في ميزات قابلة للتوريث ضمن مجموعة حيوية على امتداد أجيال متعاقبة، كما يحدده التغيرات في التكرارات الآلية للجينات. ومع الوقت، يمكن أن تنتج هذه العملية ما نسميه انتواعاً، أي تطور نوع جديد من الأحياء بدءاً من نوع موجود أساساً .. وعلى حسب هذه النظرية فإن جميع المتعضيات الموجودة ترتبط ببعضها البعض من خلال سلف مشترك، كنتيجة لتراكمات التغيرات التطورية عبر ((ملايين السنين)) على حسب زعمهم الباطل.

كما يرى دارون أن الأحياء جميعها خاضعة للنواميس الأربعة التي هيا تمثل قوانين النشوء والارتقاء للحياة وهي كما يلي:

الانتخاب الطبيعي[1]	تباينات الأفراد[1]	تباينات بالإرث[2]	تنازع البقاء[3]

(1) على هذا الناموس يرتكز المذهب كله، وخلاصته أن ناموس الوراثة، كما ينقل التباينات، ينقل أيضا جميع الصفات التي يحملها الأصل إلى الفرع، مادية كانت أو معنوية، أصلية أو مكتسبة، وهذه الصفات منها النافع كالقوة والصحة والذكاء، ومنها الضار كالأمراض والأوجاع والعاهات، أما الضارة فتنتهي إلى أحد أمرين: إما أن تتلاشى بتغلب الصفات

ب- لمحة عن الاصطفاء الطبيعي

كما بدأت نظرية التطور في إحداث مصطلح جديد يسمى ((بالاصطفاء الطبيعي)) وذلك في مقالة مشتركة، لتشارلز داروين، وألفريد راسل، والاس .. وحسب نظرية التطور: الاصطفاء الطبيعي هو العملية التي تقوم بتفضيل سمة وراثية مورثة heritable لتصبح أكثر شيوعاً في الأجيال اللاحقة .. والاصطفاء الطبيعي، يتضمن البيئي، والجنسي، والقرابة مع الانحراف الوراثي. تقوم هاتان الآليتان أو العمليتان، بالتأثير على التنوع الجيني المتشكل عن طريق الطفرات، والتأشيب الجيني وانسياب المورثات .. لذا يعتبر الاصطفاء الطبيعي عملية يتم بها بقاء ونجاة الأفراد ذوي الميزات الأفضل (للحياة) وبالتالي التكاثر.

النافعة .. وإما أن تؤدي إلى ملاشاة صاحبها بذاته أو بنسله. وأما النافعة فهي التي تجعل صاحبها ممتازا وفائزا في معركة البقاء.

(1) معناه أن الأجساد الحية ميّالة للتباين ببعض صفاتها عن الأصل الذي نشأت منه، لذلك لا يتم التشابه الكلي بين الآباء والأبناء، ولا بين الأصول والفروع، وبمرور الدهور الطويلة تتعمق هذه التباينات، وتظهر الأنواع الجديدة تحت أشكال مختلفة، كالإنسان الذي تطور من قرد حيث أن ذلك – وفق زعمهم – لم يحدث فجأة وإنما نتيجة تراكم التباينات جيلا بعد جيل، حتى أدت تلك التباينات في نهاية المطاف إلى ظهور الإنسان واختفاء صورة القرد عنه.(منقول)

(2) وهذا الناموس متمم للناموس "تباينات الأفراد"، فالتباينات التي تحدث للأفراد تنتقل بالوراثة من الأصول إلى الفروع، وتكون في أول الأمر جزئية وعرضية، ثم تصبح بمرور الأزمنة الطويلة جوهرية وتظهر في الأنواع.

(3) معناه أن الكائن في هذه الحياة في صراع دائم مع الطبيعة من جهة، ومع أبناء نوعه من جهة أخرى، وفي خضم هذا الصراع يحاول الكائن أن يحيا ويتغلب على خصومه، إلا أن الفوز في معركة البقاء، يتطلب في الفائز صفات معينة تؤهله للفوز، وهذه الصفات تختلف من كائن لآخر، فقد تكون صفة الفوز لكائن هي القوة، ولآخر هي عظم الجثة، ولآخر السرعة أو الجمال أو الذكاء أو الشجاعة وغيرها، فإذا تم الفوز للأفراد الذين لهم شيء من هذه الصفات كتب البقاء لهم، في حين يكتب الفناء والهلاك على من افتقد تلك الصفات.

إذا كانت هذه الميزات قابلة للتوريث فإنها ستنتقل إلى الأجيال اللاحقة، مما ينتج أن الميزات الأكثر نفعاً وصلاحية للبقاء تصبح أكثر شيوعاً في الأجيال اللاحقة. للتجمعات المؤلفة من المتعضيات المتكاثرة .

والسمات غير المفضلة الموروثة تصبح شيئا فشيئا أقل شيوعاً. كما يعمل الاصطفاء الطبيعي على النمط الظاهري أي على السمات الظاهرة الملاحظة في الكائن الحي، فالكائنات الأسرع عدوا أو الأقوى هي الأقدر على البقاء، وإنتاج أجيال لاحقاً من النمط الظاهري المفضل.

وإذا كانت هذه الأنماط الظاهرية ذات أساس جيني، عندئذ سيتمكن النمط الجيني مترافقاً مع نمط ظاهري مفضل من أن يزيد تواتره في الأجيال اللاحقة. مع الزمن هذه العملية يمكن أن تنتج تلاؤم يؤدي إلى تخصص المتعضيات لبيئات معينة، ويمكن أن يؤدي أحينا إلى ظهور أنواع حية جديدة.

خلاصة النظرية: أنها تدعي، أن الأحياء جميعها التي تعيش على كوكب الأرض ومنها الإنسان، قد تطورت من خلية واحدة إلى أحياء ذات خلايا متعددة، ثم تشعّبت مساراتها في التطور، حتى ظهرت الأحياء الحالية، التي نشاهده اليوم والتي تبلغ أعدادها بالملايين. لذا فحسب هذه النظرية لابد من وجود عشرات الحلقات الوسطى أو الحلقات الانتقالية بين كل نوعين، أي أن عدد أحياء الحلقات الوسطى يجب أن تبلغ عشرات ومئات الملايين، ولكن لم يتم العثور حتى الآن على أي حلقة وسطى، (لأنها غير موجودة أصلاً)، ولو كانت نظرية التطور صحيحة لكان من المفترض أن نعثر على مئات الآلاف من متحجرات الأحياء، التي تمثل الحلقات الوسطى الانتقالية بين الأنواع.

ويقال بأن هذا الفشل الذر يع في الحصول على هذه المتحجرات، هو الذي دفع بعض علماء التطور إلى البحث عن مخرج من هذه الورطة الكبيرة، التي تهدد بإعدام نظرية التطور، فزعموا أن التطور حصل فجأة، ودون مراحل انتقالية، ولم

يستطيعوا أن يقدموا لهذه الفرضية الخيالية أي دليل، وبهذا دخلت نظرية التطور في طريق مسدود.

بطبيعة الحال هذا لا يمنع التساؤل عن مدى صواب هذه النظرية أو خطئها خارج المفهوم العام الشكلي، مما يدفع آخرون لتبني نظام جديد من النظريات ينتج عنه نظام شكلي جديد وقواعد علمية جديدة.

جـ نظرية السلف المشترك العام

عندما وصلت النظرية الدار ونية إلى طريق غير معقول ومنطقي، استحدثت بعض المصطلحات المنطقية من أجل أن تخرج الأفكار الداروينية من مأزقها التي وقعت فيه، ومن تلك المصطلحات نظرية السلف المشترك العام، ترى هذه النظرية أن جميع الأحياء الموجودة على سطح الأرض تنحدر من سلف مشترك وحيد عام أو لنقل حوض جيني أصلي وحيد.

وتستند هذه النظرية إلى وجود سمات مشتركة بين كافة المتعضيات الحية .. مثلا، كل خلية حية تستخدم نفس الحمض النووي كمادة وراثية (دنا (DNA - ورناRNA)، وتستخدم نفس الحموض الأمينية كوحدات بناء للبروتينات. إضافة لذلك فإن جميع الأحياء تستخدم نفس الشفرة الوراثية (باختلافات ضئيلة ونادرة) لترجمة الحموض النووية إلى تسلسل الحموض الأمينية الذي تشكل البروتينات في النهاية. وهذا التماثل العام لهذه السمات المشتركة في خلايا جميع الكائنات الحية طرح إشكالاً في، فرضية السلف الواحد للأحياء .. لقد سمح تطور علم الوراثة الجزيئي وخصوصاً إمكانية سلسلة الدنا (DNA) للبيولوجيين بدراسة سجل التطور عن طريق البنى الوراثية للمتعضيات الحالية والمنقرضة، ويقوم علماء الحياة حالياً بإيجاد وتعديل العلاقات وصلات القرابة بين الأنواع الحية قديمها وجديدها، عن طريق التشابه والاختلاف بين تسلسلات الدنا (DNA) للمتعضيات الحية، فعن طريق الدراسات الوراثية تبين أن 95٪ من الصيغة الوراثية (الجينية) متشابهة بين الإنسان وغيره من الحيوانات. مما وسع بشكل كبير وعدل من إمكانية إيجاد

الصلات والقرابات بين الأنواع، وأحياناً كان يؤدي لتعديلات جذرية في التصنيف الحيوي للأحياء.

وأما في أيام داروين كانت الإثباتات تقوم على الملاحظات المرئية للتشابهات الشكلية، مثل حقيقة أن جميع الطيور حتى التي لا تطير تملك أجنحة، أي أن النظريات السابقة كانت قائمة على الفرضيات. أما اليوم يحاول البعض إثبات تلك النظريات بطرق علمية مختلفة تقوم على أساس علم الوراثة تؤكد وجود السلف المشترك.

خلاصة القول أن الإنسان يتميز عن الحيوان بأمور كثيرة ومن أهمها:

الإدراك الحسّي[1]	والإدراك الخيالي[2]	والإدراك الوهمي[3]	والإدراك العقلي والفكري

كما يمثّل الإدراك العقلي والفكري القوّة المودعة في الإنسان فلا يشارك الحيوان فيها الإنسان أبداً، وهذا ما يجعل الإنسان إنساناً. كما أن هذه القوّة

---

(1) وهذا يعتبر أوّل درجات العلم، حيثُ يولد الإنسان خالي النفس من كل فكرة وعلم فعلي، ولكن لديه استعداد فطري للتعلّم .. ثمّ يبدأ ينظر ويسمع ويذوق ويشمّ ويلمس؛ وبالتالي يحسّ بما حوله من الأشياء ويتأثر بها التأثر المناسب .. ويتشارك في هذه المرحلة الإنسان مع سائر الحيوانات، حيث يمتلك كل من الإنسان والحيوان هذه الحواس أو بعضها.

(2) هذا ما يطلق عليه "العلم الخيالي" والذي قد يشارك الإنسان في هذه المرحلة بعض الحيوانات. فالإنسان في هذه المرحلة يبدأ بالتصرّف في صور المحسوسات المحفوظة عنه، فينسب بعضها إلى بعض مثلاً (هذا أطول من ذاك، وهذا الضوء أشدّ من الآخر، وغيرها من التصرّفات) .. وقد يبدأ بتأليف بعض الصور من البعض الآخر والتي قد لا يكون لها وجود في الخارج، كتأليفه لصور الأشياء التي يسمع بها ولا يراها، فيتخيّل البلدة التي لم يرها.

(3) يطلق على هذا المرحلة مصطلح (العلم الوهمي). يدرك الإنسان في هذه المرحلة المعاني الجزئيّة التي لا مادّة لها ولا مقدار، مثل: حب أبويه له وعداوة مبغضيه، وخوف الخائف. قد يشارك الإنسان في هذه المرحلة بعض الحيوانات.

والقدرة تدار من قبل الله عز وجل حيثُ يدير بها دقّة مدركات هذا الإنسان، الحسيّة والخياليّة والوهميّة (فيميّز الصحيح من الفاسد، وينتزع المعاني الكليّة من الجزئيّات التي أدركها فيتعقّلها، ويقيس بعضها على بعض، وينتقل من معلوم إلى آخر، ويستنتج ويحكم، ويتصرّف ما شاءت له قدرته العقليّة والفكريّة.

ولأجل تنظيم تصرّفات هذه القوّة خوفاً من تأثير الوهم والخيال عليها، وبالتالي ذهاب الإنسان في صراط غير مستقيم، أرسل الله الرسل وأنزل الشرائع والكتب .. ولأجل نمو العلم المكتسب بهذه القوّة، وضعت العلوم وألّفت الفنون.. ومن خلال هذا العلم تفاوتت واختلفت طبقات الناس.

د. الإثباتات المورفولوجية

للناس في كيفية نشأة الحياة مذاهب شتى، ومنها مذهب يرى ويؤمن بالخلق المباشر، بمعنى أن الله خلق الكون وسائر الحيوان، بقوله: كن، فكان ما أراد سبحانه، وعلى هذا المذهب علماء الدين وعلى هذا القول كثير من العلماء .. وذهب آخرون إلى أن نشوء الحياة في سائر الحيوان كان عن طريق النشوء البطيء، وتحول أنواع، وظهور أنواع جديدة، وكان من أشهر القائلين بهذا الرأي "لامارك" العالم الفرنسي الذي زعم أن أنواع الأحياء ليست أصيلة في الخلق والتكوين، بل يشتق بعضها من بعض بطريق التحول والارتقاء التدريجي .. وظل هذا المذهب ضعيفاً، لا يقوى على الوقوف أمام المذهب الأول، إلى أن جاء داروِن فدفع مذهب التحول دفعة قوية للأمام، عندما وضع سنة 1859 م كتابه (أصل الأنواع) بطريق الانتخاب الطبيعي، ثم أصدر بعده كتاب يسمى (تسلسل الإنسان) سنة 1871م.

وعند طباعة "أصل الأنواع" رفض جان لويس رودلف أغزيز أفكار الكتاب وأصبح من أهم معارضي النظرية الدار ونية .. اشتهر أغزيز، كعالم أوربي، حصل أغزيز على دكتوراه من ميونخ، ثم أتم دراسة الطب 1830 م وبعد ذلك أصبح أستاذ التاريخ الطبيعي في Neuchatel في سويسرا، انتقل إلى الولايات المتحدة،

وأمضى 27 عاماً معظمها كأستاذ في جامعة هارفارد، وقد أزعجت نتائج أبحاثه مؤيدو دارون لأن النظرية في وقتها كانت تعتمد مبدأ، يقضي بعدم وجود تغيرات غير تقليدية في الزمن الغابر .. ومن منجزات أغزيز دراسة شاملة عن أحافير الأسماك، وطبعت في خمس مجلدات ما بين عامي 1833 م و 1844 م وحصل أغزيز على جائزة Wollaston Prize على هذا الإنجاز، وبعد ذلك انتقل Agassiz لدراسة الجليديات glaciers وأصبح مؤسس علم الجليديات.

كما أن نظرية أصل الأجناس والأنواع الحية، تبقى في قلب الجدليات الدينية والاجتماعية والعلمية، وذلك حول مفاهيمها ومدى صحتها بسبب صدامها مع بعض النظريات المخالفة لها. وقد أثارت هذه النظريات جدلاً واسعًا، حيث يرفض دعاة التطور اعتبارها من النظريات العلمية التجريبية، وذلك بالنظر لانتفاء وجود فرضيات يمكن إثبات صحتها أو رفضها باستخدام أدلة علمية، وإنما عدة سوى محاولة لإدخال الدين في العملية التعليمية للعديد من الدول التي تدرس نظرية التطور في مناهجها الدراسية.

لم يعرف الكثير بعد عن التطورات المبكرة في الحياة. ولذلك فقد زورت السجلات الأحفورية الموجودة حالياً لدى من يستخدمها كمعلومات قطعية الدلالة، والقول الصحيح أنها لا تمثل الحقيقة للكائنات الحية في الماضي، ولا في الحاضر إلا النذر اليسير منها، كما لايوجد لها وثائق قديمة يعتمد عليها، وإنما هي مجرد سجلات منفردة لا تقوم على قاعدة علمية صحيحة.

كما لا يعتبر السجل الأحفوري وثيقة معتمدة للأنماط المنتشرة والأحداث المهمة في تاريخ الحياة، والعديد من هذه السجلات قد أثرت بشكل فعلي في إفساد تصورنا للتاريخ الصحيح. ولذلك فإن المستحاثات غالبا ما تعتبر بأنها تقدم معلومات ضئيلة حول علاقات القرابة بين الأنواع، وغالباً ما تكون بوجود أجزاء صلبة مثل الأسنان والعظام.

لقد استغلت الإيديولوجيات العلمية في كثيراً من الجامعات العربية والغربية النظرية الدارونية نصرة لعقائدهم الفاسدة، وقد ذكر الباحثون أنواع عدة من التزوير، أرادا الملاحدة أن يفبركوها بطريقة علمية، على الطلاب وغيرهم من المثقفين، ومن تلك الفبركة:- ما قام به العالم الألماني 'ارنست هيجل 1824-1919' عندما رأى أن صور الأجنة لا تتطابق تماماً مع نظرية التطور، الذي يعد من كبار أنصارها، حينئذ قام بعمليات رتوش وحذف في صور تلك الأجنة البشرية لكي تتطابق مع نظرياتهم .

وكان أحد العلماء اكتشف عملية التزوير هذه وأعلنها في إحدى الصحف وتحدى فيها 'ارنست هيجل' الذي لم ير بدّاً من الاعتراف بجريمته العلمية والأخلاقية بعد فترة صمت وتردد، فاعترف في مقالة كتبها في 14/ 12/ 1908 م وقال فيها: " إن ما يعزّيه هو أنه لم يكن الوحيد الذي قام بعملية تزوير لإثبات صحة نظرية التطور، بل إن هناك المئات من العلماء والفلاسفة قاموا بعمليات تزوير في الصور التي توضح بنية الأحياء، وعلم التشريح، وعلم الأنسجة، وعلم الأجنة، لكي تطابق نظرية التطور".. وهذا يدل بأن هناك الكثير من عمليات التزوير العلمي، قام بها أنصار نظرية التطور لنصرة مذهبهم.

وهناك عملية تزوير مشهورة جرت في إنكلترا، وهي عملية تزوير 'إنسان بلتداون Piltdown Man'، والتي حدثت في سنة 1912م، عندما صنع أنصار نظرية التطور جمجمة من تركيب قحف إنسان على فك قرد 'أورانجتون' مع إضافة أسنان إنسانية إلى الفك، وقدموا هذه الجمجمة على أنها الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان. وخدعت عملية التزوير هذه كبار علماء البيولوجيا وأطبّاء الأسنان الذين فحصوا هذه الجمجمة المزيفة مدة تقارب 40 سنة، وألفت المئات من الكتب فيها، وتم تقديم رسائل دكتوراه عديدة، وكتب ما يقارب نصف مليون مقالة حولها، وفي سنة 1949 قام 'كنت أوكلي' بإجراء تجربة الفلور على هذه الجمجمة،

فتبين أنها ليست قديمة - حيث أُدّعى سابقاً أن عمرها يبلغ نصف مليون سنة - ثم قام "كنيت أوكلي" و "سير ولفود لي كروس كلارك" من جامعة أكسفورد بإجراء تجارب أكثر دقة، واستخدموا فيها أشعة اكس، فتبين أن هذه الجمجمة زائفة تماماً ومصنوعة.

وجاء في التقرير الذي نشر سنة 1953م: " إن "إنسان بلتداون" ليس إلا قضية تزوير وخداع تمت بمهارة من قبل أناس محترفين، فالجمجمة تعود لإنسان معاصر. أما عظام الفك فهي لقرد "أورانج" بعمر عشر سنوات، والأسنان أسنان إنسان غرست بشكل اصطناعي وركبت على عظام الفك. وظهر كذلك أن العظام عوملت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لإحداث آثار بقع للتمويه وإعطاء شكل تاريخي قديم لها".

هـ- خرافة الانقراض

يقال إذا أردة أن تكذب أبعد شهودك، وفيما يذكر عن الكذب في أسباب الانقراض لكثير من الحيوانات على الأرض، يقال بأن المذنب ضرب الأرض منذ 65 مليون سنة وخلف وراء ارتطامه بشبه جزيرة ياكوتان بالمكسيك سحابة ترابية حجبت الشمس عن الأرض لمدة 6 أشهر، مما أوقف التمثيل الضوئي للنباتات فوقها وماتت لهذا معظم النباتات، فلم تجد الحيوانات ماتأكله من نباتات أو حيوانات كانت تعيش عليها، فنفق معظمها. ومن بينها الديناصورات العشبية أو آكلة اللحوم، ولم يعش سوى الحيوانات الصغيرة الرملية كالحشرات والديدان التي أمكنها العيش علي الحيوانات النافقة أو مواد النباتات الميتة لهذا نجت.

ثم يقول المقال العجيب الغريب: لكن المعارضين لنظرية ضرب الأرض بأجسام فضائية يقولون بأن البيئة يمكنها بسهولة تخطي هذا التأثير ولاسيما وأن الحفريات في رسوبيات شرق مونتانا بشمال غرب داكوتا وعمرها 2.2 مليون سنة تبين أن الديناصورات كانت تعيش هناك، وقد طمرت رواسب الفيضانات

الكاسحة عظام هذه الديناصورات التي أظهرت أن اندثارها كان تدريجيا خلال عدة ملايين من السنين بالعصر الطباشيري. وقد قام العلماء بفحص قطاعات طولية في هذه الرسوبيات من أسفل لأعلى فوجدوا 2000 حفرية ديناصورية وكل عظمة ترجع إلى فصيلة من الديناصورات سواء أكانت آكلة للعشب أو اللحوم.

كما يقال أن من بين هذه الأسباب التي أدت إلى الانقراضات الجماعية عوامل كارثية، كنظرية ضرب المذنبات أو بيئيّة كالبراكين أو جليدية كما في العصور الجليدية أو لتغير معدل الأوكسجين أو الملوحة بالمحيطات أو لتغير المناخ العالمي.

لا يصدق مثل هذا الدجل من الكلام السابق، إلا إما خفيف العقل أو مهوس ومجنون أو جاهل مركب، يستحيل وجود كائنات حية من البشر قبل ملاين السنين على وجه الأرض، وهذا الأمر لم يوضح بشكل قطعي في القرآن كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ (1).

4ـ لمحة عن أول اكتشاف علمي في مجال علم الوراثة في العصر الحديث

ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام داروين بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات وطوّر نظريته الشهيرة في الانتخاب الطبيعي عام 1838 م، ثم تطورت النظرية بمرور الزمن حيث أصبحت تلك النظرية من ضمن المقررات الدراسية في العالم الغربي والعربي أيضاً، كما فسرت النظرية "الدرونية الحديثة" حدوث التغير في الكائنات، أنه ناتج عن التغير الذي يحصل للجينات الوراثية داخل الكائن الواحد، والذي يسمى "طفرة"؛ وبتراكم الطفرات عبر الزمن يحدث التغيير.

---

(1) سورة الكهف: آية:51.

تعود أول إكتشافات علمية في مجال علم الوراثة في العصور الحديثة، إلى الطبيب السويسري، فريدريك ميسشر في سنة 1869م والتي تم اكتشافها بواسطة المجهر، وذلك عندما استطاع استخلاص مادة مجهرية من القيح واسمها نووين (نيوكلين) بسبب وجودها داخل النواة. وفي سنة 1929 م استطاع فيبي ليفني من اكتشاف مكونات الوحدة الأساسية للدنا وهي النوويدات وبين أن الدنا ما هو إلا تكرار لهذه الوحدة.

وفي سنة 1943 م أجرى أوزوالد أفري تجربة بمزج بكتيريا نيموكوكس (الاسم العلمي: Pneumococcus) ميتة وتحمل خاصية السطح الناعم مع بكتيريا حية من نفس النوع ولكنها ذات سطح خشن. نتائج التجربة كانت انتقال خاصية السطح الخشن إلى البكتيريا ذات السطح الناعم. وسمي الدنا بالعامل الناقل.

وفي سنة 1953 م وبالاعتماد على الصور السينية المأخوذة بواسطة روزاليند فرانكلين، والمعلومات المتوفرة عن القواعد وطريقة ارتباطها ببعضها، طرح كل من جيمس واتسون، وفرانسيس كريك نموذجهما (اللولبي المزدوج) ونشروا تجاربهم في مجلة الطبيعة. وفي سنة 1957 م وضح كريك العقيدة الأساسية لعلم الأحياء الجزيئي ووضح العلاقة ما بين الدنا والرنا والبروتينات. وبين كريك لاحقا أن الكودونات تتكون من 3 قواعد مما ساعد علماء آخرين على فك الشيفرة الوراثية وتحديد الكودونات المشفرة للأحماض الأمينية. وفي سنة 1958م أوضح العالمان ميليسون وستال طريقة تناسخ الدنا ووصفاها بالشبه محافظة. حصل واتسون وكريك وموريس على جائزة نوبل في الطب لاكتشافاتهم في هذا الحقل في سنة 1962 م .

إن إيجاد مواضع للموروثات البشرية على الصبغيات ورسم خرائط لذلك، هي مهمة شاقة بكل المعايير، ولقد كان هذا حلماً راود كثيراً، من العلماء في مجال الطب طويلاً، والهدف من ذلك التعرف الدقيق على التركيب والكامل للمادة

الوراثية عند الإنسان، حتى كان 1985 م حيث عقدت العديد من المؤتمرات وتوالى ذلك حتى عام 1987 م، حيث تمخض ذلك عن نشوء فكرة مشروع الجين (الموروث) البشري، والذي انطلق جدياً في الولايات المتحدة عام 1990 م، ومن ثم صار لأمم كثيرة أخرى برامج بحث مماثلة كجزء من هذا البرنامج العالمي.

لقد بدأت تلوح بالأفق، ملامح طب جزيئي لا يعالج الأعراض بقدر ما يستهدف جذور المرض السببية، وإن الاختيارات التشخيصية النوعية ستسمح بمعالجة مبكرة لعدد لا محدود من الحالات، وسيساهم الطب القادم بشكل حاسم في تحسين تشخيص المرض الوراثي وذلك من ناحية الدقة والثقة والوقت، وكذلك في الكشف المبكر عن التأهب أو الاستعداد لحدوث مرض ما عند شخص ما، وإمكانية كشف المرض مورثياً قبل ظهور أعراضه أو الإعاقات الناجمة عنه بزمن طويل، وهكذا تتخذ الإحتياطات التي قد تمنع ظهور المرض.

كما اكتشف العلماء في مطلع عام (1994 م) مورثتين متورطتين في الشكل الوراثي من سرطان القولون، كما اكتمل في بداية عام (1996 م) وضع الخرائط لأكثر من (4000) مورثة، وتم ربط (1000) مرض وراثي بعيب معين في مورثة معينة، وارتفع عدد المورثات التي تم تحديدها في منتصف عام 1999 م إلى (7700) مورثة، وقبل نهاية عام 1999 م أعلن الباحثون في الولايات المتحدة، واليابان، والسويد، التسلسل الكامل للمادة الوراثية المكونة للصبغي (22) وهو ثاني أصغر صبغي في جسم الإنسان، ويحتوي على (33,5) مليون من أزواج القواعد، وله علاقة بعمل الجملة المناعية وأمراض القلب الولادية، والفصام والتأخر العقلي والعيوب الولادية وبضعة سرطانات من بينها أبيضاض الدم وسرطان الثدي وغيرها.

ثم وضع العلماء الخرائط البدائية للصبغيات (5 و 16 و 19)، في عام (2000 م) وفي نفس السنة، قام عدة باحثين، من بلدان كثيرة من العالم، منها:

بريطانيا وألمانيا وفرنسا وسويسرا واليابان، بالكشف عن الخريطة الدقيقة والكاملة للصبغي (21)، وتم الإعلان عن ذلك في وقت لاحق، وقد تبين أن هذا الصبغي يحتوي على أكثر من (33) مليون زوج من أزواج قواعد مادة (د.ن.أ)dna، ثم تم الكشف عن عدد من المورثات المتعلقة باضطرابات بشرية نوعية، لها علاقة بمتلازمة داون أو (الطفل المنغولي) المعروفة، والتي تتميز بتثلث الصبغي (21)، وهذه الاكتشافات والمعرفة، تقدم معلومة غاية في الأهمية وقيمة في نفس الوقت، ذلك لأجل التوسع لإيجاد حلول إما إستئصالية للأمراض الوراثية أو الوقاية من أمراض متوقعه.

ومن الإنجازات في هذا المجال تم تحديد مورثة يظهر منها أنها، تلعب دوراً في منع سرطان الثدي من الإنتشار إلى أجزاء أخرى من البدن، بالإضافة لآمال علاجية جديدة لمعالجة مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز)، وبالإضافة لإنجازات مهمة على صعيد :

- مرض الزهايمر.
- واعتلال الدماغ الإسفنجي العائلي عند الكهول.

5ـ أهمية مشروع الجينيوم البشري

لقد أحدث الطب الحديث ثورة علمية، حين أكتشف التقنيات المناسبة في العلوم الطبية، مما سهل في تذليل كثيرا من الصعاب، من الناحية الإكلينيكية، وهذا الفضل يعود إلى الله أولاً، ثم بقيام فريق من الأطباء والباحثين والعلماء، في مجالات عدة ومنها علم الأحياء (البيولوجيا)، والفيزياء، والهندسة، وعلماء الحاسوب (الكمبيوتر)، وقد أثبتوا مقدرتهم على التطوير والمعرفة حينما تم الإعلان عن إكتشافات عدة وكان من بينها، علم الوراثة وما تشكله تلك المورثات من خطر على الإنسان ،وكيفية الوقاية منها.

ويذكر سيد الحديدي: بأن تطور التقانة، وعلوم الحاسوب، جعل العلماء في مجال الطب، ينظرون في داخل الخلية وعلى المستوى الجزيئي، ويتعرفون على ما يحدث من تغيرات وتفاعلات في كل مرض على حدة، وخرجوا علينا بعلم جديد سموه البيولوجيا الجزيئية البشرية، وكانت قمة ما توج هذا العلم، هو رسم الخريطة الوراثية (الجينوم) .. ولذلك يقول الراسخون في العلوم الطبية أن كامل القرن الآتي سيطلق عليه (عصر الجينوم البشري) وأن جميع الاختصاصات الطبية سيتغير النظر إليها، ويصبح معظم ما يدرس في الكتب التي بين أيدينا شيئاً من التراث الطبي، كما هو الحال الآن لنظرتنا لما كتبه سقراط، وجالينوس، وديسكوريدس، والرازي، وابن سينا، وأبو داوود الأنطاكي ... لأن العصر القادم على حسب قولهم كما ذكر في المقدمة، سيكون عصراً لعلوم الجينوم وذلك في مجال الطب. [1] .ومن أجل ذلك كله تحرك العالم لدراسة علم الوراثة. وبدأت كل بلدان العالم المتطورة تدرس البيولوجيا الجزيئية، ليس فقط على المستوى الجامعي فحسب بل في كل مراحل الدراسة من مرحلة الابتدائي إلى أخر مرحلة من جامعة، وذلك لأجل أن يعدو الجيل القادم لاستقبال هذا العلم لأجل تحديثه وتطويره بما يتناسب مع كل عصر.

6ـ الطفرة وتأثيرها على النمو

الطفرة [2] هي تغيير في المعلومات الوراثية والتي تتمثل في (د.ن. أ). تولد الطفرات التنويع في الحقل الجيني. وهذه الطفرات أيضاً قد تتراكم وهو ما يسمى بالانحراف الجيني .. والطفرات المضرة تتم تصفيتها عن طريق الانتقاء الطبيعي ...

---

(1) أنظر: أسس الوراثة الطبية. ص 6. تأليف د.علي سريو. الناشر شعاع للنشر والعلوم سوريا حلب 2010م.

(2) بالإنجليزية: Mutation. التي يمكنها أن تنتقل إلى النسل .

ويتم التغير في مكان ما أو أكثر من سلسلتي (د.ن. أ) . وتتمثل في تغير عدد أو نـوع أو ترتيب النوكليوتيدات المكونة (د.ن. أ).

وتنقسم الطفرات إلى قسمين:

طفرات جنسية (1)	وطفرات جسمية (2)

ويمكن أن تنتقل الطفرة إلى النسل بواسطة :

النباتات، إذا ما حدثت الطفرة في الأعضاء الجنسية للنبتة	أو التعرض لمواد كيماوية ضارة	أو بسبب أخطاء في النسخ بسبب فيروس
الأشعة وبصفة خاصة الأشعة المؤينة مثل الأشعة السينية	تغير في ترتيب أو نوع أو عدد القواعد الأزوتية	

و تكمن خطورة هذه الطفرات عنـد حـصولها فـي الجينـات الموجـودة علـى الكروموسومات، مما يؤدي إلى التأثير علـى عملـها أو إيقـاف عملـها بـشكل تـام، فيسبب ذلك حدوث الإختلال في الوظائف المترابطة بهـذه الجينـات وظهـور لعديـد من الأمراض ... ويحدث الخلل غالباً عندما يكون معـدل حـصول هـذه الطفـرات أعلى من قدرة الخلايا على إصلاحها.

كما يوجد طفرات تسمى محايدة، وتُعَرَف الطفرات المحايدة على أنها لا تضر ولا تنفع الكائن في بيئتـه الـتي يعـيش فيهـا .. وتـستطيع الخليـة أن تقـوم بإصـلاح الطفرات الوراثية التي قد تحدث في جزيء (د.ن. أ) بواسطة آليات خاصة لـذلك .. والأغلبيـة العظمـى مـن الطفـرات لا تـؤدي إلى تغـيرات ملحوظـة لأن التـصحيح الذاتي للا (د.ن. أ) يمكنه إصـلاح أغلبيـة الطفـرات قبـل أن تتفـشى، هـذه التقنيـة موجودة عند الكثير من الكائنات الحية.

إن مقدرة الخلايا الحية في الحفاظ على درجة عاليـة مـن الدقـة في الاسـتمرار في وظائفها من جيلا لآخر تعتمد على قـدرتها علـى مـضاعفة المعلومـات الوراثيـة

(1) Gremlin Mutations. التي لا يمكنها الانتقال إلى النسل عند الحيوانات.

(2)Somatic.

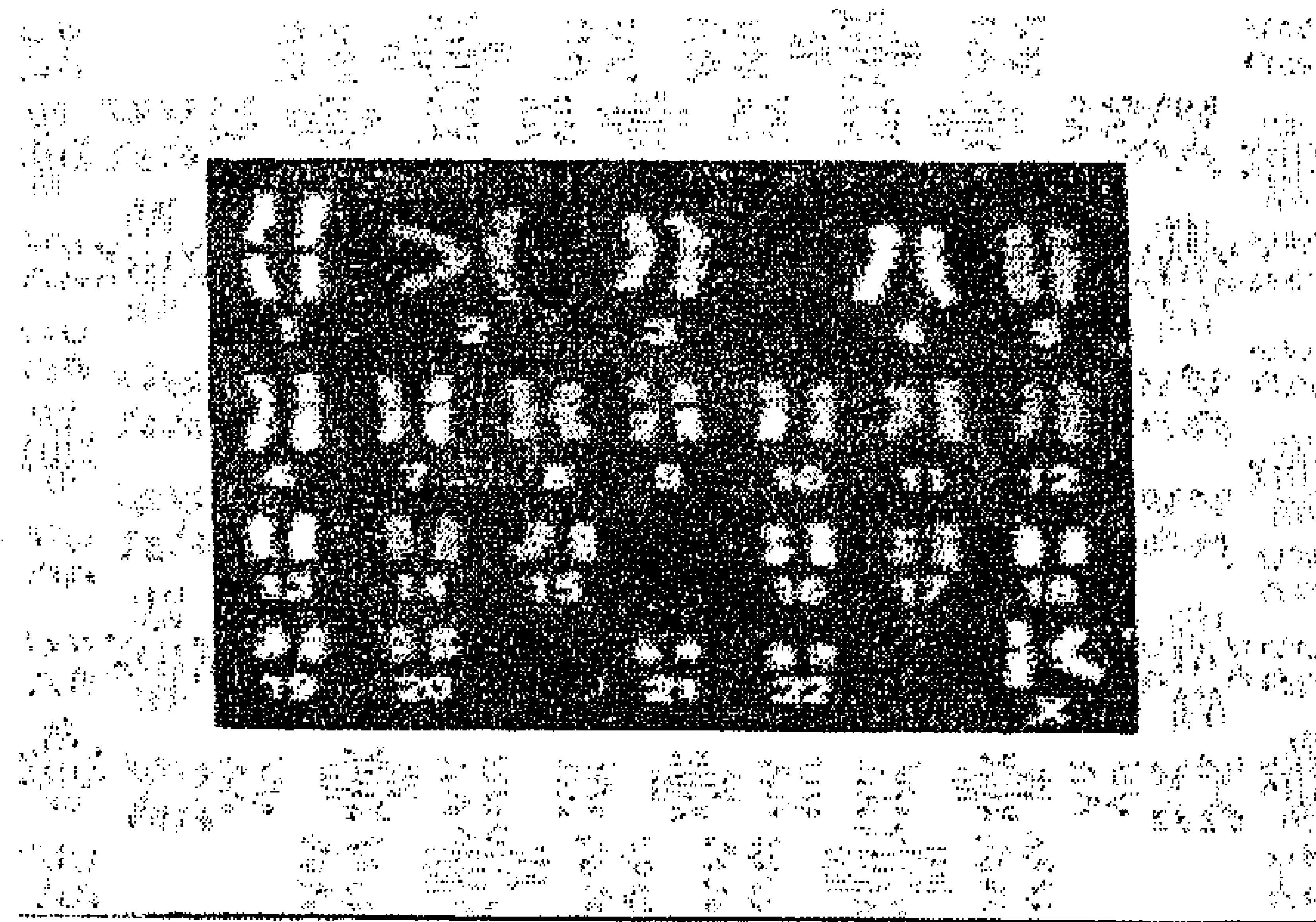
المخزونة في جزيء الـ(د.ن. أ) المكون للكروموسوم، ويكون ذلك في الطور البيني قبيل عملية الانقسام وإنتاج خلايا جديدة.

7ـ الكروموسومات ومدى تأثيرها على النمو

كما تنتقل الصفات الوراثية إلى الجنين على شكل أجسام صغيرة جداً تسمى بصبغيات الوراثية وتحمل هذه الصبيغات الوراثية التعليمات الكاملة لخلق الإنسان .. والكروموسومات هي عبارة عن عصيات صغيرة جداً، لاترى إلا بالمجهر، وهي مكونه من 46 كروموسوم، وتأتي على شكل أزواج، وهذا مصداق قول الله جل وعلا ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] ومن كل شيء من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين؛ لكي تتذكروا قدرة الله، وتعتبروا.

والكروموسوم الواحد هو عبارة عن خيط طويل جداً، من السلسلة الوراثية و بداخلها الجينات التي تنتج مواد لخلق الإنسان، وجميع ما تحتاجه الخلية في تأدية وظيفتها وتفاعلاتها الكيمائية.

وكل زوج من الكروموسومات له رقم وهي مرقمه من واحد (1)إلى ثلاثة وعشرون (23) كما هو موضح في الشكل التالي:



(1) سورة الذاريات آية 49.

8- فحص الكروموسومات

فحص الكروموسومات هو تحليل في العادة يجرى على خلايا الدم لمعرفة عددالكروموسومات (الصبغات الوراثية) و هل فيها نقص أو زيادة عن المعتاد .. وعدد الكروموسومات المعتادة في الخلايا الجسمية عند الكائنات الحية ثابتة، وعلى سبيل المثال تحتوى الخلية الجسمية عند :

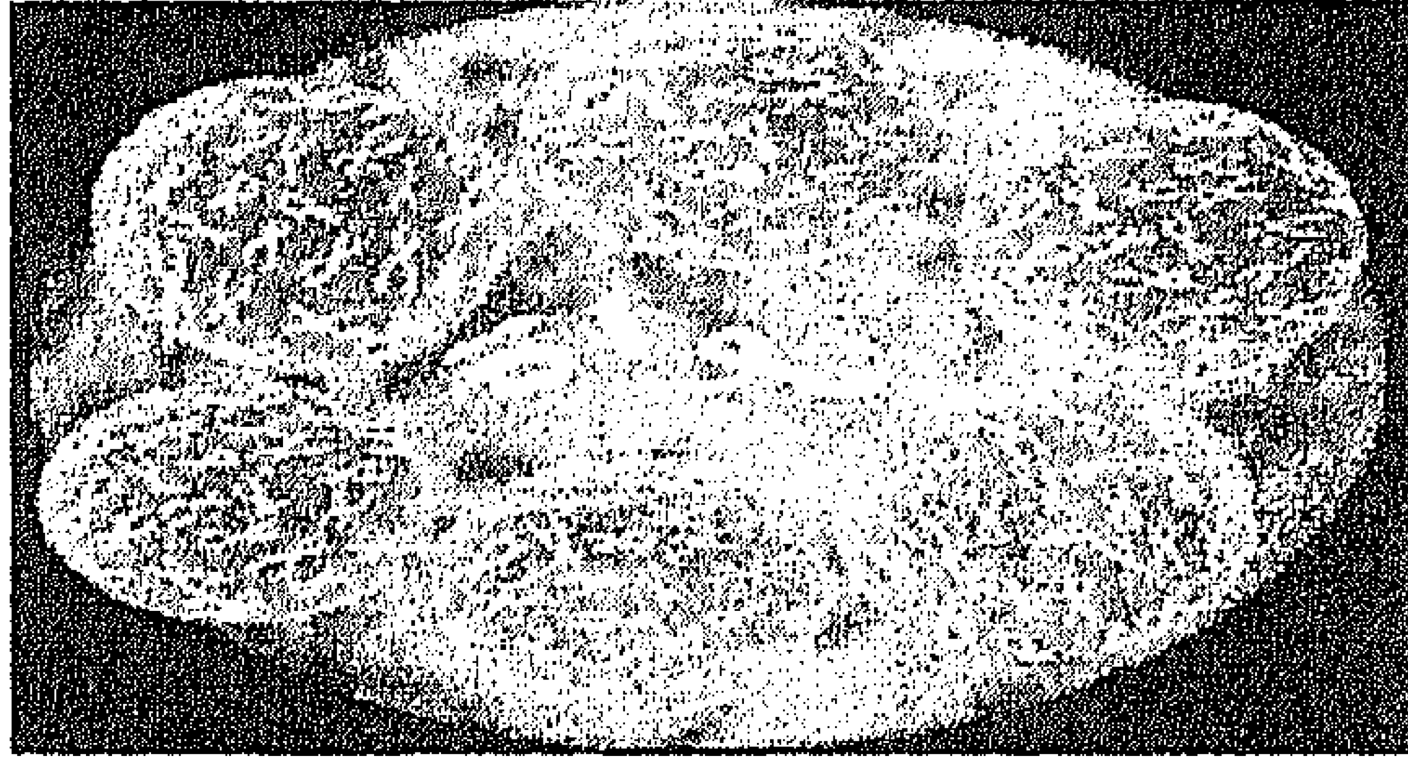
الإنسان – 46 كروموسوم	والكلب – على 78 كروموسوم	والفأر – على 40 كروموسوم	والذبابة المنزلية – على 12 كروموسوم	ودودة القز – على 56 كروموسوم
والقط – على 38 كروموسوم	والبصل – على 16 كروموسوم	والبطاطس – على 48 كروموسوم	والأرز – على 24 كروموسوم	والفول – على 12 كروموسوم
والخيار – على 14 كروموسوم	وقصب السكر – على 80 كروموسوم	والشمام – على 22 كروموسوم	والفجل – على 18 كروموسوم	والديك الرومي– على 82 كروموسوم

كما أن فحص الكروموسومات المعتاد لا يكشف مشاكل الجينات لأن الجينات لا تشاهد بالجهر، بل تعطي صورة خارجية مكبرة لشكل الكروموسوم فقط .. كما يقوم العلماء بشكل مستمر في تطوير الفحوصات المتعلقة بالكروموسومات و التي ترتبط بالفحوصات على مستوى الحمض النووي.

وبالإمكان التعرف على عدد الكروموسومات وحجمها عن طريق فصلها عن مكونات الخلية الأخرى وصبغ جزيء الـ DNA بصبغات خاصة ذات ألوان مختلفة ... عدد النيوكليوتيدات الموجودة في كروموسومات الإنسان تبلغ 3.2 مليار نيوكليوتيد، بينما يبلغ عددها على الكروموسوم الوحيد في بكتيريا القولون E.coli حوالي مليون نيوكليوتيد.

9ـ الكروموسوم ودوره في تحديد جنس المولود

لقد أحدث الطب الحديث ثورة علمية، حين أكتشف الزوج الجنسي، وأن هذا الزوج له خاصية مهمة من ناحية تحديد الجنس، واختلاف الزوج الجنسي كذلك بين الرجال، والنساء، من الناحية الوظيفية، وأما من الناحية الشكلية، فهما لا يختلفان، وأنهما متشابهين بدرجة عالية في الشكل والطول.



كما أن كل زوج من هذه الأزواج المتطابقة، يعطيه الأطباء رقما يميزه عن الآخر، ابتداء برقم واحد لزوج الأول إلى الزوج الأخير رقم 23. وفي المقابل يطلق على بقية الأزواج من 1 إلى 22 الأزواج غير الجنسية وذلك تميزا لها.

وفي العادة أن الزوج الثالث والعشرون، لا يعطي رقم، لأنه الزوج المحدد للجنس ... ويتم تحديد الجنس بطريقة الترميز، إذا كان كلا النسختين طويلتين (تسمى كروموسوم اكس (x)) فإنها الطفل يكون أنثى .. وأما إذا كانت أحداها طويل (x) و الأخرى قصيرة (y) فان الطفل يصبح ذكر.

في كل خلية من خلايا الأبوين يوجد نسختين من كل كروموسوم، ماعدا البويضة، والحيوان المنوي، فكل واحد منها لديه نسخه واحدة من كل كروموسوم.

1- جميع البويضات الموجودة في ((مبيض)) المرأة متشابهة، حيث تحتوي كل واحدة منها على نسخة واحدة، من كروموسوم (x) (إضافة إلى بقية الأخرى الـ 22 كروموسوم).

2- كما يختلف الوضع عند الرجل، في وجود نوعين من الحيوانات المنوية في (الخصية)، وتحتوي الحيوانات المنوية على نسخة من كروموسوم (x) (إضافة إلى بقية الـ 22 كروموسوم الآخر ى) والبعض الأخر يحتوي على نسخة من كروموسوم y.

ولذلك فإذا لقح حيوان منوي يحمل على كروموسوم (x) بويضة فان الزوجان يرزقان بابنه بإذن الله .. (x) من الأب + (x) من الأم = (x) (x)) ... أما إذا كان الحيوان المنوي يحمل كروموسوم (x) فان المولود يكون ولد وهو (y من الأب + (x) من الأم = yx).

10ـ النمو والحمض النووي

إن التعرف على المورثات أو تحديد الخلل فيها، يمكن أن يكون أصعب الأمور على الإنسان، والمشكلة تكمن في الأعداد الهائلة من الموروثات البشرية التي توجد في داخل جسم الإنسان، والمورثات أي الجينات البشرية هي عبارة عن خارطة بشرية، في داخل جسم الإنسان، وهي عبارة أيضاً عن كتلوج تعليمات تعطي من خلالها وضعية الشخص الذي يحملها ومن ذريته، فهي تجعل من كل فرد منا كينونة مميزة.

كما يحتوي الجسم البشري على: حوالي ثلاثة تريليون، (مليون مليون خلية).. وكل خلية تحتوي على نواة، وكل نواة تحتوي على 23 زوج من الكروموسومات، و23زوج من الكروموسومات تمثل نسختين من الجينوم، كما يحتوي كل من الحيوان المنوي والبويضة على جينوم واحد، ويحتوي الجينوم ما بين

30 – 100 ألف موروثة (جين)، وكل كروموسوم عبارة عن شريط واحد من ((الدنا)) .. كم لاتوجد كروموسومات في الكريات الحمراء[1].

11ـ أنواع الحمض النووي

الحمض النووي هو الذي يسبب الاختلاف بين البشر، من حيث: الشكل، واللون. وهذا الإكتشاف من العلم، أدى إلى التعرف على الكثير من المعلومات حول كيفية تخزين وحفظ المعلومات الوراثية، وكيفية نقلها من جيل لأخر.

وباستطاعة العلماء اصطناع بعض أنواع جزيئات (د.ن. أ) (DNA) التي باستطاعتها نسخ نفسها. حيثُ أن (د.ن. أ) يؤدي دورًا حيويًا في الوراثة. فهي المادة الرئيسية في الصبغيات (الكروموزومات)، وهي أجسام الخلية التي تنظم عملية الوراثة في الحيوان أو النبات.

والحمض النووي (د.ن. أ) موجود في نواة الخلية، إضافة إلى وجوده أيضا في المايتوكندريا في الخلايا التي لها نواة حقيقية كخلايا الإنسان كما توجد في البلاستيدات الخضراء.

التركيب الكيميائي الأساسي للحمض النووي متطابق مع كافة خلايا الكائنات الحية من حيوان و نباتات، وحتى في الفيروسات، وتختلف في الطول وترتيب سلسلة القواعد النيتروجينية ... الرابطة الهيدورجينية بين القواعد النيتروجينية في جزيء (د.ن. أ) هي رابطة بين ذرة هيدروجين من قاعدة نيتروجينية وذرة نيتروجين من قاعدة نيتروجينية متقابلة معها ... عملية التضاعف تبدأ من نقطة معينة في جزيء(د.ن. أ) بشكل دائم ولها تركيب خاص، ويوجد في

(1) أنظر: أسس الوراثة الطبية. ص 6. تأليف د.علي سريو. الناشر شعاع للنشر والعلوم سوريا حلب 2010م.

كروموسوم البكتيريا نقطة واحد فقط، بينما يوجد في كروموسومات الإنسان الآلاف من هذه المواقع ليتيح إتمام العملية بسرعة.

وتوجد ثلاث أنواع من الحمض النووي (ر.ن.أ) RNA داخل الخلايا وهي:

mRNA أو RNA الرسول، ويقوم بنقل الشيفرة الوراثية من الجينات في النواة إلى الرايبوسومات، ليتم تصنيع البروتينات المختلفة داخل السيتوبلازم[1].

ويقوم الناقل (ر.ن.أ) بنقل الحموض الأمينية [2] في السيتوسول إلى الرايبوسومات، لاستخدامها في عملية بناء البروتينات .. ويستخدم الرايبوسومي في إنتاج الرايبوسومات في النوية داخل نواة الخلية.

كما يعتبر (ر.ن.أ) وسيلة التخزين الطويل الأجل للمعلومات الوراثية، وهي الوظيفة الأساسية لجزيئات (د.ن. أ) بالإضافة إلى أنه يمكن من خلال هذه الجزيئات الحصول على المعلومات اللازمة لبناء البروتينات والحمض الريبي النووي.

والحمض (ر.ن.أ)، الذي يوجد منه أنواع متعددة، يلعب كل من هذه الأنواع دورا أساسيا في ترجمة المادة الوراثية في جزيء (د.ن. أ) إلى بروتينات عدة، تقوم بأداء كافة الوظائف اللازمة لحياة الكائنات الحية.

---

(1) السيتوبلازم: يطلق هذا المصطلح على المادة التي يحيط بها الغشاء الخلوي عدا النواة. ويحتوي سيتوبلازم كل الخلايا على ريبوسومات، ومادة سائلة Cytosol، وعضيات، وهيكل داخلي في الخلايا حقيقية النواة ... تمكن البروتينات المصنوعة على ريبوسومات الخلية المرتبطة بالشبكة الأندوبلازمية أو الحرة من النمو والتجدد وأداء آلاف العمليات الكيميائية المطلوبة طوال حياة الخلية.

(2) وهي الوحدات التركيبية والأساس للبروتينات.

الحمض النووي الريبي منقوص الأكسجين .. تسمى قطع (د.ن. أ) وهي تحمل معلومات وراثية يمكن ترجمتها لبروتينات بالمورثات[1]. تتواجد بعض قطع الدنا لأغراض تركيبية وتنظيمية ... ويعرف بالحَمْن أو الحمض المُزَدْأن الرّيْبيّ النّوويّ، وهو الحمض النووي الذي يحتوي على التعليمات الجينية التي تصف التطور البيولوجي للكائنات الحية ومعظم الفيروسات، كما أنه يحوي التعليمات الوراثية اللازمة لأداء الوظائف الحيوية لكل الكائنات الحية.

كما يلتف (د.ن. أ) حول نفسه التفافاً لولبياً وهو ما يعرف باسم الالتفاف المفرط وقد يكون هذا الالتفاف بنفس اتجاه التفاف سلسلتي الدنا مما يجعل القواعد قريبة من بعضها بشكل كبير ويسمى التفافاً مفرطاً إيجابياً. أما إذا كان هذا الالتفاف بعكس اتجاه التفاف سلسلتي الدنا فيسمى التفافاً مفرطاً سلبياً وتكون القواعد متباعدة عن بعضها ومعظم الخلايا تظهر هذا النوع من الالتفاف المفرط.

12ـ الدنا والرنا وخواصه الفيزيائية والكيميائية

يعتبر الدنا مكثوراً (عديد الجزيئات) ويتكون من وحدات بناء، تعرف بالنيوكليوتيدات [2] حيث يبلغ ... عرض سلسلة الدنا من 22 إلى 26 انغستروم... وطول النيوكليوتيدة الواحدة 3.3 انغستروم .. ويذكر الأستاذ الدكتور: سريو على أن معرفة التسلسل النوكليوتيدي للجين يوفر لنا معلومات مهمة عن تركيبه ووظيفته وعلاقته من حيث التطور مع جينات أخرى مماثلة في العضويات المتماثلة أو المختلفة[3].

---

(1) (بالإنكليزية: Genes)

(2) (بالإنكليزية: Nucleotides).

(3) أنظر: أسس الوراثة الطبية. ص 68. تأليف د.علي سريو. الناشر شعاع للنشر والعلوم سوريا حلب 2010م.

تتكـون الحمـوض النوويـة (د.ن. أ) DNA و (ر.ن.أ) RNA مـن سلاسـل مـن وحـدات كيمائيـة تـسمى بـ النيكلوتيـدات، وهمـا اثنـان: الأدنـين (A) – والغـوانين (G) .. وتتـألف مـن أسـاس نيوكليوتيـدي يـضاف جـذر سـكري _ (ريبوز منزوع الأوكسجين) وتختلف تسمياتها [1] كما يتكـون النيوكلوتيـدات مـن سـكر خماسـي مرتبطـاً مـع أسـاس نيوكليوتيـدي (إحـدى قواعـد البيـورين أو البيريميدين) .. ويتم اتصال جزيئات السكر والفوسفات بـشكل متتـابع لتكـوين ما يعرف بهيكل سكر الفوسفات، بحيـث تتـصل مجموعـة الفوسـفات ... بواسـطة جسور بذرة الكربون على شكل رمز: (5) لسكر النيوكليوتيدة الـتي تتبـع لهـا عـن طريق رابطة تساهمية وبذرة الكربون(3) لسكر النيوكليوتيـدة التاليـة، عـن طريـق رابطة استيرية ويتم ارتباط القواعد النيتروجينية على هيكل سـكر الفوسـفات عـن طريق ارتباطها بذرة الكربـون (1) علـى جـزيء الـسكر المقابـل.وذلـك بتسلـسل خطي يعطي اتجاه كل رمز.

و يعطي تتابع القواعد النيتروجينية علـى طـول هيكـل سـكر الفوسـفات في جزيء (د.ن. أ) أكواداً أو شفرات يمكن من خلالها تحديد تتـابع الأحمـاض الأمينيـة للبروتين المقابل ويتم ذلك كما يلي:

يـتم نـسخ جـزيء (ر.ن.أ) مقابـل لجـزيء (د.ن. أ) المحتـوي علـى كـود البروتين في عملية تسمى بعملية النسخ، ويتم ترجمة الرمز إلى أحماض أمينيـة مقابلـة خلال عملية الترجمـة، لتعطـي الـبروتين المقابـل. ولـيس بالـضرورة أن تـتم ترجمـة الـشفرات إلى بـروتين إذ أن بعـض جزيئـات (ر.ن.أ) تـدخل في تركيبـات مثـل الريبوسومات [2] والاسبليسوسومات[3].

(1) أنظر: المصدر السابق . ص 26.

(2) (بالإنكليزية: Ribosomes)

(3) (بالإنكليزية: Spliceosomes)

ينتظم (د.ن. أ) داخل الخلية في تركيبات تسمى (الأجسام الصبغية أو الكروموسومات، والكروموسومات في مجموعها تكون ما يعرف بالجينوم .. (المحتوي الجيني أو الصبغي للخلية) .. قبل انقسام الخلية تتضاعف الصبغيات فيما يعرف بتضاعف (د.ن. أ) ويتم ذلك في كل من بدائيات النوى، وفي حقيقيات النواة.

وبالرغم من أن كل نيوكليوتيدة صغيرة جداً في الحجم، إلا أن مكاثير (د.ن. أ) يمكنها تشكيل جزيئات ضخمة تحتوي على ملايين النيوكليوتيدات فمثلاً يبلغ طول الصبغي (كروموسوم) حوالي 220 مليون قاعدة مزدوجة ... كما يؤدي حدوث أي خطأ في ترتيب أو تسلسل القواعد النيتروجينية في جزيء (د.ن. أ) إلى تغيير المعلومات الوراثية، فينتج عن ذلك بما يسمى بالطفرة، كما يؤدي هذا التغير في الخلايا الجسدية إلى خلل لدى الفرد الذي حدث له ذلك التغيير، وفي حالة حصول "الطفرة الوراثية" في الخلايا الجنسية يصبح بالإمكان نقل هذه الطفرة من جيل لآخر، وذلك يؤدي إلى ظهور الأمراض الوراثية.

13ـ دواعي إجراء الفحص الوراثي قبل الزواج لسلامة النمو

ينبغي الفحص قبل الزواج ويتأكد هذا الأمر في عصرنا الحاضر، والتي كثرة فيه الأمراض الوراثية وغير الوراثية مثل الأمراض المعدية، في المجتمعات، كما أن الفحص على جميع الأحوال أمراً جيدا، وذلك لتأكد من عدم وجود أي خلال وراثي يكون سبب في زيادة انتشار الأمراض المعدية، وهذا الإجراء وقائي، كما يتأكد وجوب هذا الفحص عند من لديهم أمراض وراثية قد تؤثر على النمو .. كما يستلزم التحليل في حالة وجود عيوب خلقية لأن مشاكل الكروموسومات هي إحدى أسباب العيوب الخلقية. حيث يكون هناك زيادة في عدد الكروموسومات من 46 إلى 47 و يكون هناك ثلاث نسخ من كروموسوم 21 بدل من نسختين. فإذا كان هناك زيادة أو نقص جزئي في الكروموسوم، بذلك يكتشف سبب

المشكلة. كما يطلب إجراء فحص الكروموسومات أيضاً في حالات الإجهاض المتكررة الغير معروف أسبابها كما يجب إجراء هذا الفحص إذا حدث ثلاث، أو أكثر من حالات الإجهاض، وأيضاً في حالات العقم الغير معروف سببها.

ومع تطور العلم قام الأطباء بإجراء فحوصات إضافية مثل، تعرض الكروموسومات للأشعة أو لمواد كيميائية محفزة للكشف عن وجود تكسر في الكروموسومات وذلك لتشخيص أنواع قد تكون نادرة من الأمراض الوراثية.

14ـ موقف الإسلام من المتغيرات الجينات

ذكر ابن جرير: بسنده، عن موسى بن علي بن رباح، قال حدثني أبي، عن جدي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "ما ولد لك؟" قال: يا رسول الله، ما عسى أن يولد لي؟ إما غلام وإما جارية. قال: "فمن يشبه؟". قال: يا رسول الله، من عسى أن يشبه؟ إما أباه وإما أمه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم عندها: "مه. لا تقولن هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم ؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ " قال: شكلك[1].

وقال عكرمة في قوله: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير. وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار، وإن شاء في صورة خنزير .. وقال قتادة: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ قال: قادر، والله ربنا على ذلك.

(1) أخرجه الطبري في تفسيره(28342) وابن أبي حاتم في "تفسيره 10/ 3408 (19176) والطبراني في الكبير(4624) .

قال ابن كثير ومعنى هذا القول عند هؤلاء: أن الله، عز وجل، قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة[1].

كما يشهد لتلك الراويات ما جاء عن أبي هريرة: أن رجلا من بني فزارة أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله، إن امرأته ولدت غلاما أسود، وكأنه يعرض أن ينتفي منه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألك إبل ؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها ؟ قال: حمر، قال: هل فيها ذود أورق ؟ قال: نعم فيها ذود أورق، قال: ومما ذاك ؟ قال: لعله نزعه عرق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذا لعله يكون نزعه عرق[2].

عن أبي رمثة [3]، قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأيته قال لي أبي: هل تدري من هذا ؟ قلت: لا، فقال لي أبي: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاقشعررت حين قال ذاك، وكنت أظن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لا يشبه الناس، فإذا بشر له وفرة - قال عفان في حديثه: ذو وفرة - وبها ردع من حناء عليه ثوبان أخضران، فسلم عليه أبي، ثم جلسنا، فتحدثنا ساعة، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي: ابنك هذا؟ قال: إي ورب الكعبة، قال: حقا، قال: أشهد به، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا من ثبت شبهي بأبي، ومن حلف أبي علي، ثم قال: أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه، قال: وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولا تزر

(1) انظر تفسير ابن كثير: ج8 ص343-344 .

(2) أخرجه "البخاري" 5305 وفي (6847) و"مسلم" 3759 وأصحاب السنن والمسانيد.

(3) قال أحمد بن حنبل: اسم أبي رمثة رفاعة بن يثربي .. ويقال أبو رمثة التيمي، ويقال: اسمه حبيب بن حيان، ويقال: اسمه رفاعة بن يثربي.

وازرة وزر أخرى) قال: ثم نظر إلى مثل السلعة بين كتفيه، فقال: يا رسول الله، إني كأطب الرجال، ألا أعالجها لك؟ قال: لا طبيبها الذي خلقها(1).

وعن عبد الله بن الزبير قال: كانت لزمعة جارية يطؤها و كان يظن بآخر أنه يقع عليها، فجاءت بولد يشبه الذي كان يظن به، فمات زمعة، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :الولد للفراش و احتجبي منه يا سودة فليس لك بأخ(2).

عن أم سليم قالت: يا رسول الله، إن الله لايستحيي من الحق فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت؟ قال: نعم. إذا رأت الماء. فضحكت أم سلمة. فقالت: تحتلم المرأة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فبما يشبه الولد؟(3).

وروي عن ابن عباس قال: طلق عبد يزيد أبو ركانة وإخوته أم ركانة، ونكح امرأة من مزينة فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما يغنى عنى إلا كما تغنى هذه الشعرة .. لشعرة أخذتها من رأسها ففرق بيني وبينه فأخذت النبي صلى الله عليه وسلم حمية فدعا بركانة وإخوته ثم قال لجلسائه أترون فلانا يشبه منه كذا وكذا من عبد يزيد، وفلانا يشبه منه كذا وكذا قالوا نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد يزيد طلقها ففعل ثم قال راجع امرأتك أم ركانة وإخوته فقال

(1) أخرجه الترمذي 2812 و أبو داود 4065 و4206. والحميدي (866) وابن أبي شيبة 8/ 262 (25069)

(2) قال الحافظ في الفتح 12 / 37: رجال سنده رجال الصحيح. والحديث حسن .. أخرجه أحمد 6/ 429 بلفظ أخر.

(3) أخرجه البخاري 1/ 44 وفي 1/ 79 وفي 4/ 160 وفي 8/ 29 وفي 8/ 35 ومسلم 1/ 172 ومالك في الموطأ صفحة (56) ..

إني طلقتها ثلاثا يا رسول الله. قال قد علمت راجعها وتلا (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)[1].

15ـ الحث على تحسين النسل

إن تفسير السلوك والخبرات عن طريق فعالية أجهزة الحس والجملة العصبية والعضلية، من أبرز اهتمامات المدارس النفسية وقد ساهم هذا النشاط، إلى فصل علم النفس عن الفلسفة وتأسيس علم النفس كعلم مستقل، وقد اعتبر ديكارت[2] الشعور من أهم خاصيات العقل، ووضع نظرية الفعل المنعكس في علم النفس الفيزيولوجي، كما أثرت تلك النظريات في الأوساط العلمية، مما دعا أصحاب المدرسة الربطية الإنكليزية إلى طرح مبدأ ترابط الخبرات الحسية ومبدأ السببية وترابط الأفكار وتداعيها، وفي عام 1904م عرّف غالتون[3] أن «دراسة العوامل التي يُستطاع أن تُراقب اجتماعياً يمكنها أن ترفع الصفات العرقية، للأجيال المقبلة أو تخفضها من الناحيتين الجسمية والعقلية». ثم قام غالتون بإلقاء محاضرات يدعو فيها إلى تحسين النسل، وكانت غايته منها: منع تكاثر المعوقين (تحسين النسل السلبي)، وتنشيط تكاثر الأفضل وذلك لتحسين العرق (تحسين النسل الإيجابي).

---

(1) أخرجه أبو داود (2196).

(2) رينيه ديكارت René Descartes ولد (31 مارس 1596 - 11 فبراير 1650) يعرف أيضا بكارتيسيوس Cartesius فيلسوف فرنسي يعتبر من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة. يعتبر أهم و أغزر العلماء نتاجا في العصور الحديثة. الكثير من الأفكار و الفلسفات الغربية اللاحقة هي نتاج وتفاعل مع كتاباته التي درّست و تدرّس من أيامه إلى أيامنا.

(3) الفيزيولوجي البريطاني فرنسيس غالتون (1822-1911) أسس تحسين النسل العلمي، واستعملَ هذا المصطلح للمرة الأولى، وذلك عام 1865 في مقالة له بعنوان «الموهبة الوراثية والطبع».

ويقال أن غالتون قد أتى مُتأخراً جداً لأن بعض المجتمعات كانت قد طبقت ما يطلبه قبل ذلك، ومن القائلين بتحسين النسل الفيزيولوجي كان في الصدر الأول من الإسلام حيثُ جاء، عن عائشة. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تخيروا لنطفكم [1] وانكحوا الاكفاء، وانكحوا إليهم[2].

قال في: فيض القدير معلقاً على الحديث: أي لا تضعوا نطفكم إلا في أصل طاهر (فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن) أي غالبا .. ثم قال (تنبيه) قال الحكماء: ينبغي للرجل أن يقصد بالتزوج حفظ النسل والتحصين، ونظام المنزل، وحفظ المال، لا مجرد نحو شهوة والمطلوب في الزوجة العقل والعفة والحياء فهذه أصول الصفات المطلوبة، إذ الفطانة ومعرفة مصالح المنزل من فروع العقل، ورقة القلب وطيب الكلام وطاعة الزوج وخدمته من فروع العفة، والستر والبر وإخفاء الفوت وعدم الميل للزوج لنحو تهنئة وتعزية أو حمام من فروع الحياء، وبعد الدخول ينبغي أن يراعى إيقاع الهيبة في نفسها بإظهار الفضائل وستر العيوب والانبساط فإن اطلاعها عليها يوجب الاستخفاف وكثرة الانبساط توجب الجرأة والتهاون في الطاعة[3].

16ـ الجينيوم- والبصمة الوراثية

البصمة الوراثية: كلمة "البصمة" مشتقة من البُصم و رجل ذو بصم: أي غليظ البصم، و بصم بصماً: إذاً ختم بطرف أصبعه، و البصمة أثر الختم بالإصبع كما أقر بذلك مجمع اللغة العربية، فالبصمة عند الإطلاق ينصرف مدلولها إلى بصمات الأصابع، و هي: الإنطباعات التي تتركها الأصابع عند ملامستها سطحاً مصقولاً، و هي طبق الأصل لأشكال الخطوط الحلمية التي تكسو جلد الأصابع و هي لا تتشابه إطلاقاً حتى في أصابع الشخص الواحد.

---

(1) والمراد هنا نطفة المني سمي نطفة لأن أصل النطف القطر، وأصل النطفة الماء القليل .

(2) أخرجه ابن ماجة (1968) وقال الحافظ في "الفتح" 9 / 125: صححه الحاكم.

(3) فيض القدير –ج3ص312.

البصمة الوراثية في الاصطلاح: تعني هوية الإنسان عن طريق تحليل جزء أو أجزاء من الحمض النووي المتمركز في نواة أي خلية من خلايا جسمه.

إن الوجود الواقعي و العملي للقيافة أظهر الحاجة إلى وسيلة أدق منها و أسرع بل و تعد فنية أكثر ألا و هي ما يسمى بالبصمة الوراثية. ونجد أن المصدر الأساسي لظهور فكرة البصمة الوراثية في المجتمعات الإسلامية، هي القيافة كمصدر تاريخي شرعي كان معمولاً بها و ما يزال في صورته الحديثة، القيافة لغةً من مصدر قاف و هي بمعنى تتبع أثره ليعرفه، و يقال فلان يقوف الأثر و يقتافه، و القائف هو الذي يتبع الآثار و يعرفها و يعرف شبه الرجل بأبيه و أخيه .. و قيافة الأثر: تعني أن الشخص القائم بها يقتفي آثار الأقدام و الأخفاف و الحوافر ... الثاني منها قيافة البشر: نظره إلى أعضاء المولود و تعني أن الباحث هنا يستعمل الإستدلالات بناءً على هيئة أعضاء الشخص فيما يخص مجال التعرف على هوية الشخص بطريق النسب ... عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل قائف و رسول الله صلى الله عليه و سلم شاهدٌ و أسامة بن زيد و زيد بن حارثة رضي الله عنهما مضطجعان فقال إن هذه الأقدام بعضها من بعض فسُر بذلك النبي صلى الله عليه و سلم و أعجبه و أخبر به عائشة .. و يستدل من ذلك على أن للقيافة القيمة القانونية و الأساس التاريخي الذي سبق العمل به و الإعتماد عليه في معرفة حقيقة أمر من الأمور الهامة المتمثل في تحقيق أحد مقاصد الشريعة الغراء ألا و هو حفظ النسل بمعرفة النسب.

17ـ أهمية (الجينوم) في الإثبات الجنائي

لقد طرأ على الإثبات الجنائي تطورات شاسعة بفضل الطفرة العلمية الهائلة في وسائل الإثبات والتي لم تكن معروفة من قبل، واستطاعت أن تزود القاضي الجنائي بأدلة تربط أو تنفى العلاقة بين المتهم والجريمة، وأصبح القضاء يعول عليها كأدلة فنية يؤسس عليها الأحكام بالإدانة أو البراءة، ولا شك أن نظرية الإثبات هي الأساس الذي تقوم عليه قواعد الإجراءات الجنائية منذ لحظة

وقوع الجريمة إلى حين صدور الحكم فيها من السلطة القضائية بموجب السلطات الممنوحة لها، والإثبات في المواد الجنائية هو كل ما يؤدي إلى إظهار الحقيقة، ولأجل الحكم على المتهم في المسائل الجنائية يجب ثبوت وقوع الجريمة في ذاتها، وأن المتهم هو المرتكب لها، ويمكن القول أن الإثبات في المواد الجنائية هو النتيجة التي تتحقق باستعمال وسائله وطرقه المختلفة للوصول إلى الدليل الذي يستعين به القاضي لاستخلاص حقيقة الوقائع المعروضة عليه لإعمال حكم القانون عليها.

18- أنواع الأدلة الجنائية

منها ما هو دليل قولي كاعتراف المتهم أو شهادة الشهود.

ومنها ما هو دليل عقلي كالقرائن والدلائل.

ومنها الأدلة المادية التي يبقى لها خصوصيتها، وهي أدلة صامتة لا تكذب أو تتجمل.

والإثبات الجنائي يمر بمراحل ثلاث:

الأولى: مرحلة الاستدلالات بجمع عناصر التحقيق والدعوى.

والثاني: سلطة التحقيق الابتدائي والقضائي، فإذا أسفر هذا التحقيق عن أدلة ترجح معها إدانة المتهم قدم إلى المحكمة.

والثالث: مرحلة المحاكمة وهي من أهم المراحل لأنها مرحلة اقتناع بثبوت التهمة مبني على اليقين لا الحدس والتخمين، إما ببراءة المتهم أو إدانته.

والأدلة العلمية لم تكن معروفة في الأزمنة والعصور السابقة، وقد بدأت تحتل مركزها في مجال الإثبات الجنائي اليوم، وذلك بما تمثله من عناصر قوة وبما قد تتميز به من بعض أصول الثبات والاستقرار والثقة في مصادرها العلمية. وللقاضي أن يحكم في الدعوى حسب ما تكونت لديه من الأدلة التي يرها مناسبة في القضية.

وسلطة القاضي في تقدير الأدلة لا تخرج عن إطار أنظمة الإثبات الثلاثة وهي:

نظام الأدلة القانونية	ونظام الإثبات المختلط	ونظام الأدلة المعنوية

ومن هنا جاءت أهمية سلطة القاضي الجنائي في تقدير الأدلة العلمية لما لها من أهمية في الإثبات الجنائي الحديث.

وقد تعددت تسميات سلطة القاضي في تقدير الأدلة :

فالبعض يطلق عليها مبدأ الاقتناع الذاتي .

والبعض يطلق عليها القناعة الوجدانية للقاضي .

والبعض يطلق عليها نظام الأدلة الأدبية.

و يطلق عليها أحياناً بالنظام الحر للأدلة.

ويقصد بكل هذه التعبيرات أن القاضي لا يتقيد بأي قيد أو شرط يفرض عليه، وإنما هو مقيد بضميره الذاتي البعيد عن الأهواء والأحاسيس الشخصية، حر في تقدير قيمة الأدلة المقدمة له من قبل الخصوم، ولا دخل لإرادة المشرع في فرض دليل أو تحديد قيمة الدليل، ومع ذلك ليست حرية القاضي في الاقتناع مطلقة، وإنما مقيدة بشروط صحة التسبيب وبضوابط معينة تراقبها طرق الطعن.

قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بشأن البصمة الوراثية و مجالات الإستفادة منها

بعد الإطلاع على ما أشتمل عليه تقرير اللجنة التي كلفها المجمع في الدورة الخامسة عشر بإعداده من خلال إجراء دراسة ميدانية مستفيضة للبصمة الوراثية، و الإطلاع على البحوث التي قدمت في الموضوع من الفقهاء و الأطباء و الخبراء، و الإستماع إلى المناقشات التي دارت حوله، تبين من ذلك كله أن نتائج البصمة الوراثية تكاد تكون قطعية في إثبات نسب الأولاد إلى الوالدين أو نفيهم عنهما، و في إسناد العينة من الدم أو المني أو اللعاب، التي توجد في مسرح الحادث إلى صاحبها، فهي أقوى بكثير من القيافة العادية (التي هي إثبات النسب بوجود الشبه

الجسماني بين الأصل و الفرع)، و أن الخطأ في البصمة الوراثية ليس وارداً من حيثها هي و إنما الخطأ في الجهد البشري أو عوامل التلوث و نحو ذلك ...وبناءً على ما سبق قرر ما يأتي :-

أولاً: لا مانع شرعاً من الإعتماد على البصمة الوراثية في التحقيق الجنائي و إعتبارها وسيلة إثبات في الجرائم التي ليس فيها حد شرعي و لا قصاص لخبر القاعدة الفقهية الشهيرة (أدرأوا الحدود بالشبهات)، و ذلك يحقق العدالة و الأمن للمجتمع، و يؤدي إلى نيل المجرم عقابه و تبرئة المتهم، و هذا مقصد مهم من مقاصد الشريعة.

ثانياً: إن إستعمال البصمة الوراثية في مجال النسب لا بد أن يحاط بمنتهى الحذر و الحيطة و السرية، و لذلك لا بد أن تقدم النصوص و القواعد الشرعية على البصمة الوراثية.

ثالثاً: لا يجوز شرعاً الإعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب و لا يجوز تقديمها على اللعان.

رابعاً: لا يجوز إستخدام البصمة الوراثية بقصد التأكد من صحة الأنساب الثابتة شرعاً، و يجب على الجهات المختصة منعه و فرض العقوبات الزاجرة، لأن في ذلك المنع حماية لأعراض الناس و صوناً لأنسابهم.

خامساً: يجوز الإعتماد على البصمة الوراثية في مجال إثبات النسب في الحالات الآتية:

(أ) إثبات التنازع على مجهول النسب بمختلف صور التنازع التي ذكرها الفقهاء، سواءً أكانت تنازع على مجهول النسب لسبب إنتفاء الأدلة أو تساويها، أم كان بسبب الإشتراك في وطء الشبهة و نحوه.

(ب) حالات الإشتباه في الميلاد في المستشفيات و مراكز رعاية الأطفال و نحوها، و كذا الإشتباه في أطفال الأنابيب.

(ج) حالات ضياع الأطفال و إختلاطهم بسبب الحوادث أو الكوراث أو الحروب، و تعذر معرفة أهلهم، أو وجود جثث لم يمكن التعرف على هويتها، أو بقصد التحقق من هويات أسرى الحروب و المفقودين.

سادساً: لا يجوز بيع الجينوم .. البشري لجنس، أو لشعب، أو لفرد، لأي غرض، كما لا تجوز هبتها لأي جهة لما يترتب على بيعها أو هبتها من المفاسد.

سابعاً: يوصي المجمع بما يأتي:

(أ) أن تمنع الدولة إجراء الفحص الخاص بالبصمة الوراثية إلا بطلب من القضاء، و أن يكون في مختبرات للجهات المختصة، و أن تمنع القطاع الخاص الهادف للربح من مزوالة هذا الفحص، لما يترتب على ذلك من المخاطر الكبرى.

(ب) تكوين لجنة خاصة بالبصمة الوراثية في كل دولة، يشترك فيها المتخصصون الشرعيون و الأطباء و الإداريون، و تكون مهمتها الإشراف على نتائج البصمة الوراثية، و إعتماد نتائجها.

(ج) أن توضع آلية دقيقة لمنع الإنتحال و الغش و منع التلوث و كل ما يتعلق بالجهد البشري في حقل مختبرات البصمة الوراثية، حتى تكون النتائج مطابقة للواقع، و أن يتم التأكد من دقة المختبرات، و أن يكون عدد المورثات (الجينات المستعملة للفحص) بالقدر الذي يراه المختصون ضرورياً دفعاً للشك[1].

---

(1) حسبما ما أقره مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السادسة عشر التي أنعقدت في مكة المكرمة في الفترة المنصرمة من 21 - 26 شوال 1421 هـ الموافقة للفترة من 5 - 10 يناير 2002 م، حسبما أقره من قرارات و توصيات بشأن البصمة الوراثية و مجالات الإستفادة منها، فإن المجلس بعد النظر إلى التعريف الذي سبق للمجمع إعتماده في الدورة الخامسة عشر، و نصه: (البصمة الوراثية هي البينة الجينية: نسبةً إلى الجينات أي المورثات، التي تدل على هوية كل إنسان بعينه، و أفادت البحوث والدراسات العلمية أنها من الناحية العلمية

19ـ الأدلة الحديثة وعلاقتها بالخصوصية

إن الدور الذي يقوم به القاضي في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية يتفق مع العقل والمنطق؛ فهو يحقق مصلحتين:

الأولى: المصلحة العامة، وذلك عندما يشعر الناس بالعدل والمساواة.

الثاني: المصلحة الخاصة بالنسبة للمحكوم عليه، وذلك لتحقيق العدالة عليه والحفاظ عليه وعلى حريته الشخصية بالإصلاح والتهذيب .

والأدلة العلمية الحديثة تثير إحدى المشكلات التي تواجهها السياسية الجنائية المعاصرة وهي كيفية تحقيق التوازن بين المصالح المتعارضة وهي مصلحة المجتمع وضمان تطبيق القانون من ناحية وضمان الحريات الفردية من ناحية أخرى، فكما أن للأدلة العلمية إيجابيات وفوائد كتسهيل مهمة الكشف عن الحقيقة القضائية، فإنها قد تعصف بحريات الأفراد وحقوقهم إذا لم يحسن استخدامها ،كانتهاك حرمة الحياة الخاصة للأفراد ومعرفة أسرارهم التي يكرهون أن يطلع عليها أحد، كالأسرار الجينية التي يمكن الحصول عليها من خلال الخريطة الجينية أو الجينوم البشري للإنسان،فما موقف المشرع الجنائي من الأبحاث والتجارب الجينية؟[1].

كما تعددت محاولات تعريف موضوع السلطة التقديرية للقاضي ولكن هذه المحاولات كانت لها نقطة التقاء واحدة، باعتبار هذا المبدأ حالة ذهنية نابعة من ضمير القاضي النقي وتفكيره المنطقي الذي يكشف عن الحقيقة من خلال تقييمه للأدلة المطروحة في الدعوى وبناء الجزم واليقين على ما يقتنع به من الأدلة دون إلزامه بإصدار حكمه بناءً على دليل معين مقتنع به، وما يقتنع به من هذه الأدلة

وسيلة تمتاز بالدقة لتسهيل مهمة الطب الشرعي، و يمكن أخذها من أي خلية بشرية من الدم، أو اللعاب، أو المني، أو البول أو غيره).

(1) سلطة القاضي الجنائي في تقدير أدلة الإثبات الحديثة دراسة مقارنة: رسالة جامعية: للدرجة العلمية: ماجستير: للباحث: أ / صالح يحيى رزق ناجي. مصر.

ورفض ما لا يقتنع به دون رقيب على ذلك، فالقاضي يبني يقينه على ضوء ما يمليه عليه ضميره وتفكيره المنطقي دون أدنى تحكم.

خلاصة القول على ما سبق : على الرغم مما تحظى به الأدلة العلمية الحديثة من مميزات في الإثبات الجنائي، إلا أن هناك بعض السلبيات كالاعتداء على خصوصيات الأفراد، ولضمان الحصول على نتائج صحيحة ينبغي مراعاة الأمور التالية :

1- حماية حقوق الإنسان، وخاصة حقه في سلامة البدن في مواجهة التجارب الطبية، والتي أصبحت تشغل بال الهيئات والمؤتمرات الدولية، باعتبار أن الإنسان هو غاية التنظيم الاجتماعي، ومن ثم وجب توفير الحماية الضرورية لوجوده واستمرار تقدمه في المجتمع .. ومن أجل ضمان حقوق الأفراد الذين تجري عليهم التجارب الطبية، لابد من تشكيل لجان خاصة تقوم بمراجعة مشاريع البحوث بصورة محايدة ومستقلة ومن ثم توضيح الحالة القانونية لهذه اللجان المناط بها مهمة المراجعة على أن تكون هذه اللجان مشكلة من اختصاصيين من غير الأشخاص الذين يقومون بالتجربة الطبية من أجل تحديد الفائدة التي من أجلها أجريت التجربة؛ لأن شرط الفائدة أمر ضروري لابد من تحقيقه في التجارب الطبية.

2- يعد الحق في احترام الحياة الخاصة من أهم حقوق الإنسان في المجتمعات الحديثة، لما له من ارتباط وثيق بحرية الفرد وما يترتب عليها من صون لكرامته واحترام آدميته.

3- لا يجوز التصوير والمراقبة في مكان خاص، وهذا يعد أمراً محظوراً وغير جائز.

4- عدم مشروعية مراقبة المكالمات التلفونية والأحاديث الشخصية لما تمثله من انتهاك لحقوق الأفراد في حياتهم الخاصة إلا وفق شروط وضوابط قضائية معينة يحددها القانون.

خلاصة الباب: تشير الدراسات أن العوامل الوراثية تلعب دوراً خطيراً في ظهور الاضطرابات الشخصية لدى الإنسان ومن ثم تؤثر على نموه، وهناك العديد من العلماء الذين يمزجون بين عوامل الوراثة، وعوامل البيئة كعوامل مترابطة ومتلازمة، وذلك في كل مرحلة من مراحل نمو الفرد، وهناك من يعتقد أن البيئة لا يمكن أن تؤثر إلا على الإنسان الذي يحمل خصائص وراثية معينة ... فقد أوضحت بعض الدراسات المعاصرة والتي أجراها، ديفيد روزنثال [1] أن أقرباء:

الدرجة الأولى:- الوالدين، والأخوة والأبناء:- يمكن أن تظهر بينهم اضطرابات الشخصية بمعدل الضعف بالمقارنة مع أقرباء :

الدرجة الثانية:- الأجداد والأعمام والأحفاد:- حيث تزداد احتمالية تعرض الأفراد لتلك المشكلات كلما زادت درجة القرابة بينهم[2].

كما أوضحت بعض الدراسات أن أقارب الدرجة الأولى للأفراد المصابين باضطرابات الاكتئاب أو الهلع هم أكثر عرضة للإصابة بتلك الاضطرابات، كما اتضح من تلك الدراسات أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين (5 ـ 10) سنة والتي تنتشر تلك الاضطرابات بين والديهم هم أكثر عرضة أيضاً للإصابة باضطرابات القلق والاكتئاب والهلع مثل الوالدين تماماً، وأن هناك علاقة وثيقة بين

(1) رئيس معمل علم النفس بالمعهد الوطني للصحة النفسية في الولايات المتحدة.

(2) تربية الأطفال والمراهقين المضطربين سلوكياً ـ الجزء الأول ـ جوزيف ريزو و روبرت زابل ـ ترجمة د السرطاوي و د. الشخص ـ ج1 ـ ص 243

اضطرابات القلق والاكتئاب لدرجة أن حدوث أحدهما يزيد احتمالية حدوث الآخر [1].

كما أجرى العالم أزنك وبريل: دراسات على التوائم (أحادي البيضة) و(ثنائي البيضة) وقد أوضحت تلك الدراسات تزايد معدل حدوث تلك المشكلات الشخصية بين زوجي التوائم المتماثلة بحيث إذا أصيب أحدهما بمشكلة ما فغالباً ما يصاب الآخر بها .

وعليه فقد أصبح واضحاً أن العوامل الوراثية تلعب دوراً أساسياً كمسببات للمشكلات الشخصية لدى الأطفال والمراهقين ،ورغم صعوبة تحديد مدى تأثير العوامل الوراثية، فإن هناك بعض الأفراد قد تظهر لديهم استعدادات للإصابة بالقلق والاكتئاب كرد فعل للنظام البيئي الذي يعيشون فيه، ومن المهم أن نأخذ في اعتبارنا أن الأطفال والمراهقين يحملون معهم خصائص واستعدادات وميولا معينة إلى النظام البيئي الذي يعيشون فيه، وينبغي عدم اعتبارهم مجرد متلقين سلبيين لتأثير العوامل البيئية عليهم، فهم يتأثرون بالبيئة ويؤثرون فيها.

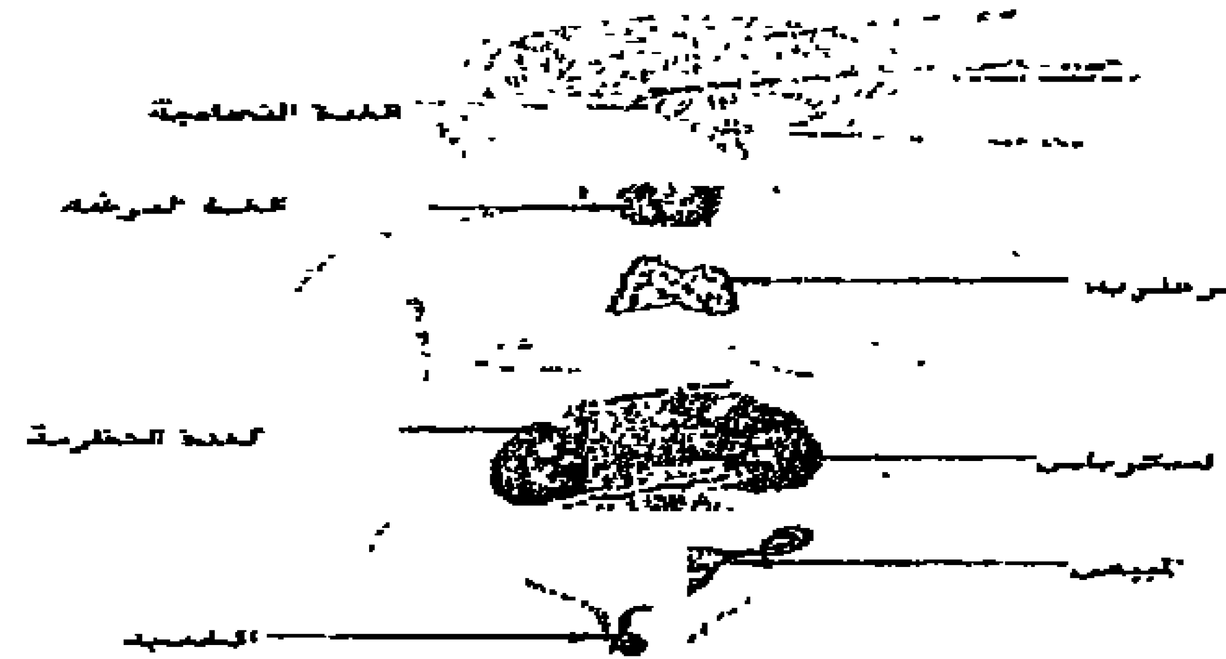
*****

(1) أجراها كل من الباحثون بكلية الطب (بجامعة ييل) الأمريكية (ليكمان وايزمان و مريكانجر و بوليس و بروسوف).

الفصل الثاني
الجهاز الغددي وعلاقته بالنمو

مقدمة الفصل الثاني

أوضحت الدراسات في مجال علم التشريح، بأن هناك أعضاء في جسم الإنسان، يشكل كل عضو منها مصنع لوحده أشبه ما يكون بمصنع كيميائي، ولكل مصنع لهُ خصائص ومميزات عن الأخر، سواء في القوة أو في الضعف .. وقد أعطوا هذه الأعضاء أسم الغدد الصماء، والغدد جمع غدة، وهي مجموعة من الأعضاء في جسم الإنسان كما في الشكل التالي رقم (2):



كما تقوم تلك الغدد بصنع مواد طبية وذلك لأجل المحافظة على سلامتها أولاً، ثم سلامة باقي أجهزة الجسم، المختلفة والمتنوعة في أدائها، ولا نبالغ إذا قلنا أن تلك الغدد تعمل وتنتج العلاجات المناسبة داخل الجسم فهي صيدلية الجسم ومحطات توليد لطاقة الجسمية، سواء داخل الجسم أو خارجه، فهي تقوم بفرز مواد، تسمى هرمونية من الغدد ثم تقوم بضخها في الدم ثم يقوم الدم بتوزيعها داخل الجسم، وبالتالي فعند حدوث أي اضطراب في وظيفة الغدة يحدث خلل في جميع وظائف الجسم، وذلك على حسب موقع تلك الغدد ومكانتها، فهي على مراتب في الجسم والوظيفة.

الغدد الصماء وموقعها داخل الجسم

يتكون جهاز الغدد الصماء من الغدد التي يؤدي وظائف هذا الجهاز عن طريق تنظيم إفرازاتها من الهرمونات التي تؤدي بدورها وظائف معينة. وتوجد الغدد الصماء في جميع الحيوانات الفقرية وبعض الحيوانات اللافقرية مثل

الحشرات، ويتميز جهاز الغدد الصماء بزيادة توارد الدم الخارجي إليها كما تتميز بعدم وجود قنوات لها. كما يشتمل الجسم على الغدد التالية كما هو موضح في الشكل التالي:

المبيض في الأنثى[1]	المشيمة [2].	الخصية في الذكر[3].	البنكرياس [4].	الغدة النخامية.[5]
الغدة الكظرية [6].		الغدة الدرقية.[7] و الجاردرقية [8].		تحت المهاد [9].

(1) المبيض: ويوجد مبيضان لكل سيدة في تجويف البطن لإنتاج البويضات وإفراز الهورمونات الأنثوية .

(2) المشيمة: توجد داخل رحم السيدات وتعمل خلال فترة الحمل، وهي تقوم بتوصيل الغذاء والأوكسوجين اللازم لنمو الجنين بالإضافة إلى إفرازها لهورمونات الحمل .

(3) الخصية: كما هو معلوم يوجد خصيتان لكل رجل في كيس الصفن .

(4) البنكرياس (pancreas): يوجد البنكرياس في أعلى التجويف البطني تحت المعدة، ويمكن اعتبار غدة البنكرياس صماء وغير صماء في نفس الوقت فالبنكرياس كغدة غير صماء يقوم بإفراز عص

ارة البنكرياس الهاضمة ويصبها في القناة الهضمية وتحتوي العصارة البنكرياسية على عدة إنزيمات تساعد على هضم المواد السكرية والبروتينية والدهنية، أما وظيفة البنكرياس كغدة صماء فتشمل إفراز هورمونات الإنسولين والجلوكاجون والجاسترين.

(5) الغدة النخامية (pituitary gland): موجودة بالرأس وتنقسم إلى فصين: فص أمامي وفص خلفي وتعتبر هذه الغدة مركز التحكم في جميع الغدد الصماء .

(6) الغدة الكظرية وهى عبارة عن غدتين واحدة فوق كل كلية .

(7) الغدة الدرقية (thyroid gland): تقع في مقدمة الرقبة وتتكون من فصين متصلين ببعضهم وهي على شكل فراشة .

(8) .الغدد جار درقية (parathyroid glands): وهي أربعة توجد بجوار الغدة الدرقية وتفرز هورمون لتنظيم نسبة الكالسيوم في الدم .

(9) غدة تحت المهاد(.hypothalamus): موجودة بالرأس .

وتتكون كل غدة من القشرة الخارجية، والنخاع الداخلي.

الأول - الغدة الكظرية: ودورها في توليد الطاقة

تسمى الغدد الكظرية، بالغدد فوق الكلوية (كما هي موضحه في الشكل السابق رقم (2)) وهي غدد صماء تقع بالقرب من الجزء العلوي لكل كلية .. كما تفرز القشرة الكظرية الهرمونات الجنسية، ومواد أخرى مختلفة مثل: الكورتيكوتيدات السكرية والألدوستيرون، ويفرز نخاع الغدة الكظرية أيضاً، هرمون الأدرينالين وهرمون النور أدرنالين، ويعتبر إفراز هرمون الأدرينالين من الغدة الكظرية جزء من تفاعل يحدث كرد فعل لحالة ((الخوف)) وهو هرمون يسمى، هرمون النجدة، وتتحكم الغدة النخامية بشكل جزئي في إفراز هذا الهرمون عن طريق الرسل الهرمونية .. كما يؤدي هذا الجهاز دورا أساسيا في تنظيم النمو، والعملية التناسلية، والطريقة التي يستخدم بها الجسم الغذاء. وكذلك يساعد في تهيئة الجسم للتعامل مع الإجهاد والطوارئ.

وتضبط الغدد الصماء وظائف الجسم بإنتاج الهرمونات، تسمى بالهرمونات الجنسية والتي تتحكم في عمليات المبيضين للنساء والخصيتين للرجال .. و هي :

التستوستيرون [1] عند الذكور	و الاستروجين [2] عند الإناث

(1) هرمون التستوستيرون (بالإنجليزية: Testosterone) هو هرمون موجود لدى الذكور، يساهم في مرحلة البلوغ في تطور الخصائص الذكورية، وهو عامل مؤثر في تطور ونمو الأعضاء التناسلية، وتحولها إلى الذكورة، بحيث يساهم هذا الهرمون في نمو القضيب، وكيس الصفن، والبروستاتا، والحوصلة المنوية، وقناة مجرى البول الأمامية، ويساهم أيضا في نزول الخصية من جدار البطن الخلفي حيث تنمو إلى كيس الصفن، حيث تبقى في حوالي الشهر السابع من الحمل .. وله تأثير إيجابي عل الإنتصاب والرغبة الجنسية وتأثيرات أخرى.. وأما تأثير هرمون التستوستيرون في النساء، يتم من خلال إنتاج كميات صغيرة، وذلك بواسطة الغدة الكظرية والمبايض.

(2) الأستروجين: من الهرمونات الأنثوية، ويعرف بـ(الإنجليزية: Estrogen) كما تقوم المبايض بفرزه، وهذا الهرمون يتوقف إفرازه عند الأنثى، عند بلوغها سن انقطاع الحيض، وقد يؤدي نقص هرمون الإستروجين، إلي الإصابة بتخلخل العظام (بالهشاشة في العظام).

أما إذا زاد إفراز الهرمون عن حاجة الجسم أو نقص، فهذا سوف يؤدي إلى إختلال في الوظيفة مما قد يسبب ضعف في أداء الجسم، وظهور أعراض مرضية تختلف من هرمون إلى آخر.

1ـ هرمون الغدد الكظرية

تفرز الغدد الكظرية مواد كيميائية تسمى هرمونات تتجه إلى الدم مباشرة، ومن هنا تسمى الغدد ذات الإفراز الداخلي، ولابد من إنتاج هذه الهرمونات بالكميات المطلوبة لكي تؤدي وظائفها على أحسن وجه. أما إذا زاد إفراز الهرمون عن حاجة الجسم أو نقص فهذا سوف يؤدي إلى إختلال في الوظيفة مما قد يسبب أعراضا مرضية تختلف من هرمون إلى آخر.

يمكن تعريف الهرمون [1] بأنه مادة كيميائية يتم إنتاجها وتخزينها داخل خلايا غدة لا قنوية، وينطلق هذا الهرمون إلى الدم بمجرد وصول إشارة فسيولوجية والتي قد تنتج من تغير تركيز بعض محتويات الدم (مثل الكالسيوم أو الجلوكوز) أو من وصول إشارة عصبية وعن طريق مجرى الدم ينتقل الهرمون إلى العضو المستهدف.

ويمكن تقسيم الهرمونات للغدة الكظرية طبقا لتركيبها الكيميائي إلى ثلاث مجموعات:

هرمون الألدوستيرون	هرمون الكورتيزول	الهرمون المنشط للغدة الكظرية

أـ هرمون الألدوستيرون:

يعمل هرمون الالدوستيرون ضمن مجموعة الرنين انجيوتنزين في المحافظة على توازن الكهارل (الصوديوم والبوتاسيوم) في الدم وبالتالي المحافظة على حجم الدورة الدموية وضغط الدم ... يُصنع هرمون الالدوستيرون في المنطقة الحبيبية من الغدة الكظرية، والعمل الفسيولوجي له هو، الحفاظ على أيون الصوديوم في

(1) Hormones.

مقابل طرح أيون البوتاسيوم، والهيدروجين من الأنابيب البعيدة في الكلية، وميكانيكية إفراز هرمون الألدوستيرون معقدة ولكنها تعتمد على، أساساً على الرينين انجيوتنسين ... يلعب الهرمون المنشط للغدة الكظرية دوراً هاماً في إفراز مستوى ايون الصوديوم والبوتاسيوم بالدم ... ويتراوح المستوى الطبيعي لـ لهرمون الالدوستيرون في الدم ما بين (4 – 9 ميكروجرام / 100 ملليتر) .. ويتراوح المستوى الطبيعي لـ لهرمون الالدوستيرون في البول من 2 – 18 ميكروجرام / 24 ساعة.

بـ هرمون الكورتيزول:

يعتبر قياس مستوى الكورتيزول مفتاحاً لتقييم اضطرابات الغدة الكظرية المتوقعة ويعتبر مركب مضاد للحساسية في الجسم... يقول الأطباء، يتعرض مستوى الكورتيزول للتغير طوال اليوم، حيث يكون في أعلى تركيز له في الصباح، ويقل تدريجياً حتى يصل إلى أقل تركيز عند منتصف الليل ... ويعتبر هرمون الكورتيزول عاملاً مهماً، كمركب مضاد للحساسية في الجسم، وتعتبر قياس مستوى الكورتيزول مفتاحاً لتقييم اضطرابات الغدة الكظرية المتوقعة.

جـ الهرمون المنشط للغدة الكظرية:

يوجد هذا الهرمون في الغدة النخامية، ويعتبر المنظم الأساسي لإفراز هرمونات الغدة النخامية، وهو المنظم للغدة الكظرية وإفرازاتها كذلك ... وتكمن أهمية قياس هذا الهرمون كما يذكر الأطباء، في تحديد موضع الخلل الهرموني إذا كان في الغدة النخامية أو الغدة الكظرية ... كما يتعرض هرمون المنشط للغدة الكظرية، إلى تغيرات طوال اليوم، حيث يكون في أعلى مستوى له في الصباح، وأقل مستوى له في الليل ... ويتراوح مستوى الهرمون المنشط للغدة الكظرية، في الصباح ما بين (7 – 40 مل وحدة دولية / لترا، وبينما يكون اقل من ذلك في

الليل ... كما يلاحظ الأطباء ارتفاع مستوى الهرمون المنشط للغدة الكظرية مع ارتفاع مستوى الكورتيزول إذا كان الخلل موجودا في الغدة النخامية.

ومن أسباب انخفاض مستوى الهرمون المنشط للغدة الكظرية:

قصور الغدة النخامية الشامل	فرط نشاط الغدة الكظرية الأولي

ويلاحظ إنخفاض في مستوى الهرمون المنشط للغدة الكظرية مع ارتفاع مستوى الكورتيزول إذا كان الخلل موجودا في الغدة الكظرية ... ومن أسباب ارتفاع مستوى الهرمون المنشط للغدة الكظرية [1]:

قصور الغدة الكظرية الاولي عن طريق التثبيط	فرط تصنيع الغدة الكظرية الوراثي	بعد تعاطي عقار الليزين – فاسوبرسين	مرض كوشنج [2]

2ـ أمراض الغدد الصماء

هناك عدة طرق لإصابة الغدد بخلل في وظائفها هي :

نقص إنتاج الهورمون	زيادة إنتاج الهورمون
إنتاج هورمون غير طبيعي	وجود خلل في أماكن استقبال الهورمون لإحداث تأثيره الفسيولوجي
وجود خلل في نقل الهورمون أو تفاعله الكيميائي	وجود أورام حميدة أو خبيثة في الغدة المصابة

(1) ACTH.

(2) يذكر الأطباء على أن غالباً ما يكون سبب حدوث متلازمة كوشينج، زيادة إنتاج الكوريستول الغدد الكظرية ويكون السبب الغير مباشر لإضطرابات هرمونية في الغدة النخامية أو خارج الغدة النخامية أو بسبب ورم حميد أو خبيث في القشرة الكظرية وقد تسبب زيادة الكورتيسول هشاشة عظام وزيادة القابلية لزيادة الوزن خصوصاً على الرقبة وأعلى الظهر (حدبة الجاموس) وقد تسبب أيضاً نمو شعر متزايد بشكل ملحوظ عن النساء.

الثاني ـ الغدة النخامية ودورها في توليد الطاقة

1ـ العلاقة التشريحية للغدة النخامية

الغدة النخامية (كما هو موضح في الشكل السابق) هي أصغر غدة لكنها ذات تأثير اكبر، لأنها تنتج مواد تشرف على معظم غدد الإفراز الداخلي الأخرى، فهي تشغلها، أو توقف عملها حسب الحاجة. وهي مربوطة بعنق قصير بمنطقة في المخ تسمى المهاد البصري. وقطر الغدة النخامية يصل إلى سنتيمتر واحد تقريبا. وتوجد داخل منطقة الجمجمة، تحت المخ مباشرة (كما هي موضحه في الشكل السابق). تقع الغدة النخامية في الدماغ كما في الصورة، وذلك بالقرب من القاعدة وهي تحت سيطرة الوطاء جزأ من الدماغ (تحت المهاد) .. في حفرة يقال لها السرج التركي في قاعدة القحف، وهي ملتقى الخط الأفقي من الأمام للخلف يبدأ من قاعدة الأنف ويسير باتجاه الخلف، والخط العمودي الهابط من منتصف قمة الرأس، يفصل النخامية عن الجيب الكهفي من جميع الجوانب غشاء الام الجافية، وأسفل السرج التركي توجد العظمة الوتدية، التي تشتمل على الجيب الهوائي.

ومن الناحية النظرية تحاط الغدة النخامية بالغشاء العنكبوتي، ولكن عملياً يندمج هذا الغشاء مع غشاء الام الحنون، على سطح النخامية وحول سويقتها في وضعية مقابلة للام الجافية دون أن يتحدا معها. ومن الأعلى توجد نقطة التصالب البصري، ولهذا فإنه في حالة تورم الغدة النخاميه يحدث ضغط على الأعصاب البصرية فيؤدي ذلك إلى العمى الذي يزول بزوال الورم.

2ـ وظيفة الغدة النخامية

و تعتبر الغدة النخامية من أهم الغدد في الجسم ويسميها البعض سيدة الغدد لأنها المنظمة لباقي الغدد، تقع الغدة في تجويف عظمي في جمجمة الإنسان أسفل الدماغ يسمى السرج التركي لها فصان يسمى:

الفص الأمامي: (النخامة الأمامية)	والفص الخلفي: (النخامة الخلفية)

وتقوم الغدة النخامية بضبط عمل معظم الغـدد الـصماء في الجسم بواسـطة الهرمونات التي تفرزها في الدم ... تفرز عدة هرمونات بتنظيـم وإدارة دقيقـة جـدا، منها منشطة أو مثبطة، لعمل الغدد الأخرى ومن بين الهرمونات التي تنتجهـا الغـدة النخامية، توجد هرمونات تنبه الغدة الدرقية وغدد الكظرية. و الغدة النخامية تفـرز هرمون برولكتين، الذي يشرف على عملية إنتاج الحليب في الثـديين بعـد الـولادة، وهرمون النمو، والهرمون المحفّز لدرقية. وأهم هذه الهرمومـات هـو هرمـون النمـو، وهو ينظم نمو الجـسم وطولـه، إذا حـصل زيـادة في إفـرازه يـؤدي إلى العملقـة، أو نقص في إفرازه يؤدي إلى قصر القامة.

والقسم الخلفي من الغدد النخامية يعمل بشكل مختلف تمامـا. فهـو لا ينـتج هرمونات خاصة به، لكنه يقوم بخزن الهرمونات التي تنتج في تحت المهـاد البـصري. هذه الهرمونات تصل إلى الغدة النخامية الخلفية عبر الألياف العصبية، وهـي عمليـة توصيل غير عادية في الجسم. ذلك أن الغدة النخامية تقوم بفرز الهرمونات في الدم، بعد أن تتلقى التعليمات من المهاد البصري عبر نفس الأعصاب.

والهرمونات المخزونة في الغدة النخامية الخلفية هي: هرمـون معيـق للتبـول، الذي يقلل من خسارة المياه عبر الكليتين، وهرمون اوكسيتوسين الـذي يلعـب دورا هاما في الولادة ويتسبب في فرز الحليب من الثديين عندما يقوم الطفل بالرضاعة.

3ـ قصور الغدة النخامية

الظواهر المرضية، يتم تشخيص هذا القصور، على أسـاس الـسيرة المرضـية، الفحوصات الشعاعية مثل الـرنين المغناطيـسي للـدماغ .. وأي قـصور أو عيـب في وظيفة أداء الغدة أو أذية للغدة النخامية أو المهاد، يؤدي إلى خلـل ونقـص في إنتـاج الهرمونات، مجتمعة أو بعضها أو إحـداهما يـصحب ذالـك خلـل في وظيفـة الغـدد الصماء التي تعتمد عليها. ومن الظواهر المرضية للغدد:

أ- زيادة إفراز هورمون النمو

قد يحدث عند الأشخاص البالغين ويؤدي إلى حدوث مرض تضخم الأطراف والمعروف باسم (أكروميجالي) والذي قد يسبب مضاعفات على القلب والدورة الدموية وقد يؤدي إلى الوفاة بتطور أمراض القلب إلى مرحلة خطيرة والتي منها:

اضطراب نظم القلب	ضعف عضلة القلب وهبوط وظيفتها	تضخم القلب (1)
ارتفاع ضغط الدم الشرياني وتطور تصلب الشرايين	اعتلال الصمام الميترالي والأورطي	ظهور مرض السكري وتأثيره على القلب والشرايين

ب- نقص الهورمون

قد يؤدي النقص الهرموني في هذه الغدة، إلى زيادة إخراج كمية البول، لأنها تعمل على منع إدرار البول وتنظيمه، كما أن النقص كذلك يسبب انخفاض في ضغط الدم الشرياني مما يؤثر ذلك على، الكلى، والقلب، والمخ، إن لم يتم علاجه وتعويض الهورمون والسوائل.

الثالث- البنكرياس ودوره في توليد الطاقة

غدة البنكرياس هي إحدى الغدد الأساسية في الجسم (كما هو موضح في الشكل السابق رقم- 2-)، ويوجد في الجنس البشري وفي الحيوانات الفقارية. وهي أحد أعضاء الجسم، تتميز بلونها الوردي المائل إلى الصفره، ويتراوح طولها ما بين 14 و20 سم وعرضها حوالي 3.8 سم، وسمكها حوالي 2.5 سم ... وتقع غدة البنكرياس، خلف المعدة وبجوار الأثنى عشر ويلتف الجزء الأول من الأمعاء الدقيقة، الأثنى عشر على شكل حلقة حول البنكرياس، وتشترك قناة البنكرياس مع القناة المرارية المشتركة في قناة مشتركة تصب في الأثنى عشر ... وتتكون غدة البنكرياس من ثلاثة أجزاء:

الجسم	والرأس	والذيل

(1) والذي قد ينتهي بهبوط سيئ في وظيفة القلب لاسمح الله .

1ـ إفرازات البنكرياس

يعمل البنكرياس في إفراز العصارات الهضمية الضرورية لتكسير الطعام، كما يفرز البنكرياس، الأنسولين الجلوكاجون، وهما هرمونان ضروريان للمحافظة على توازن السكر وعمليات الأيض .. وتتدفق العصارات الهاضمة التي يفرزها البنكرياس من خلال قناة خاصة إلى الأمعاء الدقيقة ويحتوي الإفراز على ماء وأملاح تساعد على الهضم وتعادل الأحماض داخل المعدة. أما الإنزيمات الموجودة في الإفراز فتساعد على تكسير البروتينات والنشويات والدهنيات.

كما تنتشر في البنكرياس عناقيد صغيرة من الخلايا الخاصة تعرف باسم «جزر لانجر هانز». وتفرز هذه الخلايا الهرمونات في الدم مباشرة، وهناك العديد من أنواع الخلايا الزجرية، منها خلايا ألفا وخلايا بيتا .. وتنتج خلايا بيتا الأنسولين الذي يمر عبر الدم إلى الخلايا في مختلف أعضاء الجسم، ويساعد الأنسولين الخلايا على تناول الجلوكوز من الدم واستخدامه.

والغلوكوز نوع من السكر يشكل الوقود الرئيسي لخلايا الجسم، فإذا ما أفرز البنكرياس من الأنسولين كمية أقل من اللازم فسوف يؤدي ذلك إلى الإصابة بشكل خطير من أشكال الداء السكري .. أما خلايا ألفا فتفرز الجلوكاجون الذي يساعد الكبد على تحرير الغلوكوز المخزون، وإضافته إلى الدم. ويحافظ الجلوكاجون، والأنسولين معاً على تنظيم معدل سكر الغلوكوز في الدم.

2ـ أعراض البنكرياس

وأعراض هذا المرض وخطورته وشدته تتفاوت تفاوتاً واسعاً ما بين شخص وآخر، ومع أنه وراثي فقد لا يظهر بدرجة محسوسة في أثناء الأسابيع أو الشهور المبكرة من العمر، وعلى نقيض ذلك كما يوجد إرشادات يجب إتباعها من قبل الوالدين حيث يجب أن يتعلم والدا الطفل مبادئ العلاج، أو الوقاية منه.

تنتشر في البنكرياس البشري عناقيد صغيرة من الخلايا الخاصة تعرف باسم "جزر لانجرهانز". وتفرز هذه الخلايا الهورمونات في الدم مباشرة، وهناك العديد من أنواع الخلايا الجزرية، منها خلايا الفا وخلايا بيتا.

أ- خلايا الفا فتفرز الجلوكاجون الذي يساعد الكبد في تحرير الجلوكوز المخزون، وإضافته إلى الدم. ويحافظ الجلوكاجون والأنسولين معاً على تنظيم معدل سكر الجلوكوز في الدم.

ب- كما تنتج خلايا بيتا الانسولين الذي يمر عبر الدم إلى الخلايا في مختلف أعضاء الجسم، ويساعد الانسولين الخلايا على تناول الجلوكوز من الدم واستخدامه. والجلوكوز نوع من السكر يشكل الوقود الرئيسي لخلايا الجسم. فإذا ما أفرز البنكرياس من الانسولين كمية أقل من اللازم فسوف يؤدي ذلك إلى الإصابة بشكل خطير من أشكال الداء السكري.

ومن أهم أمراض البنكرياس التهاب البنكرياس الحاد وفي هذا المرض تهضم عصارة البنكرياس نسيج الغدة نفسها، وقد يحدث ذلك الهضم الذاتي أيضاً إذا انعكس تيار العصارة في القنوات ودخلت الصفراء البنكرياس فنبهت افرازاته، ويصاحب التهاب البنكرياس الحاد ألم شديد مفاجئ بالبطن وقيء وحمى .. ويعتبر الالتهاب المزمن للبنكرياس أحد الأمراض التي تحدث عقب أمراض المرارة.

3ـ البنكرياس ومرض السكري

فإن مرض السكري يحدث بسبب اعتلال في هذه الغدة، إما لعدم إفراز الأنسولين نهائياً، أو بسبب نقصه، أو وجوده وعدم مقدرته على أداء وظيفته، مع وجود عوامل أخرى، كالسمنة، وارتفاع ضغط الدم، وارتفاع الكوليسترول بالدم (متلازمة إكس).

ومن مضاعفات السكري على جسم الإنسان

تصلب الشرايين القلبية ومضاعفاتها (ذبحة صدرية – جلطة قلبية)	تصلب شرايين الجسم ومضاعفاتها (قصور بتروية الأطراف وربما تتطور إلى غرغرينا تحتاج إلى بتر أحد أو كلا الساقين)	تصلب شرايين الرقبة ومضاعفاتها (قصور بتروية المخ وربما حصول جلطة مخية)
إصابة العين وشرايينها قد ينتهي بفقد البصر	إصابة الكلي وشرايينها ومضاعفاتها التي قد تنتهي بهبوط شديد في وظيفتها يحتاج علاج عن طريق الغسيل الكلوي الاصطناعي	التأثير على الأعصاب عامة والطرفية خاصة واضطرابات الجهاز العصبي التحكمي اللا إرادي واضطراب نظم القلب
ارتفاع ضغط الدم الشرياني ومضاعفاته	ضعف بعضلة القلب قد ينتهي بهبوط في وظيفتها	ارتفاع الكوليسترول بالدم وتطور تصلب الشرايين

الرابع ـ الغدة الدرقية: ودورها في توليد الطاقة

الغدة الدرقية تقع في مقدمة الرقبة، (كما هي موضحه في الشكل السابق رقم (2)) وتحيط الحنجرة والقصبة الهوائية وملتصق بها زوجين من الغدد الجار درقية المختصة بتنظيم الكالسيوم في الدم، وهي غدة صغيرة تعتبر جزء من الغدة الصماء، كما يمر من خلف الغدة الدرقية عصبين هامين جدا يغذوا الحبال الصوتية في الحنجرة .. وعلى الرغم من صغر حجم الغدة الدرقية في جسم الإنسان، إلا أنها تلعب دوراً أساسياً ومهماً، وأي اضطراب في وظيفتها ينجم عنه خلل في جميع وظائف الجسم، ما يؤثر سلباً في صحة الفرد، فهي تعتبر محطة لتوليد الطاقة لأعضائه المختلفة للقيام بأعمالها على خير وجه.

والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر، موضع الحشرجة، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ (1). وقوله

(1) سورة القيامة آية 26

تعـالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ [1] .. قـال القـرطبي: "إذا بلغـت التراقـي" أي بلغت النفس أو الروح التراقي. وكان ابـن عبـاس يقـول: إذا بلغـت نفـس الكـافر التراقي.[2] .. وقال دريد بن الصمة.

ورب عظيمـــة دافعـــت عـــنهم وقـــد بلغـــت نفوســـهم التراقـــي

التأثيرات الفسيولوجية للهرمون الدرقي

تمتلك الهرمونات الدرقية تأثيرين فسيولوجيين رئيسيين وهما:

1- عند زيادة إفراز هورمون الغـدة الدرقيـة، قـد يـسبب مـشاكل بالقلـب يمكـن حصرها في النقاط التالية:

ارتفاع نبض القلب	اضطراب نظم القلب	ارتفاع ضغط الدم الشرياني	هبوط القلب
تطور تصلب الشرايين التاجية	ارتخاء الصمام الميترالي	سوء التوصيلات الكهربائية	

2- وأما نقـص إفـراز هورمـون الغـدة الدرقيـة، قـد يـؤثر علـى القلـب ويـسبب المشكلات الصحية التالية.

ارتفاع ضغط الدم الشرياني خاصة الإنبساطي	انخفاض نبض القلب	اضطرابات نظم القلب	حدوث تغيرات في تخطيط القلب الكهربائي
ضعف عضلة القلـب وربما هبـوط بوظيفـة القلب	تجمع سوائل بغشاء التامور والتأثير علـى وظيفة عضلة القلـب وضغط الدم إذا كان تجمع السوائل كبيراً	تطور تصلب الشرايين التاجية	ارتفـاع كوليـسترول الدم وبدوره يؤدي إلى تطور تصلب الشرايين التاجية

*****

---

(1) الواقعة: 83

(2) تفسير القرطبي ج19ص111

الفصل الثالث
الجهاز العصبي وعلاقته بالنمو

مقدمة الفصل الثالث

وبعد أن استعرضنا مفهوم الغدد ومدى تأثيرها على النمو في جسم الإنسان، فسوف نقوم في هذا الفصل، إلى عرض مبسط عن الجهاز العصبي، ومدى تأثيره على النمو، لما يشكله الجهاز العصبي من أهمية وعلاقة أساسية لجسم الإنسان، من الناحية العقلية والجسدية والحركية والحسية، لأن الجهاز العصبي، يتعامل مع الأحاسيس الداخلية والخارجية للجسم، والإحساس هو نوع من الاستجابة للمؤثرات التي يتعرض لها الكائن الحي، وهي استجابة إنذارية وإعلامية، وذلك لكل إنسان سوي لديه إحساس، وتلك الأحاسيس هي عبارة عن جهاز إنذار وإعلام، لكل ما يتعرض له الكائن الحي من مؤثرات، داخلية وخارجية، تتعرض لها البنية الحية وتكون بقوة معينة، ترد عليها هذه البنية باستجابة، وهذه الاستجابة تكون، على شكل فعل، أو حركة، أو استجابة كيميائية، أو فزيولوجية موروثة وهي مجهزة منذ الولادة وهي تشتمل على الأحاسيس التالية :

أحاسيس إعلامية [1]	أحاسيس الإنذار والتحذير [2]	أحاسيس اللذة والراحة والسعادة[3]	أحساسات إعلامية وتحذيرية	الأحاسيس المرافقة للانفعالات[4]

(1) مثل الأحاسيس البصرية والسمعية و الشمية و اللمسية.

(2) مثل الأحاسيس الناتجة عن التعرض للحروق والجروح والمواد المؤذية للجسم، والأحاسيس الدالة على حدوث اختلال في توازن من التوازنات الفزيولوجية للجسم، مثل أحاسيس الجوع والعطش، والبرد والحر

(3) مثل الأحاسيس الناتجة عن تناول الطعام بعد الجوع، أو شرب الماء بعد العطش. وهذه الأحاسيس هي أيضاً دافعة للفعل والعمل والقيام بالاستجابة المناسبة.

(4) مثل أحاسيس الحب والغيرة والخوف والحقد والغضب والزهو والفخر الخ .

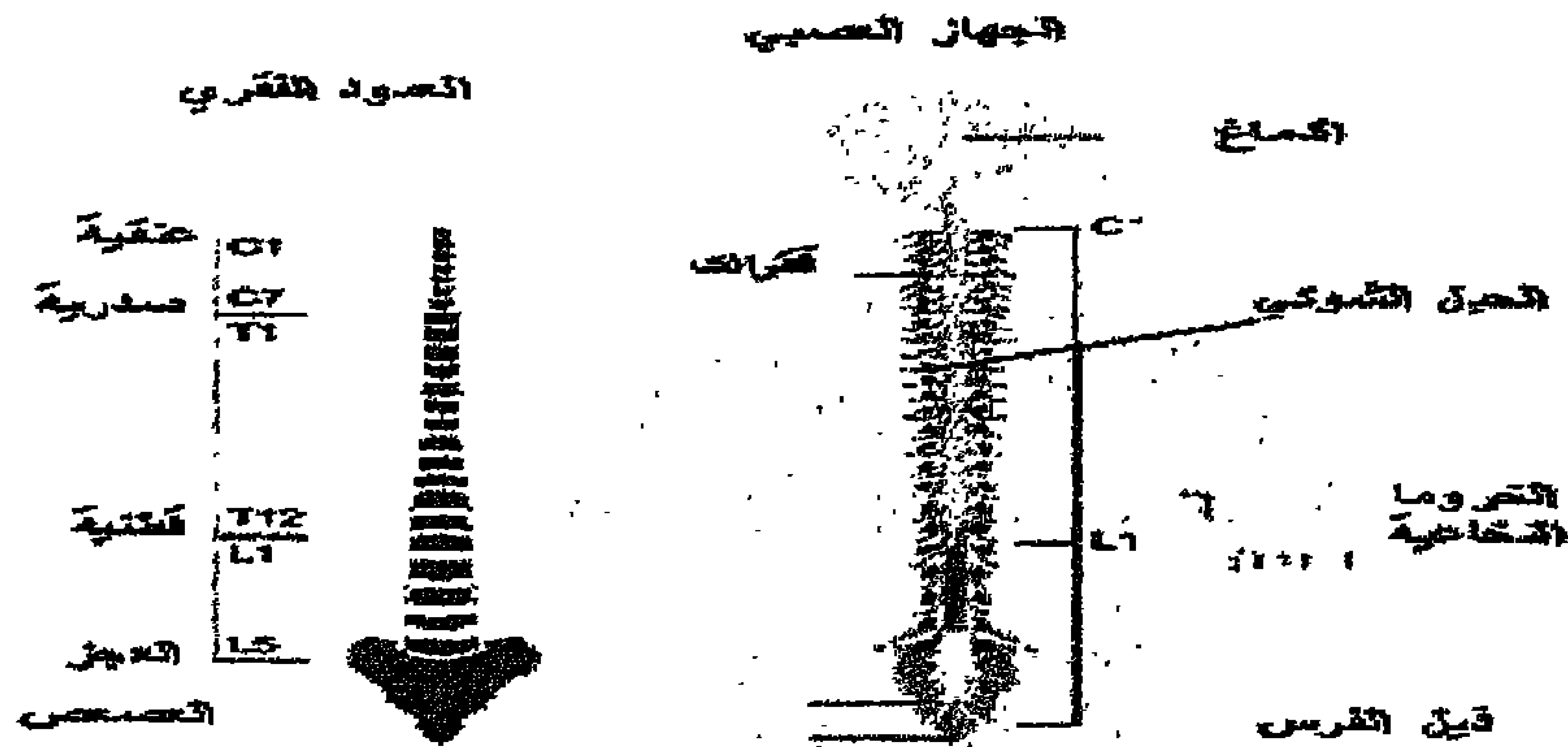
كما أن هناك فرق بين ما ترسله أعضاء الحس أو المستقبلات الحسية، وبين ما يتم ألإحساس والشعور والوعي به فعلياً، وذلك نتيجة تفاعل هذين المصدرين واردات الحواس من جهة والتيارات العصبية الأخرى الواردة من بنيات الدماغ، وأسباب أخرى.

إن الأحاسيس وخاصةً القوية والناتجة عن الانفعالات وكذلك الانفعالات، تحدث تأثيرات قوية على كافة بنيات الدماغ، وهذه التأثيرات تعيق أو تشوش أو تطمس الأحاسيس الفكرية الدقيقة، والتي تكون غالباً ذات طاقة ضعيفة وهي بحاجة دوماً لرفع طاقتها، بالاعتماد على الأحاسيس المناسبة والتشجيع والمكافأة مثل اللذة الفكرية القوية والانفعال المصاحب لها أثناء إجراؤها.

ولا يمكن معالجة أفكار كثيرة ومتنوعة دون طاقة وقدرة عصبية كافية، فتوفر المخزون الكبير من المعلومات في الذاكرة وتوفر الآليات الفكرية المتطورة لمفاعلة المعلومات غير كاف، فهناك حاجة إلى قوى طاقة وقوى محركة كافية، بالإضافة إلى عدم حدوث تشويشات من باقي الأحاسيس القوية.

1ـ الجهاز العصبي و أقسامه

الجهاز العصبي يسيطر على جميع نشاطاتنا الواعية واللاإرادية والتي تشمل بالتحديد الحركة (السير والجري وغيرة). كما يسيطر الجهاز المستقل على جميع وظائف الجسم التي لا تكون عادة تحت السيطرة الواعية، مثل نبضات القلب والتنفس والهضم وغيرها، حتى أثناء نومنا.



يعتبر الجهاز العصبي من الناحية الوظيفية جهاز يسيطر على أجهزة الجسم المختلفة، والذي يشرف على جميع الوظائف العضوية ويؤلف بينها بما يحقق وحدة وتكامل الكائن الحي ... ويعتبر الجهاز العصبي أشبه ما يكون بالشبكة الاتصالات العامة للجسم، التي تربط بين جميع أجهزة الجسم الأخرى، وذلك عن طريق مجموعة من الأعصاب الممتدة ما بين أطراف الجسم المختلفة، وأعضائه الداخلية والأعضاء الخارجية.

فهو يشكل مجموعة من المراكز المرتبطة فيما بينها، وإلى هذه المراكز ترد التنبيهات الحسية من جميع أنحاء الجسم، سطحية كانت أو عميقة، وعنها تصدر التنبيهات الحركية التي تصل إلي العضلات، إرادية كانت أو غير إرادية، وكذلك إلي الغدد الموجودة بالجسم قنوية كانت أو صماء.

وهو الجهاز الذي يساعد الإنسان على إدراكه لعناصر البيئة المختلفة، الحسية كالتي يراها بعينه ويسمعها بأذنيه، أو المعنوية والتي يدرك كثيراً من عناصرها باللمس أو الشم والتذوق .. ويتبع هذا الإدراك استجابة الإنسان بالتحرك والتكلم ومسك الأشياء. ويتم كل ذلك في فترة زمنية قصيرة ... ومن ذلك يتضح أن

الجهاز العصبي هو الجهاز المسيطر على جميع أجهزة الجسم المختلفة التي تتحرك بصورة إرادية أو بصورة لا إرادية.

2ـ تركيب الجهاز العصبي

يتركب العصب من مجموعة من الحزم العصبية [1] وتسمى (بالألياف العصبية) ويحاط بغلاف دهني لامع ويتخلل العصب أوعية دموية. تقسم الأعصاب إلى:

(أ) **أعصاب مخية**: هي الأعصاب التي تتصل بالمخ وعددها 12 زوجًا؛ منها أعصاب حسية مثل، العصب الشمي، والبصري، والسمعي، وأخرى حركية مثل العصب تحت اللساني، ومنها أعصاب مختلطة (حسية وحركية) مثل العصب الوجهي.

(ب) **أعصاب شوكية**: هي الأعصاب التي تتصل بالحبل الشوكي وعددها 31 زوجًا وجميعها أعصاب مختلطة.

كما أن الجهاز العصبي الخارجي يكون مقسم من حيث الوظيفة إلى:

1- جهاز عصبي جسدي (إرادي)	**2- وجهاز عصبي مستقل**	**3- وجهاز عصبي مركزي**

فالجهاز العصبي المركزي ينسق ويسيطر على هذين الجهازين ... والجهاز العصبي المستقل يكون أيضاً مقسماً إلى:

1- الجهاز الباراسمبثاوي	**2- والجهاز السمبثاوي**

فالوظائف الروتينية للجسم مثل، نبض القلب، والتنفس، والحركات الإعتيادية البطيئة التي تنقل الطعام خلال القناة الهضمية تكون مضبوطة بشكل أساسي، بواسطة الجهاز البارمبثاوي.

---

(1) وهي عبارة عن مجموعة من محاور الخلايا العصبية.

والجهاز السمبثاوي هو عبارة عن جهاز طوارئ، يتولى السيطرة عندما يكون العمل الطارئ ضرورياً .. مثال ذلك عند التبول:

عندما يزيد البول داخل المثانة فأن مستقبلات الضغط في الطبقة العضلية لجدار المثانة ترسل تنبيهات إلى الحبل الشوكي، ومنها إلى المخ، الذي تنبع منه الرغبة في التبول فإن كانت الظروف غير مناسبة للتبول فإن القشرة المخية ترسل نبضات تثبط جدار المثانة وتزيد من مرونته، وذلك بتثبيط العصب نظير السمبتاوي الذي يحدث ارتخاء في جدار المثانة، مما يسبب انخفاض الضغط داخلها، فتقل حدة الرغبة في التبول مؤقتا، أما إذا كانت الظروف مناسبة فإن القشرة المخية ترسل إشارات إلى المنطقة العجزية من الحبل الشوكي فتنبه جدار المثانة وترتخي العضلة العاصرة الداخلية، وتثبط مركز التحكم في العضلة العاصرة الخارجية بفعل منعكس، وهناك عضلات مساعدة تأخذ دورها في عملية التبول: حيث ترتخي عضلات المنطقة الشرجية و تنقبض عضلات جدار البطن مع هبوط الحجاب الحاجز و التوقف عن التنفس، فيزيد الضغط داخل البطن فيضغط على المثانة من الخارج مما يزيد الضغط داخلها بدرجة عالية تساعد على تفريغها.

كما يحفز الجهاز السمبثاوي نشاط القلب، والرئتين للحصول على مزيد من الأكسجين حول وداخل الجسم .. وهو يجهزك للنشاط الذي يحتاج إلى طاقة من خلال توجيه الدم بعيداً عن الجهاز الهضمي إلى عضلاتك.

وينقسم الجهاز العصبي في الإنسان إلى ثلاثة أجزاء هي:

الجهاز العصبي المركزي	**والجهاز العصبي الذاتي**	**والجهاز العصبي الطرفي**

أولا: الجهاز العصبي المركزي: ويشمل المخ والحبل الشوكي، ويقع المخ داخل علبة عظمية تسمى الجمجمة ويمتد الحبل الشوكي من المخ خلال العمود الفقاري مما يوفر الحماية للجهاز العصبي داخل العظام.

ثانيًا: الجهاز العصبي الطرفي: ويشمل سلسلة الأعصاب التي تصل الجهاز العصبي المركزي بالأعضاء المختلفة، وتقسم الأعصاب إلى نوعين:

أ- أعصاب تخرج من المخ، إلى تراكيب في الرأس كالعيون والفكين والجذع وتسمى الأعصاب المخية.

ب- وأعصاب تخرج من الحبل الشوكي إلى الذراعين، والأرجل والتراكيب المختلفة في الجذع وتسمى الأعصاب الشوكية.

كما أن الجهاز العصبي مقسم إلى جزئين:

الجهاز العصبي المركزي	والجهاز العصبي الخارجي

وكلا الجزئين يمكن أن ينقسمان إلى فئات إضافية.

3ـ الجهاز العصبي المركزي

مكون الجهاز العصبي المركزي، من الدماغ _ والحبل الشوكي:

أـ الدمـــاغ وخصائصه

يتكون الدماغ البشري من كرة هلامية رمادية تميل إلى اللون الوردي، ويتميز سطحه بالعديد من النتوءات والأخاديد .. ويزن دماغ المولود حديث الولادة أقل من نصف كيلوجرام، وعندما يصل إلى ست سنوات يصبح وزن دماغه 1.4 كجم، وهو أقصى ما يصل إليه في الوزن .. وتكون أغلب خلايا الدماغ العصبية موجودة عند ميلاد الطفل، وتأتي زيادة وزن الدماغ من نمو الخلايا العصبية، ونمو الخلايا الداعمة، ونمو الوصلات التي تربط الخلايا. ويتعلم الشخص ويكتسب أنماطًا من السلوك بأسرع معدل في حياته كلها، خلال تلك السنوات الست الأولى من عمره[1].

(1) \http://www.angelfire.com/d20/fahad22/b1.htm

كما تقوم شبكة الأوعية الدموية بإمداد الدماغ بكميات هائلة من الأكسجين والغذاء الضروري. فالدماغ يشكل حوالي 2٪ فقط من إجمالي وزن الجسم، ولكنه يستخدم حوالي 20٪ من الأكسجين الذي يستهلكه الجسم كله في حالة الراحة.

ويقول الأطباء أن الدماغ يستطيع أن يستغني عن الأكسجين لفترة تتراوح بين، ثلاث إلى خمس دقائق فقط، وبعدها قد يتعرض إلى حالة من التدمير الخطِير .. وللكائن البشري أرقى دماغ من ناحية التكوين، وهو ما يميز البشر عن سائر الأنواع الأخرى من الحيوانات، حيث يتكون الدماغ البشري من بلايين الخلايا المتصلة والمتداخلة التي تمكن الإنسان من استخدام اللغة وحل المشكلات المعقدة وإبداع الأعمال الفنية.

ويتكون الدماغ من ثلاث تراكيب هامة:

مقدمة الدماغ وتسمى المخ	والمخيخ	وجذع الدماغ

فالدماغ يعتبر المركز الرئيسي لتحكم في الجسم، حيث يستقبل المعلومات الواردة من أعضاء الحس عما يجري داخل الجسم وخارجه، ويحللها بسرعة، ويرسل الرسائل الملائمة التي تنظم حركة الجسم ووظائفه. كما يقوم الدماغ أيضًا بتخزين المعلومات الخاصة بالخبرات السابقة، مما يساعد الفرد على التعلم والتّذكر، كما أنه يُعد مصدرًا للأفكار والأمزجة والانفعالات.

1- المخ :- يشكل المخ 85٪ من إجمالي وزن الدماغ. ويقسم شق كبير يسمى الشق الطولي المخ إلى نصفين يسميان نصف الكرة المخية الأيمن ونصف الكرة المخية الأيسر. ويتصل النصفان بحزم من الألياف العصبية، يسمى أكبرها الجسم الثفني .. وينقسم كل نصف بدوره إلى أربعة فصوص، يسمى كل منها باسم عظمة الجمجمة التي تقع فوقه. والفصوص هي:

الفص الجبهي في الجبهة	الفص الصدغي في الجانب السفلي	الفص الجداري في المنتصف	الفص القذالي في المؤخرة

وتكوِّن شقوق في القشرة المخية الحدود بين هذه الفصوص .. ويتكون معظم المخ تحت القشرة من ألياف من الخلايا العصبية .. وتربط بعض هذه الألياف أجزاء القشرة بعضها ببعض، بينما تربط ألياف أخرى القشرة بالمخيخ وجذع الدماغ والحبل الشوكي ... والقشرة المخية مطوية في شكل سطح كثير النتوءات والأخاديد .. ويزيد هذا الطي المساحة السطحية للقشرة، وعدد الخلايا العصبية التي تحتويها في الفراغ المحصور بالجمجمة.

وتستقبل بعض مناطق القشرة المخية، المسماة القشرة الحسية الرسائل القادمة من الأعضاء الحسية، بالإضافة إلى رسائل اللمس ودرجة الحرارة من أجزاء الجسم المختلفة. وترسل مناطق في الفص الجبهي تسمى القشرة الحركية، الدفعات العصبية التي تتحكم في الحركات الإرادية لكل العضلات الهيكلية. وأكبر أجزاء القشرة حجمًا هو قشرة الترابط، حيث يحتوي كل فص على قشرة ترابط يحلل المعلومات ويعالجها ويخزنها. وقشرات الترابط هي التي تمكِّن الشخص من أداء النشاطات التي تتطلب قدرات عالية مثل التفكير والتحدث والتذكر.

2- **المخيخ** :- جزء الدماغ المسؤول عن التوازن والثبات وتنسيق الحركة، ويقع أسفل الجزء الخلفي من المخ .. يتكون المخيخ من كتلة كبيرة من الورقات المُخَيْخية (حِزم من الخلايا العصبية تشبه أوراق الشجر) الشديدة الترابط، وينقسم إلى نصف الكرة المخيخية الأيمن ونصف الكرة المخيخية الأيسر، وبينهما جسم يشبه الإصبع يسمى الدُّودَة.

وتقوم مسارات عصبية بتوصيل نصف الكرة المخيخية الأيمن بنصف الكرة المخيخية الأيسر والجانب الأيمن من الجسم، ونصف الكرة المخيخية الأيسر بنصف الكرة المخيخية الأيمن والجانب الأيسر من الجسم.

3- **جذع الدماغ :-** وهو جسم إصبعي يوصل المخ بالحبل الشوكي، وتسمى قاعدته البصلة (النخاع المستطيل). والبصلة بها مراكز عصبية للتحكم في التنفس، وضربات القلب والعديد من عمليات الجسم الحيوية ... وأعلى البصلة مباشرة يوجد الجسر، وهو يصل بين نصفي المخيخ، كما يحتوي أيضًا على ألياف عصبية تربط المخ بالمخيخ، ويقع أعلى الجسر الدماغ الأوسط، الذي يشتمل على مراكز عصبية تساعد على التحكم في حركة العينين وحجم الحدقتين.

وتوجد شبكة من الألياف العصبية تسمى التكوين الشبكي في عمق جذع الدماغ، ويحافظ التكوين الشبكي على مستوى وعي الدماغ، وينظمه، حيث تنبه إشارات حسية تمر عبر جذع الدماغ التكوين الشبكي، والذي بدوره يحفز الوعي والأنشطة في كل أجزاء القشرة المخية.

كما يقع المهاد في الجزء العلوي من جذع الدماغ .. وهناك مهادان:

مهاد على الجانب الأيسر لجذع الدماغ	**وآخر على الجانب الأيمن**

ويستقبل كل مهاد دفعات عصبية من الأجزاء المختلفة للجسم، ثم يرسلها إلى المناطق الملائمة في القشرة المخية، كما يقوم بنقل الدفعات من أحد أجزاء الدماغ إلى الأجزاء الأخرى فيه .. وينظم تحت المهاد درجة حرارة الجسم والشعور بالجوع والأحوال الداخلية الأخرى، ويتحكم في نشاط الغدة النخامية المجاورة.

ب- دلائل أحوال الدماغ

الدماغ هو من أهم الأعضاء تعقيداً في الجسم، وهو الذي يولد اللذة والألم والسعادة أو الشقاء، فهو الذي يتضمن ذات ووعي كل شخص ... ففيه تجمع المعلومات عن المحيط وما فيه، وعن حالة الجسم الداخلية، بواسطة واردات مستقبلات حسية – الحواس- التي تستجيب للمؤثرات الميكانيكية والضوئية

والحرارية والكيميائية – نظر، وسمع، ولمس، وذوق، وشم، ثم تحولها تلك المستقبلات إلى نبضات عصبية كهربائية، ترسلها إلى الدماغ، الذي يقوم بتفسيرها وتصنيفها وتقييمها، وتخزين مضامينها ومعانيها، لكي يستخدمها في الحفاظ على الجسم وتحقيق حاجاته ودوافعه.

إن المبادئ التي نتعرف منها إلى معرفة أحوال الدماغ، هي من الأفعال الحسية والأفعال السياسية، مثل التذكر، والتفكر، والتصوّر، وقوّة الوهم، والحدس، والأفعال الحركية، وهي أفعال القوّة المحركة للأعضاء بواسّطة الجهاز العصبي.

وهو وراء كل عملياتنا الحياتية، سواء كانت حركات بسيطة، كتحريك مفصل في الأصبع أو حركات معقدة مثل: المشي، والسباحة، وقيادة السيارة، أو الكتابة والقراءة .. أو كانت أعمال، كالوعي، والتفكير، والتذكر، والكلام والتعلم، والخلق، والإبداع .. أو كانت أحاسيس ومشاعر، وكافة العواطف، والإنفعالات.

أما الدلالة فهي تؤخوذ من جنس الأفعال، وذلك أن الأفعال إن كانت سليمة، أعانت في الدلالة على سلامة الدماغ ، وإن كانت مؤفة دلت على آفة فيها، وآفات الأفعال ثلاث وهي:

الضعف	والتغير	والتشوش

ج ـ الحبل الشوكي وخصائصه

الحبل الشوكي هو حزمة من الأعصاب التي تمتد من الدماغ وتوفر المواصلات بين الدماغ وبقية الجسم .. مثلما أن الدماغ محمي من التلف بواسطة الجمجمة، فإن الحبل الشوكي يكون محمياً بواسطة العمود الفقري .. والعمود الفقري يكون محمياً بحلقات عظمية التي تجلس فوق بعضها البعض، ومفصولة بواسطة أقراص من النسيج الغليظ يسمى الغضروف ... وهذه الحلقات من العظم تسمى الفقرات، وهي مكونة من جسم مقوس ذو سبعة نتوءات أو النموات في المؤخرة، الأربطة الداعمة تكون متصلة مع هذه النموات ... الفراغ الدائر يداخل كل الفقرات بشكل القناة الشوكية عندما تجلس الفقرة فوق

الأخرى، وهذا يحيط بالحبل الشوكي ويحميه، الفجوات بين الفقرات تسمح للأعصاب (حزم من الخلايا العصبية) بالدخول والخروج من الحبل الشوكي لتلقي المعلومات الحسية(من الأعضاء الحسية) إلى أعلى الدماغ وتمرير المعلومات إلى الأسفل من الدماغ إلى العضلات والأعضاء والأنسجة الأخرى من الجسم. وبالإضافة إلى الحبل الشوكي هناك اثنا عشر زوجًا من الأعصاب توصل الدماغ مباشرة بأجزاء الجسم المختلفة.

كما يحمل الحبل الشوكي الإشارات بين الدماغ وأجزاء الجسم الأخرى. ويمكن تقسيم الحبل الشوكي بشكل واضح إلى جهازين:

1- جهاز أعلى الحبل الشوكي: والتي تحمل الرسائل للخلايا العصبية، وتسمى بـ (الممرات الحسية الصاعدة)[1].

2- وجهاز أسفل الحبل الشوكي: والتي تحمل الرسائل للخلايا العصبية وتسمى بـ (الممرات الحركية النازلة) [2].

كما يقع الدماغ في الطرف العلوي للحبل الشوكي، وهو حزمة من الخلايا العصبية الممتدة من العنق إلى ما يوازي ثلثي العمود الفقري إلى أسفل.

---

(1) - الممرات الحسية الصاعدة تحمل المعلومات المستقبلة من جميع أجزاء الجسم إلى مستويات معينة من الحبل الشوكي، ومن ثم إلى الأعلى إلى دماغ المعلومات، والتي تأتي من خلايا متخصصة، مثل أجهزة الإحساس في الجلد التي تكتشف اللمس، أو الألم أو التغيرات في البيئة (الحرارة والرطوبة)، وأجهزة الإحساس التي تراقب الأعضاء الداخلية(القلب والرئتين والأمعاء).

(2) - الممرات الحركية النازلة تسيطر على كل من العضلات اللاإرادية للأعضاء الداخلية(القلب والمعدة والأمعاء وغيرها)، والعضلات اللاإرادية المشمولة في الحركة(العضلة ذات الرأسين وعضلات الفخذ). والممرات النازلة تبدأ في الخلايا العصبية في الدماغ، هذه ترسل إشارات كهربائية أسفل الحبل إلى مستويات معينة، أو أجزاء الخلايا العصبية في هذه الأجزاء، وترسل النبضات الخارجة من الحبل إلى أجزاء معينة من الجسم، ويتم تحديدها بواسطة المستوى الذي تغادر منه الخلايا العصبية الحبل الشوكي.

والحبـل الـشوكي أيـضا يحتـوي علـى أجـزاء مـن الـدوائر مـشمولة في الانعكاسات الشوكية، هذه الـدوائر تـشمل الرسـائل الـتي تم تلقيهـا مـن الأعـضاء الحسية، وتمر في الحبل الشوكي، والرسالة الجانبية التي تم إرسالها فوراً، بدون الحاجة إلى أي أية مدخلات من الدماغ، مثلاً، في منعكس نفضة الركبة عندما تطرق الركبـة منعكس نفضة الركبة يؤدي إلى إردتداد الساق السفلى بشكل تلقائي إلى الأمام، مـع أن المدخل من الدماغ غـير ضـروري، الرسـالة سـوف ترسـل إلى الـدماغ لإعلامـه بما حدث.

كما يوجد في الحبل الشوكي مادة بالون ،الرمادي والأبـيض، وذلـك لأجـل أن تساعد الخلايا العصبية على البقاء والعمل بشكل جيد.

4ـ الجهاز العصبي الطرفي وظائف وخصائص

الجهاز العصبي الطرفي، يقع خـارج الجهـاز العـصبي المركـزي، ويتكـون مـن الأعصاب المتصلة بالمخ، والحبل الشوكي، وهو يقـوم بتوصـيل المعلومـات الحـسية والاستجابات الحركيـة، بـين المـخ وجميـع أجـزاء الجـسم، فالأعـصاب الـتي تأخـذ المعلومات إلى الجهاز العصبي المركزي تسمى الأعـصاب الحـسية أو المـوردة، وهـي التي تحمل المعلومـات مـن الجهـاز العـصبي المركـزي، الـذي يـسيطر علـى حركتنـا ونشاطاتنا الأخـرى، إلى الأعـصاب الحركيـة أو المـوردة ... والأعـصاب الخارجيـة تكون متصلة مع الجهاز العصبي المركزي في أزواج، تظهـر مـن بـين الفقـرات علـى شكل أعصاب شوكية، كـل عـصب شـوكي يحتـوي علـى عـصب حـسي واحـد، وعصب حركي واحد. والوصـف المستخدم لوصـف جميـع الأعـصاب الـتي تقـع خارج الجهاز العصبي المركزي، وهو يحمل معلومات حسية من جميع، أنحـاء الجـسم إلى الجهاز العصبي المركزي ويحمل الأوامر من الجهاز العصبي المركـزي ويعيـدها إلى العضلات والأعضاء والغدد ... كما تقسم هذه الأعصاب إلى:

1- **أعصاب حسية:** هي التي تحمل إشارات من المستقبلات إلى الجهاز العصبي المركزي مثل:

الجلد	العين	الأذن	الأنف	اللسان

2- **أعصاب حركية:** وتشمل الأعصاب التي تحمل النبضات العصبية من الجهاز العصبي المركزي (المخ والحبل الشوكي) إلى جميع أجزاء الجسم ... ويوجد على طول جانبي العمود الفقري خارج الفقرات الأعصاب الذاتية التي تتحكم في الوظائف، اللاإرادية والتي لا تخضع مباشرة لسيطرة المخ مثل:

تنظيم ضربات القلب	والحركة الدودية للأمعاء

أ- الوظائف الرئيسية للجهاز العصبي

والوظيفة الرئيسية للجهاز العصبي هي حمل الرسائل من إحدى مناطق الجسم إلى منطقة أخرى منه، وقد اكتشف العلماء أن هذه الرسائل تتكون من نبضات كهربية دقيقة، تنتقل بسرعة خلال الجهاز العصبي المركزي عبر الأعصاب وتسمى بالسيالة العصبية.

ب- الفرق بين دماغ المرأة ودماغ الرجل

بفضل تكنولوجيا تصوير الدماغ الحديثة، أصبح بوسع الأطباء متابعة دقيقة لمجرى الدماغ وطريقة عمله، والتفريق بين دماغ المرأة ودماغ الرجل وأن لكل منهم عمله الخاص به، كما أجرى فريق من علماء النفس، بحث في الأسباب التي تتكلم المرأة فيه أكثر من الرجل، وقالوا أن العائد في ذلك إلى هرمون (الاستروجين)، الذي يؤثر مباشرة على وصل جزئي للدماغ ودفع الخلايا العصبية إلى مزيد من الحركة والتواصل .

كما أشارت الدراسات العلمية الحديثة، إلى أن المرأة باستطاعتها أن تتكلم وتسمع بآن واحد، وذلك بسبب القدرة العصبية لديها حيث تمتلك 30٪ من الاتصالات العصبية المخصصة للكلام فقط .. في حين تثبت الصورة الصوتية أن دماغ الرجل في حالة راحة أكثر من المرأة، حيث 70٪ من الحركة الكهربائية عنده تكف عن العمل، بينما في دماغ المرأة تتابع هذه الحركة نفسها مشوارها بنسبة 90٪ أي دماغ المرأة لا يكف عن تحليل وتنسيق كل المعلومات الواردة إليه. وقد اكتشف العلماء كما يقال في معهد جونز هوبكنز الطبي الأميركي، أن جزء الدماغ الذي يعالج المعلومات الصادرة عن الحواس مثل البصر واللمس، أكثر حجماً في الرجال عنه في النساء.

ومعظم الدراسات تتفق على أن أدمغة الرجال اكبر بمعدل 10 في المائة من أدمغة النساء، وحتى حين يتم تعديل المقارنة بحيث يكون الرجال أطول من النساء بمعدل 8 في المائة، يظل دماغ الرجل اكبر قليلا من دماغ المرأة. لكن الحجم لا ينبئ بالأداء الفكري.

ووجد الباحثون بعد فحص أدمغة 15 شخصاً، باستخدام تقنية التصوير بالرنين المغناطيسي للمقارنة بين الحجم الكلي للفص الجذري الداخلي السفلي من الدماغ .. وهو جزء الدماغ المسئول عن الحواس الذي يقع في مستوى الإذنين على جانبي الدماغ، أنه أكبر حجماً في الرجال بنحو 6٪ منه في النساء، بعد الأخذ في الاعتبار أن حجم رأس الرجال ودماغه أكبر بشكل عام من دماغ المرأة.

كما أوضح الخبراء أن هذا الجزء هو نفسه الذي تبين أنه أكبر حجماً في دماغ العالم العبقري ألبرت آينشتاين، حيث لا يكون مسؤولا عن الوظائف الحسية العامة

فقط بل يلعب دوراً أيضاً في إبراز أنماط التفكير التي تشمل التركيز والانتباه والإدراك(1).

وأشار هؤلاء إلى أن هذا الجزء الدماغي يرتبط بوجه خاص، بالقدرة على تقدير الوقت وضبط السرعة وتخيل الأجسام بأبعادها الثلاثية، وحل المشكلات الحسابية والمعادلات الرياضية، فقد يكون هذا هو السبب وراء وجود أعداد أكثر من الرجال في مجالات الهندسة المعمارية والإلكترونية وعلوم الرياضيات ... وفي المقابل أكدت دراسة علمية حديثة بجامعة مينسوتا أن النساء يتفوقن على الرجال في القدرة على تذكر المواقف العاطفية واستدعاء أشياء من الذاكرة يعجز الرجال عن تذكرها بسهولة خاصة اللحظات الحرجة المتعلقة بالوجدان والعاطفة.

و قد تم إجراء دراسة على مجموعة من الأزواج والزوجات شاهدوا نحو مائة صورة فوتوغرافية تحتوي على مناظر عادية جدا ومألوفة، ومناظر أخرى مؤثرة جدا، وبعد ثلاثة أسابيع تعرضت المجموعة لاختبار مفاجئ للذاكرة تبين منه أن الزوجات تفوقن في تذكر الوصف التفصيلي للصور وأحداثها العاطفية على نحو سريع ومكثف، كما كن أكثر حيوية من أزواجهن في تذكر أحداث معينة مثل أول لقاء .. أول كلمة حب .. وآخر إجازة .. وآخر شجار وقع بينهما.

بمعني أن مراكز الإحساس بالوجدان لدى المرأة تظهر مع تصوير المخ، وهي ممتلئة بتدفق الدم والأكسجين ضعف الرجل ..لكن الأهم أنه وجد أخيرا أن الاتصالات العصبية بين الفص الأيمن، والأيسر في المرأة أكثر كثافة من الرجل .. ومن المعروف أن الفص الأيمن هو الفنان العاطفي الوجداني .. أما الفص الأيسر فهو العالم المنطقي فالمرأة تعمل بالفصين المنطقي والوجداني بصورة أفضل كثيرا من الرجل.

(1) واشنطن – هداية نت

فكلما سبرت عميقا، كانت الفروقات بين دماغ المرأة والرجل أكثر إثارة للاهتمام .. ويبدو أن لدى المرأة اتصالات أكثر بين نصفي الدماغ من الرجل. وفي مناطق معينة، يكون الدماغ أكثر كثافة بالنيوترونات من مناطق أخرى. وتميل المرأة إلى استخدام المزيد من أجزاء الدماغ من اجل انجاز مهمات معينة ... وهذا قد يفسر لماذا تتعافى المرأة أسرع من الرجل، من الذبحات الصدرية، لأن الأجزاء الصحية من دماغها يعوض المناطق المعطوبة ... فالرجال يجرون عملية التفكير في المناطق الأكثر تركيزا من الدماغ، سواء كانوا يعكفون على حل مسألة رياضية أو يقرأون كتابا أو يشعرون بموجة من الغضب أو الحزن.

وربما تكون الفروق الأكثر إثارة للدهشة خارج الدماغ. ويؤكد ليونارد ساكس عالم النفس الاجتماعي والفيزياء [1] أن «النساء يمكنهن رؤية الألوان والتركيبات التي لا يمكن للرجال رؤيتها، ويمكنهن سماع أصوات لا يستطيع الرجال سماعها ويمكنهن شم أشياء لا يستطيع الرجال شمها.

وبما أن العيون والآذان والأنف من المداخل إلى الدماغ، فإنها تؤثر في تطوره منذ الولادة فصاعدا ... وقد يُساعد ذلك في تفسير لماذا يفضل الأولاد اللعب في ألعاب متحركة كالشاحنات بينما تفضل الفتيات الدمى الجميلة المزركشة، ويملن إلى الرسم بمدى واسع من الألوان، كما يقول ساكس ... وبالمثل، فان آذان النساء أكثر حساسية لبعض الضجيج، فالأطفال الإناث يسمعن مدى معينا من الأصوات بشكل أفضل، ويصبح هذا الوضع أكثر وضوحا مع تقدم السن. وبالنسبة للرائحة، أظهرت دراسة نشرت عام 2002 م أن النساء في عمر الإنجاب كن أكثر حساسية (من الرجال) تجاه العديد من الروائح.

ويقول ساكس أن أيا من ذلك يعني أن النساء بشكل عام، هن أفضل من الرجال في مجال القدرة على فهم الأشياء، بل يعني فقط، أن الأنواع مختلفة حتى في النوع الواحد، الأمر الذي يجعلها أكثر قدرة على البقاء.

(1) WHY GENDER MATTERS

ويضيف أن «الأنثى تتذكر اللوحات ولون وتركيبة نوع معين من النباتات ويمكنها تحذير الناس إذا كان هذا النوع ساماً. أما الذكر حين ينظر إلى النبتة نفسها، فسيكون أكثر انتباها لأي شيء متحرك في محيطها، فأيهما أفضل. إننا بحاجة إلى كليهما»(1).

5ـ الدماغ وبناء المعنى

يعمل الدماغ بطريقة مشابهة للمصنع الكيميائي؛ والخلايا العصبية تعمل في إصدار إشارات كهربائية، لأجل إرسالها من خلية إلى أخرى، وذلك عبر مسارات تسمى الدوائر .. كما في الحاسوب، وتستقبل هذه الدوائر الكهربائية المعلومات، ثم تحللها وتخزنها، وتعتمد الوظائف الكاملة للدماغ على العديد من المواد الكيميائية المركبة التي تنتجها الخلايا الدماغية... والدماغ يتألف من طبقات عدة متميزة و متمحورة تبدأ من أكثر الطبقات بدائية وتحوي على طبقات متتالية أكثر حداثة تحيط بالطبقات السابقة.

الطبقة الأولى: وهي من المخ والأكثر عمقاً والتي يدعوها البيولوجي باول ماكلين **القاعدة العصبية**، وهي التي تتحكم في وظائف الحياة الأساسية مثل التغذية و الإطراح، ودوران الدم والتنفس وكافة الآليات والأعمال الحيوية، وتتألف من النخاع الشوكي، وجزع المخ، والمخ الأوسط، وتؤلف القاعدة العصبية في الأسماك معظم المخ.

الطبقة الثانية: وهي طبقة الزواحف- وهذه الطبقة تحيط بالقاعدة العصبية، وهي مشتركة بيننا وبين الزواحف، وتضم الفص الشمي والجسم المخطط والكرة الدماغية الشاحبة، وتتحكم هذه الطبقة في السلوك العدائي والتراتب الاجتماعي وتحديد منطقة النفوذ.

---

(1) جريدة القبس: الجمعة 8 صفر 1426 هـ ـ 18 مارس 2005 ـ السنة 34 ـ العدد 11412ـ الكويت ترجمة واعداد: محمد أمين

الطبقة الثالثة: وهي تحيط بالطبقة السابقة وتسمى النظام أو العقل الحوفي وتوجد في الثدييات، وهي تتحكم في العواطف والتصرفات الاجتماعية بشكل رئيسي، وفي الشم، وفي الذكريات أيضاً.

الطبقة الرابعة: وهي اللحاء، وهي تحيط بكل الطبقات السابقة وهي التي تتحكم في التفكير و الإدراك الراقي، ولها وظائف أخرى، وهي موجودة لدى الثدييات الراقية. وهي متطورة جداً لدينا .. ويمكن أن نشبه هذه الطبقات الأربعة بالعقول الأربعة – أو بأربعة مراكز قيادية متدرجة من حيث قدرتها وتطورها على إدارة استجابات الكائن الحي، أو تشبيهها بأربعة معالجات تنظم وتنسق وتدير استجابات الكائن الحي، وهي تشارك جميعها في إدارة حياة الكائن الحي.

البرمجة العصبية عن طريق التعليم ودورها في النمو العقلي

لقد ذكرنا فيما سبق أن تفسير السلوك والخبرات عن طريق فعالية أجهزة الحس والجملة العصبية والعضلية، من أبرز اهتمامات المدارس النفسية وقد ساهم هذا النشاط، إلى فصل علم النفس عن الفلسفة وتأسيس علم النفس كعلم مستقل، وأن ديكارت[1] أعتبر الشعور من أهم خاصيات العقل، ووضع نظرية الفعل المنعكس في علم النفس الفيزيولوجي ،وقد أثرت تلك النظريات في الأوساط العلمية، مما دعا أصحاب المدرسة الربطية الإنكليزية إلى طرح مبدأ ترابط الخبرات الحسية ومبدأ السببية وترابط الأفكار وتداعيها، ترتبط جذور عملية علاج النظريات العلمية والتعليمية في المجتمعات إلى بداية وجود الإنسان، ومن خلال

(1) رينيه ديكارت René Descartes ولد (31 مارس 1596 - 11 فبراير 1650) يعرف أيضا بكارتيسيوس Cartesius فيلسوف فرنسي يعتبر من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة. يعتبر أهم و أغزر العلماء نتاجا في العصور الحديثة. الكثير من الأفكار و الفلسفات الغربية اللاحقة هي نتاج وتفاعل مع كتاباته التي درّست و تدرّس من أيامه إلى أيامنا.

التراكمات والتجارب العلمية السابقة، قامت مدارس علمية حول العالم إلى إيجاد وسائل مختلفة في مجال التعليم، ومن الخطأ التوقف على طريقة أو أسلوب واحد في التعليم، وفي بعض العمليات التعليمية للطلاب في الأغلب تتم بأسلوب التلقين المباشر فقط، فالمعلم يبذل جهدا كبيرا في إخبار الطلاب عن المعلومات وسردها عليهم، لفظياً دون أن يكون لهم دور سوى الاستماع والإنصات في أغلب الوقت، مما أدى إلى إيجاد جيل سلبي يأخذ بالمسلمات على شعلاتها دون تفكير أو نقد لما يقدم له من معلومات، فأصبح لا يفرق بين المعقول، وغير المعقول، ولا يعرف ما ينفعه، وما يضره، بل تجب رعايته باستمرار من قبل الآخرين، فلم تتبلور شخصياتهم، ولم تستقل عن الغير، وهم بهذه الصفة لا ينفعون أنفسهم، ومجتمعهم وأمتهم في شيء.

وكانت تجارب (بافلوف) [1] على الحيوانات التي تؤكد أن (المكافأة) تعزز من اتجاه الحيوان نحو عادة معينة، أما عدم المكافأة (الحرمان أو الألم) فتؤدي إلى نسيان العادات القديمة وضمورها، ومن خلال ذلك أعتمدت نظرية التعليم السلوكية على، أن التعلم يحدث نتيجة مثير ما دون أن يكون للتفكير الواعي أثر كبير، في حصول التعلم، مثل تعليم الحيوانات بعض الحركات والاستجابة لمثيرات معينة، مثل رؤية الطعام أو تقديمه لها، فيحدث التعلم ويحفز هذا التعلم بتقديم محفزات تشجيعية، أو رضى داخلي وشعور، بالسرور والابتهاج، لدى المتعلم نتيجة التعلم.

وقد أكّد السلوكيون على أهمية البيئة في تكوين السلوك الفردي، وبحثوا بصورة رئيسية العلاقة الكائنة بين السلوك الظاهري والمثيرات البيئية المختلفة ..

(1) إيفان بافلوف أو إيفان بتروفيتش بافلوف (1849-1936) طبيب وعالم نفسي روسي، حصل على جائزة نوبل في الطب في عام 1904 لأبحاثه المتعلقه بالجهاز الهضمي، ومن أشهر أعماله نظرية الإستجابة الشرطية التي تفسر بها التعلم.

كما يعرف سكينر [1] السلوك بأنه مجموعة استجابات ناتجة عن مثيرات المحيط الخارجي وهو:

أ- إما أن يتم دعمه و تعزيزه فيتقوى حدوثه في المستقبل.

ب- أو لا يتلقى دعما فيقل احتمال حدوثه في المستقبل.

إن أفكار سكينر وأطروحاته، قد أحدثت عدة تغييرات في التفكير التربوي والبيداغوجي بصفة عامة .. فسكينر يعتبر مثلا أن الطفل في البيداغوجيا [2] الكلاسيكية كان يتعلم لينجو من العقاب، مع غياب كل أشكال الدعم ... كما أدرك واطسون وغيره من السلوكيين أنه من الممكن أيضًا تغيير سلوك الإنسان بالإشراط. والواقع أنه اعتقد أن بإمكانه توليد أية استجابة يريدها من خلال التحكم في بيئة الفرد.. وأن التعلم هو عملية تغير شبه دائم في سلوك الفرد .. ومن بعض المبادئ في النظرية الإجرائية ما يلي:

التعلم ينتج من تجارب المتعلم و تغيرات استجابته.

التعلم مرتبط بالنتائج.

التعلم يرتبط بالسلوك الإجرائي الذي نريد بناءه.

التعلم يُبنى بدعم و تعزيز الأداءات القريبة من السلوك.

والتعلم المقترن بالعقاب هو تعلم سلبي.

---

(1) سكينر skinner .. يُعدُّ سكنر من أشهر علماء النفس التربويين وقد ولد عام 1904م بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل على البكالوريوس والماجستير من كلية هاميلتون سنة 1930م وعلى الدكتوراه من جامعة هارفرد في الفلسفة عام 1931م. سبق ترجمته.

(2) البيداغوجيا: مصطلح تربوي أصله يوناني ويعني بصفة عامة مجموع طرق التدريس. ويعني لغويا العبد الذي كان يرافق الأطفال إلى المدرسة.

ومن خلال تجارب ثورندايك [1] على الحيوانات توصل:إلى أن تلقي التحسينات والمكافآت بصفة عامة يدعم السلوك و يثبته، في حين أن العقاب ينقص من الأستجابة، وبالتالي من تدعيم و تثبيت السلوك .. وفق مضمون معرفي محدد من خلال:

محدد التعزيز الفوري: كلما تم تعزيز الإستجابات الإجرائية الأيجابية عند المتعلم كلما وقع التعلم بسرعة أكبر.

محدد الإثارة: كل مضمون معرفي يقدم للتلميذ لابد أن تتوفر فيه شروط قادرة على إثارة الإهتمام، والميولات، والحوافز.

محدد التناسب والتكيف: إن المادة المقدمة للتلميذ يجب أن تتناسب و مستوى نموه من جميع النواحي.

إن المشاكل السلوكية التي تجابهنا سواء كان ذلك في البيت أو البيئة المحيطة بنا وهي كثيرة ومعقدة، وأن معالجتها والتغلب عليها ليس بالأمر السهل مطلقاً، وهو يتطلب منا الخبرة الكافية في أساليب التربية من جهة، والتحلي بالحكمة والصبر.

نظرية الجشطلتية في التعلم

جاءت مدرسة الجشطلتية محلّ المدرسة الميكانيكية الترابطية، وركزت مدرسة الجشتالت على دراسة الخبرة الذاتية الكلية. وجعلوا من مواضيع دراستهم:

سيكولوجيا التفكير	ومشاكل المعرفة

فرفضوا ما جاءت به المدرسة الميكانيكية الترابطية من أفكارٍ حول النفس الإنسانية وأبطلت كثيرًا من تفسيرات هذه الأخيرة لسلوك الفرد ونددت بطرق دراسته. ودعت إلى ضرورة إعادة الاعتبار لأسبقيّة الكلّ على الأجزاء التي يتشكّل

(1) ولد ثور نديك سنة 1874م وهو أول من ادخل نماذج معينة من الحيوانات في معمل علم النفس وقام بالتجربة عليها وفق أجهزة خاصة وقد استخدم في هذه التجارب القطط والكلاب والفئران.

منها، ودعت إلى تقديره كاملَ التقدير لأنّه يستحيل فهم هذه الأخيرة خارج الدائرة التي يرسمها لها ذلك الكلّ، والكلّ المُعتبَر هو الذي تجري تلك الأجزاءُ في مجاريه.

ومما ساهمت به نظرية التعلم الجشطلت في تغيير و تطوير السياسات التعليمية والتربوية ومن إيجاد مبادئ للتعليم حسب وجهة نظرها ما يلي:

الاستبصار شرط للتعلم الحقيقي.

إن الفهم و تحقيق الاستبصار يفترض إعادة البنية.

التعلم يقترن بالنتائج.

الانتقال شرط التعلم الحقيقي.

الحفظ والتطبيق الآلي للمعارف تعلم سلبي.

الاستبصار حافز قوي، و التعزيز الخارجي عامل سلبي.

الاستبصار تفاعل ايجابي مع موضوع التعلم.

كما تحتكم بيداغوجيا [1] الجشطلت من مبدأ الكل قبل الجزء، الشيء الذي يعني إعادة التنظيم والبنية الداخلية لموضوع التعلم .. وبهذا ساهمت الجشطلت بجد كبير في صياغة السيكولوجيا المعرفية، في مجال الفيزياء أن الكل لا يساوي العناصر. وأصبح التعليم يبدأ من تقديم الموضوع شمولياً، فجزئياً، وفق مسطرة الانتقال من الكل إلى الجزء، دون الإخلال بالبنية الداخلية، و في نفس الوقت

(1) البيداغوجيا: مصطلح تربوي أصله يوناني ويعني لغويا العبد الذي كان يرافق الأطفال إلى المدرسة. وبصفة عامة تعني البيداغوجيا مجموع طرق التدريس. وقد نشأ عن المدارس الفلسفية ومدارس علوم النفس المختلفة تمظهرات ومقاربات مختلفة للبيداغوجيا وطرق مختلفة لتحقيقها. يعتبر إميل دوركايم البيداغوجيا، نظرية تطبيقية للتربية تستمد مفاهيمها من علم النفس و علم الاجتماع. كما من الصعب إيجاد تعريف محدد للبيداغوجيا، و ذلك راجع إلى ارتباط المصطلح بمصطلحات مجاورة له.

تحقيق الاستبصار على كل جزء على حدة. وبهذا استفاد الديداكتيك [1] من النظرية الجشطلتية، ومن أهم ما قدمت مدرسة الجشطلت أبحاثها: في مجال الإدراك، وتحديدهم لقوانين المجال الإدراكي (الشكل والخلفية، التشابه، الإغلاق، التقارب الإقفال، الاستمرارية). ولهم أبحاثهم في مجال التفكير والتعلم بالاستبصار [2]. حيث يفرق فرتمر على سبيل المثال بين التفكير الإنتاجي المعتمد على المدركات والعادات والاشتراط، والتفكير الإبداعي القائم على الأفكار الإبداعية والنشاط العقلي الخالص. كما أدت تجاربهم في التعلم بالاستبصار إلى كثير من التطبيقات التربوية. كما مهدت لنظريات أخرى في مجال التعلم وعلم النفس التربوي ومنها التعلم بالاكتشاف[3] وحل المشكلات.

---

(1) الديداكتيك La didactique:هي شق من البيداغوجيا موضوعه التدريس، وهي تعني نهج، وكذلك تعني أسلوب معين لتحليل الظواهر التعليمية، كما يهتم بالوضعية البيداغوجية، حيث تقدم المعطيات القاعدية التي تعتبر أساسية لتخطيط كل موضوع وكل وسيلة تعليمية لمجموع التلاميذ. كما يهتم بالديداكتيك التي تدرس القوانين العامة للتدريس، بغض النظر عن محتوى مختلف مواد التدريس.

(2) ينطوي مصطلح الاستبصار insight، في علم النفس على معانٍ عدة من أهمها: النظر إلى الوضع بوصفه كلاً، وتبين العلاقات في هذا الكل، وإدراك الروابط بين الوسائل والهدف، والاستفادة من تلك الوسائل في الوصول إلى الهدف، والتعلم أو الفهم الواضح والمباشر للوضع من دون استخدام سلوك المحاولة والخطأ على نحو ظاهر.

(3) الاكتشاف أصلا هو إزاحة ستار الغموض عن شيء يوجد ولكن غير معروف، وهو يأتي بالصدفة ولا يتحدد بفترة زمانية، ويمكن الإعداد له ماديا ونفسيا، كما لا تخصص له حصة مضبوطة في البرنامج فهو ممكن طيلة مرحلة التخييم، إذ يسود ضمنيا مختلف الأنشطة الغير العادية. كما تختلف الطرق كذلك باختلاف الاكتشاف، إما عن طريق المشاهدة، أو البحث والدراسة أو التقييم والاستخلاص. ويتم ذلك عن طريق الجمع والتصنيف والتنسيق والتقديم.

نظرية اللذة في توجيه السلوك

ظهرت نظرية اللذة كعامل حيوي في تحريك السلوك منذ عهد، اريستيبوس، وأفلاطون، وأرسطو، وأبيقور، ثم ظهرت في القرنين السابع والثامن عشر من خلال كتابات ديكارت وهوبز أما (بنتام) فقد ربط اللذة بالسياسة والاقتصاد، وتغلغلت مدرسته في الفكر الغربي، وجاء فرويد عام 1911 بنظريته النفسية عن (اللذة ومبدأ الواقع).

إن كثرة المؤيدين لنظرية اللذة في توجيه السلوك، لا تعني عدم وجود نظريات أخرى مختلفة عنها كما أن تعدد المدارس النفسية وكثرتها في تفسير السلوك ومنشئه واتجاهه شيء طبيعي لأن علم النفس هو في الحقيقة (علم السلوك). اللذة إذن هي معنى ومبدأ وفكر، وهي كل ما يدخل الرضا في قلب الإنسان.

وقد رفض (واطسون) (1) مؤسس النظرية السلوكية نظرية اللذة، وتبعه أصحاب نظرية التعلم الحديثة (وهي السلوكية المعاصرة) بنفي مبدأ اللذة كعامل في السلوك، واعتبروا (إزالة التوتر) و (إشباع الحاجة) المحرك الأهم في تثبيت السلوك وتعزيزه .

كما يفرق (واطسن) بين السلوك والشعور ويقول: بان تعريف السيكولوجيا، بأنها علم السلوك يعني الانصراف عن الاستبطان والاستغناء عنه، بل الاستغناء عن كل علم النفس الذي ظهر حتى عام 1912م .

---

(1) واطسون جون برودا س م1878- 1958م: احد رموز المدرسة السلوكية بأمريكا درس الفلسفة لعدة سنوات لكن ابدي ندمه على دراستها وتضييع وقته لذلك توجه إلى دراسة علم النفس بجامعة شيكاغو حيث تحصل على شهادة الدكتوراه عام 1903 وكان موضوع دراسته التعلم عند الحيوان كان واطسون من الأوائل الذين درسوا الأطفال الرضع وقد كان يرجع كل الظواهر إلى الاشراط حتى انه كان ضد الوراثة ولا يؤمن بالفطرة وقد استخدم الحيوانات في الدراسات النفسية .

وقد انتقد مفكرون مبدأ، اللذة، والألم، وجاءوا بمفاهيم أخرى، وهي تعتبر وجهة نظر، وأساليب قد تصب في مفهوم واحد، وهو في كيفية التحكم بسلوك أو التأثير عليه. وقد حاول كثير من الدارسين في علم النفس تفسير عملية التعلم لدى الكائن الحي وقاموا بوضع كثير من الفروض والنظريات في هذا المجال وكانت أولى الدراسات النفسية ترى بان علم النفس هو علم الشعور، وهي تركز على أفعال الفرد، ووظائفه، ومصدر خبراته، وقبل قيام السلوكية، كان ثمة كثير من التضاد بين علم النفس الوظيفي وعلم النفس البنائي الذي يهدف إلى وصف الشعور وتحليله، بينما كان علم النفس الوظيفي يعمل على إظهار الدور الذي يلعبه الشعور في حياة الفرد.

كما حاول ألبرت باندورا دمج مبادئ علم النفس المعرفي بنظرية التعلم التقليدية، في نظام أطلق عليه نظرية التعلم ب(الملاحظة)، فقد اعتقد كل من بافلوف وسكنر أن التعلم لسلوك ما يحدث بسبب النتائج التي يؤدي إليها ذلك السلوك، بمعنى أن التعلم يحدث في حالة حصول السلوك على نتائج طيبة، تتمثل بالمعززات فقط.

وقد اعتبر (تولمان) [1] أن القيمة الهادفة هي المهمة في توجيه السلوك، أي أن ما يتوقعه الإنسان من نتيجة هو الذي يقرر نوعية سلوكه. وهذا ما يشبه النظرية التي تقول إن الإنسان عندما يقوم بعمل ما، ويتلقى استجابات إيجابية مشجعة لنوازعه مطمئنة لآماله بغض النظر عن اللذة – فإنه يستمر على العمل والمتابعة،

(1) تعد نظرية إدوارد تولمان(1886-1959م) واحدة من المحاولات البارزة التي استهدفت الجمع بين السلوكية والغشتالتية والتحليل النفسي. فقد انطلقت في مسعاها هذا من الفلسفة الإجرائية أو الوضعية المنطقية التي هي نسخة منقحة عن الفلسفة الوضعية. وتعنى هذه الفلسفة بتحليل النشاط العلمي والتعرف على العمليات التي بوساطتها يكشف العلم عن المعطيات والمفاهيم الجديدة.

وعلى العكس من ذلك، فقد تكون الاستجابات، السلبية معوقة له، وهذا ما أطلق عليه (التغذية الإيجابية للفعل) وهي نظرية تماثل جدا نظرية (ثورندايك) عن قانون التأثير.

إذن، فسلوك الإنسان ترتبط بعوامل كثيرة متعددة تقرر نوعية وحدته واتجاهه، وقد حاول الفلاسفة وعلماء النفس وضع معادلات وقواعد لربط هذه العوامل، من خلال وسائل مختلفة وهذا ما نريد أن نصل إليه من خلال بحثنا هذا عن سلوك النمو الإنساني من خلال مراحله المختلفة.

الفرق بين اللذة و الغرائز النفسية

الغريزة هي من السمات الثابتة في سلوك الإنسان أو الحيوان، أما اللذة فهي من الأمور الطارئة على الحواس، فتدفع الإنسان إلى سلوك إما حسن أو غير حسن، فاللذة والغريزة هما مصطلحان مختلفان، ولكن بينهم علاقة في الرغبة، وعلى كل حال لابد لنا من معرفة الغرائز لدى أطفالنا من أجل تهذيب هذه الفطرة، وجعلها أكثر تناسقاً وتلاؤماً، من أجل نماء أفضل، ومن جملة تلك الغرائز ما يلي[1]:

1ـ غريزة حب الاجتماع

وهي غريزة تحمل الجانب الإيجابي أكثر من الجانب السلبي، حيث يُكّون الإنسان علاقات اجتماعية تخلق روح المحبة والتعاون لديه. لكن على الآباء والأمهات أن يحرصوا على حماية أبنائهم من رفاق السوء لئلا يصيبونهم بالعدوى ويصبحون مثلهم شاءوا أم أبوا ينبغي أن نحرص على جعل أبنائنا يختارون الأصدقاء الذين يتصفون بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وعلينا كمربين أن نراقب علاقاتهم بالأصدقاء، ونتعرف باستمرار على أوضاعهم ،وسلوكهم

(1) أسس الصحة النفسية ـ د. عبد العزيز القوصي ـ ص 79 .

وتصرفاتهم للحيلولة دون صدور أي تصرف منهم يسيء إليهم وإلى المجتمع، وعدم تركهم وشأنهم، فينحرفون ويجرفون معهم غيرهم إلى طريق السوء.

كما تتصاعد رغبة الطفل كلما نما وكبر ،فنراه ميالاً إلى لقاء غيره من الأطفال واللعب معهم وقد يقضي معهم الساعات الطوال دون أن يحس بالوقت، ولا يمكن لنا أن نحجزه بين أربعة جدران لوحده، وحتى لو كنا معه في البيت فإنه يبقى بحاجة إلى الخروج واللعب مع أقرانه الأطفال ... ولا شك أن الإكثار من النشاطات الصيفية في المدرسة، وبإشراف معلميهم، من رياضة وتمثيل وخطابة ورسم ونحت وغيرها من النشاطات المفيدة تمكننا من السمو بهذه الغريزة وتعزز العلاقات الاجتماعية بين التلاميذ، وتخلق فيهم روح المحبة والأخوة، والتعاون إضافة إلى تنمية مواهبهم وقدراتهم في مختلف المجالات الفنية والأدبية والاجتماعية.

2ـ غريزة البحث عن الطعام

إن هذه الغريزة تفعل فعلها لدى الكبار والصغار على حد سواء. وهي من الغرائز الهامة لبقاء الحياة واستمرارها، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون الطعام، ورغم أن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الطعام لكي يبقى على قيد الحياة فأن تناول الطعام بغير اعتدال يعطي نتائج سلبية على صحة الإنسان، حيث يسبب السمنة والتي بدورها تسبب العديد من الأمراض الخطيرة كالسكري وأمراض القلب، وتسوس الأسنان، وغيرها من الأمراض الأخرى، مما يتطلب منا تعويد أبنائنا على العادات الغذائية الصحيحة.

وغالباً ما تستثار هذه الغريزة عند ما نشم رائحة الطعام الشهي أو تقع أبصارنا على الحلويات وغيرها، ويشعر الإنسان، عن طريق حاسة الذوق، بلذة كبيرة وهو يتناول ما يشتهيه من تلك الأطعمة والحلويات ... كما أن هذه الغريزة تدفع بالكثير من الصبيان الذين لا يجدون لديهم النقود لشراء الحلويات إلى السرقة من المحلات لإشباع هذه الغريزة، ولذلك يجب على الآباء والأمهات إشباع هذه

الرغبة لدى الأبناء وعدم التقتير عليهم لكي لا يتجهوا نحو السرقة التي يمكن أن تتأصل لديهم إذا ما استمروا عليها لفترة من الزمن[1].

3ـ غريزة حب التملك

إن غريزة حب التملك تستمر لدى الإنسان طوال حياته حيث يطمح كل فرد في أن يمتلك على سبيل المثال مسكناً وأثاثاً فاخراً وسيارة، وأن يلبس الملابس الأنيقة، وأن يكون لديه من المال ما يمكنه من إشباع كافة حاجاته المادية، وقد يلجأ البعض إلى الأساليب النظيفة والشريفة لتأمين تلك الحاجات، وقد يلجأ البعض الآخر إلى مختلف أساليب الغش والاحتيال والسرقة والاغتصاب للحصول على ما يبتغيه، وقد يسعى للإثراء غير المشروع سالكاً كل الطرق ،ومستخدماً كل الوسائل في سبيل ذلك.

وهكذا تبدو لنا هذه الغريزة كسيف ذو حدين، ولذلك فأن علينا أن نربي أبنائنا منذ الصغر على الأمانة والعفة ،وعدم التجاوز على حقوق الغير أو ممتلكاتهم، وبسلوك الطريق الصحيح في الحصول على الأشياء ،وعلينا أن ننمي الجانب الإيجابي في هذه الغريزة ونكبح جماح جانبها السلبي قدر المستطاع.

ولابد أن أشير هنا إلى أن هذه الغريزة تفعل فعلها بشكل صارخ وعدواني على مستوى الدول والحكومات، والكثير من الرأسماليين الذين يستخدمون كافة الوسائل والسبل للاستحواذ على ثروات الشعوب الضعيفة ونهب خيراتها وتركها تئن تحت وطأة الجوع والعري والمرض والتخلف فلقد شهد النصف الأول من القرن العشرين هجمة استعمارية من قبل العديد من الدول الأوربية، واليابان والولايات المتحدة كان ضحيتها الشعوب الضعيفة، من أجل أن يملأ المستعمرون جيوبهم بمليارات الدولارات على حساب بؤس وتعاسة تلك الشعوب، التي

(1) حامد شريف سليمان الحمداني من مواليد مدينة الموصل 1932 :كيف نربي أبناءنا ـ دراسة تربوية ـ ويقع في 144 صفحة من القطع المتوسط

رزحت لعشرات السنين تحت نير الاستعمار، ودفعت ثمناً غالياً من دماء أبنائها ،من أجل استعادة حريتها واستقلالها وثرواتها.

4ـ غريزة السيطرة

كما أن هذه الغريزة لا تقتصر على الأفراد فحسب، بل تتعداها إلى الجماعات في المجتمعات القبلية، وكذلك الحكومات والدول، وما الحروب التي شهدنا ها ونشاهدها اليوم إلا وكانت بدافع السيطرة على الشعوب واستغلالها، ونهب ثرواتها ... كما لجد هذه الغريزة ظاهرة لدى كل من يشعر أنه في مركز قوي ،وكلما ازداد شعوره بالتفوق بالقوة تتجلى لديه هذه الغريزة بشكل واضح. كما أن السمو بهذه الغريزة يمكن أن يدفع الإنسان إلى تحويل سيطرته على أخيه الإنسان ،إلى السيطرة على الطبيعة وكشف أسرارها، والتنعم بخيراتها، وفي ذلك تنتفي الحاجة للحروب، وتسود المحبة والتعاون والتعاطف كافة شعوب الأرض. كما أن هذه الغريزة تحتاج منا أن نعيرها اهتماماً بالغاً، فلا ندعها تسيطر على سلوك أبنائنا وتدفعهم إلى العنف والاعتداء على إخوانهم وزملائهم بغية فرض سيطرتهم عليهم بوسائل العنف.

5ـ غريزة الخضوع

إن هذه الغريزة هي على النقيض من غريزة السيطرة، ونجدها لدى الإنسان الذي يشعر أنه في موقف خطير وصعب وضعيف، لكي يحمي نفسه من بطش الآخرين. ونستطيع أن نستدل على خضوعه وخنوعه من موقف الأبناء تجاه آبائهم أو معلميهم الأشداء في تعاملهم ... ولا تقتصر هذه المواقف على الصغار بل تتعداها إلى الكبار في ظل المجتمعات التي تُحكم بأسلوب دكتاتوري يستخدم العنف وأساليب البطش والإرهاب ضد أبناء الشعب، كما هو الحال في الكثير من بلدان وخاصة بلدان العالم الثالث التي تقودها حكومات ديكتاتورية حيث تحكم شعوبها بالحديد والنار وأقسى أساليب الإرهاب وكم الأفواه.

إن هذه الغريزة يمكن أن تكون مصدر ضرر كبير لأبنائنا، حيث تخلق لديهم روح التخاذل والانهزام والجبن، والشعور بالنقص، وضعف الشخصية. والأمر يتطلب منا أن لا ندع العلاقة بيننا قائمة على أساس الخوف والرهبة، والطاعة العمياء التي تحطم الشخصية، بل ينبغي أن يكون التعامل قائماً على أساس الاحترام والمحبة والعطف لكي لا ندع هذه الغريزة تؤثر على نشأت أبنائنا فتضعف شخصيتهم وتفقدهم الثقة بالنفس.

6ـ غريزة حب الاستطلاع

وهذه الغريزة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للناشئة لأن استثارتها تدفعهم إلى اكتشاف الحقائق بأنفسهم، والحصول على الخبرات التي يحتاجونها في حياتهم، كما تدفعهم إلى الدراسة والتتبع باستمرار، حتى في الكبر، بغية الوقوف على كل ما يجري من تطور وتغير فيما يحيط بهم. كما تستثار هذه الغريزة لدى أبنائنا عندما يكون الأبناء أمام أمرٍ يهمهم معرفته، وقد يكون لهم معرفة بجزء منه، كما أن هذه الغريزة يمكن أن يكون لها تأثير سلبي ضار في بعض الحالات و صورة ذلك: كشرح المعلم لتلاميذه كيف يمكن ممغطنة قطعة من الحديد، وذلك عن طريق لفها بسلك وربطها بتيار كهربائي. وعندما عاد التلاميذ من المدرسة حاول أحدهم أن يقوم بالتجربة بنفسه، فأخذ قطعة الحديد ولفها بسلك ووصلها بالتيار الكهربائي بشكل غير صحيح فكانت النتيجة أن صعقه التيار الكهربائي وسبب له الوفاة، لقد كان الواجب على المعلم أن يجري التجربة أمام التلاميذ بشكل يؤمن السلامة، و يحذرهم من خطورة الكهرباء إذا ما تمت التجربة بشكل خاطئ.

7ـ غريزة الحل والتركيب

إن هذه الغريزة تنمي روح المتابعة والاستطلاع والابتكار ،وتنشط الذكاء والعمل والقابليه وغير ذلك من الفوائد الفنية والإبداعية ... غير أننا ينبغي أن لا ندع الأطفال يعبثون بأشياء أو أمور ذات خطورة لا طاقة لهم بها ولا معرفة فيسببون لهم المخاطر والأذى إضافة إلى التخريب والضرر. وبالإمكان شراء بعض

أنواع الألعاب التي تعتمد على الحل والتركيب والتي لا يسبب لهم استعمالها أي ضرر بدني.

8ـ غريزة الضحك

الضحك سلوك غريزي نجده بشكل واضح لدى الأطفال منذ المراحل الأولى، فهم يضحكون لأتفه الأسباب، وقد ينطلق الطفل بالضحك بصورة لاإرادية ، ولاشك أن الضحك يؤثر تأثيراً إيجابياً على الصحة النفسية للأطفال وللكبار على حد سواء، وينفس عن الضيق والضجر الذي يشعر به المرء في حياته، وعليه فأن قمع هذه الغريزة لدى أبنائنا يعود بالضرر البليغ على حالتهم النفسية.

إن علينا أن ندعهم ينفسون عن ما في أنفسهم بالضحك والمرح حتى داخل الصف في المدرسة لكي لا نجعل الدروس عبئاً ثقيلاً عليهم، إن بضع دقائق من الضحك والمرح تخلق روح التجديد والنشاط لدى التلاميذ، وتجعلهم يقبلون على الدرس برغبة واشتياق، شرط أن يكون بحدود معقولة لا تدع العبث يطغي على الدرس .ولاشك أن المعلم العبوس، الذي يرفض أن يمنح تلامذته الابتسامة، ويستكثر عليهم الانبساط ولو لبضعة دقائق ،يصبح درسه عبئاً ثقيلاً عليهم وبالتالي يكرهونه.

9ـ غريزة النفور

ولقد أهتم الإسلام بالأخلاق لأنها أمر لا بد منه لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحيتين المادية والمعنوية، فالإنسان – دائما – بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق حاجته الاجتماعية، ويحول دون ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره.

قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [1]حيث أن الإنسان بطبيعته يتحسس الروائح أو المشاهد المختلفة، فينفرون وتتقزز نفوسهم من الروائح الكريهة، أو من المشاهد المؤلمة، وعلى العكس نجدهم يتمتعون برؤية المشاهد الجميلة والمسرة، ويستمتعون بشم الروائح العطرة ولذلك نجد الأبناء، وخاصة المراهقين منهم يسعون إلى الاهتمام بمظهرهم ورائحتهم من أجل لفت انتباه الآخرين وخاصة من النساء.

كما أن هناك جانب آخر من النفور نجده لدى البعض تجاه البعض الآخر، وخاصة في صفوف المراهقين بسبب لون البشرة، أو القومية، أو الدين أو غيرها من المبررات، مما يخلق استقطاب وتنافر وصراع يصعب معالجته إذا ما استمر وتوسع، دون أن يواجه بالحكمة. وهو يمثل جانباً خطيراً يهدد سلامة المجتمع ويعمل على تمزيقه، كما أن مثل هذه الغريزة موجودها لدى الصغار والكبار على حد سواء وهذا ما أشار إليه الرسول بقوله: عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تحاسدوا، ولا تباغضوا [2]، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا[3].

10ـ غريزة الخلاص والهروب

تستثار هذه الغريزة وذلك عند الشعور بخطر ما، مما يلجئ فيها الشخص إلى الهرب ثم يتحول هذا الشعور إلى خوف أو إلى الهلع الحاد وقد ينتاب المصاب بهذا الخوف إلى مشاعر غريبة وفريدة إلى حد كبير ... كما ينبغي لنا أن لا ندع الخوف والهلع يسيطر على أبنائنا فيسبب مضار ومخاطر، ذلك أن الخوف والهلع في المواقف يفقد القدرة على التفكير والتصرف الصائب، كما ينبغي علينا أن نستثير

(1) الروم22

(2) لا تباغضوا: لا تكسبوا أسبابا مفضية إلى البغض والعداوة

(3) أخرجه "مسلم" 8/ 9(6622) وفي (6623).

فيهم روح الشجاعة والأقدام والاتزان ،وعدم الارتباك والتصرف الهادئ في المواقف.

11ـ غريزة المقاتلة

يخطئ البعض حينما يقف من المقاتل موقفاً سلبياً، وذلك بشكل مطلق، مما يسبب موقفهم هذا ببث روح المذلة والخنوع والانهزامية في نفوس الناشئة، وهذا الأمر ليسا من أخلاق العرب ولا الإسلام، لأن هناك مواقف ينبغي أن تتميز بالشجاعة والإقدام دفاعاً عن الحقوق المغتصبة، فالجندي الذي نطلب منه أن يدافع ضد المعتدين لا يستطيع القيام بواجبه على الوجه الأكمل إذا قتلنا فيه روح الشجاعة والإقدام في المراحل الأولى من حياته.

خلاصة القول: فإن الغريزة هي فطرة ربانية أودعها الله في الإنسان، وقد تكفل الله بها بالتهذيب والرعاية، ولذلك تتعهدها التربية بالرعاية والعناية حتى تصل إلى المرحلة التي يستطيع بها وضعها في محلها الطبيعي، وذلك لدوام الإستخلاف وعمارة الأرض. كما تؤكد التربية الربانية على أهمية أن يستعد الوالدان لتربية الأبناء قبل أن يولدوا لمعرفة أفضل الأساليب والوسائل في جوانب التربية، خاصة التربية الوقائية لكافة الجوانب وبالأخص الجانب الجنسي، وذلك في أسلوب الترغيب والتوضيح، يتعلم الصغار آداب لمس الجسد واحترامه، وحدود العورة، وآداب قضاء الحاجة وآداب النوم، وآداب اللعب مع الصغار مع البعد عن الاحتكاك الجسدي .. وعندما يكبر الصغار قليلا هناك آداب اللباس، وآداب الاستئذان وآداب لإختلاط الجنسين وآداب التفريق في المضاجع إلى غير ذلك من الآداب الحميدة.

6ـ أسباب الأمراض العصابية

لا تخلو حياة إنسان من صعوبات وعقبات، تعوق سير دوافع هذا الإنسان، نحو أهدافه الضرورية، والصراع بمفهومه العام، هو تعارض قوتين أحدهما دافعة

والأخرى مانعة .. وقد تختلف الأزمات النفسية من حيث شدتها وطول بقائها واستعصاؤها على الحل من شخص لآخر. كما تكون أشد وأعمق أثراً إن كانت الدوافع المعوقة قوية ملحة، أو حيوية هامة، أو كانت أهدافها ذات قيمة كبيرة للفرد .. وتكون مستعصية على الحل أن تضمنت دوافع لا شعورية لا يفطن المتأزم إلى وجودها، أو كانت المشكلة تفوق قدرة الفرد على حلها أو احتمالها .. وتقترن الأزمات في الغالب على حالات من، التردد، والحيرة، والقلق، والتوتر الانفعالي ... كما يترتب على إحباط الدوافع، مشاكل كثيرة ومشاعر أليمة، ومن ذلك الشعور بالنقص والخيبة والعجز، أو الشعور بالذنب والخجل والاشمئزاز والخزي أو الشعور بالقلق والخوف أو الشعور بالظلم أو الشعور بالعزلة والوحدة ،أو شعور الفرد بفقد احترامه لنفسه(1).

إن سمات الشخصية العصابية هي التي تبدو في صورة سلوك، نقيض السلوك الذي يصدر عن انطلاق المكبوت عادة. وما سمات الشخصية العصابية إلا هي استجابة خاطئة، لمصاعب الحياة ، ولعله أكثر الاستجابات الخاطئة حدوثا، ومن مصادرها التي قد تكون المتسببة في حدوثها وناتجة عنها وهيا :

عصاب بعد حدوث حادثة محزنة أو مؤسفة	عصاب الخوف من المجتمع	عصاب الرهبة

وتعتبر العلاقات الاجتماعية بأنواعها، من المصادر التي تنتج عنها اضطراب أو توتر لدى الشخص. أوقد تكون الاضطرابات، نتيجة لشوائب ترسبيه من الماضي، من زمن مبكر لدى المرء، فاستقرت داخل نظام النفس أي في الذاكرة، ثم استمرت في الطحن الدائم في اللاشعور، دون أن يعلم بها صاحبها ، وهي كالملف المفقود أو المتكرر داخل نظام الكمبيوتر، وهذه المشكلة تسبب إزعاج للكمبيوتر

(1) كتاب أصول علم النفس: د.أحمد عزت راجح أستاذ علم النفس بتصرف

بإخراج رسائل مزعجه، فكذلك نظام الإنسان فهو مشابه لبعض الأجهزة الحديثة والمعقدة، ولا بد من فهم الإنسان، فهماً جيداً حتى يسهل التعامل مع نظامه.

وقد تضطرب كذلك تلك العلاقة (مع الآخرين) نتيجة للمصاعب التي يكابدها الإنسان في حاضره سعيا وراء تحقيق آماله وطموحه وجريا في سباق التنافس والتقدم، وينتج من هذا وذك صراع داخلي عنيف لا يدرك المريض حقيقته وتفاصيله، فيظهر في صورة أعراض العصاب المختلفة ولكن المريض لا يستطيع عادة الربط بين أعراض العصاب التي يشكو منها وذلك الصراع المحتدم في داخله فيبدو لأول وهلة وكأن العصاب ليس له ما يبرره.

ويلاحظ أن العصاب الذي يتكون من زمن الطفولة نتيجة لاضطراب نفسي يستمر مدة طويلة حتى يصبح بالتعود عادة من عادات السلوك، وجزءا من الشخصية تصبغ تصرفات صاحبها وتكون سببا في اضطرابات تكوينه الشخصي ، وكثيرا ما يقابل العصاب في عائلة تشتهر بالعصبية أو ضيق الخلق، وقد تجد أن في التاريخ العائلي أكثر من مريض يشكو من نفس المرض .. وهذا مما يشكل نسبة كبيرة من مجموع المرضى، من أسرة واحدها، الذين يترددون على سائر الأطباء والقراء ولاسيما في المجتمع العربي خاصة .. مما يصبح هذا المرض أشبه ما يكون بالمعدي.

ويقال أن حوالي تقريباً سدس المرضى، المترددين على المستشفيات العامة، وثلث المرضى المترددين على العيادات الخاصة، أو أكثر مصابون بالأمراض العصابية، وإن ما يصفه العامة من أن فلانا عصبي المزاج أو أن أعصابه تلفانة أو عصبي أو أعصابه مهزوزة أو خلقي. إلى آخر هذه التعبيرات ، لا يعنى في العادة إلا هذا النوع من المرض النفسي وهو العصاب.

كما تختلف نظرة الأطباء، إلى أولئك المرضي، فأحيانا يخبرونهم أن ليس بهم شيء وأحيانا يلجئون إلى تشخيصات عامة غير محددة لا تستند إلى دليل مادي أكيد

ومن أمثلة هذه التشخيصات فقر الدم (الأنيميا) ونقص الفيتامينات، والروماتيزم العام، والتهاب القولون، والأرق، والكبد والمرارة .. ألخ[1].

المؤثرات الوظيفية العصبية الداخلية على الجسم والنمو

إننا إذا تأملنا في كيفية إدراكنا لعناصر هذه البيئة، فسوف نستخدم في ذلك أعيوننا وأسماعنا وكذلك ندرك كثيرًا من عناصرها باللمس والشم والتذوق، ويتبع هذا الإدراك استجابة، وكل ذلك يتم عن طريق الجهاز العصبي، والجهاز العصبي هو الذي يسيطر على أجهزة الجسم المختلفة، سواء تم ذلك بصورة إرادية أو لا إرادية.

كما يعتبر الجهاز العصبي من الناحية الوظيفية المشرف على جميع الوظائف العضوية، والمؤلف بين تلك الوظائف بما يحقق وحدة وتكامل الكائن الحي .. كما يعتبر الجهاز العصبي شبكة الاتصالات العامة، التي تربط بين جميع أجزاء الجسم وذلك عن طريق مجموعة من الأعصاب المتدة ما بين أطراف الجسم المختلفة وأعضائه الداخلية والخارجية .. مكون بذلك مجموعة من المراكز المرتبطة فيما بينها، وإلى هذه المراكز ترد التنبيهات الحسية من جميع أنحاء الجسم، خارجية كانت أم داخلية دقيقة، ثم عنها تصدر التنبيهات الحركية التي تصل إلي العضلات إرادية كانت أو غير إرادية.

كما تتصل الخلايا العصبية بعضها بالبعض الأخر بواسطة الشبكة العصبية وكذلك تتصل بالغدد الموجودة بالجسم، من خلال تلك الشبكة وتقوم تلك الغدد، بمهمة فرز مواد كيماوية من خلال إشارات تصدر من الجهاز العصبي يطلق عليها بالنواقل ومن هذه النواقل ما تسمى بـ:

السيروتونين	والدوبامين	والاستيل كولين	الأدرينالين

(1) كتاب أصول علم النفس: د.أحمد عزت راجح أستاذ علم النفس بتصرف

والنوراد رينالين، وغيرهـا، وأي خلـل يحـصل في هـذه النواقـل فإنـه يـؤدي إلى خلل في النمو لدى الفرد وسوف نشرح تلك النوقل بشيء مـن التفـصيل وهـي على النحو الآتي:

1ـ السيروتونين (Serotonin)

يعد السيروتونين، إحـدى النواقـل العـصبية الـتي تعتـبر جـزءا مـن الـدورة العصبية للدماغ، ويقال أنها المسؤل الأول عن الأفكار والأفعـال والعواطـف لـدى الفرد. (ويسمى بهرمون السعادة).

كما كشف فريق من الباحثين الأمريكيين في أواخـر الأربعينـات علـى مـادة أطلق عليها اسم سيروتونين [1] "سيرو" نسبة إلى الدم و "تون" نسبة إلى العـضلات... وفي هذا الوقت كان فريق من الإيطاليين يعمل خلال تحليلـهم لبلاكيـت الـدم عـن وجود مادة جديدة أطلقوا عليها اسم أنـتيرامين [2]، وعنـدما قـام الفريقـان بمقارنـة ملاحظاتهما تبين لهما أنهما يعملان على نفس المادة. وقد وجـدوا أن مفعـول هـذه المادة يقتصر فقط على الجسم، وأنها تحفّـز الانقباضـات في العـضلات وفي الأمعـاء وتضبط ضغط الدم من خلال تقليصها للأدوية الدموية.

وتلعـب هـذه المـادة دورا مهمـا في تنظـيم مـزاج الإنـسان ويلعـب نقـص السيروتونين دورا في أعراض ما قبل الـدورة الـشهرية وآلام الـشقيقة وآلام أخـرى عديدة. والرغبة الجنسية... كما يتعاون السيروتونين مع الدوبامين ليعملا معا علـى توازن العواطـف والمـزاج لـدى الفـرد والمحـصلة بـان هـذا الفـرد يـشعر بالـسعادة والاستقرار النفسي. وكلما زاد تركيـز الـسيروتونين كلمـا أدى إلى شـعور المـريض المصاب بالكآبة إلى تحسن مزاجـه وراحتـه النفـسية. ولا ينحـصر دور الـسيروتونين فقط في نشاط المخ وإنما يتعدى ذلك إلى الجهاز الهضمي. بما أن معظـم الـسيروتونين

---

(1) Serotonin

(2) Enteramine

الذي ينتج في الجسم ينتج في السبيل المعدي المعوي-حوالي 90 ٪ منه- فإن المصابين بنقصه يكونون أكثر عرضة للإصابة باضطرابات الجهاز الهضمي، والتي تتضمن القولون العصبي والإمساك.

2ـ الدوبامين Dopamine

وهي مادة كيميائية تشبه الهرمون، وتعتبر هذه المادة المحرك الأساسي لحالات السرور الإنساني ... ويعد "دوبامين" من الناقلات العصبية [1] التي تحمل الرسائل الكيميائية بين خلايا المخ... كما أن الدوبامين هو أحد المجموعات الكيميائية التي تسمى الناقلات العصبية التي تحمل المعلومات من عصبون خلية عصبية، إلى آخر .. ويؤدي الدوبامين دورًا رئيسيًا في الإحساس بالمتعة والسعادة والإدمان .. وينقل الدوبامين معلومات تتعلّق بالشعور بحالات الانتشاء والألم، فمثلا الشعور بالبهجة نتيجة لتناول وجبة طعام لذيذة، أو نتيجة للحصول على ترقية، أو- أي شيء يجلب السعادة – يتم حمله ولو جزئيا عن طريق الدوبامين. كما تسبب الزيادة الكبيرة أو الانخفاض الكبير في الدوبامين كثيرًا من الأمراض البدنية والعقلية. وتكون مستويات الدوبامين في الدماغ عالية في مراحل الطفولة الأولى وتنخفض بمرور الزمن وتقدم الحياة. وهناك خمسة أنواع من مستقبلات الدوبامين. وتعتمد تأثيرات الدوبامين على المكان الذي تُطلق فيه، والكمية التي يتم إطلاقها، وكذلك على أنواع المستقبلات التي جرى تنشيطها[2].

3ـ الأستيل كولين acetylcholine

يعد الأستيل كولين مادة عضوية مركبة وهي من النواقل السيالة العصبية الذاتية في الجسم وهو يؤدي إلى تقلص العضلات المخططة وتوسع الشُرَيِّنات وتضيق الحدقة .. وبعد أن يصنع الأستيل كولين في جسم الخلية العصبية تحمله

(1)neurotransmitters

(2) المصدر السابق نفسه.215.

السيالة العصبية حتى النهاية العصبية حيث يبقى قسم منه حراً ويدخل القسم الآخر حويصلات النهاية العصبية فيتراكم فيها ... كما يخرج الأستيل كولين إلى مسافة الوصل العصبي إما بالانتشار البسيط (للقسم الحر)، وإما تلفظه حويصلات النهاية العصبية لفظاً عفوياً أو محرَّضاً .. وقد عرّف أوتولوي Otto-Loewi الأستيل كولين منذ عام 1923 م بأنه الوسيط الكيمياوي للألياف العصبية اللاودية، وتبين حديثاً أنه الوسيط الكيمياوي الرئيس في الجملة العصبية الذاتية بقسميها الودي، واللاودي.

4ـ الأدرينالين adrenaline

الأدرينالين هرمون يفرزه لب غدة الكظر في الدم، وناقل عصبي تطلقه النهايات العصبية التابعة للجملة الودية، واصلاً بين تنبيهات هذه الجملة وأعضاء الجسم. تمّ اكتشافه في نهاية القرن التاسع عشر في خلاصة غدة الكظر وأطلق عليه أيضاً اسم الابينفرين [1]... وتتابعت الاكتشافات على يد الكثير من العلماء وعرف أن للأدرينالين نظيراً يسمى النورادرينالين [2] أو الأدرينالين العصبي أو النورابينفرين [3] يختلف عنه قليلاً في البنية الكيمياوية ويشابهه في معظم تأثيراته. يكوّن الأدرينالين 80٪ من الهرمون المفرز من لب الكظرين، في حين يكوّن النورادرينالين النسبة الباقية ... وبالعكس فإن المادة المحررة من النهايات العصبية للجملة الودية تتكون من النورادرينالين بوجه رئيس ولا يكوّن الأدرينالين فيها أي نسبة مهمة.

ينشأ الأدرينالين والنورادرينالين في البدن من الحمض الأميني المسمى التيروزين الذي يستقلب في الكظر والجملة العصبية في تسلسل معين ليولد مجموعة

(1) epinephrine
(2) noradrenaline
(3) norepinephrine

العوالم الكيمياوية المسماة بالكاتيكولامينات[1] ومن عناصر هذه المجموعة مادة النورادرينالين التي ينشأ منها الأدرينالين بإضافة زمرة كيمياوية واحدة.

يكون مستوى كل من الأدرينالين والنورادرينالين منخفضاً في الدم في الظروف العادية، ولكنهما يزدادان في البدن بسرعة استجابةً للحالات التي تستدعي رفع استعداد الجسم للقيام بمهام إضافية أو استثنائية كالاستعداد لمباراة رياضية أو مواجهة خطر محدق، أو في حالات هبوط الضغط الشرياني أو النزف أو نقص الأكسجين أو تدني سكر الدم أو التعرض للبرد الشديد وذلك بهدف حماية البدن من هذه الاختلالات الخطيرة التي تؤثر في سلامته. ويطلق أحياناً على دور الأدرينالين وتأثيراته اسم منعكس الدفاع « قاتِلْ - أو - اهرب » لأنه كما يقال يرمي إلى زيادة قدرة الجسم على مواجهة الطوارئ أو تمكينه من الابتعاد عنها. يؤدي الأدرينالين والنورادرينالين دورهما هذا عن طريق تأثيرات تقود في محصلتها إلى رفع الضغط الشرياني وزيادة التروية الدموية للدماغ والقلب والعضلات الإرادية المخططة وزيادة توفر الوقود الجاهز المكوّن من الغلوكوز والحموض الدسمة الحرة لاستعمال هذه الأعضاء خاصة، كما يزيدان من درجة الوعي والتيقظ في الدماغ.

يوجد للأدرينالين والنورادرينالين مستقبلات نوعية على أغشية خلايا البدن يطلق عليها اسم المستقبلات الأدرينالية وهي من نوعين رئيسيين هما:

المستقبلة ألفا	والمستقبلة بيت

وسواء وصل الأدرينالين أو النورادرينالين إلى خلايا الجسم من لب الكظر عن طريق الدم أو من المادة المحررة عند النهايات العصبية للجملة الودية فهما يرتبطان أولا بهذه المستقبلات لتنبيهها لتقوم بدورها بتفعيل الآليات الخلوية

(1) catecholamines

المرتبطة بها... ويختلف عدد نوعي المستقبلات ونسبتها في أعضاء الجسم ومناطقه المختلفة، وهذا ما يحدد نوع الأثر الناشئ عن تزايد نسبة الأدرينالين والنورادرينالين في الدم أو تنبيه الأعصاب الودية[1].

وبوجه عام فإن تنبيه المستقبلات ألف، وهي الغالبة في الأوردة وشرايين الجلد والأمعاء يؤدي إلى تقبّض جدران هذه الأوعية وتضيّق فتحته، في حين يؤدي تنبيه المستقبلات بيتا الموجودة بكثرة في القصبات الهوائية والشرايين المغذية للعضلات المخططة إلى استرخاء جدرانها وتوسع فتحتها.

أما تنبيه المستقبلات الأدرينالية القلبية، وهي من النوع بيت، فيؤدي إلى زيادة النتاج القلبي عن طريق تسريع القلب وزيادة قوة تقلص العضلة القلبية. وتوجد المستقبلات بيتا في الكبد والنسيج الدهني ويؤدي تفعيلها إلى زيادة تفكك الغليكوجين والدسم إلى مكوناتهما البنائية وبالتالي رفع مستوى الغلوكوز والحموض الدسمة الحرة في الدم.

وتؤدي هذه التأثيرات مجتمعة إلى ارتفاع الضغط الشرياني (بسبب زيادة النتاج القلبي والعود الوريدي وتقبّض الأوعية المحيطية) وتسهيل التهوية الرئوية وزيادة التروية الدموية للأعضاء الرئيسة في الجسم وتوفير الوقود اللازم لها لتقوم بمهامها العادية والاستثنائية[2].

الخلاصة: فإن انخفاض مستوى الأدرينالين ومشتقاته قد يؤدي إلى انخفاض ضغط الدم الشرياني، وإلى وجود اضطراب بالجهاز العصبي السمبثاوي عند الوقوف.

---

(1) انظر كتاب: نظام الهندسة النفسية والتنمية الاجتماعية ص213. الطبعة الأولى مؤسسة الوراق- عمان الأردن.

(2) المصدر السابق نفسه ص219.

كما أن ارتفاع مستوى هرمونات الأدرينـالين، والنورأدرينـالين، والـدوبامين (الكاتيكولامينات) قد تؤدي إلى انقباض بالأوعية الدموية، وارتفـاع ضـغط الـدم الـشرياني، وزيـادة سـرعة ضـربات القلـب، وانقباضـه، وقـد يعـاني المـريض مـن اضطرابات بنظم القلب، وزيادة عدد الصفائح الدموية، وزيادة تجمعهـا، ممـا يـؤدي إلى زيادة تجلط الدم[1].

*****

(1) ومن الأمراض التي تسبب زيادة هذه الهورمونات، كما يـذكر المختـصين: وجـود ورم بلـب الغدة الكظرية (الفيوكروموسيتوما) ومن أهم أعراضه ارتفاع ضغط الدم بصورة مقلقة لا يستجيب للعلاج التقليدي مع زيادة في ضربات القلب وإفراز العـرق ونقـص بـالوزن مـع صداع وآلام في الصدر أو البطن أو زيادة في سكر الـدم وقـد يعـاني المـريض مـن نوبـات تشنجية ونوبات قلق نفسي.

الباب الثالث
أهداف دراسة علم نفس النمو
من الناحية الاجتماعية

مقدمة الباب الثالث

يشهد علم نفس النمو في العصر الحاضر تطور ملحوظ، وذلك في بداية القرن التاسع عشر، وذلك بين الحربين العالميتين الأولى [1]، والثانية [2]، وذلك بسبب قيام مدارس ومعاهد لدراسة الأطفال ورعايتهم، كما قامت تلك المعاهد بإجراء عدة أبحاث، شملت النمو العقلي، والعضوي، والنمو الشخصي، بالإضافة إلى دراسات مقارنة في مجالات اللغة، والدافعية والانفعال والإدراك والتعلم، والنمو الخلقي، وقد نشطت الدراسات النفسية والاجتماعية في خلال تلك الفترة، مما أدى إلى جمع كمية ضخمة من المعلومات حول هذا المجال.

ولم تستعد حركة علم نفس الطفل نشاطها، إلا في مطلع الخمسينات وذلك بعدما تم فحص المناهج التعليمية ومن ثم تم طرح مناهج مشددة في العلوم والرياضيات والاجتماع، وتم رصد أموال ضخمة لدراسة ظاهرة التعلم، مما ساهم في خلق الحاجة إلى المزيد من العلماء المتخصص في دراسة علم نفس الطفل، وتضافرت الجهود وتوسعة في المجال التربوي، مما دفع بالحكومات إلى رصد أموال كبيرة وذلك لتمويل تلك الدراسات وتطويرها ولم يحل عام 1970 م حتى أصبحت العلوم الإجتماعية وخاصة علم النفس النمو، في العالم أمراً ضرورياً في مختلف الجامعات وكليات العالم، لأنها تهتم تلك العلوم بالإنسان وتخدم المجتمع

(1) الحرب العالمية الأولى هي الصراع الذي عصف بالعالم بدءاً من العام 1914م وانتهاءً بالعام 1918م، والذي نتج عن المنافسة بين الدول الاستعمارية الكبرى، ولقد أدّت الحرب إلى تغييرات جذرية في العالم، وإلى توازن غير مستقرّ اختلّ من جديد على نطاق واسع بعد 21 عاماً حين نشبت الحرب العالمية الثانية.

(2) الحرب العالمية الثانية: أيضاً هو نزاع دولي مدمر بدأ في 7 يوليو 1937 في آسيا و1 سبتمبر 1939 في أوروبا وانتهى بين عام 1945 م – 1948م باستسلام اليابان ،واحتلال القدس ، وسقوط الخلافة الإسلامية في تركيا.وبذلك أصبحت الدول الإسلامية تحت الوصاية الاستعمارية.

المدني وتنميه، كما أدرك مصممو المناهج المدرسية في العالم قيمة هذه المعرفة العلمية وأهميتها في مجال نمو ظواهر التفكير عامة والإدراك، وذلك بدءاً من قبل أن يولد الطفل وحتى نهاية سن المراهقة.

وأما على المستوى الدولي في الوقت الحاضر، وذلك عندما أدركت الحكومات بأهمية هذا الأمر وخطورته من الناحية التنموية للبلدان المستهدفة حضارياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، فقد سعة المنظمات ذات الطابع الاستعماري والإجرامي، والتي لها علاقة بالحكومات في دول العالم الشرقي والغربي، إلى تشكيل منظمات تدعي بأنها تتبنى حقوق الطفل والمرأة، وهي تقصد من وراء ذلك إفساد الإنسان فيها والتنمية البشرية بشكل عام، فقد بدأ الاهتمام بقضايا المرأة والطفل، وذلك مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام 1948م، من قبل منظمة الأمم المتحدة، وذلك لأجل أن تصبح تلك المنظمة المسؤال الأول والمرجعية في العالم، كما بدأت في طرح مواضيع ومفاهيم جديدة ومبرمجة، حول " الأسرة والمرأة " ثم بعد ذلك تم تكثيف الجهود من أجل ذلك، ففي عام 1950م حاولت الأمم المتحدة عقد الدورة الأولى لمؤتمراتها الدولية حول المرأة والأسرة، وهو بعنوان: " تنظيم الأسرة " ثم تتابعت المؤتمرات، وفي عام 1957 م عقد مؤتمرا المكسيك والذي دعت فيه إلى حرية الإجهاض للمرأة والحرية الجنسية للمراهقين والأطفال، وتنظيم الأسرة لضبط عدد السكان في العالم الثالث، وفي عام 1975 م في مكسيكو سيتي وتحت شعار (المساواة، والتنمية، والسلم)، عقد المؤتمر العالمي للمرأة الذي اعتمد خطة عمل عالمية تتبناها جميع الدول المنضمّة إلى هيئة الأمم المتحدة، ويكون هدفها ضمان مزيد من اندماج المرأة في مختلف مرافق الحياة.

وفي عام 1994 م، عقد في القاهرة مؤتمر تحت مسمى السكان والتنمية، وفي هذا المؤتمر تم الدعوة إلى حرية الجنس للمرأة، وتغيير وحدة المجتمع الأساسية،

إضافة إلى المناداة بقانونية الإجهاض، وخرج "بما يسمى بإعلان القاهرة" مما أثار جدلاً واسعاً على المستوى الدولي والإسلامي على وجه الخصوص، وذلك نظراً لما يحتويه من وثائق وتوصيات من تصعيد الهجمة الشرسة على الأديان السماوية، والقيم الإنسانية والأخلاقية.

وهذه المؤتمرات مليئة بالمصطلحات ذات المعاني المبهمة، والتي لا يمكن تحديد معانيها إلا بدقة، وهذا لا يتم إلا من خلال النظر في الوثائق الأصلية، ومن ضمن تلك المصطلحات، مثل كلمة الصحة الإنجابية و"الاختيارات الإنجابية"، ومصطلح "الحقوق الجنسية" و "كلمة المتحدين والمتعايشين" وفي هذا المعنى يفهم منه، إقرار حقوق " اللوطيين، والسحاقيات" واعتبارهم أشخاصاً طبيعيين يمارسون حريتهم الجنسية .

وفي عام 1994 م سعت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، على التأكيد على تلك المعاني المبهمة، في المؤتمرات اللاحقة إلى إقرار إعلان القاهرة وإدراجه ضمن قوانينها السارية على جميع البلدان ومنها الدول الإسلامية ... واعتبرت أي قانون يحظر الشذوذ الجنسي ينتهك الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان السياسية والمدنية.

وكان مؤتمر المرأة في بكين الذي عُقد عام 1995 م تحت عنوان: "المساواة والتنمية والسلم" وهو المؤتمر الذي ختمت به الأمم المتحدة القرن الماضي، وجرت الدعوة فيه إلى حرية العلاقات الجنسية المحرمة، واعتبار ذلك من حقوق المرأة الأساسية، الدعوة إلى تحديد النسل، الاعتراف بالشذوذ الجنسي، والسماح بأنواع الاقتران الأخرى غير الزواج، والتنفير من الزواج المبكر وسن قوانين تمنع حدوث ذلك والتركيز على التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره، وتقديم الثقافة الجنسية في سن مبكرة وفى أثناء المؤتمر خرجت أكبر مظاهرة للنساء مكونة من "7000 امرأة

تنادي بحقوق السحاق والشواذ، وتعتبر وثيقة بكين هي قاعدة العمل للمخططات وقرارات المؤتمرات السابقة وخاصة مؤتمر القاهرة.

والملاحظ على ما سبق من المشروع المقدم من هيئة الأمم المتحدة لمؤتمر السكان والتنمية في القاهرة عام 1994 م:

يعلم أن الأمر بداء ووضحاً من قبل تلك المنظمات الدولية المشبوهة، وذلك بستغلل الفرص المناسبة، وبطرق التكتيكية والمدروسة دراسة دقيقة ومبرمجة، وذلك للإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل والسعي في الأرض العربية والإسلامية الفساد، ولقد بدأت لنا معالمها واضحة، وهذا ما حذرنا الله منه في كتابه العزيز في عدة مواضع، ومن جملة تلك الآيات كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (1).

لقد أراد الله تعالى في الآية الكريمة من العباد، بأن يصلحوا في الأرض، ولا يفسدوا، لأن الإفساد في الأرض يعود على استخلاف الله للإنسان والغرض منه بالنقض، ولكن أهل الباطل - كعادتهم - لا ترضى نفوسهم بالصلاح والإصلاح، فيجتهدون في الإكثار من الإفساد فيها، ويسمون إفسادهم إصلاحا .. ويشمل ذلك الإفساد: النسل، والنفس، والعقل، والمال، إضافة إلى إفساد الدين، يستغلون خيرات الأرض وبركات السماء، لنشر فسادهم وظلمهم، وإنزال الرعب على الآمنين واستعباد الناس وإذلالهم والتكبر عليهم .

(1) سورة البقرة: آية: 205.

القسم الأول

لمحة عن أهمية علم نفس النمو

من المنظور الاجتماعي العربي الإسلامي

لقد شرع الله الزواج ورغب فيه، لا بدوافع الغريزة الحيوانية المحضة فقط، ولكن من أجل تحقيق أهداف عليا ونبيلة في المجتمع ومنها: حفظ النوع الإنساني، وابتغاء الذرية الصالحة التي تعمر الأرض، وتبني الحياة الإنسانية، وتتسلم أعباء الخلافة في الأرض لتسلمها إلى من يخلف بعدها، حتى يستمر العطاء الإنساني وتزدهر الحضارة الإنسانية في ظل المبادئ النبيلة والقيم الفاضلة الكريمة.

وفي المقابل فإن الزنا فيه مفاسد عظيمة، ومن ذلك يفسد القلب والفكر، ويوجب الذل والعار ويضيع النسل، ويخلط الأنساب وينشر الأمراض التناسلية، فهو فساد في الدين والدنيا والفرد والمجتمع، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [1] ... فالنهي عن قربان الزنا، فهو يشمل النهي عن جميع الأسباب الموصلة إليه .. وذلك عن طريق إيجاب غض البصر للذكر عن الأنثى، والأنثى عن الذكر، وذلك لقطع الطريق على والوسائل المثيرة لشهوة النفسية . وكذلك إيجاب اللباس الساتر بمواصفات خاصة، حتى لا يؤدي اللباس الغير لائق بالمرأة إلى أسباب الفتنه. كما يحرم على الرجل الاختلاء بالمرأة الأجنبية حتى وإن كانت ملتزمة باللباس الساتر، إلا بوجود أحد محارمها. كما أن للبيوت في الشريعة الإسلامية حرمة عظيمة، حيث لا يجوز دخولها دون استئذان أصحابها والسلام عليهم .. كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [2].

(1) سورة الإسراء: آية 32

(2) سورة النور: آية: 27.

كما أحاط الإسلام، العلاقة بين الذكر والأنثى، بمجموعة من المبادئ والآداب والقيم الأخلاقية، والتي تضمن تحقيق الأهداف العالية والنبيلة لهذه العلاقة، وتستبعد الممارسات الفوضوية وللا أخلاقية للعلاقات بين الجنسين ... ومن أجل تحقيق هذا المقصد شرع الإسلام المبادئ والتشريعات التالية:

- **شريعة عقد الزواج.**
- **العناية بتربية النشء، وتعميق روابط الألفة.**
- **العناية بالأسرة وإقامتها على أسس سليمة، باعتبارها القاعدة الأولى التي. تحتضن جيل المستقبل ويتربى فيه.**
- **تحريم الاعتداء على الأعراض.**

كما هو شأن الإسلام دائما مع النزعات الفطرية للإنسان حيث يبيح إشباعها ويلبي مطالبها ضمن الحدود المعقولة، مع التهذيب والترشيد، حتى تستقيم وتحقق الخير للإنسان ولا تعود عليه بالشر، لذا نجد الإسلام قد اهتم بسلامة النسل عقلا وجسدا قبل مولده، وحرص على هذا التكوين ووضع أسسه لأجل تكوين البناء الإنساني، روحياً، وعقلياً، وعقائدياً، وجسدياً، ووجدانياً، وانفعالياً، واجتماعياً ...ولذا لم تتوقف وظائف الأسرة في الإسلام عند هذا الحد، بل رسم لنا أسس هذه التربية وقواعدها في البناء الإنساني الجسدي والروحي، والعقلي، والنفسي، والاجتماعي، والانفعالي والوجداني.

الغرائز الفطرية ومدى ارتباطها بالنمو الاجتماعي

إن الحقيقة التي ينبغي أن نضعها أمام أنظارنا هي أن الوقوف بوجه الغرائز ومحاولة استئصالها، أو قمعها، أو بترها أمرٌ ضار جداً، ومخالف للطبيعة البشرية، لأن الغرائز لا يمكن قهرها أو إلغائها، بل يمكن السمو بها وتوجيهها وجهة الخير لكي تعود على أبنائنا بالفائدة التي من أجلها ولدت معنا هذه الغرائز، فمن المعلوم

أن كل شيئ في الوجود يحوي على النواحي الإيجابية والنواحي السلبية، ولاشك أن دورنا كبير، وأساسي في التركيز على الجوانب الإيجابية لهذه الغرائز، وحثّ أبنائنا على التمسك بها، والتقليل من تأثير الجوانب السلبية وبهذا نستطيع خلق الظروف الصحية لنمو أبنائنا أخلاقياً ونفسياً وجسمانياً، ولاشك أن هذا العمل ليس بالأمر الهين، وهو يتطلب منا عملاً مثابراً ومتواصلاً حتى نستطيع أن نوصل أبناءنا إلى شاطئ السلامة والأمان[1] .. وإن معالجة هذه الحالات لدى الأطفال والمراهقين تتطلب دراسة شاملة لأحوالهم الأسرية بغية التعرف على مسببات تلك المشاكل وعلاجها.

غريزة التناسل هي من الأمور المهمة في نمو المجتمع، ومن الطبيعي لدى الإنسان والحيوان أن يفكر بهذه الغريزة الحيوانية، إذا بدون هذه الغريزة لا يتكون هذا الإنسان ولا الحيوان وهذا الأمر سنة الحياة ... كما أن فقدان الوعي الجنسي الشرعي والصحي لدى المراهقين بصورة خاصة، يشكل خطراً عليهم وعلى المجتمع، وذلك ما نراه اليوم ونسمعه من انتشار الأمراض الفتاكة والمتشرة بشكل خطير في أنحاء العالم، وذلك بسبب الإتصال الجنسي المحرم أو إنتقال العدوى بين أحد الزوجين، والتي تنتج عنها أمراض جنسية كمرض (فقدان المناعة) الذي بات يهدد حياة مئات الملايين بالموت المحقق، وحيث لم يتوصل العلم لحد الآن إلى علاج شافٍ له، أو الوقاية منه، والذي يمكن أن يُنقله المصابون للآخرين الذين لا يملكون المعرفة والخبرة الكافية لتجنب هذا الوباء الوبيل.

(1) حامد شريف سليمان الحمداني من مواليد مدينة الموصل 1932: كيف نربي أبناءنا ـ دراسة تربوية ـ ويقع في 144 صفحة من القطع المتوسط بتصرف

ويعتبر مرض نقص المناعة المكتسب "الإيدز" [1] من أكثر الأمراض انتشارا في العالم فقد بلغ عدد المصابين بعدوى الإيدز حتى نهاية عام 2003م نحو أربعين مليون (34_ 46)50٪ منهم من النساء 'وتشير (تقارير منظمة الصحة العالمية who) إلى أن ما يزيد عن 95٪ من الإصابات تتركز في الدول النامية... ومازال هذا الوباء اخذ بالانتشار على الصعيد العالمي إذ أصيب قرابة 5 مليون (4,2 _5,8) شخص بعدوى المرض خلال عام 2003 وبلغ عدد الوفيات في العام نفسه 3 مليون (2,5 مليون _305) مليون شخص 48٪ منهم من النساء .. كما أن العلاقات الجنسية غير السوية لا تمر دون أمراض وأوجاع، ولأنها دائمًا ما تمتزج بتعاطي العقاقير والمخدرات، فإن الأخطار دائمًا ما تكون أكبر.

إن النقطة المفصلية بين الثقافة الإسلامية، والغربية هي في المرجعية حيث نستمد مرجعيتنا من المنهج الرباني في الفكر والتصور، وهم يستمدون مرجعيتهم من النظريات البهيمية المادية، كما أن نؤمن بأن الإنسان لم يخلق عبثا، وأن نموه مرحليا وطبيعيا من حقة علينا ومن سنة الكون، أما الفلسفات المتعددة.. فهي تخلط بين الأوراق وتنادي بتقديم ثقافة مرحلة لمرحلة وتنتزع براءته قسرًا تحت مزاعم الحرية وتقذف به إلى ممارسات بهيمية وكأنها تعتسف النمو الطبيعي للإنسان، وتحت بند الحرية الشخصية المفتوحة كذلك، شاع في الغرب مظاهر للانحلال الأخلاقي وفوضى العلاقات الجنسية والشاذة تدعمها فلسفات ونظريات وآراء تدعو إلى التحرر والعبثية والنفعية واللذة والبحث عن المتعة كغاية عليا.. وساهمت وسائل الإعلام في التسويق الإعلامي لجسد المرأة ومستلزمات إظهار مفاتنها وإضفاء الشرعية على صور الحرية المطلقة تحديداً منذ فترة الستينيات من القرن العشرين وحتى يومنا هذا. دون النظر إلى العواقب الوخيمة لهذه القسوة على حياة

---

(1) كلمة ((إيدز)) هي عبارة للأحرف الأولى للكلمات التي يتكون منها اسم المرض بالإنجليزية؟ ومعناه في العربية ((نقص المناعة المكتسب)) أو ((انهيار المناعة المكتسب.

الأفراد والمجتمعات والتي تعترف هي ذاتها بالإحصاءات المخيفة عن جرائم الاغتصاب والأطفال اللقطاء والشذوذ والمخدرات والدعارة والطلاق والقتل والأمراض العصبية والنفسية والجنسية.

كما تعتبر هذه الغريزة من أقوى الغرائز البشرية وأخطرها في الوقت نفسه، أنها غريزة البقاء للجنس البشري، والتي تتشابك مع غريزة الأبوة والأمومة لتكونا معاً اتحاداً مقدساً يجمع بين الذكر والأنثى لكي تنشأ الخلية الصغيرة في مجتمعنا أي (الأسرة) حيث يكّون مجموع الأسر المجتمعات البشرية .. كما تبدأ هذه الغريزة بالظهور منذ مراحل الطفولة الأولى بشكل بسيط وبدائي في بادئ الأمر، لكنها سرعان ما تتطور في بداية مرحلة المراهقة وتشتد عنفواناً، حيث تجد الأبناء يميلون إلى الجنس الآخر (الذكر والأنثى) ويأخذ الجنس بالسيطرة على تفكيرهم باستمرار، ولذلك فأن مرحلة المراهقة تعتبر اخطر مراحل النمو، وأكثرها حاجة لإشراف الأباء والأمهات والمربين وتقديم النصائح والإرشادات للمراهقين غير مكتملي النضوج والذين يمكن أن يتعرضوا لأخطار كثيرة إذا أهملنا واجبنا كمربين وتركناهم يتخبطون في سلوكهم وتصرفاتهم.

ينبغي توضيح مفهوم النشاط الجنسي للمراهق من منطلق معقول مع تبيين خطورة الممارسة الجنسية الغير مشروعة من الناحية الصحية والشرعية، وتعريف المراهق بالأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس، وخاصة الإيدز وغيره من الأمراض الخطيرة على المراهق هو في بداية حياته، والتنبه للمفاهيم المجتمع الغربي حول الجنس مع التوضيح بأن هذه العادات سيئة على أنفسنا ومجتمعاتنا الإسلامية كما يتزايد اهتمام المراهق، بالجنس في مرحلة البلوغ المبكر لأن موضوع الجنس أمر طارئ عليه، وذلك بحدوث القذف الأول مرة من خلال الاحتلام في النوم أو العادة السرية.

تعمل التربية الإسلامية على، إعطاء الإجابة الواضحة، عن الأسئلة والمخاوف والفضول المرتبط بالجنس، كما تبين هذه القضايا للطفل حسب سنه ومدركاته. وعندما يشارف الطفل سن البلوغ هناك شرح لوظائف جسم الإنسان والتغيرات التي ستطرأ عليه بشكل علمي ومبسط وطبيعي ليتقبل الطفل هذه التغيرات بشكل إيجابي، ويعلم الأحكام الشريعة من طهارة وتكاليف مترتبة عليها .. وقد يعرف الطفل هذه الأمور فطرياً دون تعليم.

وهنا تبدأ التأكيدات على أهمية غض البصر والبعد عن المثيرات السمعية والبصرية ما أمكن، واعلاء الجانب الإيماني عن طريق التذكير برقابة ومعية الله، والصوم واستفراغ الطاقة فيما عمل أو حرفة أو أعمال البر، مع ربط الولد والبنت بالمساجد والصحبة الصالحة ودروس العلماء، وشغل أوقات الفراغ بما يعود بالنفع على الفرد وأسرته ومجتمعه إن تيسر، مع تشجيع اليافعين على ممارسة الرياضة وارتياد المعسكرات والرحلات والأنشطة التطوعية .. كما تعمل التربية الإسلامية على تبصير هذه الشريحة بالعقبات المنهي عن الإقتراب منها وما تحمل من عواقب وخيمة: "ولا تقربوا الزنى" أو العلاقات المنحرفة الشاذة، وتفتح في المقابل الباب للتشجيع على الزواج للإحصان إن استطاع الفرد المقدرة، بل وحث المجتمع على تقليل موانع الزواج وتيسير سبله .. وعندما يقبل الفتى أو الفتاة على الزواج توفر لهم الشريعة الربانية هذا الجانب التثقيفي الخاص بتلك العلاقة النظيفة الجميلة التي امتن الله بها على عباده وجعلها آية من آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1] . ومعنى الآية، أن خلق لأجلكم من جنسكم - أيها الرجال- أزواجًا؛ لتطمئن نفوسكم إليها وتسكن،

(1) سورة الروم آية 21.

وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة، إن في خلق الله ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون، ويتدبرون.

فيعرف الزوجان الحقوق والواجبات لكل منهما، والحقوق والواجبات المشتركة ويتعرفان على آداب تلك الصحبة والمعاشرة بالمعروف والإحسان لتبقى العلاقة الزوجية محفوفة بالعلم الصحيح ومصونة من الإبتذال والعبث والتدني: بل إن التربية الإسلامية حافلة بالنصوص من القرآن الكريم والسنة المطهرة توضح الثقافة الجنسية المشروعة بعيدا عن اللبس أو الفهم المغلوط.

لقد أهتم الشارع الحكيم بهذه التفاصيل اهتماماً دقيقاً، حيث يتابع مرحلة النمو أولاً بأول، وهي الفترة التي يتحول فيها الجسم من جسم الطفل، إلى جسم الإنسان البالغ أو الناضج .. وتحدث خلال هذه الفترة تغيرات في جسم الإنسان، تمكنه من القدرة على النمو والتكاثر، كما يساهم في ذلك عدة عوامل تسبقها في بداية التكوين، منها داخلية ومنها خارجية، فالله جل وعلا هو خالق الإنسان وهو أعلم به وبتكوينه وتخليقه في رحم أمه وكذلك في تحديد شكله وصورته وبما يؤل إليه هذا المخلوق .. ولقد فصل الله ذلك بما لايدع لشك مجال، ولا يشك في هذا الأمر إلا معاند ومكابر وجاحد، بآيات الله وقدرته، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾[1].

---

(1) سورة الحج: آية5

يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن الله يُحيي الموتى فإنَّا خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم تناسلت ذريته من نطفة، هي المنيُّ يقذفه الرجل في رحم المرأة، فيتحول بقدرة الله إلى علقة، وهي الدم الأحمر الغليظ، ثم إلى مضغة، وهي قطعة لحم صغيرة قَدْر ما يُمْضَغ، فتكون تارة مخلَّقة، أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حيًا، وغير تامة الخلق تارة أخرى، فتسقط لغير تمام؛ لنبيِّن لكم تمام قدرتنا بتصريف أطوار الخلق، ونبقي في الأرحام ما نشاء، وهو المخلَّق إلى وقت ولادته، وتكتمل الأطوار بولادة الأجنَّة أطفالا صغارًا تكبَرُ حتى تبلغ الأشد، وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل، وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك، وبعضهم يكبَرُ حتى يبلغ سن الهرم وضَعْف العقل ؛ فلا يعلم هذا المعمَّر شيئًا مما كان يعلمه قبل ذلك ... ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [2].

أ- العلاقة بين الرجل والمرأة

اعتنى الإسلام بالعلاقة بين الرجل والمرأة وذلك عن طريق رابط شرعي يكون بينهما، لإعمار الكون، وهذه سنة الحياة البشرية، كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[3].

ولقد اهتم الإسلام في تشريعاته ومبادئه وتعاليمه أجل الاهتمام بأحوال الأسرة وحقوقها وواجباتها . وهذا النظام معروف منذُ القدم وهو نظام إسلامي، وأما ما يعرف بمصطلح الأحوال الشخصية، فهو مفهوم جديد، وقد وفد مع

---

(1) سورة الملك: آية14

(2) سورة آل عمران: آية 6

(3) سورة النساء: آية1

القوانين الأجنبية إلى العالم العربي بين مطلع القرن الثامن أو التاسع عشر، وذلك بعد الحملة الفرنسية على العالم العربي والإسلامي، ويقال أن أصله اصطلاح إيطالي ابتدعه الفقهاء الإيطاليون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر حلاً لمشكلة تنازع القوانين، ثم انتشر بعد ذلك وعم كل القوانين الأجنبية الأخرى. ومنذ نشوء هذا المصطلح في الفقه الأجنبي والفقهاء مختلفون في تحديد نطاقه ومضمونه، مع اتفاقهم على إطاره العام. فالأحوال عندهم نوعان:

- **نوع ذو طابع شخصي ويُسمى بالأحوال الشخصية**
- **ونوع ذو طابع مالي يسمى بالأحوال العينية.**

ولقد بين الإسلام أن اللبنة الأولى في بناء المجتمع هي الأسرة، وأن المودة والرحمة هما أساس الحياة الزوجية، كي يسكن كل إلى الآخر ويطمئن إليه كما قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1).

ب ـ تكوين الأسرة

أساس تكوين الأسرة الزواج، وهو النظام الاجتماعي التي تبدأ به الأسرة وتبنى عليه، والزواج ضرورة اجتماعية لصالح المجتمع، لأنه ينظم العلاقات بين الذكور والإناث ،كما أنه يؤدى إلى عمران المجتمع بالناس الذين لولاهم لما تكون المجتمع.

ولقد أراد ديننا الإسلامي العظيم للأسرة أن تنعم بالحياة الوادعة وأن يكون شعارها الذي تبنى عليه الأسر، المودة والرحمة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ

(1) سورة الروم: آية 21

﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [1].

قيل أن: المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض . وقال ابن عباس ومجاهد: المودة الجماع، والرحمة الولد . وقال السدي: المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة[2]. وفي ظل هذه الآية الكريمة جعل الله ميثاق الأسرة هو المودة والرحمة.

الأسرة في اللغة: هي الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، والجماعة التي يربطها أمر مشترك، والجمع أسر، كما في الوسيط.[3] واصطلاحا: هي أصغر وحدة في النظام الاجتماعي. والأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع وهى البناء الاجتماعي السائد على امتداد التاريخ.

ج- أحكام الزواج قبل الدخول

1- أساس الاختيار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك[4].

2- رؤية كل منهما الآخر قبل الخطبة، عن المغيرة بن شعبة، قال: خطبت امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنظرت إليها ؟ قلت: لا، قال: فانظر إليها، فإنه أجدر أن يؤدم بينكما[5].

(1) سورة الروم الآية 21

(2) تفسير القرطبي ج14ص17.

(3) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، دار المعارف، مادة (أسر) 1 / 17.

(4) أخرجه البخاري (3 / 417) ومسلم (4 / 175) .

(5) أخرجه الترمذي1087 قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن.وأبن ماجة1866 والنسائي6/ 69، والدارمي 2172 .

3- وعن عروة مرفوعا: إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها ". قال عروة: " يعني تيسير رحمها للولادة. قال عروة: وأنا أقول من عندي: من أول شؤمها أن يكثر صداقها "[1].

عن سهل بن سعد الساعدى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاءته امرأة، فقالت: يا رسول الله، إني قد وهبت نفسي لك، فقامت قياما طويلا، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، زوجنيها، إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟ فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أعطيتها إياه، جلست لا إزار لك، فالتمس شيئا، فقال: ما أجد شيئا، قال: التمس ولو خاتما من حديد، فالتمس فلم يجد شيئا. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل معك من القرآن شيء؟ فقال: نعم، معي سورة كذا، وسورة كذا، لسور سماها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أنكحتكها بما معك من القرآن[2].

د- الحث على التكثير من النسل

وقد حث الشارع الحكيم على الزواج الشرعي، لأجل تكوين ذرية على أساس قوي ومتين من القيم والأخلاق الحميدة الطاهرة النظيفة، ولأجل ذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الزواج من النساء الولود، كما جاء عن معقل بن يسار، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب، إلا أنها لا تلد، أفأتزوجها ؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فنهاه، فقال: تزوجوا الولود [3] الودود [1]، فإني

(1) أخرجه ابن حبان (1256) وأخرجه الحاكم (2 / 181) وقال: " صحيح على شرط مسلم ". ووافقه الذهبي . وحسنه الألباني.

(2) أخرجه البخاري 3/ 132(2310) ومسلم 4/ 143(3471) وفي 4/ 144(3472) .

(3) (الولود): أي كثير الولادة .

مكاثر بكم[2] ... وعن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهيا شديدا، ويقول: تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة[3].

قال صاحب عون المعبود في معنى: (الولود): أي التي تكثر ولادتها . وقيد بهذين لأن الولود إذا لم تكن ودودا لم يرغب الزوج فيها، والودود إذا لم تكن ولودا لم يحصل المطلوب وهو تكثير الأمة بكثرة التوالد، ويعرف هذان الوصفان في الأبكار من أقاربهن إذ الغالب سراية طباع الأقارب بعضهن إلى بعض ويحتمل والله تعالى أعلم أن يكون معنى تزوجوا اثبتوا على زواجها وبقاء نكاحها إذا كانت موصوفة بهذين الوصفين قاله في المرقاة.

وقال في فيض القدير: (تزوجوا الودود) المتحببة لزوجها بنحو تلطف في الخطاب وكثرة خدمة وأدب وبشاشة (الولود) ويعرف في البكر بأقاربها فلا تعارض بينه وبين ندب نكاح البكر قال أبو زرعة: والحق أنه ليس المراد بالولود كثرة الأولاد بل من هي في مظنة الولادة وهي الشابة دون العجوز الذي انقطع نسلها فالصفتان من واد واحد (فإني مكاثر بكم) أي أغلب بكم الأمم السابقة في الكثرة وهو تعليل للأمر بتزويج الولود الودود وإنما أتى بقيدين لأن الودود إذا لم تكن ولودا لا يرغب الرجل فيها والولود غير الودود لا تحصل المقصود دون كلاهما في النكاح[4].

---

(1) (الودود): أي كثير المحبة للزوج

(2) أخرجه أبو داود (2050) والنسائي6/ 65 .

(3) قال الحافظ في (فتح الباري 9/111) ** صحيح وقال في "البلوغ" 1 / 201: صححه ابن حبان.

(4) فيض القدير: ج3ص318

هـ- أهداف العلاقة بين الزوجين

لقد شرع الله الزواج لأهداف اجتماعية متعددة، وقد ذكر الباحثون الكثير من تلك الأهداف ومن جملتها نذكر منها ما يلي:

- **تكاثر النسل.**
- **و منها الحفاظ على النوع الإنساني .**
- **و منها إنجاب الذرية .**
- **ومنها تحقيق العفاف، وصون الإنسان عن التورط في الفواحش والمحرّمات.**
- **ومنها التعاون بين الرجل والمرأة على شؤون العيش وظروف الحياة والمؤانسة.**
- **ومنها إيجاد الود والسكينة والطمأنينة بين الزوجين.**
- **ومنها تربية الأولاد تربية قويمة في مظلة من الحنان والعطف.**

وقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1). مفهوم الآية الكريمة أن الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة" انتهى (2).

(1) سورة الروم/ 21

(2) تفسير السعدي (1/ 639)

وقد ذكر أهل العلم عن الأنكحة المؤقتة، ومنهم زواج المتعة حيثُ قال الإمام مالك: ليس هذا من أخلاق الناس ... وقال الإمام الأوزاعي عن نكاح المتعة، أنه لا خير فيه.

هذا عن نكاح المتعة، فماذا لو كان نكاح ما يسمى بالمسيار في عصرهم، فماذا كان قولهم فيه بالطبع الحكم عليه بأنه من البدع المحدثة، حتى لو قيس المسيار، بالمتعة، لوجدنا أن المتعة كانت جائزة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم حرمها الله تعالى، وحرمها الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن فيها إهانة للمرأة وحقوقها، بالقياس مع أهداف الزواج، كما أن هذا النكاح، يسبب إضطراب إجتماعي، ويجعل المرأة شبيها بالسلعة والمتاع، مما يعرض الأعراض إلى خطر التلاعب فيها من قبل السماسرة وأصحاب الأموال من الطبقة الغنية، كما أن هذه الطريقة، لا تحقق المصلحة العامة للمجتمع، وإنما تحقق مصلحة شخصية ضيقة، وهذا مخالف لما يهدف إليه الإسلام، من حفظ العرض، وغيرها من الأهداف العالية والسامية، لقوله صلى الله عليه والسلام: تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة.

و- أنكحه محرمة في الشريعة الإسلامية مؤثرة على النمو الاجتماعي

ومن ذلك:

1- نكاح المتعة

وهو: أن يتزوجها لمدة معينة ثم بعد ذلك يزول النكاح؛ كأن يتزوجها شهراً أو شهرين أو ثلاثة، أو ما أشبه ذلك لمدة يتفقان عليها، هذا يقال له: نكاح المتعة.وقد أبيح في الإسلام وقتا ما، ثم نسخ الله ذلك الحكم، وحرمه على الأمة فعن أبي نضرة، قال: قلت لجابر بن عبد الله: إن ابن الزبير ينهى عن المتعة، وإن ابن عباس يأمر بها، قال: فقال لي: على يدي جرى الحديث: تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومع أبي بكر – فلما ولي عمر خطب الناس، فقال: إن القرآن هو القرآن، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرسول، وإنهما كانتا

متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إحداهما متعة الحج، والأخرى متعة النساء[1].

2ـ نكاح التحليل

وهو نكاح يفعله من حَرُمَتْ عليه زوجته بالطلاق بالطلقة الأخيرة الثالثة ؛ بعض الناس لضعف إيمانه، وقلة خوفه من الله عز وجل يتفق مع شخص آخر ليتزوجها، فإذا دخل بها ووطئها فارقها ؛ حتى يعود إليها زوجها الأول، وهذا هو النكاح الذي يسمى: نكاح التحليل، وقد ثبت عن علي رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة: آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، والحال، والمحلل له، ومانع الصدقة، والواشمة، والمستوشمة[2].

وفي رواية قال: ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل، والمحلل له[3].

3ـ نكاح الشغار

ويسمى عند بعض الناس: نكاح البدل: وهو نكاح يشترط فيه كل واحد من الوليّين نكاح الأخرى، فيقول أحدهما للآخر: زوّجني وأزوجك ؛ زوجني بنتك وأزوجك بنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي، أو زوج ابني وأنا أزوج ابنك، أو زوجني وأنا أزوج ابنك، أو زوج ابني وأنا أزوجك، أو أزوج أخاك، أو ما أشبه ذلك، هذا هو الشغار.

عن الأعرج: أن العباس بن عبد الله بن عباس، أنكح عبد الرحمن بن الحكم، ابنته، وأنكحه عبد الرحمن ابنته، وكانا جعلا صداقا، فكتب معاوية

(1) أخرجه أحمد / 52 (369)

(2) أخرجه الترمذي 1119 وأبو داود 2077 وابن ماجة 1935 والنسائي 8/ 147.

(3) أخرجه ابن ماجة (1936)

إلى مروان، يأمره أن يفرق بينهما، وقال في كتابه: هذا الشغار الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

4ـ نكاح المسيار

هذا المسمى أي "نكاح المسيار" هو من المسميات المحدثة التي حدثت في هذا الزمان، وهو من ضمن التشريعات الوضعية، التي أحدثها أصحاب الأهواء والزندقة في هذا العصر، كما يتساءل الكثير عن هذا النوع من النكاح، هل كان معروفاً في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؟ أو في زمن الخلفاء الراشدين؟ وهل أفتى به أحد من التابعين من أهل الحديث أو أهل الفقه المعتبرين؟ إلى غير ذلك من التساؤلات المطروحة على المجيزين لهذا التشريع الجديد، الذي لهُ علاقة بحفظ النسل والنمو الصحيح للمجتمعات العربية والإسلامية، وإن الذين أحدثُ هذا النكاح يريدون إفساد مجتمعاتنا العربية والإسلامية، من أجل إشباع غرائزهم ونشر الفوضى التناسلية في المجتمعات.

وللأسف أن الذي يقول بمشروعية هذا النكاح، هم جماعة ممن ينتسبون إلى أهل العلم، والظن في بعضهم أنهُ ملبس عليه، وأما البعض الأخر فهم من الذين، جعلوا من الدين مطية لأهوائهم في هذا العصر، يحلون من الدين ما يشتهون، ويحرمون ما لا يوافق عليه أهوائهم كأن الدين والإسلام ملك أبائهم، وهذا ما يزينهُ الشيطان لهم، كما زين لليهود تحريف الكتب السماوية، فضلوا وأضلوا.

كما أن مصطلح ما يسمى "بالمسيار" لم يكن متعارف عليه عند العرب، وإنما اشتهر هذا المصطلح في اللهجات العامية عند بعض المجتمعات في شبه الجزيرة العربية، وذلك أن الرجل إذا توافق مع من يريد القران بها على هذا الشرط، يقوم بالسير إليها في أي وقت شاء، دون إعطائها ليلة، مع زوجته الأخرى، إذا كان معهُ زوجة غيرها.

(1) قال الألباني في إرواء الغليل على حديث رقم 1896 ((حسن)).

وكما هو معروف لدى المجتمعات العربية والإسلامية، في السابق أن هذا النكاح وهو ما يسمى (بالمسيار) لم يكن معروف بهذه التسمية المبتدعة، ولم يكن مذكوراً في كتب الفقه، وإنما إحدث في هذه العصور المتأخرة، التي ضعف الإيمان فيها، والذي أدى هذا الضعف إلى احتلال البلدان العربية والإسلامية، وكما هو معروف عن الدين الإسلامي العظيم، أنهُ لم ينزل إلا من أجل إقامة العدل والإحسان بين الناس، وكذلك من أجل أن يحفظ العرض ويحفظ شرف المرأة، وهذا النكاح المزعوم إنما هو نقيض لروح الإسلام وتعاليمه السمحة، وهذا النكاح المزعوم أيضاً، تنتفي فيه عرى التساكن التي يتوخاها الإسلام.

ولذلك ما حدث مثل هذا النكاح إلا نتاج طبيعي لمجتمعات نشأة لا هم لها غير شهوة فروجها، وأن عقلية بعض المجتمعات العربية لا تتعدى وللأسف مابين السرة إلى الركبة، ولا غرابة أيضاً عندما يكون حكام يمارسون أبشع القمع على مواطنيهم، أو الجور على المرأة في كبت أنفاسها، بأن تنتج عنه مثل تلك التصرفات، إن نشر مثل هذه الثقافة في المجتمعات العربية والإسلامية أمراً خطير للغاية، لما لهُ علاقة على موضوعنا هذا هو علم نفس النمو، كما أن الإسلام وتعاليمه السامية بريء من تلك الممارسات.

5ـ شبهة المجيزين لنكاح متعة المسيار

و عن عائشة ؛ رضي الله عنها ؛ في قوله عز وجل: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [1] قالت: نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلعله أن لا يستكثر منها، وتكون لها صحبة وولد، فتكره أن يفارقها، فتقول له: أنت في حل من شانى ... وفي رواية: فتقول: امسكني، واقسم لي ماشئت. قالت: فلا باس إذا

(1) سورة النساء آية 128 تكملة الآية: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

تراضيا ...وفى رواية: فتقول: لا تطلقني وامسكني، وأنت في حل من النفقة والقسمة لي[1].

وعن عروة، قال: قالت عائشة: يا ابن أختي؛ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في القسم، من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومي لعائشة . فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، قالت نقول في ذلك انزل الله تعالى وفى أشباهها اراه قال ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾...[2][3].

وهذا الحديث ليس فيه مشروعية نكاح أخر غير النكاح الشرعي المعروف، كما أن سودة على ذمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم ينشئ عليها عقد جديد غير العقد الأول، أو سمية هذه الحالة بتسمية جديدة عند السلف، وإنما يفهم من الأثر السابق، أن الرجل قد يرى أن زوجته قد كبرت في السن ولا يرغبها، فتخشى أن يطلقها فتشترط عليه أبقائها على ذمته . كما في سياق الأثر السابق، وقد يكون لرجل عدة نساء معقود عليهم عقد مشروع فتتنازل المرأة عن ليلتها وحقها، فلا بئس به بمفهوم الأثر، وليس في الأثر السابق نكاح جديد كما يزعم المجوزون لهذه المهزلة، وهي مهزلة زواج المسيار.

خلاصة القول: تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية وقيمة الإنسان في المجتمع، فالأطفال هم زينة الحياة الدنيا وريحانتها، وهم عدة وعتاد الأسرة والمجتمع

(1) أخرجه البخاري 3/ 240 وفي6/ 62 وفي 7/ 21 ومسلم 8/ 241 والنسائي في الكبرى (6/ 329) و(ابن ماجة) 1974

(2) سورة النساء آية 128 تكملة الآية

(3) أخرجه أحمد 6/ 107 وأبو داود 2135

لأجل بناء المستقبل، ولهذا تحتل الدراسات عن الأسرة والطفل والمراهق، في الماضي والحاضر مكاناً مرموقاً في جميع المجتمعات، ذلك لما لهذا الموضوع من أهمية في تأثيره على شخصية الفرد وسلوكه وقيمه وخبراته .. كما أن لهذا الموضوع أهمية كذلك لأجل التفريق بين مرحلة وأخر، وكذلك لفهم المراحل العمرية، لأجل التربوي في المدرسة، أو الطبيب في العيادة، أو الأسرة في المنزل، وغيرهم من المهتمين بهذا الشأن، فعملية النمو عملية مرحلية، وعملية تكاملية بين الفرد والأسرة والمجتمع، خلق الله تعالى الغرائز في الإنسان والحيوان، وهذه الغريزة إما فطرية وإما مكتسبة، والغرائز هي مجموعة من الميول غير الواعية الكامنة في النفس البشرية، والتي توجه السلوك الإنساني وجهة معينة. كما أن في الإنسان غرائز كثيرة أوجدها الله تعالى فيه، لأجل مساعدة الإنسان لدفعه أن يعيش، ويحفظ نفسه ويبقى نسله وهذه الغرائز لا يمكن إخمادها، ولا يجوز السعي لذلك، لأنها ضرورية لبقاء الحياة ومن المضر أن نحاول كبتها إذا توفرت الدواعي الشرعية في تفريغها. إنّ معرفة الإنسان لنفسه ميزة بشرية لا يملكها الحيوان، استفاد منها الإنسان في جملة من أموره، وأهمها: هي مراقبة سلوكه وتصرفاته ومحاولة السيطرة عليها، والاستفادة من أخطائه وعدم تكرارها، والاستفادة من أخطاء غيره وعدم الوقوع فيها، والتحلي بالعادات الفاضلة والتخلي عن العادات السيئة.

*****

القسم الثاني

الأساليب التربوية

وعلاقتها الاجتماعية بعلم نفس النمو

تعد التربية من الأمور الأساسية التي توليها الأمم اهتمامًا خاصًا، لأجل أن يجد الإنسان ما يحقق ميوله ورغباته، ويحدث عنده التوازن المطلوب الذي من خلاله يدرك رسالته في هذا الكون بوضوح، وهي ارتباط الإنسان بالله، وذلك من خلال عبادة الله على علم وهدى وبصيرة، وكذلك ارتباط الإنسان مع مجتمعه الذي يعيش فيه ويتكيف ويتفاعل معه، وكذلك ارتباط الإنسان مع نفسه، وتفاعله مع أهدافه التي يطمح الوصول إليها، وهذا يجعلنا نقف على أهمية الدور الرائد الذي يمارسه الآباء والأمهات، والمعلمين في هذا الأمر المهم والخطير، وقد اضطلعت الجامعات والكليات المتخصصة بدور الإعداد والتأهيل ... وفي مقابل ذلك تبدو خطورة الآباء والأمهات والمعلمين السلبيين الذين لا يستطيعون إيصال الرسالة المطلوبة منهم ولا التفاعل معها، بشكل إيجابي .

الفصل الأول
السيكولوجية التربوية
في ظل النظريات المعاصرة

إن المدارس التي تهتم بالعلوم الإنسانية أصبحت اليوم كثيرة ومنتشرة في العالم، كما أصبحت من المواد الضرورية في كل جامعة وكلية بل أصبحت العلوم الإنسانية ضرورية في جميع مجال الحياة العلمية والعملية، كما أن هناك خمسة اتجاهات أساسية قامت بتطوير هذا المجال العلمي حتى أصبح على ما هو عليه اليوم، كما أن لكل اتجاه من تلك الاتجاهات له فرضياته الخاصة به وقد تتفق تلك النظريات من ناحية العموم وقد تختلف، وكذلك في جزئياتها كذلك.

كما نتوقف عند النظريات المساهمة في هذا المجال، ومن أبرز من ساهم في فصل علم النفس عن الفلسفة وتأسيس علم النفس كعلم مستقل الفيلسوف الفرنسي ديكارت[1] وهو صاحب النظرية في تفسير السلوك والخبرات عن طريق فعالية أجهزة الحس والجملة العصبية والعضلية، وقد اعتبر ديكارت الشعور من أهم خاصيات العقل، ووضع نظرية الفعل المنعكس في علم النفس الفيزيولوجي، وأصحاب المدرسة الربطية الإنكليزية مثل جون لوك [2] وهيوم [1] وسبنسر[2]

(1) رينيه ديكارت René Descartes ولد (31 مارس 1596 – 11 فبراير 1650) يعرف أيضا بكارتيسيوس Cartesius فيلسوف فرنسي يعتبر من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة . يعتبر أهم و أغزر العلماء نتاجا في العصور الحديثة. الكثير من الأفكار والفلسفات الغربية اللاحقة هي نتاج وتفاعل مع كتاباته التي درّست و تدرّس من أيامه إلى أيامنا.

(2) جون لوك (1632 – 1704) (John Locke) هو فيلسوف تجريبي و مفكر سياسي إنجليزي. ولد في عام 1632 في رنجتون Wringiton في إقليم Somerset وتعلم في مدرسة وستمنستر، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، حيث انتخب طالبا مدى الحياة، لكن هذا اللقب سحب منه في عام 1684 بأمر من الملك. وبسبب كراهيته لعدم التسامح البيورتياني

وهارتلي، الذين طرحوا مبدأ ترابط الخبرات الحسية ومبدأ السببية وترابط الأفكار وتداعيها، وعالم الفزيولوجيا الشهير دارون،[3]، وغالتون [4] ففي عام 1904م عرّف غالتون بأنه «دراسة العوامل التي يُستطاع أن تُراقب اجتماعياً ويمكنها أن ترفع الصفات العرقية للأجيال المقبلة أو تخفضها من الناحيتين الجسمية والعقلية».

عند اللاهوتيين في هذه الكلية، لم ينخرط في سلك رجال الدين. وبدلاً من ذلك اخذ في دراسة الطب ومارس التجريب العلمي، حتى عرف باسم (دكتور لوك).

(1) ديفيد هيوم (باللاتينية David Hume) فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ التنوير الاسكتلندي. اشتهر كمؤرخ بداية، لكن الأكاديميين في السنوات الأخيرة ركزوا على كتاباته الفلسفية. وكان كتابه تاريخ إنكلترا مرجعا للتاريخ الإنكليزي لسنوات طويلة. كان أول فيلسوف كبير في العصر الحديث يطرح فلسفة طبيعية شاملة تألفت جزئيا من رفض الفكرة السائدة تاريخيا بأن العقول البشرية نسخ مصغرة عن 'العقل الإلهي'. ارتبطت هذه الفكرة بالإيمان بقوة العقل البشري على اكتشاف الحقيقة بما أنه موهبة إلهية.

(2) هربرت سبنسر فيلسوف بريطاني (27 ابريل 1820 – 8 ديسمبر 1903). كان سبنسر، و ليس داروين، هو الذي اوجد مصطلح 'البقاء للأصلح'. رغم ان القول ينسب عادة لداروين. و قد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم الارتقاء، و أعطى له أبعادا اجتماعيا، فيما عرف لاحقا ب الداروينية الاجتماعية . وفي كتابه السياسي ' الرجل ضد الدولة' قدم رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها. و هكذا يعد سبنسر واحدا من مؤسسي علم الاجتماع الحديث.

(3) صاحب كتاب 'أصل الأنواع' ونظريته في النشوء والارتقاء، التي دفعت إلى دراسة سلوك الحيوان كمدخل لدراسة السلوك الإنساني، ودراسة أثر البيئة والوراثة على تطور الكائن الحي.

(4) الفيزيولوجي البريطاني فرنسيس غالتون (1822-1911) أسس تحسين النسل العلمي، واستعملَ هذا المصطلح للمرة الأولى، وذلك عام 1865 في مقالة له بعنوان «الموهبة الوراثية والطبع».

وفي العام نفسه بدأ غالتون بإلقاء محاضرات علمية عن تحسين النسل، وكانت غايته منها: منع تكاثر المعوقين (تحسين النسل السلبي)، وتنشيط تكاثر الأفضل وذلك لتحسين العرق (تحسين النسل الإيجابي). كما يمكن القول إن غالتون قد أتى مُتأخراً جداً لأن بعض المجتمعات كانت قد طبقت ما يطلبه قبل ذلك (كالإغريق مثلاً) .. ومن القائلين بتحسين النسل الفيزيولوجي الفرنسي شارل ريشيه (1850م – 1935م).

كما يقرر الدكتور شارل ريشية: أن استشعار الأمور المستقبلة حقيقة قد ثبتت وهي حقيقة غريبة بل مفارقة ذات مظهر خارق للعقل لكن الإنسان مضطر في النهاية إلى أن يتقبلها، لذا فإن بعض الأشخاص يمكنه في ظروف خاصة – لم يمكن معرفتها بعد – الإنباء عن وقائع مستقبلة، وأن يعطي هذا البعض تفصيلات دقيقة إلى حد لا يمكن تفسيرها عن طريق بعد النظر أو التعاصر الزمني أو الصدفة.

والطبيب الشهير ألكسيس كاريل [1]. وذلك لما كتب كتابه القيم "الإنسان ذلك المجهول" قبل عقود كان في الحقيقة يرسم إستفهاما كبيرا وعجيبا حول الحضارة الغربية التي انتمى إليها هو بنفسه عقودا. كما أن كتابه "الإنسان ذلك المجهول" صيحة حق أطلقها ألكسيس كاريل جعلت كثيرا من المفكرين والمختصين يتريثون طويلا قبل قبول أو رفض نظريات غريبة لعل أشهرها نظرية النشوء والارتقاء الداروينية فضلا عن نظريات أخرى أسست للفلسفة الغربية المعاصرة كالمادية والوجودية وظلت الأبحاث في المستويين النفسي والعضوي تترى لتؤكد كل مرة بأن أغلب ما ظن يوما بأنه الحق الذي ليس وراءه إلا الباطل ليس سوى سرابا وهذا مصداقا لقول الله جل وعلا كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ

(1) جراح وفزيولوجي فرنسي، اكتشف زراعة الأنسجة، له كتاب: (الإنسان ذلك المجهول) (1873-1944م).

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (1).

ثم توالت الثورات الثقافية في ذلك الاتجاه طورا على يد روجي قارودي(2) وطورا على يد آخرين ركضوا فوق الأرض الغربية المادية طويلا وهم غربيون فلما إنقدح فيهم برق العقل الهادي بإذن ربك سبحانه رجعوا كرارا يصلحون ما فسد ولن تزال رحلة تلك الثورات ماضية وعدا موعودا حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد.

إن علم النفس اليوم يعاني من مشكلة الصورة الحقيقية، وأن معظم الباحثين لا يعلمون العلوم النفسية بصورتها الصحيحة، ومن هنا وقع الخلط في هذا العلم، ولذا دخل في هذا الفن من العلوم ليس لهُ علاقة به، وتم إقصاء علوم لها علاقة بهذا العلم ومن ذلك، الثقافة العربية والإسلامية، والتي يستقي منها هذا العلم نظرياته وقواعده.

---

(1) سورة النور آية 39

(2) رجاء جارودي (Ragaa Garaudy) (ولد في 17 يوليو 1913 م في مرسيليا، فرنسا) فيلسوف و كاتب فرنسي. خلال الحرب العالمية الثانية أُخذ كأسير حرب في الجلفة (جزائر). كان جارودي شيوعيا، لكنه طرد من الحزب الشيوعي سنة 1970 م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفياتي، و بما أنه كان عضواً في الحوار المسيحي الشيوعي في الستينيات، فقد وجد نفسه منجذباً للدين وحاول أن يجمع الكاثوليكية مع الشيوعية خلال عقد السبعينيات، ثم ما لبث ان اعتنق الإسلام عام 1982 م متخذا الاسم رجاء. يقول جارودي عن اعتناقه الإسلام، أنه وجد أن الحضارة الغربية قد بنيت على فهم خاطئ للإنسان، وأنه عبر حياته كان يبحث عن معنى معين لم يجده إلا في الإسلام. ظلّ ملتزما بقيم العدالة الاجتماعية التي آمن بها في الحزب الشيوعي، ووجد أن الإسلام ينسجم مع ذلك ويطبقه بشكل فائق. ظلّ على عدائه للإمبريالية والرأسمالية، و بالذات لأمريكا.

والمشكلة أن العلوم النفسية اليوم لا تزال تعتمد بصورة رئيسية على النظريات والمنطلقات والاختبارات والمقاييس النفسية ذات المنشأ الغربي، ولا تعتمد على المنهجية العربية والإسلامية، والتي تساعد في إعادة الثقة في نفوس أبناء الوطن العربي والإسلامي وتعيد لهم هويتهم الحقيقية.

إن المشكلة الحقيقية تتجلى في عدم تمسكنا بأصالة قيمنا وتراثنا ومناهجنا العربية الإسلامية وأن خطابنا وتطبيقاتنا لم تتجرد بعد من الدور الذي يلعبه كوكيل فرعي لمدارس واتجاهات لها طابع خاص لا علاقة لها بخصائص الإنسان العربي أو المسلم ومقوماته الأساسية، ولا رابط بينها وبين واقعه الإنساني أو البيئي أو الشرعي.

مما يؤدي إلى فرض واقع وجسم غريب في الأمة، مما يتسبب في انعدام وجود الهوية المتميزة للشخصية العربية والمسلمة وتأثرها الكبير بالنماذج والنظريات الغربية إلى محدودية الابتكار وقلة الإسهامات الأصيلة لعلم النفس وغيرها من المجالات العلمية والعملية، في العالم الإسلامي.

أما بالنسبة للصورة المشوهة لعلم النفس المعاصر فهي سمة ملحوظة، وهذه السمة، المشوهة لعلم النفس المعاصر، قد جاءت نتيجة لأعمال مدبرة من قبل قوى خارجية استعماريه حاقدة وكذلك بمساعدة من أذنابهم في الداخل من الأنظمة الفاسدة، وذلك لتعطيل وتشويه الصورة الحقيقية والدور الحقيقي للإسلام في العالم الإسلامي، والعالم الغربي، والذي هو يمثل الصورة الكاملة.

ولا ننكر أن أدت تلك النظريات إلى تطوير وتوليد أساليب مختلفة ومتنوعة لعلم النفس التربوي والعلوم الأخرى، كما سعة تلك الاتجاهات في بداية تطورها أن تصبح هي المرجعية الأساسية، وذلك لمختلف الميادين العلمية والتطبيقية لفروع هذا العلم، كما سوف نذكر نبذة عن أبرز نشاطات تلك المدارس ونظرياتهم، وذلك في المباحث التالية:

علم النفس التربوي يهتم أساسا بالدراسات النظرية و الإجراءات التطبيقية لمبادئ علم النفس في مجال الدراسة و تربية النشء و تنمية إمكاناتهم و شخصياتهم و يركز بصفة خاصة على عمليتي التعلم، والتعليم، والتدريب، والأسس النفسية لعمل المدرس، ولقد كان هذا إهتمام كثيراً من المدارس العصرية والتي قدمت كثيراً من التصورات التربوية حول هذا الأمر الهام ومن تلك النظريات وأهمها نذكر منها ما يلي:

المبحث الأول: في نظرية التعلم البنائية

يعتبر وليم فونت (1832 م – 1920 م) مؤسس المدرسة البنائية في علم النفس، كما يرجح علماء علم النفس أن فونت هو المؤسس الحقيقي لعلم النفس الحديث كعلم تجريبي واعتبروا كتابه أسس علم النفس الفيزيولوجي "(1874 م) بمثابة إنجيل علم النفس حيث عمل هذا الطبيب في تدريس علم الفسيولوجيا لمدة سبعة عشر عاما في جامعة هيدليبرج بألمانيا. فترك جامعة هيدليبرج ليقبل منصب أستاذ بقسم الفلسفة بجامعة ليبيزج في ألمانيا وبعد ذلك بأربع أعوام أي في عام 1879 م أسس أول معمل تجريبي في علم النفس.

وفي هذا المعمل كان فونت يبحث عن بناء الخبرة الشعورية وسميت بالمدرسة البنائية Structuralism وقد ابتكر فونت وأتباعه طريقة تسمي الاستبطان التحليلي Analytic introspection وهو نوع من ملاحظات الذات. استنتج فونت أن صفة المنبه وشدته هما العنصران الأساسيان لدي الإحساس.

وكان يطمع فونت لإقامة هوية مستقلة ومحددة لعلم النفس، إذا لم يكن لعلم النفس كيانه المستقل لانتمائه إلي الفلسفة، وكان أول من فصل علم النفس عن الفلسفة، وإدخالها لأول مرة في المختبرات في عام 1879 م معتمداً على ((عملية الاستبطان)) التي قامت على التعرف على مشكلات الشخص، عن طريق الشخص نفسه، ومساعدته في حل هذه المشكلات، وتصحيح رؤيته لها.

كما اهتم بدراسة الوعي (الشعور) من وجهة نظر بنائية [1] أو فيزيائية، وعلى هذا الأساس، كان اهتمام فونت منصباً، على دراسة عناصر الخبرة الشعورية، وعلاقتها الميكانيكية بالجهاز العصبي، ويرى أن، الوعي، والتفكير، والمعرفة، هي مجموع هذه العناصر.

ولتحديد عناصر ومكونات الخبرة الشعورية استخدم منهج التأمل الباطني . كما يفسر فونت عملية ((الفهم)) والتي تشمل التفكير، بأنها نشاط معرفي للربط بين المحتويات، العقلية، والمدركات الحسية، والمشاعر .. كما أسس معمله لهذا الغرض عام 1879 م، ثم اصدر مجلة بعنوان الدراسات الفلسفية عام 1881م لنشر نتائج أبحاثه.

كما يعتبر تكنر [2] من أهم تلامذته، وقد حاول جاهداً، من خلال العديد من المنشورات، والأبحاث، نشر البنائية بالولايات المتحدة، إلا أنها انتهت مع وفاته.

ومن أهم الأفكار التي أضافها تكنر إلى فكر فونت، اعتقاده بضرورة، ابتعاد علم النفس عن دراسة ما بعد الظواهر الفيزيائية[3] لتأثير ذلك على تكامل العلم.

ويفسر العمليات العقلية العليا، إجمالا من منطلق بنائي، فيرى أنها مجموعة أفكار، وإن هذه الأفكار تتكون من مجموعة من الصور الشعورية – المدركة حسيا- أو الخيالات.

---

(1) وتعني كلمة بنائية تحليل الكل إلى أجزائه أو عناصره المختلفة.

(2) E. Tichener عاش في الفترة بين 1867 إلى 1927

(3) يعتبر علم الفيزياء من العلوم التجريبية، التي تختص بدراسة تغير الظواهر الطبيعية وتحليلها تحليلا علمياً، وذلك من خلال دراسة سلوك وتفاعلات المادة في إطارها المكاني والزماني ، وقد ساهم هذا العلم كثيرا في تطور الحياة الإنسانية على مختلف مراحلها الحضارية ، وتنقسم أبحاث ذلك العلم الى: فيزياء المواد المكثفة، والفيزياء الذرية والجزيئية والبصرية، وفيزياء الطاقة العالية، والفيزياء الفلكية وعلم الفلك

وفسر تكنر عملية الفهم والتفكير، من خلال نظريته في "تقرير المعنى" والتي تقول بأن معاني الأشياء تأتى من ارتباط الإحساسات بالمجال الذي تحدث فيه، أو من خلال ترابطها بالإحساسات الأخرى السابقة ... حاول البعض تطوير الاتجاه ومنهم برنتانو [1] الذي أسس علم نفس الفعل [2] حيث يعتبر دراسة عملية الأحداث الشعورية في ارتباطها بالبيئة الخارجية موضوعاً لعلم النفس، وبمعنى آخر فان الفعل النفسي يكون نتاج للعوامل الداخلية والخارجية.

خلاصة القول: يقال أن المدرسة البنائية حاولت الربط بين الاتجاه الوضعي[3] والحسي في كل من بريطاني وفرنسا بالاتجاه العقلي الألماني، حيث

---

(1) فرانز برنتانو (Berentano) النمساوي (1837-1917) فيلسوف وعالم النفس، يعتبر أول من قدم فكرة القصدية إلي الفلسفة الحديثة وترجع جذورها إلي أفكار توما الأكويني (1225-1274) الذي ذكر في كتابه (حول الوجود والماهية) بأن وجود الشيء خارج العقل يختلف عن وجوده داخل العقل. وقد طور برنتانو هذه الفكرة إلي القصدية قائلا بأن كل ظاهرة عقلية أو فعل نفسي لها أو له محتوى يتوجه نحو موضوع هو الموضوع القصدي، فكل رغبة على سبيل المثال لها موضوع تتعلق به هو المرغوب به وأستخدم تعبير (الوجود الداخلي القصدي) للإشارة إلي حالة موضوعات التفكير،والصفة القصدية لهذه الموضوعات، أي إن وجود موضوع تتوجه نحوه كان المفتاح الرئيسي للتمييز بين ما هو ظاهرة نفسية وما هو ظاهرة طبيعية.

(2) Act Psychology

(3) المذهب الوضعي هو إتجاه فلسفي ، فأصحاب هذا المذهب لا يؤمنون بالوحي أو شيء من هذا القبيل ... فمصادر المعرفة عندهم تتمثل في العقل والسمع والبصر ما دون ذلك فهو بطلان حسب رأيهم بهذا المذهب يتم إسقاط كل ما أتى به الرسل والأنبياء الموحى إليهم. تأسس هذا الإتجاه على يد أوغست كونت 1798 – 1857م الحامل للجنسية الفرنسية. والذي عمل عند الفيلسوف الإشتراكي سان سيمون وعمل أمينا للسر عنده أي سكرتيرا.وفي أواسط الثمانينيات بدأ بإلقاء المحاضرات ليعرف بتوجهه الجديد.أصيب بمرض عقلي كاد بسببه أن ينتحر... تأثر من هذه الأفكار ريتشاد كونجريف الإنجليزي الجنسية وناصرها ودافع عنها بل دعا إليه.ولم يقف زحف هذا الإتجاه في حدود أوروبا بل تعدى كل

ركزوا على المدركات الحسية مع اعترافهم بالعمليات العقلية، إلا أن تفسيرهم للعمليات العقلية لم يكن موفقاً، إذ اعتبروه مجموعة لهذه المدركات (تفسير بنائي فيزيائي)[1]، كما أن اعتمادهم على منهج التأمل الباطني ليس علميا والمتأمل يتأثر بالذاتية. ونتيجة لكل هذه العيوب فقد انتهت المدرسة البنائية بموت تكنر[2].

وقد امتدت هذه النظرية إلى علوم اللُّغة عامة وعلم الأسلوب خاصة كما يعد العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير[3] مؤسس المنهج البنيوي الذي انطلق منه علم اللغة المعاصر، وذلك في بدايات هذا القرن. لكن المنهج اكتسب انتشارًا وعمقًا على يد عالم الانثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي شتراوس [4] الذي صاغ في أعقاب الحرب العالمية الثانية مذهبًا جديدًا في المعرفة له قواعده.

الأسوار العالية والحدود المبنية ليصل إلى البلاد العربية فأثر في بعض المفكرين والأدباء الذين ألفوا كتبا تناولوا فيها مدى إعجابهم بهذا المذهب ونذكر في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر الأديب زكي نجيب محمود الذي تشبع بالفلسفة الوضعية وقبل أفكارها.(منقول: من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة) بتصرف

(1) الفيزيائي الذي يصل إلى مرحلة متقدمة في فهم الفيزياء يطلق عليه اسم عالم فيزياء.

(2) E. Tichener عاش في الفترة بين 1867 إلى 1927

(3) فرديناند دي سوسيور، عالم لغوي سويسري علّم قواعد اللغة المقارنة في باريس وجنيف (1857-1913)م.

(4) كلود ليفي ـــ شتراوس، (28/ 11/ 1908) يبلغ المئة اليهودي الفرنسي البلجيكي المولد، بدأ دراسته الفلسفة (1931) في الـ «سوربون» وتلقّيه دروساً في علم النفس لدى الفرنسي جورج دوما المفتون بالبرازيل والذي عمل على تأسيس جامعة «ساو باولو» هناك. ولدى اختيار بعثة فرنسية من الأساتذة للالتحاق بالجامعة، كان شتراوس أوّل المغادرين على متن باخرة إلى البرازيل عام 1934. هناك، وجد شتراوس نفسه رئيساً لبعثة ميدانية إثنوغرافية في غابات الأمازون الماطرة. وبعد عودته إلى فرنسا، كانت الحرب العالمية الثانية تدقّ طبولها، وكان على شتراوس اليهودي المولد، أن ينجو بنفسه بعد سقوط باريس في يد الجيش الألماني. هكذا، شدّ رحاله إلى نيويورك، حيث أسس مع رفاقه من المثقفين اللاجئين «المعهد

وقـد وجـه شـتراوس النقـد إلى الفلـسفة الوجوديـة والوضـعية المنطقيـة والفرويدية، وهاجم الماركسية وأفكارها الأساسية، مثـل الـصراع الطبقـي والحتميـة التاريخية، ونادى بالتحول من تحليـل صـراع الطبقـات إلى تحليـل البُنَـى الأساسـية، ورفض التسلط العرقي في التفسير الأنثربولوجي[1]، والتطور في خط مـستقيم. كمـا رفضت البنيوية استخدام التفسير التاريخي باعتبـاره أداة منهجيـة .. فنظريـة الـتعلم البنائية هي نظرية مختلفة عن كثيراً من النظريات التعلم الأخرى.

الحر للدراسات العليا» وهو جامعـة للفرنـسيّين في المنفـى (1940). هنـاك، التقـى رومـان جاكوبسون، أحد معلّمي شتراوس، إلى جانب فردينان دو سوسور الـذي اسـتند شـتراوس إلى نظريته البنيوية في اللغة، متّبعاً روحها ليؤسس مدرسـته البنيويـة الكـبرى. كمـا أخـذت البنيوية مجدها أواخر الخمسينيات، صار شتراوس أسـتاذاً مـشهوراً في Collège de France وواحداً من أكثر المنظرين تأثيراً (1962)، وظل هكذا حتى منتصف السبعينيات، أي حتـى بدأت البنيوية انحدارها، وحلّت محلّها الوجودية لتطغـى علـى الـساحة الثقافيـة والفكريّـة. (المـصدر: جريـدة الأخبـار (http: //www.al-akhbar.com) عـدد الخمـيس 4 كـانون الأول 2008) بتصرف

(1) الأنثروبولوجية: هو مصطلح حديث، وهو علـم يهـتم بدراسـة، الأجنـاس ، والـسلالات البشرية في نشأتها، وخصائصها المميزة ونموها وتطورها، والعوامل التي خضعت لها في هـذا التميّز. ويهتم كذلك بدراسة الفروض والنظريات التي وضـعت لتـصنيف الـشعوب علـى أساس الخصائص والمميزات السلالية، والثقافية، وبيان مدى إمكان رد الإنسانية إلى جـنس واحد أو أكثر، وما يثار مـن جـدل حـول الجـنس الأمثـل، والفـروق العنـصرية وأثرهـا في التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي .. والإشـكالية علـى هـذا العلـم، كمـا يقـال: هي عدم التميز بين الثوابت والمتغيرات ، أو الصحيح من الخطاء، وهذا التميز الـذي يعتـبر من أهم خاصيات علم الإنسان، كما يصبح شيئا فـشيئا موضـوعَ الخـلافِ والنِقـاش، عنـد تطبيق الطرقِ الأنثروبولوجية عموماً في دراسات المجتمعِ أو المجموعات.

كما قام بياجه[1] بتطوير أفكار تلك المدرسة بإحداث وجهة نظر تقول، أن التعلم يكتسب عن طريق المنبع الخارجي، وهذا المفهوم يعتبر أن عملية الموازنة، بين:

المحيط، أي البيئة الخارجية	والجهاز العضوي

لابد من توافقهما، حيث أن هذه الموازنة بين البيئة الخارجية والبيئة الداخلية مكملة لبعضها البعض وأي خلال في أحدهما فهو خلال في الأخر ... وهذا يهدف للقضاء على حالات اللااضطراب و اللاانتظام.

وحينما يتحدث بياجي عن التنسيقات بين الأفعال، وهي مرحلة أولية من النمو العقلي، فإنه يؤكد أنها تمثل جذورا للبنيات المنطقية. ويقول في هذا:

"تجد كل أشكال التنسيق بين الأفعال ما يوازيها في البنيات المنطقية، وهذا التنسيق في مستوى الفعل يبدو لي بمثابة القاعدة التي تتأسس عليها البنيات المنطقية بالشكل الذي يتم عليه لاحقا تطورها في التفكير .. ويقول وهذه، في الواقع،

---

(1) جان بياجيه Jean Piaget: ولد في نوشانل بسويسرة (1896 ـ 1980) لأب درّس التاريخ في جامعة المدينة، وأكسب ولده الدقة والمنهجية في العمل،
اشتهر بياجيه بنظريته في تكون المعرفة (الإبستيمولوجية) الإبستيمولوجية هو مصطلح مؤلف من كلمتين: 1- تعني المعرفة .. 2- تعني علم . يعني العلم والمعرفة .. فقد عمل بياجيه منذ عام 1920 في مخبر ـ سيمون Simon-Pinet في باريس، حيث كلف تقنين اختبارات الاستدلال والبرهنة ؛ ورجع إلى سويسرة، بطلب من كلاباريد Claparede ليعمل في معهد جان جاك روسو ، في دراسةٍ لبنية الذكاء ؛ ثم ليحتل كرسي الفلسفة في جامعة نوشانل، وليدرس تاريخ الفكر العلمي، وعلم النفس التجريبي في جنيف، ثم ليصبح مديراً لمعهد روسو، فمديراً لمخبر علم النفس، في جامعة لوزان، ومديراً لمجلة علم النفس السويسرية، فمديراً للمكتب العالمي للتربية في جنيف. ترأس الاتحاد العالمي لعلم النفس، وصار مديراً لمركز علم تكوين المعرفة، ثم أسس المركز العالمي للإبيستيمولوجية التكوينية. وقد ترك التعليم الجامعي عام 1973، إلا أنه ظل يتابع التأليف حتى وفاته.

أطروحتي: لا توجد جذور التفكير المنطقي في اللغة فحسب، مهما تكن من أهمية للتنسيقات اللغوية، بل إن تلك الجذور توجد بصفة أعم في التنسيق بين الأفعال التي هي أساس التجريد المتأمل. ليس ما قلناه إلا بداية لتحليل تراجعي يمكن أن يذهب أبعد من ذلك. فليس هناك بالنسبة للإبستمولوجيا التكوينية، ولا بالنسبة لعلم النفس التكويني، بداية مطلقة، إذ لا نستطيع أبدا أن نعود إلى نقطة نقول عندها: ها هنا تبدأ البنيات المنطقية. فبمجرد ما نلامس التنسيق العام بين الأفعال، نجد أنفسنا ملتزمين بالذهاب أبعد من ذلك نحو ملامسة مشكلات البيولوجيا[1].

ولمقاربة هذه النظرية البنائية في التعلم سنحاول أولاً التعرف على أهم المفاهيم المركزية المؤطرة لها، ثم أهم مبادئها ثانيا، وبعد ذلك سنتعرف على الأبعاد التطبيقية لهذه النظرية في حقل التربية.

كما يربط بياجي نشأة الذكاء باللغة، ويتحدث عن ذكاء سابق على اللغة، هو الذي يسميه بالحس الحركي ... كما أن بياجي عاد ببحثه في جذور المعرفة إلى ما سماه في المرحلة الأولى من النمو العقلي للطفل بالتنسيق بين الأفعال، بل إنه عاد أكثر من ذلك إلى الجذور البيولوجية للمعرفة ... فبياجي يفترض أن للبنيات المنطقية بدورها جذورا ترجع إلى المراحل الأولى من تكيف الإنسان بوصفه كائنا حيا مع محيطه الخارجي.

كما تعتبر نظرية التعلم البنائية التكوينية، من أهم النظريات التي أحدثت ثورة عميقة في الأدبيات التربوية الحديثة خصوصا مع جان بياجي، الذي حاول انطلاقا من دراساته في علم النفس الطفل النمائي، أن يزودنا بعدة مبادئ ومفاهيم معرفية علمية وحديثة طورت الممارسة التربوية ومنها مشروعه الابستيمي ..

---

(1) Jean Piaget: The man and his ideas, 1973. التحليل الإبستمولوجي التكويني للمنطق – محمد وقيدي – مدارات فلسفية العدد 6 – من موقع الجمعية الفلسفية المغربية.

أو الإبستيمولوجي [1] وهذا المصطلح مؤلف من كلمتين: تعني المعرفة .. وتعني علم

ويقال أن أول من وضع هذا المصطلح الفيلسوف الاسكتلندي جيمس فريدريك فيرييه (1808 م – 1864 م) حين ألف كتابه مبادئ الميتافيزيقا ... حيث قسم الفلسفة فيه إلى قسمين: 1- أنطولوجية .. 2- وإبستيمولوجية ... أما المعنى لمصطلح إبستيمولوجية في الفلسفة المعاصرة فهو يعني: الدراسة النقدية للمعرفة العلمية.

الإبستيمولوجية والمعرفة

يقال أن الابستمولوجيا التكوينية في دراستها للمنطق، تنطلق من المبدأ العام الذي تأخذه لدراسة المعرفة بصفة عامة ... فمفهوم كلمة الإبستيمولوجية، يشبه مفهوم كلمة الفلسفة، من حيث العلم والمعرفة فمفهوم الفلسفة أنها تدرس الأفكار للوصول إلى نتائج، وأما مفهوم الإبستيمولوجية كما يقال يقوم على دراسة المعرفة من الواقع، في وضع محدد تاريخياً، من دون أن تنزع نحو إجابات مطلقة ... وقالوا لأن التصورات الزائفة عن المعرفة تؤثر سلبياً في مجال المعرفة العلمية، وخاصة حين تضع حدوداً للعلم ... كما ترى الإبستيمولوجية أيضاً في التعميمات الفلسفية لنظرية المعرفة عائقاً أمام تطور المعرفة العلمية.

ومما سبق يعني أن الإبستيمولوجية ليست استمراراً لنظرية المعرفة في الفلسفة، بل هي تغير كيفي في النظر إلى علاقة الفلسفة بالعلم، وتجاوز للتناقض بين نظرية المعرفة والعلم، يقال أنها وسيط بينهما.

كما تهتم الإبستمولوجيا بوسائل إنتاج المعرفة، وكذلك تهتم بالشكوك حول إدعاءات المعرفة المختلفة ،. وتحاول أن تجيب عن الأسئلة التالية:

عن كيفية المعرفة؟	وطريقة الحصول على المعرفة ؟

(1) epistemology

ويقال أن طرق الإجابة عن هذه الأسئلة يتم باستخدام نظريات مترابطة فإنه يمكن عمليا فحص كل من هذه النظريات على حدة ... وإلى جانب مسألة تاريخ العلم تبحث الإبستيمولوجية في مسألة تصنيف العلوم . وهي مسألة عالجتها الفلسفة من قبل، غير أن الإبستيمولوجية رفضت التصنيف السكوني للعلوم الذي يقوم على أساس تصنيف الملكات الذي يعود إلى أرسطو، إذ صنّفت العلوم وفقاً للملكات عل النحو الآتي:

ملكة العقل	ملكة الذاكرة	ملكة الخيال

كما تجاوزت الإبستيمولوجية تصنيف العلوم على أساس الانتقال من أكثر العلوم عمومية وبساطة إلى أكثرها خصوصية وتعقيداً، ويرتبط علم النفس بجميع العلوم الأخرى إذ يرتبط بالعلوم الطبيعية من طريق نظرية النشاط العصبي، ويرتبط بالعلوم الاجتماعية عن طريق علم اللغة، ويرتبط بالعلوم الفلسفية عن طريق المنطق ونظرية المعرفة.. أما الفلسفة فإنها تنفذ إلى جميع العلوم لأنها تمدها بالمنهج العام ... والعلوم التطبيقية: كالزراعة والطب، تقع بين العلوم الطبيعية .. والعلوم الاجتماعية والرياضيات تقع بين العلوم الطبيعية والعلوم الفلسفية.

أما جان بياجيه، فيقسم العلوم إلى مجموعات أربع:

علوم منطقية	وعلوم فيزيائية	وعلوم البيولوجية	والعلوم الإنسانية، كعلم النفس و الاجتماع

ومع ذلك يتفق الإبستيمولوجيون على تصنيف موحد للعلوم وهي على ثلاثة أنواع:

علوم طبيعية	وعلوم اجتماعية	وعلوم فلسفية

وما يطرح التساؤلات حول الإبستيمولوجية والعلاقة بينها وبين المعرفة العلمية، وهدفه التحليل النقدي لها، وما هي مشكلات العلم التي تتطلب تدخلاً إبستيمولوجياً؟؟ كما تعد مشكلة المسار الذي تسلكه المعرفة العلمية واحدة من أهم مشكلات الإبستيمولوجية ... وقد انقسم الإبستيمولوجيون، في النظر إلى هذه المشكلة إلى فريقين:

الأول: نظر إلى مسار العلم على أنه سيرورة متصلة مستمرة لا انقطاع فيها ولا انفصال.

والثاني: رأى أن مسار العلم مسار انقطاع واضطرابات وأزمات وثورات.

وهذا الأخير هو التي خلقته المعرفة الإيديولوجية، حيث كان العلم مرتبطاً بمفاهيم إيديولوجية، وعندما أفلست وانهارت تلك الإيديولوجيات زال معها ذالك العلم المرتبط بها.

الإبستيمولوجية و الأيديولوجية

إن المشكلة بين الإبستيمولوجية والأيديولوجية، تتمثل في السؤال التالي وهو، هل أن الأيديولوجية عقبة أمام تطور المعرفة العلمية، أم هي حافز من حوافز تطورها؟

ذلك أن العلم حينما يمتزج بالممارسة الأيديولوجية، بوصفه مرتبطاً ببلداً معين، أو توجه معين، فحينها يستعير منهجيته من النظريات العلمية المستقلة، فحينها يصبح ممتزجاً بالممارسة الأيديولوجية.. فحين تقترن الإيديولوجية بالمناهج الأخرى فحينها تصبح العلوم ممتزجة بالباطل .. ثم نتساءل؟؟ عن عودة المذهب الحيوي بوصفه مرتبطاً بثقة المجتمع وثقافته المتميزة ... ويبقى السؤال مطروحاً: هل يفقد العلم موضوعيته مادام متسماً بسمة أيديولوجية، ومادامت الأيديولوجية عامل إفساد للموضوعية؟

وليس هذا فحسب، فإن الأيديولوجية بصفتها فكر مغلف ومغلق، قد تقوم بدور الكابح للأفكار الأخرى التي تعارض هذه الإيديولوجية أو تلك، أما إذا كانت تلك العلوم تسير على وفق ما تريده تلك الترسيمات فإنها تصبح مقبولة لديها، ومن هنا تبدءا المشكلة الحقيقية للعلم والمعرفة.

كما أن هناك مشكلات خاصة بالعلوم الإنسانية: كالموضوعية والفهم والتفسير والجانب الأيديولوجي لأحكامها . والعلاقة بين المنطقي والتاريخي في المعرفة الإنسانية، وإمكانية قيام نظرية اجتماعية، وهل هناك ملامح لمنهجية عامة في السيرورة الاجتماعية أم أن الواقعة الاجتماعية واقعة لا تحتمل النقاش أو التغير.

إن هذه المشكلات وغيرها هي موضع الإبستيمولوجية الخاصة بالعلوم الإنسانية .. لكن العلوم الجزئية تواجه هي الأخرى مشكلات خاصة بها، بسبب استقلالها النسبي.

فإبستيمولوجية العلوم الحيوية، تطرح جملة من المسائل وذلك من قبيل: هل هناك غائية في التطور الحي؟؟ وما العلاقة بين مفهوم الطفرة والتطور التدريجي في العالم؟؟ وما الدور الذي يقوم به، منهجياً، مفهوم البيئة في تفسير الظواهر الحية؟؟ فأحكام الأيديولوجية فهي أحكام قيمية، تتعلق بما يجب أن يكون، مع اعتمادها في كثير من الأحيان على حقائق علمية.

وهنا ما يفسر المشكلة التاريخية في الوقائع التاريخية وذلك: كتحديد معنى الواقعة التاريخية الموضوعية في علم التاريخ .. وهل التاريخ قابل للتفسير أو للفهم .. وهل هناك حتمية تاريخية؟

وإذا كانت المشكلة في سيرورة العلم، وتصنيفه تنتميان إلى تاريخية العلم فإن بنية المعرفة العلمية تطرح - إبستيمولوجياً - مسألة إنتاجها والعلاقة التي تقوم بين الذات والموضوع وبين العقل العالم ومعطيات الواقع، ليصار إلى تحديد دقيق للواقعة العلمية.

ولما كان العلم يهدف إلى تحقيق المعرفة النظرية، والمعرفة النظرية هي ثمرة العلاقة المركبة بين العقل والطبيعة. وإذا كانت العلاقة بين الذات والموضوع قد فهمت في المراحل المبكرة من تطور العلم على أنها حوار بين الذات، والموضوع المناقض لها، فإن العلم المعاصر قد دلل على تعقيد هذه العلاقة، فالحوار بين الذات والموضوع يجري اليوم بين عقل مسلح بكل المعرفة السابقة والموضوع الذي ركّبه نشاط العالم العقلي ... كما لا يوجد لأي واقعة علمية أو عملية معطيات مباشرة من دون مبادئ عقلية أي أسباب ومسببات، فالعلاقة التي تقوم بين الذات والموضوع في المعرفة العلمية علاقة مركبة، فكل كشف أو توسع في المعرفة العلمية يبدأ بوصفه تصوراً عقلياً لما يمكن أن تكون عليه تلك الحقيقة العلمية . ولا يمكن فهم عمل العقل إلا من خلال الخيال والأحلام من حيث هو إعمال العقل الباطن أو استخدام الحواس الخارجية في النظر والتأمل للاستفادة من تجارب الآخرين.

ب – النظرية البنائية في حقل التربية

حسب بياجي التعلم هو شكل من أشكال التكيف من حيث هو توازن بين استيعاب الوقائع ضمن نشاط الذات وتلاؤم خطاطات الاستيعاب مع الوقائع والمعطيات التجريبية باستمرار. فالتعلم هو سيرورة استيعاب الوقائع ذهنيا والتلاؤم معها في نفس الوقت ... كما أنه وحسب النظرية البنائية مادام الذكاء العملي الإجرائي يسبق عند الطفل الذكاء الصوري، فإنه لا يمكن بيداغوجيا [1] بناء المفاهيم والعلاقات والتصورات والمعلومات ومنطق القضايا إلا بعد تقعيد هذه البناءات على أسس الذكاء الإجرائي . وعليه، وحسب بياجي، يجب تبني الضوابط التالية في عملنا التربوي والتعليمي:

---

(1) البيداغوجيا: صطلح تربوي أصله يوناني ويعني بصفة عامة مجموع طرق التدريس. ويعني لغويا العبد الذي كان يرافق الأطفال إلى المدرسة.

- جعل المتعلم يكون المفاهيم ويضبط العلاقات بين الظواهر بدل استقبالها عن طريق التلقين.
- جعل المتعلم يكتسب السيرورات الإجرائية للمواضيع قبل بنائها رمزيا.
- وجعل المتعلم يضبط بالمحسوس الأجسام والعلاقات الرياضية، ثم الانتقال به إلى تجريدها عن طريق الاستدلال الاستنباطي.
- كما يجب تنمية السيرورات الاستدلالية الفرضية الاستنباطية الرياضية بشكل يوازي تطور المراحل النمائية لسنوات التمدرس ؛أي إكساب المتعلم مناهج وطرائق التعامل مع المشكلات و اتجاه المعرفة الاستكشافية عوض الاستظهار.
- تدريبه على التعامل مع الخطأ كخطوة في اتجاه المعرفة الصحيحة .
- اكتساب المتعلم الاقتناع بأهمية التكوين الذاتي.[1]

ج – مبادئ التعلم في النظرية البنائية

من أهم مبادئ التعلم في هذه النظرية: هو أن التعلم لا ينفصل عن التطور النمائي للعلاقة بين الذات والموضوع؛ التعلم يقترن باشتغال الذات على الموضوع وليس باقتناء معارف عنه الاستدلال شرط لبناء المفهوم، حيث المفهوم يربط العناصر والأشياء بعضها ببعض والخطاطة تجمع بين ما هو مشترك وبين الأفعال التي تجري في لحظات مختلفة، وعليه فإن المفهوم لايبنى إلا على أساس استنتاجات استدلالية تستمد مادتها من خطاطات الفعل؛ الخطأ شرط التعلم، إذ أن الخطأ هو فرصة وموقف من خلال تجاوزه يتم بناء المعرفة التي نعتبرها صحيحة ؛ الفهم شرط ضروري للتعلم؛ التعلم يقترن بالتجربة وليس بالتلقين ؛ التعلم هو تجاوز ونفي للإضطراب.

(1) (سلسلة التكوين التربوي ع2/ 1995) .

د – المفاهيم المركزية لنظرية التعلم البنائية

مفهوم التكيف: التعلم هو تكيف عضوية الفرد مع معطيات وخصائص المحيط المادي والاجتماعي عن طريق اندماج في مقولات وتحويلات وظيفية، والتكيف هو غاية عملية الموازنة بين الجهاز العضوي ومختلف حالات الاضطراب وانتظام الموضوعية أو المتوقعة والموجود في الواقع، وذلك من خلال آليتي:

الاستيعاب	والتلاؤم

1- الاستيعاب: وهو إسيعاب العقل، وهو ما يعبر عنه بإدماج الموضوع في بنيات الذات.

2- والتلاؤم :هو تغيير في استجابات الذات بعد استيعاب معطيات الموقف أو الموضوع باتجاه تحقيق التوازن، والملائمة هي تلاؤم الذات مع معطيات الموضوع الخارجي.

مفهوم الموازنة والضبط الذاتي: الضبط الذاتي هو نشاط الذات باتجاه تجاوزا الاضطراب والتوازن هو غاية اتساقه.

مفهوم السيرورات الاجرائية: إن كل درجات التطور والتجريد في المعرفة وكل أشكال التكيف، تنمو في تلازم جدلي، وتتأسس كلها على قاعدة العمليات الإجرائية أي الأنشطة العملية الملموسة.

مفهوم التمثل والوظيفة الرمزية: التمثل ،عند بياجي، هو الخريطة المعرفية والتي يبنيها الفكر عن عالم الناس و الأشياء . وذلك بواسطة الوظيفة الترميزية، كاللغة والتقليد المميز واللعب الرمزي...والرمز يتحدد برابط التشابه بين الدال والمدلول؛ والتمثل هو إعادة بناء الموضوع في الفكر بعد أن يكون غائبا.

كما أن فكرة استخدام الخريطة المعرفية كأسلوب تدريس هي خطة يضعها المعلم لعرض الدرس وتوضيحه لطلابه، كما يعد توني بوزان [1] المعروف بأستاذ الذاكرة، وواضع لخرائط العقل (والتي تعد أداة التفكير متعددة الأساليب لتقوية الذاكرة.

إن علم المعرفة :هو شكل من أشكال التمثيل المعرفي، إذ يكون الفرد صورا ذهنية وخرائط معرفية لكثير من المثيرات البيئية التي يصادفها، من خلال الخرائط المعرفية التي يمتلكها . فهي تعبر عن معارف موجودة في الواقع التعليمي أو غيره (كوحدة أو درس في مقرر) ثم تحول إلى خريطة.

ويمكن للطالب إذا كان مبدعا أن يتعدى المعرفية إلى وضع خريطة ذهنية .. والخريطة الذهنية: تعتمد نفس الطريقة المتسلسلة، حيث تبدأ من نقطة مركزية محددة، ثم تسمح بالأفكار بالتدفق .. فهي تعبر من اسمها عن أمور ترسم أولاً في الذهن، وهي ضرب من الإبداع غالباً لمن يتقنها ثم تحول إلى معلومات ومعارف.

ويضرب علماء التربية على ذلك أمثلة للخريطة الذهنية بقولهم: إذا جلستَ مع نفسك تفكر، ستجد أنك تنتقل من فكرة إلى أخرى بسبب رابط موجود عندك، قد تنتقل عبر الأفكار بسبب تذكرك لصوت معين أو رائحة معينة، وقد تجد في النهاية أنك تفكر في شيء يبدو ظاهرياً غير ذا علاقة بالنقطة الأساسية التي بدأتَ منها، ولكن ما دمتَ قد انتقلتَ إلى الفكرة، فلابد أن عقلك قد وجد طريقة ما لربطهما عبر أفكار أخرى.

---

(1) توني بوزان (1942) المعروف بأستاذ الذاكرة، ومؤسس مسابقات بطولة العالم للذاكرة التي أصبحت الآن حدثاً يحظى بمكانة كبيرة في جدول الأحداث الثقافية والرياضية العالمية . وهو صاحب السجل العامر من الأعمال والكتابات المتميزة في حقل الذاكرة، كما أنه واضع خرائط العقل (والتي تعد أداة التفكير متعددة الأساليب لتقوية الذاكرة .

مفهوم خطاطات الفعل :الخطاطة هو نموذج سلوكي منظم يمكن استعماله استعمالا قصدياً وتتناسق الخطاطة مع خطاطات أخرى لتشكل أجزاء للفعل ،ثم أنساقا جزيئة لسلوك معقد يسمى خطاطة كلية.

وإن خطاطات الفعل تشكل، كتعلم أولي، ذكاء عمليا هاما، وهو منطلق الفعل العملي الذي يحكم الطور الحسي ـ الحركي من النمو الذهني.

المبحث الثاني: المدرسة الوظيفية

قامت المدرسة الوظيفة في أمريكا، وذلك كرد فعل للمدرسة البنائية، ويعتبر وليم جيمس [1] مؤسس هذا الاتجاه، كما يؤكد وليم جيمس على ضرورة استخدام منهج البحث العلمي، ويرفض في الوقت نفسه الفكر البنائي، كما يرى أنه لا يمكن تحليل الخبرة الشعورية إلى أجزاء، أو عناصر شعورية تخضع لقوانين ميكانيكية، وعلى هذا الأساس، فإنه يرفض أن تكون الخبرة الذاتية مجموعة من الإحساسات المتتابعة والمتحدة مع بعضها، وذلك خلافاً لفكر البنائيين.

كما يحدد وليم جيمس، موضوع علم النفس بأنه دراسة الوظائف العقلية، وأن الخبرة العقلية عملية شخصية مستمرة وانتقائية، ويظهر تفسيره الوظيفي في ظل معطياته الفكرية، كما يرى أن الخبرة الشعورية سيل من الأحداث من جانب، والفعاليات الذاتية من جانب آخر، كما يفسر الانفعالات كنتيجة للتغيرات الفسيولوجية، لا كاستجابة للأحداث الخارجية، كما لا يمكن فصل الجسم عن العقل فهما وجهين لعملة واحدة ... كما ظهر أثر هذا الاتجاه كما يقال في ظهور مدرستين وظيفيتين في علم النفس الوظيفي في أمريكا هما:

---

(1) وليم جيمس (11 كانون الثاني، 1842 – 26 آب / اغسطس 1910) فيلسوف أمريكي و من رواد علم النفس الحديث. وألف كتب في علم النفس الحديث وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الديني والتصوف، والفلسفه البراكماتية .

1- مدرسة شيكاغو [1]:

ومن أهم روادها جون ديوي[2] وقد انصب اهتمام هذه المدرسة على، ربط علم النفس بالحياة اليومية. وجون ديوي، هو من زعماء الفلسفة البراغماتية، ولقد استفادت أمريكا من أفكار ديوي في موضوع، التربية، وجذب العقول، واستقطاب كل علماء الأرض، وبرأى ديوي أن النظام الصحيح هو الذي يحقق المرونة بعلاقة الفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه ويعيش فيه، وقد تجلت عبقرية جون ديوي كما يقال، في ربطه ربطا َواعيا بين التربية والمجتمع والحياة، وبرأيه أن المدرسة يجب أن تكون مجتمع صغير تدب فيه الحياة، ويدعو ديوي إلى التربية المستمرة التي لا تتوقف عند سن معين فالتربية من المهد إلى اللحد فهي ليست جرعة تعطى مرة واحدة والى الأبد بل هي بحاجة إلى الاستمرار لأن العلم لديه دائماً شيء جديد يوافينا به.

ويرفض ديوي كما يقال نظرية (جون لوك) التي ترى بأن ((الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء خالية من الكتابة))، والعلاقة الصحيحة برأي ديوي قائمة على التفاعل، وأن طريقة التدريس الملائمة هي التي تعتمد على الحوار وحل المشكلات والتعلم الذاتي، والفكر الحقيقي لديوي يبدأ من موقف إشكالي من عقدة أو عقبة تعترض مجرى التفكير، فالطبيعة تتغير باستمرار وتغتني وتزداد ثراء وتغير الفكر معها وهكذا فان العملية مستمرة فلا حقائق مطلقة ولا المعرفة ثابتة

---

(1) شيكاغو (بالإنجليزية: Chicago) هي ثالث أكبر مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية سكاناً بعد مدينة نيويورك ولوس أنجلوس . اسم "شيكاغو" اتخذ بالفرنسية من السكان الأصليين، أصل الكلمة شيكاوكا (shikaakwa)، أي "الكراث البري". تقع مدينة شيكاغو في ولاية إلينوي.عدد سكانها مايقارب 8,5 مليون نسمة، تشتهر شيكاغو بأنها أحد أكبر مدن العالم وإن لم يكن أكبرها أحتضان للجميع جنسيات العالم.

(2) جون ديوي (1854_1952) ولد جون ديوي بمدينة (برلنجتون_ولاية فيرمونت) في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تلقى تعليمه في (جامعة فيرمونت) ثم انتقل إلى جامعة (جون هوبكنز) فحصل على شهادة الدكتوراة في الفلسفة .

فكل شيء يعتريه التغير [1] ... وكان ديوي يطمح لبناء مجتمع ديمقراطي، وفلسفة علمية جديدة، ومن خلال التتبع لنظرية ديوي وأفكاره، من خلال مؤلفاته، وجد الباحثين أن نظرية ديوي تتمحور على أربعة نقاط أساسية وهي:

حل المشاكل بطريقة سيكولوجية دون جرح مشاعر الطلاب	اعتبار أن المدرسة هي مختبر وليست قاعة محاضرة	التعلم من خلال العمل	العمل اليدوي

كما وضع ديوي خمس مراحل لحل المشكلة [2]، وهي كما يلي:

تعريف المشكلة وتحديدها	الوصول إلى النظرية والتعميم	الشعور بالمشكلة
وضع الفرضيات واقتراح الحلول	التحقق من التجربة بختبار الفرضيات	

يعتبر ديوي الفلسفة سلطة تشريعية مهمتها نقض القيم الحاضرة واقتراح قيم جديدة تواكب التغيرات الحاصلة في الحياة، ومن مهمة الفلسفة أيضاً تفسير نتائج العلم الاختصاصي .

(1) وهذا الكلام فيه نظر ، من جهة العقائد والقيم والمبادئ ، لأن العقائد ثابتة لا تتغير ولا تتبدل وكذلك القيم والمبادئ ، أما إذا كان يقصد بهذا الكلام التغير المستمر في مسألة الوسائل ، في مجالات الحياة ، فلا بأس به ، وهذا مطلوب ومرغوب فيه .

(2) وذلك في كتابه والمسمى ب((كيف نفكر وكيف نحل المشاكل)).

2ـ مدرسة كولمبيا [1]:

والتي تأثرت بجيمس انجل[2] وهو يعتبر من رواد مدرسة شيكاغو، ومن أهم روادها أيضاً، كاتل: والذي ركز فيها على القياس النفسي والاختبارات العقلية، كما بدأ كاتل بتعريف الشخصية بناء على تفسيراته الرياضية بتحديد معنى (السمة) التي يراها (أنها تنظيم خاص يولد السلوك ويحدده معطيا إياه صفة التناسق بحيث يمكن لنا أن نتنبأ به - السلوك - في أي موقف من المواقف) وباختصار هي وحدة بناء الشخصية، أو النمط .

كما يرسم (كاتل) نظريته المعروفة بنظرية العوامل النمطية، واهم مفهوم تقوم عليه هو السمة والتي يعرفها (كاتل) بأنها (بناء عقلي ودالة للسلوك الظاهري المنتظم المتكرر الحدوث) ويقول أن الشخصية تبنى من ستة عشر سمة مصدرية أصلية والمشتقة من العوامل الستة عشر وهي:

---

(1) كولومبيا: إحدي دول أمريكا الجنوبية، تقع في الجزء الشمالي الغربي من قارة أمريكا الجنوبية. يحدها من الشمال البحر الكاريبي ومن الشرق فنزويلا والبرازيل ومن الجنوب بيرو و الإكوادور ومن الغرب بنما والمحيط الهادي ... احتلها الأسبان في سنة (915 هـ - 1509 م) وأطلقوا عليها اسم غرناطة الجديدة في سنة (972هـ - 1564 م) وكانت تضم كولومبيا وبنما، وفي سنة (1131هـ - 1718 م) أصبحت هذه المستعمرة مركزاً لنائب ملك أسبانيا، وظهرت جمهورية كولومبيا الكبري في سنة(1233هـ - 1817 م)، وكانت كولومبيا الكبري تضم بنما، وفنزويلا، وأكوادور، ثم انسحبت فنزويلا، وأكوادور من الاتحاد بعد ثلاثين عاماً، وتغير الاسم إلى جمهورية غرناطة الجديدة في سنة (1273 هـ - 1856 م) ثم إلى الاتحاد الغرناطي، ، وبعد ذلك إلى الولايات المتحدة الكولومبية، ثم أصبحت جمهورية كولومبيا بعد انسحاب شريكتها .

(2) جيمس رولاند انجل (James Rowland Angell) عالم نفسي أمريكي ولد عام 1869 وفي عام 1904 نشر كتابه "علم النفس" فلقي نجاحا كبيرا في الأوساط الجامعية. التحق بجامعة ميتشيغان ثم بجامعة هارفارد وعين في جامعة شيكاغو أستاذا مساعدا ومديرا لمعمل علم النفس ثم عميدا لقسم علم النفس ثم مديرا لجامعة ييل سنة 1921.

الانبساط	الذكاء المتفوق	الثبات الانفعالي	السيطرة والتسلط
كثرة الحركة	التقدمية	الجرأة الاجتماعية	الليونة
الحذر والحيطة	التخيلية	الحدة والدقة	شدة التوتر
الإحساس الدائم بالندم	الاكتفاء بالذات	الاهتمام بصورة الذات	قوة الذات العليا (الضمير)

وهذه هي العوامل الأساسية بنظرية (كاتل) التي تبنى عليها شخصية الفرد الإنسان. كما وجد (كاتل) أن أهم هذه العوامل هما عاملان: الانبساط الاجتماعي والقلق لعلاقتهما بمعظم العوامل المذكورة أعلاه.

وثورندايك[1] التي تركزت أبحاثه على تطبيقات علم النفس في مجال التعلم والتربية، كما يعتبر واحدا من المؤثرين في مسيرة المدرسة السلوكية في أمريكا.

المبحث الثالث: نظرية التعلم السلوكية

ومن مرتكزات النظرية السلوكية[2] التمركز حول مفهوم السلوك، من خلال علاقته بعلم النفس، و الإعتماد على القياس التجريبي، و عدم الاهتمام بما هو تجريدي غير قابل للملاحظة والقياس..

أ- طبيعة ومفاهيم النظرية الإجرائية:

السلوك: يعرفه سكينر[1] بأنه مجموعة استجابات ناتجة عن مثيرات المحيط الخارجي . و هو إما أن يتم دعمه و تعزيزه فيتقوى حدوثه في المستقبل أو لا يتلقى دعما فيقل احتمال حدوثه في المستقبل.

---

(1) ولد ثور نديك سنة 1874م وهو أول من ادخل نماذج معينة من الحيوانات في معمل علم النفس وقام بالتجربة عليها وفق أجهزة خاصة وقد استخدم في هذه التجارب القطط والكلاب والفئران.

(2) ظهرت المدرسة السلوكية سنة 1912 في الولايات المتحدة، و من أشهر مؤسسيها واطسون .

المثير والإستجابة: تغير السلوك هو نتيجة و استجابة لمثير خارجي.

التعزيز و العقاب: من خلال تجارب ثورندايك[2] يبدو أن تلقي التحسينات و المكافآت بصفة عامة يدعم السلوك و يثبته، في حين أن العقاب فينتقص من الأستجابة و بالتالي من تدعيم و تثبيث السلوك.

التعلم: هو عبارة عن عملية تغير شبه دائم في سلوك الفرد[3].

ب- بعض المبادئ في النظرية الإجرائية

التعلم ينتج من تجارب المتعلم و تغيرات استجابته	التعلم يرتبط بالسلوك الإجرائي الذي نريد بناءه	التعلم يُبنى بدعم و تعزيز الأداءات القريبة من السلوك
التعلم المقترن بالعقاب هو تعلم سلبي	التعلم مرتبط بالنتائج	

ج – النظرية السلوكية والتربية :- إن أفكار سكينر و أطروحاته، قد أحدثت عدة تغييرات في التفكير التربوي و البيداغوجي بصفة عامة ... فسكينر يعتبر مثلا أن الطفل في البيداغوجيا[4] الكلاسيكية كان يتعلم لينجو من العقاب، مع غياب كل أشكال الدعم.

المضمون المعرفي: هو كل مضمون معرفي يقدم للتلميذ لابد أن تتوفر فيه شروط قادرة على إثارة الاهتمام و الميولات و الحوافز.

(1) سكينر skinner .. يُعدُّ سكنر من أشهر علماء النفس التربويين وقد ولد عام 1904م بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل على البكالوريوس والماجستير من كلية هاميلتون سنة 1930م وعلى الدكتوراه من جامعة هارفرد في الفلسفة عام 1931م. سبق ترجمته.

(2) ولد ثور نديك سنة 1874م وهو أول من ادخل نماذج معينة من الحيوانات في معمل علم النفس وقام بالتجربة عليها وفق أجهزة خاصة وقد استخدم في هذه التجارب القطط والكلاب والفئران.

(3) التعلم و الشخصية أنور محمد الشرقاوي، مجلة عالم الفكر، المجلد 13 ،1982، ص 22

(4) البيداغوجيا: مصطلح تربوي أصله يوناني ويعني بصفة عامة مجموع طرق التدريس. و يعني لغويا العبد الذي كان يرافق الأطفال إلى المدرسة.

محدد العرض النسقي للمادة:- ومعناه تفكيك و تقسيم المادة وفق وقائع و معطيات، مع ضبط العلاقات بين مكوناتها، ثم تقديمها وفق تسلسل متدرج و متكامل.

محدد التناسب و التكيف:- إن المادة المقدمة للتلميذ يجب أن تتناسب و مستوى نموه من جميع النواحي.

محدد التعزيز الفوري :- كلما تم تعزيز الإستجابات الإجرائية الأيجابية عند المتعلم كلما وقع التعلم بسرعة أكبر.

المبحث الرابع: النظرية الجشطلتية في التعلم

تم إحلال المدرسة الجشطلتية [1] محل المدرسة الميكانيكية الترابطية، و جعلوا من مواضيع دراستهم: سيكولوجيا التفكير و مشاكل المعرفة. والجشطلت، معناها الكل، وهو أصل التسمية لهذه المدرسة، و يعني كل مترابط الأجزاء باتساق وانتظام بحيث تكون الأجزاء المكونة له في ترابط دينامي فيما بينها من جهة، ومع الكل ذاته من جهة أخرى، فكل عنصر أو جزء من الجشطلت له مكانته ودوره ووظيفته التي تتطلبها طبيعة الكل.

كما أن نظرة المدرسة الجشطلتية للتعلم تختلف عن النظرة السلوكية، فالمنظرون للنظرية الجشطلتية يعتبرون أن التجارب على الحيوانات، لا يمكن تطبيقها على الإنسان، وفي هذا الصدد يقول كوفكا [2] :يعني في المقام الأول أن لا

---

(1) ظهرت المدرسة الجشطلتية على يد ماكس فريتمر، كورت كوفكا و فولف جالج كوهلر ، وهؤلاء العلماء المؤسسون رفضوا ما جاءت به المدرسة الميكانيكية الترابطية من أفكار حول النفس الإنسانية.

(2) كيرت كوفكا تلقى تعليمه حيث ولد بألمانيا،ودرس العلوم والفلسفة في شبابه في جامعة أدنبرة (1903م ـ 1904م) وبعد عودته إلى برلين درس علم النفس وحصل على درجته العلمية عام 1909 م تحت إشراف كارل ستمف، وبدأ مشوار العمل مع فرتيمر وكهلر وفي عام 1911 م عمل بجامعة جيشن التي تبعد عن فرانكفورت بأربعين كيلومتر حتى عام

شيء جديدا يمكن أن يتعلم، هو استبعاد بعض هذه الاستجابات، و تثبيت ما بقي منها، و لكن ليس لهذا السلوك أي غرض أو اتجاه، و على الحيوان أن يحاول عبثا...إذ ليس للحيوان أدنى فكرة عن السبب الذي من أجله يتحول سلوكه...إنها تتعلم بطريقة عمياء[1].

فالتعلم حسب وجهة نظر الجشطلتيين، يرتبط بإدراك الكائن لذاته و لموقف التعلم، فهم يرون التعليم النموذجي يكون بالإدراك و الانتقال من الغموض إلى الوضوح ... فكوفكا يرى أن الطفل يكون له سلوك غير منظم تنظيما كافيا، و أن البيئة و المجتمع هو الذي يضمن لهذا السلوك التنظيم المتوخى . كما أن العلماء الجشطلتيين يرون أن كل تعلم تحليلي ينبني على الإدراك، و هو أيضا فعل شيء جديد، بالإضافة لإمكانية انتقاله لمواقف تعليمية جديدة الشيء الذي يسهل بقاءه في الذاكرة لزمن طويل.

1- **مبادئ التعلم في النظرية الجشطلتية:** كما نورد بعجالة مبادئ التعلم حسب وجهة نظر الجشطلت وهي:

الاستبصار شرط للتعلم الحقيقي	**الانتقال شرط التعلم الحقيقي**	**الفهم و تحقيق الاستبصار يفترض إعادة البنينة**
الحفظ و التطبيق الآلي للمعارف تعلم سلبي	**الاستبصار تفاعل ايجابي مع موضوع التعلم**	
الاستبصار حافز قوي، و التعزيز الخارجي عامل سلبي	**التعلم يقترن بالنتائج**	

1924م وعمل خلالها بوحدة للطب النفسي اهتم فيها بمعالجة أمراض الكلام وحالات الانهيار العصبي .

(1)The Growth of the mind, koffka, Haepcott Press, 1965, p. 155

2- **النظرية الجشطلتية والتربية:** كما ساهمت نظرية التعلم في تغيير و تطوير السياسات التعليمية و التربوية في عدة دول، وذلك في النصف الأول من القرن العشرين ... كما تحتكم بيداغوجيا الجشطلت من مبدأ الكل قبل الجزء، الشيء الذي يعني إعادة التنظيم و البنية الداخلية لموضوع التعلم.

كما استفاد الديداكتيك [1] من النظرية الجشطلتية، فأصبح التعليم يبدأ من تقديم الموضوع شمولياً، فجزئياً وفق مسطرة الانتقال من الكل إلى الجزء، دون الإخلال بالبنية الداخلية، و في نفس الوقت تحقيق الاستبصار على كل جزء على حدة.

---

(1) الديداكتيك هي شق من البيداغوجيا ، موضوعه التدريس (Lalande. A1972، وإنها،كذلك نهج ،أو بمعنى أدق ،أسلوب معين لتحليل الظواهر التعليمية (Lacombe .1968.D). أما بالنسبة ل B.JASMIN فهي بالأساس تفكير في المادة الدراسية بغية تدريسها، فهي تواجه نوعين من المشكلات: مشكلات تتعلق بالمادة الدراسي (وبنيتها ومنطقها ...ومشاكل ترتبط بالفرد في وضعية التعلم، وهي مشاكل منطقية وسيكولوجية (1973JASMIN.B) ويمكن تعريف الديداكتيك أيضا حسب REUCHLIN كمجموع الطرائق والتقنيات والوسائل التي تساعد على تدريس مادة معينة(.1974Reuchlin.M) ويجب التميز في تعريفنا للديداكتيك، حسب.Legendre بين ثلاث مستويات:

1- الديداكتيك العامة: وهي التي تسعى إلى تطبيق مبادئها وخلاصة نتائجها على مجموع المواد التعليمية وتنقسم إلى قسمين: القسم الأول يهتم بالوضعية البيداغوجية، حيث تقدم المعطيات القاعدية التي تعتبر أساسية لتخطيط كل موضوع وكل وسيلة تعليمية لمجموع التلاميذ؛ والقسم الثاني يهتم بالديداكتيك التي تدرس القوانين العامة للتدريس، بغض النظر عن محتوى مختلف مواد التدريس.

2- الديداكتيك الخاصة: وهي التي تهتم بتخطيط عملية التدريس أو التعلم لمادة دراسية معينة.

3- الديداكتيك الأساسية: Didactique.Fondamentale. وهي جزءمن الديداكتيك، يتضمن مجموع النقط النظرية والأسس العامة التي تتعلق بتخطيط الوضعيات البيداغوجية دون أي اعتبار ضروري لممارسات تطبيقية خاصة. وتقابلها عبارة الديداكتيك النظرية (1988Legendre.R.)

ويقال أن نظرية الجشطلت ساهمت بجد كبير في صياغة السيكولوجيا المعرفية، و بالخصوص سيكولوجيا حل المشكلات ... ومن ثم كانت أبحاث نظرية الجشطلت موجهة في بدايتها إلى سيكولوجية الإدراك، والإدراك هو الخطوة التي تلي الإحساس، إذ أن الإدراك يتضمن شيئا من الوعي والتمييز الذي لا يمكن أن يتم بدون الإحساس.

ومن المعروف أن الإدراك يتبع الإحساس في جميع أنواعه، ومن ذلك: الإحساس البصري والإحساس السمعي، والمهم في فكرة الجشطلت عن الإدراك أن المدركات التي ندركها تتأثر بعوامل معينة تتحكم في إدراكنا لها وتمييزها عن غيرها مما يوجد في المجال المحيط بنا وأننا ندرك الأشياء التي تقع تحت حسنا كوحدات كلية وإن كنا بعد ذلك نحاول التدقيق في تفاصيلها.

ومن جهة أخرى فالعناصر النهائية للتحليل للواقعة العقلية لا يمكن للشعور أن يبلغ إليها فكأنها ظواهر نفسية لا شعورية وهذا المفهوم ممكن أن يتبدى في صورتين:

الصورة الأولى:- يفقد العنصر فرديته في الإئتلاف الذي يدخل فيه ولكننا ما نزال نقتدر على ملاحظته في حالته النقية في ظروف أخرى، فاتسامه باللاشعور مسألة عارضة.

الصورة الثانية: يكون العنصر لاشعوريا بطبيعته ذلك أنه لم يوجد قط إلا ضمن ائتلاف ولكن في هذه الحالة كما في تلك لا يستند التحليل بصورة مباشرة إلى الملاحظة.

قواعد الإدراك التنظيمي عند الجشطلت، إن قوانين الإدراك التنظيمي لا تنطبق على مواقف الإدراك وحدها وإنما تنطبق على كافة أوجه نشاط الفرد وسلوكه وخاصة في مواقف التعلم ويضرب كوفكا [1] مثالا لذلك بقانون الغلق

(1) كيرت كوفكا (1903ـ 1904) الطبيب النفسي و العصبي .سبقة ترجتمة

وكيف أنه ينطبق على مجال الإدراك كما ينطبق على مواقف التعلم المدرسي فيعتبر أن دائرة غير مغلقة تجعلنا نميل إلى إغلاقها.

أولاً: قاعدة الشكل والأرضية أساس عملية الإدراك إذ ينقسم المجال الإدراكي لظاهرة ما إلى قسمين:- القسم الأول: الشكل السائد الذي يكون مركز للانتباه ... أما القسم الثاني: وهي الأرضية أي بقية المجال الذي يعمل كخلفية متناسقة منتشرة يتضح عليها الشكل، كما يتضح الماس على أرضية من المخمل الأسود. فنحن عندما نتنبه إلى ظاهرة يكون هذا هو الشكل، بينما كل ما يحيط بها هو الأرضية.

ثانياً: قاعدة الاستمرار أو الاتجاه، تقرر أننا نميل إلى إدراك الأشياء التي تتصل ببعضها البعض، أو تسير في نفس الاتجاه بحيث لا تسير في الاتجاه الذي تميل فيه.

ثالثاً: قاعدة التقارب، وتقول بأن الموضوعات القريبة من بعضها البعض في الزمان والمكان نميل إلى إدراكها في كليات.

رابعاً: قاعدة التشابه، نحن نميل إلى إدراك العناصر المتشابهة في بناء كلي واحد.

خامساً: قاعدة المصير المشترك، تقرر هذه القاعدة أننا نميل إلى إدراك العناصر في أشكال مكتملة إذا ما كان يجمعها حركة مشابهة وذلك مثلما تنفصل أنوار الطائرة في الليل عن بقية نجوم السماء أو مثلما ندرك مجموعة من الخيل في السباق وكأنها وحدة واحدة متحركة.

سادساً: قاعدة الشمول نميل إلى إدراك الشكل الذي يشمل أكبر عدد من المنبهات فإذا اختفي شكل داخل شكل أكبر رغم اختلافه الواضح عنه فإننا سندرك الشكل الأكبر وتعتمد فكرة التمويه على هذه القاعدة فالجندي الذي يرتدي ثيابا ذات بقع خضراء لا يمكن تمييزه داخل غابة من الأشجار.

سابعاً: قاعدة الإغلاق نميل إلى إدراك الأشكال الناقصة باعتبارها مكتملة فعندما ينظر شخص إلى دائرة لا يتصل طرفاها فإنه يدركها مكتملة بغض النظر عن هذا الانقطاع.

المبحث الخامس: مدرسة التحليل النفسي

يعتبر فرويد[1]مؤسس مدرسة علم النفس التحليلي، ومدرسة علم النفس التحليلي، هو مصطلح يرجع إلى البناء النظامي لنظرية التحليل النفسي والمبنية على العلاقة بين العمليات النفسية الشعورية واللاشعورية. وهي مجموعة نظريات ومنهج أسلوب علاجي، وذلك لدراسة النفس البشرية بطريقة تقسيميه افتراضية حيث قسما النفس وفهموا العمليات النفسية افتراضيا ولها ثلاث تطبيقات:

---

(1) سيغموند شلومو فرويد ولد في مدينة فرايبورغ الألمانية عام 1856 لوالدين يهوديين. وعندما بلغ الرابعة من عمره، انتقل فرويد وعائلته إلى فيينا عاصمة النمسا، وهناك بدأ فرويد مسيرته الدراسية ونال شهادة في علم الأعصاب ، وكان أمل فرويد أن يصبح عالما في التشريح ونشر عددا من الأوراق العلمية في هذا المجال وسرعان ما أدرك أن التقدم في مدارج العلم ومراتبه سيكون بطيئا بحكم انتمائه الرقي وإدراكه هذا فضلا عن حاجته إلى المال دفعاه إلى الممارسة الإكلينيكية الخاصة كمتخصص في الأعصاب عام 1881م . وفي عام 1886 تزوج مارتا برزنيز وأنجب منها ستة أطفال ثلاثة من البنين وثلاث من البنات وأصبحت إحدى بناته طبيبه نفسيه وهي إنا ولقد اشتهرت بعلاج الأطفال في لندن.

عُرِفَ فرويد بإدمانه للسيجار، وما أن تخلَّص من إدمانه هذا إلى وقد أُصيب بسرطان الحَلْق (Palate Cancer) عام 1923، وأجرى عدة عمليات لاستئصاله، إلا أن الألم وعدم الراحة لازماه إلى أن طلب من الطبيب إعطاءه جرعة مميتة من المورفين عام 1939 للتخلص من أوجاعه ومن حياته المشؤومة منتحراً، وقد أراح العالم بذلك من نظريات منحرفة، ودعوات شاذة باطلة لا يقبلها سليم القلب والعقل. كما نشأ (فرويد) نشأة يهودية مغلقة، تلقى فيها كل سمات الناشئ اليهودي، في أسرة شديدة التمسك بيهوديتها . ويقول عن نفسه "وظللت يهودياً أنا نفسي" (قد يجد البعض تمسك فرويد بيهوديته متناقضاً مع إلحاده). (التراث اليهودي الصهيوني في الفكر الفرويدي، تأليف د. صبري جرجس – عالم الكتاب – طبعة 1970م.)

طريقة نظامية لفهم السلوك	طريقة لاستكشاف العقل	طريقة للعلاج النفسي للمعتلين نفسيا

كما أن هذه الطريقة تقوم على الكشف عن أسباب المرض النفسي في لاشعور [1] المريض. ويتم ذلك عن طريق دفع الرغبات والمشاعر المكبوتة والذكريات المَنسيَّة من اللاشعور إلى الشعور وذلك عبر طرق عدة نتحدث عنها في سياق الكلام ... بعد أن بدأ فرويد معالجته للمرضى في عيادته استمر في أبحاثه وتنظيره واتصل بعدد من الأطباء في أوروبا منهم جان مارتن شاركوت الفرنسي الذي كان يُعالج مرضاه بالتنويم المغنطيسي.

فعمل معه فترة من الزمن وتعلم منه طريقته بالإضافة إلى معالجة المرضى عن طريق المواد المخدِّرة، وقد عالج فرويد أحد مرضاه بالكوكايين وأدَّى ذلك إلى موته، بعد أن ظن فرويد أن للمخدرات تأثيراً إيجابياً على الصحة النفسية، فاضطر إلى أن يتخلى عن هذه الفرضية إلى حدٍ ما.

كما أعلن فرويد انتماءه للمدرسة التجريبية وهي (التيار السائد في أوروبا آنذاك)، وعمل في المختبرات مساعداً وكان يحاول تفسير النشاط العقلي من

---

(1) فاللاشعور: هو الميل أو النفور الذي يجده الإنسان في نفسه دون معرفة سببه. والشعور: هو الوعي.

وفهم اللاشعور أصعب من فهم الشعور وخاصة بسبب ما يقوم به في النفس، بما يتصل بالمسؤولية وعدمها؛ فإثباته يجعل أمام الإنسان إشكالاً في هذا الجانب إلى ما يضاف إليه من غموض إدراكه. وقد وصف ابن تيمية اللاشعور وصفاً دقيقاً كظاهرة من الظواهر فقال: (...إن الإنسان قد يقوم بنفسه من العلوم والرادات وغيرها من الصفات مالا يعلم أنه قائم بنفسه، فإن قيام الصفة بالنفس غير شعور صاحبها بأنها قامت به، فوجود الشيء في الإنسان غير شعور الإنسان به) ابن تيمية - الفتاوى - جـ 16 - ص 343. ويمكن أن يفهم مصطلحاً الانفعال والفعل على ضوء اللاشعور والشعور؛ لأن الانفعال نتيجة اللاشعور، والفعل نتيجة الشعور.

خلال تفسيرات فيزيولوجية[1] منكراً وجود الروح ؛ فالكيان الإنساني بالنسبة له ليس سوى عبارة عن: لحم ودم وعظم وأعصاب وتفاعلات كيميائية في الدماغ. وأنكر فرويد بذلك الآخرة، فوجود الإنسان إذاً يقتصر على هذه الحياة الدنيا، وهذا عامل أساسي في نظرته القاتمة والمتشائمة للحياة.

وقد توصل العلم الحديث إلى أن إنكار الروح ليس أمراً يقينياً وذلك حتى من خلال الأبحاث المخبرية. ومن الحجج العلمية التي ترفض إنكار الروح ما يقول بأن جسد الإنسان يتغير بجميع خلاياه وأنسجته، وعلى الرغم من ذلك فإن أفكار الإنسان تبقى بصفة دائمة وكأنها موجودة في "سِجِلٍّ حافظٍ" غير محدود بالطبيعة الفيزيولوجية، وهذا ما يعطي الإنسان شخصيته الواحدة في جوهرها، رغم تبدل الخلايا والأنسجة.

ومن الحجج القوية: أنّ خلايا القلب لا تنبض بفعل عملية بيولوجية، بل إنّ هناك كياناً غير فيزيولوجي يضمن خفقان هذا القلب، وبذلك استمرار حياة الإنسان، وما يزال النسيج القلبي الذي يخفق [2] لغزاً في عالم البيولوجيا، أجبر كثيراً من العلماء على الاعتراف بوجود الروح.

الأسس الثلاثة التي تركز عليها المدرسة التحليلية هي:

الجنس	الطفولة	الكبت

(1) الفيزيولوجية: هي من العوامل المؤثرة في النمو الانفعالي، الحسي والمعنوي وذلك عند المراهق وغيرهم، والفيزيولوجية هي عملية ترتبط بالأعصاب وبناء المخ وشروط الزمان والمكان. كما يقصد بالدوافع الفيزيولوجية عادة الشروط الفيزيولوجية التي تدفع للفاعلية وهذه الشروط تكون نتيجة لحاجة لم ترض.

(2) Nodal Tissue

فهي مفاتيح السيكولوجية الفرويدية ... كما أن نظرية الكبت [1]: هي دعامة نظرية التحليل النفسي وهي أهم قسم فيه، إذ إنه لا بد من الرجوع إلى الطفولة المبكرة وإلى الهجمات الخيالية التي يراد بها إخفاء فاعليات العشق الذاتي أيام الطفولة الأولى إذ تظهر كل الحياة الجنسية للطفل من وراء هذه الخيالات.

كما يعتبر فرويد مص الأصابع لدى الطفل نوعاً من السرور الجنسي الفمي ومثل ذلك عض الأشياء، فيما يعد التغوط والتبول نوعاً من السرور الجنسي الأستي كما أن الحركات المنتظمة للرجلين واليدين عند الطفل إنما هي تعبيرات جنسية طفولية.

كما يتكلم فرويد عن تطبيق مبدأين هما اللذة والواقع، فالإنسان يتجه بطبيعته نحو مبدأ اللذة العاجلة لمباشرة الرغبة لكنه يواجه بحقائق الطبيعة المحيطة به فيتجنب هذه اللذة التي تجلب له آلاماً أكبر منها أو يؤجل تحقيقها.

يفترض فرويد وجود غريزتين ينطوي فيهما كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وهما:

غريزة الحياة	وغريزة الموت

(1) يعتبر الكبت أساس الحيل الدفاعية جميعا، فكلنا نلجأ إليه بمقدار و عن وعى و إرادة، و لكن إذا أسرف الفرد في الالتجاء إلية كحل لمشكلاته و رغباته أنتقل به إلى حالة المرض و من ثم الوقوع في سلوكيات غير طبيعية. فالكبت المتصل يمنع الفرد من مواجهة مشاكله مواجهة موضوعية و بالتالي عدم حلها، و في كثير من الحالات تحاول الدوافع و الحاجات المكبوتة التعبير عن نفسها بطرق ملتوية لا شعورية قد توقع الإنسان في الخطأ أو الجريمة أو الأمراض النفسية، كما قد يظهر الشيء المكبوت فجأه فيحطم سدود الكبد كالنهر الجارف و يصبح القشة التي قصمت ظهر البعير، فقد يرتكب الإنسان جريمة لأسباب تافهة بسيطة.

غريزة الحياة تتضمن مفهوم اللبيدو[1] وجزءً من غريزة حفظ الذات ... أما غريزة الموت فتمثل نظرية العدوان والهدم، موجهة أساساً إلى الذات ثم تنتقل إلى الآخرين[2].

الحرب لديه إنما هي محاولة جماعية للإبقاء على الذات نفسياً، والذي لا يحارب إنما يعرض نفسه لاتجاه العدوان إلى الداخل فيفني نفسه بالصراعات الداخلية، فالأولى به أن يفني غيره إذن، والانتحار هو مثل واضح لفشل الفرد في حفظ حياته. وهذا المفهوم إنما يعطي تبريراً يريح ضمائر اليهود أصحاب السلوك العدواني المدمر.

كما استفاد كثيراً من عقدة أوديب [3] تلك الأسطورة التي تقول بأن شخصاً قد قتل أباه، وتزوج أمه، وأنجب منها وهو لا يدري. ولما علم بحقيقة ما فعل سمل

---

(1) اللبيدو Libido طاقة جنسية أو جوع جنسي، وهي نظرية تعتمد على أساس التكوين البيولوجي للإنسان الذي تعتبره حيواناً بشرياً فهو يرى أن كل ما نصرح بحبه أو حب القيام به في أحاديثنا الدارجة يقع ضمن دائرة الدافع الجنسي. فالجنس عنده هو النشاط الذي يستهدف اللذة وهو يلازم الفرد منذ مولده إذ يصبح الأداة الرئيسية التي تربط الطفل بالعالم الخارجي في استجابته لمنبهاته.

(2) **النقل**: وهي أن المريض قد ينقل حبَّه أو بغضه المكبوت في أعماق الذكريات إلى الطبيب مثلاً خلال عملية المعالجة. وقد تعرض بروير لحب واحدة من اللواتي كان يعالجهن إذ نقلت عواطفها المكبوتة إليه، فكان ذلك سبباً في انصرافه عن هذه الطريقة بينما تابع فرويد عمله بمعالجة الواحدة منهن بنقل عواطفها مرة أخرى والوصول بها إلى الواقع.

(3) عقدة أوديب Complexe d'oedipe: هي من أسطورة أوديب الإغريقية، وهي عقدة نفسية تطلق على الذكر الذي يحب والدته ويتعلق بها ويغار عليها من أباه ويكرهه وهي المقابلة لعقدة اليتكرا عند الأنثي ... وكلمة عقدة بالاتيني تعني تجمع عدة أمور غير متجانسة. و اندمجت عقدة أوديب بنظرية فرويد التي تصف مراحل التطور عند الطفل و بالتحليل النفساني بشكل عام ... فعقدة أوديب عقدة التعلق بالأم و الوقوف في المحظورات وعقدة أوديب في اللاوعي هي اللبيدو – الدافع الجنسي – أو بعض مكونات اللبيدو ... سماها

عينيه، فقد استغل فرويد تلك الروايات المسرحية، في إسقاطات نفسية كثيرة واعتبرها مركزاً لتحليلاته المختلفة.

كما قسّم فرويد الكيان البشري إلى ثلاثة أجزاء متصارعة، دوافع [1] غريزية، واقع خارجي ضمير، وهذه الأجزاء هي: الـ(هو)(id) والـ(أنا) (ego) والـ(أنا الأعلى).

فهو يَعتَبر الإنسان الذي يحقق توازناً بين هذه العناصر في جهازه النفسي رجلاً معافىً، إلا أن ذلك مستحيل بالنسبة لفرويد، فكل الناس مرضى نفسياً، ولكن بنسب متفاوتة!.. ويتمثل هذا الصراع بإيجاز بأن ((الـهو))، مبدأ اللذة المطلقة غايته الوصول إلى أقصى درجة من اللذة .. و((الأنا)) يمثل الوسيط بين الـهو والعالم الخارجي و((الأنا العليا))، يمثل القيم الاجتماعية.

فرويد بالبداية العقدة النووية، ثم سماها العقدة الأبوية. و أعطاها اسم عقدة اوديب بعام 1910. معترفا بقوله أنه كان يحس بمشاعر الحب لأمه و مشاعر الغيرة من والده معتبرا أن هذه المشاعر هي أمر شائع عند جميع الأطفال.

(1) يقول بأن كل سلوك مدفوع، فإلى جانب الأفعال الإرادية التي توجهها الدوافع والتمنيات هناك الأفعال غير الإرادية أو العارضة. فكل هفوة مثلاً ترضي تمنياً وكل نسيان دافعه رغبة في إبعاد ذلك الشيء. الشلل أو العمى لديه قد يكون سببه الهروب من حالة صعبة يعجز الإنسان عن تحقيقها وهذا يسمى انقلاب الرغبة إلى عرض جسدي. والحلم عنده هو انحراف عن الرغبة الأصلية المستكنة في أعماق النفس وهي رغبة مكبوتة يقاومها صاحبها في مستوى الشعور ويعيدها إلى اللاشعور، وأثناء النوم عندما تضعف الرقابة تأخذ طريقها باحثة لها عن مخرج.

الفصل الثاني

أهمية دراسة النمو التربوية من الناحية التطبيقية

يهتم علم النفس العام بدراسة السلوك الإنساني في جميع مجالات حياة الإنسان، بينما يهتم علم النفس النمو بسلوك الإنسان في مراحله التكوينية والطفولة والمراهقة، لذلك فإن المعرفة النفسية في مجال علم النفس النمو تكمل المعرفة العلمية في مجال علم النفس، و لا شك أن المعرفة في جميع المجالات العلمية وخاصة في علم النفس، تكمل بعضها البعض فهي متداخلة ومتراكمة عبر التاريخ. كما أن علم النفس النمو يستفيد من النظريات والمبادئ المتوافرة في فروع علم النفس الأخرى، كعلم نفس التربوي، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس المعرفي، وعلم النفس الإرشادي وغيرها من العلوم المتفرعة من علم النفس والاجتماع، فقد تنبه علماء النفس بأهمية العلوم النفسية في المجالات الاجتماعية وخاصة في المجال التربوي، ومن خلال ذلك أكدوا على ضرورة تغذية السلوك في إطار نمائي واجتماعي ومعرفي وإرشادي .

وكذلك فإن فروع علم النفس الأخرى تستفيد من المبادئ و المفاهيم الواردة في علم النفس النمو وخصوصاً في مجالات التعلم و الدافعية و الذكاء و التفكير، وحل المشكلات و غيرها في تفسير وتوجيه السلوك الإنساني في هذه المجالات المختلفة. وتتبين أهمية دراسة النمو عند التربويين بوجه خاص في مساعدتهم على التعرف على مكونات الشخصية عند طلابهم ومطالب النمو، واحتياجاته التي تعد عاملا مؤثراً في توجيه سلوكياتهم فضلا عن معرفة ما لديهم من القدرات العقلية التي تتباين عند الطلاب، وهو ما يعرف عند التربويين وعلماء النفس " بالفروق الفردية "، وأثر ذلك في التعليم النشط والفعال، وفي الإرشاد الطلابي والتوجيه الاجتماعي، والإشراف التربوي التعليمي، وهي جوانب أساسيه في حياة الطالب بوجه خاص.

1- تعريف علم النفس التربوي

يعرف علم النفس التربوي بأنه أحد فروع علم النفس النظرية و التطبيقية التي تعني بعملية التعلم والتعليم، أي أنه العلم الذي يربط علم النفس والتربية، وكذلك هو العلم الذي يدرس عمليات التعلم والمعرفة والقياس والسلوك الاجتماعي والنمو الإنساني والتكيف الشخصي. وهو من ميادين علم النفس الذي يدرس، سلوك الإنسان في المواقف التربوية، وذلك من خلال تزويدنا بالمعلومات والمبادئ والمفاهيم التي تساعد في فهم عملية التعلم والتعليم، و هو أحد ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية التي تسعى إلى الاستفادة من المفاهيم والمبادئ النفسية وتسخيرها لفهم وتوجيه عملية التعلم والتعليم نحو الأفضل . و هو كذلك العلم الذي يدرس مشكلات العملية التربوية و حلها من خلال مفاهيم و مبادئ علم النفس المختلفة.

1- **التعريف اللغوي**: لقد عَرَّف اللُّغَوِيُّون وأصحاب المعاجم لفظة التربية بأنها: (إنشاءُ الشيءِ حالاً فحالاً إلى حَدِّ التمام) و(ربُّ الولدِ ربّاً: وليُّه وتَعَهُّدُهُ بما يُغذِّيه ويُنمِّيه ويُؤدِّبه).

2- **تعريف الاصطلاحي**: هي مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، وتعني في الوقت نفسه التجدد المستمر لهذا التراث وأيضا للأفراد الذين يحملونه. فهي عملية نمو وليست لها غاية إلا المزيد من النمو، إنها الحياة نفسها بنموها وتجددها.

و يمكن تحديد طبيعة علم النفس التربوي في الآتي:

- يعتمد على مجموعة من الحقائق والمعارف المشتقة من البحث العلمي في علم النفس.
- كما يركز على دراسة السلوك في مجالات العمل المدرسي.

- كما يتبنى منهجا للبحث العلمي ؤ تجميع و ، ظيم البيانات و المعارف.
- دراسة المبادئ و الشروط الأساسية للتعلم.
- تعويد الأطفال على العادات و الاتجاهات :' سليمة وذلك:

كضعف التلاميذ في اللغات	أو تدريس القراءة للمبتدئين بالطريقة الكلية	أو تدريس العلوم على صورة علوم عامة

كما يطبق مبادئ عملية التعلم وقوانينها على تدريس المواد المختلفة مثل:

الحساب	الرسم
القراءة	اللغة

2. أهمية علم النفس التربوي

علم النفس التربوي بمفهومه الحديث لا يقتصر على أن يستعير من علم النفس النظري ما يراه من نتائج ومبادئ تفيده في حل مشكلات التربية والتعليم، فهو يصوغ لنفسه مبادئ سيكولوجية يحتاج إليها الباحث لحل المشكلات ... وقد أجريت عدة دراسات حول تدريب وتقييم أداء المعلمين في التربية العملية ووضع لذلك أدوات خاصة في عدد من الجامعات. وعلى الرغم من اختلاف هذه الدراسات في أدواتها وأساليبها ومنهجيتها إلا أنها ساهمت في تقديم أساليب ومفاهيم جديدة ...وقد أجريت عدة دراسات تربوية حول تدريب المعلمين والطلاب في كليات التربية، وما يلاحظه المختصين، من تلك الدراسات على اختلاف أدواتها وبرامجها، تؤكد على أهمية التدريب وضرورته للمعلمين، قبل، وأثناء الخدمة، وتركز على جوانب مختلفة أهمها:

الجانب الشخصي والنفسي	الجانب العلمي التخصصي	الجانب المهني الميداني

وإذا تم إعداد هذه البرامج بصورة صحيحة، فسوف يكون لها نتائج إيجابية ومثمرة وتتناول هذه الجوانب:

أولاً :الجوانب الشخصية والنفسية

1- الاختيار المناسب لمن يرشح للعمل في تدريس التربية بحيث يكون ذو شخصية قوية، ويتمتع بحسن المظهر والنطق السليم والخلو من العيوب الخَلْقِيَّة.

2- اختيار من له الرغبة والموهبة في العمل في مهنة التدريس بدافع وحب شخصي لهذه المهنة لأن ذلك سينعكس إيجابيا على عمله.

3- إقناع من يختار للعمل بمهنة تدريس التربية بأن ما يقوم به مهنة سامية فهو يقدم للناس كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم القائل "إنما بعثت معلما [1]" فمهنته هي مهنة الأنبياء والرسل الكرام، إن شعور المعلم بهذا ستكون له آثار إيجابية على عمله وعلاقاته مع تلاميذه الذين يتعامل معهم.

كما أكدت على ضرورة تدريب المعلمين، واتفقت على أن جوانب التدريب يجب أن تركز على الجوانب التالية[2]:

المواصفات الشخصية للمدرس	المواصفات المهنية الفنية
جوانب متعلقة بالتدريس كعملية	العلاقة بين المدرس والتلاميذ
قدرة المدرس على التنظيم	

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة رقم الحديث (225)

(2) رشدي أحمد طعيمة، المعلم، كفاياته، تدريبه، ص (107- 121)

ثانياً: الجانب العلمي التخصصي

الجانب العلمي للمعلم تقوم به غالبا المؤسسات التعليمية من المعاهد والكليات والجامعات ولكن ليس كل من يتخرج من الجامعات والكليات على مستوى يمكنه من العمل في التدريس وقد أثبتت التجارب والوقائع العملية أن مستوى المعلم العلمي له أثر كبير على قدرته على التدريس ... إن غزارة المادة العلمية هي أحد عناصر الكفاية الخاصة للعلم، وتظهر أهمية ذلك من خلال ميل المتعلمين وحبهم ،وإعجابهم وإقبالهم على معلمهم ،لما يجدونه عنده من حسن تصرف[1]. وعلى الرغم من الدور الذي تقوم به المؤسسات التعليمية في إعداد المعلم فإن المعلم يحتاج إلى إعداد من نوع خاص:

- دورات خاصة في القضايا العلمية المتعلقة في المناهج التي سيقوم بتدريسها حتى يستطيع التعامل معها بسهولة، فقد يختلف ما درسه في الجامعة مع ما يتم تدريسه، فمثلا قد تكون دراسة المعلم الفقهية على المذهب الحنفي ويدرس منهاجا يتبع المذهب المالكي أو الشافعي.
- إعداد في أحكام تلاوة وتجويد القرآن الكريم عمليا لاسيما وأن الجامعات تدرس الأحكام غالبا نظريا ولا تهتم بالنواحي التطبيقية العملية إلا للمتخصصين في القراءات وليس لجميع طلبة كليات الشريعة.
- إرشاد المعلم إلى أهم المراجع العلمية اللازمة للمادة التي يقوم بتدريسها.

ثالثاً: الجانب المهني الميداني

يقصد بالجوانب المهنية تدريب المعلم على كيفية تنفيذ دوره كمعلم، ليتمكن المدرس من دراسة نفسية الطفل والنزول إلى مستواه والاتصال العاطفي به ليكون ذلك جسرا يوصل خلاله العلم إلى عقل التلميذ.

---

(1) محمد منير سعد الدين، المدرسة الإسلامية، ص (131)

وقال ابن عبدون: والتعليم صناعة يحتاج إلى معرفة ودربة ولطف، فإنه كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلى سياسة ولطف حتى يرتاض ويقبل التعليم[1]...ومن القضايا التربوية التي يحتاج المعلم إلى التدريب عليها وهي:

الإدارة الصفية والتفاعل الصفي	التخطيط التربوي (اليومي والسنوي)	أساليب التدريس والتقويم
استخدام الوسائل التعليمية الحديثة	تحليل المناهج والتعامل مع الكتب المدرسية	الأنشطة الطلابية اللاصفية
التعامل مع الطلاب وحل مشاكلهم		

3ـ أهداف علم النفس التربوي

كما يهدف علم النفس التربوي إلي توفير، كم من الحقائق المنظمة والتعميمات التي يمكن أن تساعد المعلم في تحقيق أهدافه المهنية، وتقدير أهمية العلاقات الإنسانية داخل حجرات الدراسة في بناء شخصيات التلاميذ، إلى جانب فهم الأساليب الدقيقة في الحكم و تقدير نتائج التلاميذ.

إن هدف التربية هي إنماء الملكات الجسمية والفكرية والخلقية في كل جيل، مما يؤدي إلى المشاركة في التحسين التدريجي للجنس البشري، وهي تتمثل في الأهداف التالية:

- المعرفة والبحث[2].
- الهدف المحافظة على الفرد والمجتمع كنمو متناسق[3].

---

(1) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص (210)

(2) وقوف الفكر الإنساني أمام الإحاطة الكاملة بالمعارف.وإيجاد طريقة كوسيلة لازمة للوصول إلى المعرفة.

(3) وهو الهدف الذي كان سائدا في المجتمعات البدائية، حيث كان الأهل يربون الناشئة على ما كان عليه الراشدون، وكان الأطفال يتعلمون ما إن ينتظر القيام به حين يصبحون راشدين.

- إعداد الأفراد لحياة صحية سليمة. للقيام بالوظائف.
- النزعة الإنسانية في التربية. وذلك لكسب العيش عن طريق مهنة مناسبة.
- إعداد الإنسان السوي[1].
- الإعداد لحياة كاملة. وتكوين العضو الصالح في بيئت.
- إعداد يحقق الأغراض الشرعية. وهي عملية بناء الإنسان وتوجيهه لإعداد شخصية وفق منهج الإسلام وأهدافه في الحياة.
- التربية الإسلامية، وذلك للانتفاع بوقت الفراغ وبناء أخلاق صالحة.

كما أن التربية، هي تزويد المعلم بالمبادئ و الأسس و النظريات التي تفسر و تتحكم بعملية التعلم و التعليم من أجل فهمها و تطبيقها في غرفة الصف و حل المشكلات التي تواجه المعلم أو المتعلم أثناء ذلك. و إن كانت هذه الأسس والنظريات لا يمكن تطبيقها في كل المواقف التربوية. حيث نجد أن أحد المبادئ السيكولوجية قد يصلح لبعض الممارسات التربوية ولا يصلح للبعض الأخر. ومنها:

أ- استبعاد كل ما هو غير صحيح حول عملية التعلم، والتعليم، والتي تعتمد على ملاحظات غير دقيقة، وخاصة التي تعتمد على الخبرات الشخصية، والأحكام الذاتية.

وكذلك إكساب المعلم مهارات البحث العلمي الصحيح، التي تساعد على فهم الظواهر التربوية الجديدة، وتفسيرها بطريقة علمية.

ب- مساعدة المعلم في التعرف على:

مدخلات عملية التعلم: (خصائص المتعلمين، قبل عملية التعلم).

---

(1) فقد كانت أهداف التربية في الدول السابقة هي إعداد الفرد لذاته وتنمية الصفات المطلوبة والمرغوبة.

و مخرجاتـــه: مثـــل: (قيـــاس التحـــصيل، والقـــدرات، والاتجاهـــات، والميول وغيرها).

ج- الاستفادة مـن المبـادئ، والمفـاهيم، والنظريـات النفـسية في مجـالات النمـو والدافعية، والـذكاء، والـذاكرة، والـتفكير، وحـل المـشكلات، لفهـم عمليـات الـتعلم، والتعلـيم، وتوجيههـا، وتقـديم التطبيقـات التربويـة الـصعبة في هـذه المجالات . ومن تلك التطبيقات:

أولاً . الخصائص النمائية للمتعلم: وهي تركز على دراسة مراحل النمو الإنساني والعوامل المؤثرة في النمو والخصائص النمائيـة لكـل مرحلـة مـن مراحـل النمو في مجالات النمو المختلفة المعرفيـة والجـسدية والانفعاليـة، وتوظيـف هذه الخصائص النمائية في عملية التعلم مـع مراعـاة الفـروق الفرديـة بـين المتعلمين في غرفة الصف مـن أجـل تخطـيط خـبرات التـدريس وطرائقهـا بشكل فعال، و متناسب مع قدرات المتعلمين.

ثانياً . عملية الـتعلم: ويتنـاول دراسـة سيكولوجية الـتعلم وطبيعتـه و نظرياتـه و أشكاله وشروطه والعوامل المؤثرة فيه و العوامل التي تساعد على سـرعة التعلم، لأن التعلم الفعال يعني حدوث تغيرات فعالة في السلوك الإنـساني وفق شروط وظروف بيئية فعالة و موجهة بشكل جيد.

ثالثاً . دافعية التعلم: تـوفير الظـروف البيئيـة المناسـبة الـتي تـثير اهتمـام المـتعلم بالموقف التعليمي، وتحسين إقبال المتعلمين على الدرس بشوق ورغبة عـن طريق أسلوب تقديم مادة التعلم واستخدام الوسائل التعليمية و استـشارة تفكير الطلبة وغيرها.

رابعاً . بيئة التعلم: إن التعلم الفعال يتطلب خلق بيئة تعليمية مناسبة و ذلك من خلال خلق تفاعل ايجابي بين الطلبة و المعلـم و المنـاهج و إدارة المدرسـة، واستخدام الحوافز و جداول التعزيز المناسبة وضبط غرفة الصف و تنظـيم عمليات الاتصال فيه.

خامساً . الفروق الفردية بين المتعلمين: على المعلم مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث أسلوب العرض ومدى صعوبة مادة التعلم و أساليب التعزيز و طرائقه و برامجه.

سادساً . قياس وتقويم عملية التعلم: يعد القياس والتقويم من أهم موضوعات علم النفس التربوي لأنه يتناول قياس مخرجات التعليم و تقويم مدى نجاح عملية التعلم و وضع الخطط الكفيلة بإصلاحها و توجيهها نحو الأفضل و توفير التغذية الراجحة للطلبة و أولياء الأمور حول سير عملية التعلم.

كما يعتبر مفهوم التغذية الراجعة من المفاهيم التربوية الحديثة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين[1] وقد تركزت في بدايات الاهتمام بها في مجال معرفة النتائج، وانصبت في جوهرها على التأكد فيما إذا تحققت الأهداف التربوية والسلوكية خلال عملية التعلم، أم لا ... كما أنها لاقت اهتماما كبيرا من التربويين وعلماء النفس على حد سواء . كما يعرفها "مهرنز وليمان" على أنها تزويد الفرد بمستوى أدائه لدفعه لإنجاز أفضل على الاختبارات اللاحقة من خلال تصحيح الأخطاء التي يقع فيها. وعرفها "جودين وكلوزماير" وغيرهما بأنها المعلومات التي تقدم معرفة بالنتائج عقب إجابة الطالب.

وخلاصة القول: أن التغذية الراجعة هي إعلام الطالب نتيجة تعلمه من خلال تزويده بمعلومات عن سير أدائه بشكل مستمر، لمساعدته في تثبيت ذلك الأداء، إذا كان يسير في الاتجاه الصحيح، أو تعديله إذا كان بحاجة إلى تعديل . وهذا يشير إلى ارتباط مفهوم التغذية الراجعة بالمفهوم الشامل لعملية التقويم باعتبارها إحدى الوسائل التي تستخدم من أجل ضمان تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الغايات والأهداف التي تسعى العملية التعليمية إلى بلوغها ... ومما لا

(1) ويقال أن أول من وضع هذا المصطلح هو: "نوبرت واينر" عام 1948 م .

شك فيه أن التغذية الراجعة ومعرفة النتائج مفهومان يعبران عن ظاهرة واحدة ... والنتائج: تعني أن يكون الطالب قد حقق عملا ما.

خلاصة القول في أهمية التربية وأثرها على النمو

إن إدراك الأسرة والمجتمع لأهمية التربية في تحقيق تكامل النمو للطفل، يساهم في تحديد الوسائل والطرق والأساليب المثلى التي تساعد الأسرة والمدرسة لتحقيق أفضل السبل من أجل بناء جيل مستقيم، يحافظ على القيم والأخلاق الرفيعة لنفسه ولأسرته وللمجتمع بأسره، فالإنسان: جسم، وروح، وقلب، وعقل، وعواطف، وجوارح، ولذلك ينبغي تنمية تلك الأمور بما تتوافق معا بعضها البعض، من أجل تحقيق النمو المتكامل والمتوازن لجميع جوانب شخصية الطفل ... إن الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى للطفل، والتي يتعلم فيها الطفل الكثير من الخبرات التي تساعده على التكيف مع المجتمع الأكبر، ويلعب الآباء والأمهات دوراً كبيراً وأساسياً في تربية وتنشئة أبنائهم خلال السنوات الست الأولى من أعمارهم حيث ينتقل الأبناء إلى المدرسة التي تعتبر المرحلة الوسطى في حياتهم، والتي هي صورة مصغرة للمجتمع الكبير الخالي من الشوائب، حيث يكتسب الأبناء خلال مكوثهم في المدرسة الخبرات الحياتية التي تؤهلهم لممارسة عملهم في المجتمع الكبير على الوجه الأكمل[1].

ومن هذا المنطلق يستطيع الآباء والأمهات تقديم مساعدة قيمة للمدرسة في عملها التربوي بما يملكونه من الخبرات والتجارب التي اكتسبوها بتربية أبنائهم، كما يمكنهم الحصول على المزيد من الخبرات من المدرسة، وخاصة من المعلمين المتخصصين في معالجة المشاكل السلوكية للأطفال والمراهقين . وبناء على ذلك فعلى المدرسة أن تهتم بالتواصل المستمر مع أولياء أمور التلاميذ سواء كان ذلك عن طريق مجالس الآباء أو الأمهات والمعلمين الدورية ،والمنتظمة، وكذلك الاتصالات الشخصية المستمرة، والاتصالات الهاتفية، وإرسال الرسائل لكي يكون

(1) كيف نربي أبناءنا ـ حامد شريف سليمان الحمداني: دراسة تربوية.

الآباء والأمهات على صله وثيقة بأحوال أبنائهم في المدرسة من الناحيتين السلوكية والدراسية ولكي يعملوا مع إدارة ومعلمي المدرسة، يداً بيد، على تذليل كل المصاعب التي تجابههم ... كما يمكن أن نؤكد أن الدور الذي يقوم به البيت تجاه الأبناء لا يمكن فصله عن دور المدرسة بهذا الخصوص، فكلاهما يكمل بعضه بعضاً.

كما لا تتحقق تلك المبادئ إلا من خلال التدريب والتعليم الذي يقوم على الأسس الصحيحة، والتي تتوافق معا فطرة الإنسان وقدراته وإمكانياته المتاحة لهُ إلى أقصى حد، والهدف من ذلك، من أجل أن يستطيع الفرد في مواجهة متطلبات أمور الحياة المختلفة.

لقد دلت التجارب على أن للتربية الأثر الإيجابي على نفسية الطفل والأسرة، في المستقبل إن حياة الطفل في سنواته الأولى، تمثل أهم مرحلة في تكوين شخصيته، وتتمثل هذه الأهمية في أن ما يُغرس في أثنائها من عادات واتجاهات وعواطف ومعتقدات يصعب أو يُستعصى تغييره أو استئصاله فيما بعد، ومن ثم يبقى أثراً ملازماً للفرد خلال سنوات عمره المقبلة... كما تكمن أهمية، التربية خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة وذلك لعدة أسباب يذكره التربويين ومنها:

أ- إن الطفل يولد نقياً من كل الشوائب، فهو مثل الصفحة البيضاء نقية على فطرة الله التي فطر الناس عليها، إلا أن المربي باستطاعته أن يرسم فيها ما يشاء.

ب- كما أن الطفل في هذه المرحلة لا يكون خاضعاً لتأثير جماعة أخرى غير أسرته.

ج- أن الطفل في هذه المرحلة سهل التأثر وسهل التشكيل، شديد القابلية للإيحاء والتعلم، قليل الخبرة، عاجزٌ، ضعيف الإرادة، قليل الحيلة.

*****

الباب الرابع

الطرق والأساليب التطبيقية لدراسة علم نفس النمو

مقدمة الباب الرابع

كل جسم طبيعي فإن تحققه إنما يكون محصول صورته النوعية إذا حصلت لتلك المادة استعداد لقبول تلك الصورة، وإنما يكون ذلك إذا حصل لتلك المادة الكيفية التي بها يكون ذلك الاستعداد لقبول تلك النفس، وإنما يحصل ذلك بكيفية تلك المادة وذلك لأن المادة بذاتها قابلة لجميع الصور وجميع النفوس، واجتماع صور كثيرة فيها، أو نفوس كثيرة، فلا بد في قبول بعض أي في قبول أن يحصل للمادة صورة معينة دون غيرها ويتعلق بها نفس بعينها دون غيرها من أمور تقتضي ذلك، فلذلك المادة إذا سخنت بإفراط تعذر عليها في أن تتصور بصورة الماء وكانت صورة النار بها أولى، فلذلك يقال إن هذه المادة مستعدة للصورة النارية، وإنها غير مستعدة للصورة المائية وكذلك المادة إذا بردت استعدت للصورة المائية ولم تستعد للصورة النارية وكذلك إذا كانت المادة خارجة جدا عن الاعتدال الحقيقي لم تكن مستعدة لتعلق النفس الإنسانية بها البتة وكانت مستعدة للتعلق بنفس أخرى أو غير مستعدة للتعلق بنفس البتة فلذلك المعد لحصول صورة معينة أو للتعلق بنفس معينة إنما يكون لكيفية تقتضي للمادة ذلك، فلذلك مهما حصلت تلك الكيفية لمادة ما أعدتها لحصول الصورة المناسبة لها وللتعلق بالنفس المناسبة لها والله تعالى لكرمه لا يمنع مستحقا مستحقه فلذلك يعطي كل مادة ما تستعد له من الصور والنفوس، فلذلك إذا اجتمع المنيان في الرحم واختلطا وحصل من اختلاطهما مزاج إنساني استعد ذلك الممتزج من المنيين لقبول صورة الإنسان والتعلق بنفس إنسانية، وحصل له من ذلك من الله تعالى[1].

---

(1) شرح التشريح لابن النفيس بتصرف يسير.

القسم الأول

مرحلة الطفولة خصائص ومشكلات

الفصل الأول

مراحل تكون الإنسان في بطن أمه

من المعلوم أن البيضتان في الرجال خارجتين عن البدن محصورتين في الكيس الذي هو الصفن، وأما في النساء فإنهما مدفونتان في الفرج كل واحدة في جانب لأن الحال لو لم يكن كذلك تعذر الإحبال، وذلك لأن الإحبال إنما يتم بأن يكون إنزال الرجال مع إنزال المرأة أو يقرب زمانه جدا ... ولولا أن بيضتي الرجال مخالفة لبيضتي النساء لما ذكر سابقاً لتعذر اتفاق الإنزالين في وقت واحد، وذلك لأن:

1- مني الرجال: حار المزاج حاد يسيل بأدنى شهوة ويخرج سريعا.

2- ومني المرأة: بخلاف ذلك لأنه كثير المائية قليل الحرارة جدا.

فلولا بعد بيضتي الرجال وبروزهما لما كان إنزاله يتأخر إلى حين إنزال المرأة. ولولا اندفان بيضتي النساء وتسخنهما بحرارة باطن البدن لما كان إنزالهن يتقدم حتى يوافي إنزال الرجال.

أ- عوامل تكوين الجنين في الرحم

قال شارح القانون (1): إن التكوين بالتوالد في الإنسان ونحوه إنما يتم في عضو مخصوص وذلك هو الرحم على ما تعرفه في موضعه، وإنما يمكن ذلك بأن يجتمع في الرحم المنى الذي يمكن معه هذا التوليد، فلذلك يحتاج أن يكون لهذا المنى طريق ينفذ فيه من الأنثيين إلى داخل الرحم، وهذا الطريق يسمى أيضا وعاء المنى وموضع الرحم لا يمكن أن يكون في ظاهر بدن الأم وإلا كان يبرد بالهواء الخارجي فلا يكون فيه من السخونة ما بها يصلح لأن يتكون الجنين فلذلك لا بد من أن يكون موضع الرحم داخل البدن، ولا بد أيضا من أن يكون بقرب أسفله ليكون

(1) وهو لابن النفيس اسم الكتاب: شرح تشريح القانون لابن سينا.

حيث تندفع إليه فضول الأم الممدة للجنين بالغذاء مدة كونه وتلك الفضول هـي دم الطمث. واندفاع الفضول من شأنه أن يكون إلى أسفل البدن.

فلذلك موضع الرحم لا بد مـن أن يكـون في داخـل البـدن ويقـرب أسـفله فلذلك إنما يتمكن مجرى المنى من صب المنى في داخله إذا كان لـه امتـداد يـصل بـه إلى هناك فلذلك احتيج إلى القضيب يشمل على مجرى المنـى ويـتمكن ذلـك المجـرى بسببه من صب المنى إلى داخل الرحم فلذلك حاجة القضيب إنما هـو للـتمكن مـن إيصال المنى إلى داخل الرحم، وأما البول فليس به حاجة إلى القضيب بمـا هـو بـول بل ليتمكن به انزراق البول إلى حيث يبعد عـن البـدن فـلا يـسيل عليـه فـإن ذلـك مستقذر، ولذلك فإن من لا قضيب له يتمكن من البول، ولا يتمكن من صب المنى في داخل الرحم، فلذلك القضيب يجب أن يشتمل على ثلاثة مجار:

مجرى للبول	ومجرى للمنى	ومجرى آخر للمذي [1] بينهما

وإنما وجب ذلك لأن مجرى البول لا يمكن أن يكـون هـو مجـرى المنـى، وإلا كان المنى يفسد بما قد يبقى في ذلك المجرى من آثار البول، فلذلك لا بـد مـن تغـاير هذين المجريين خاصة ومجرى البول يحتـاج أن يكـون جرمـه إلى صـلابة لـئلا ينفعـل

(1) عن علي، قال: استحييت أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المذي، من أجـل فاطمـة، فأمرت المقداد بن الأسود فسأل عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: فيـه الوضـوء. أخرجه والبخـاري 1/ 45(132) وفي 1/ 55(178) ومـسلم 1/ 169(621) وفي (622) والنسائي 1/ 97 و214، وفي الكبرى 148 و5858 وابن خزيمة 19 و(عبد الله بـن أحمـد) 1/ 80(606) وأحمـــد 1/ 82(618) وفي 1/ 140(1182). وفي روايـــة: فقـــال: ذاك ماء الفحل، ولكل فحل ماء، فليغسل ذكـره وأنثييـه، وليتوضـأ وضـوءه للـصلاة. المـذي: بالسكون: مايخرج عند الملاعبة والتقبيل. وقد مذى أيـضا الرجـل مـن بـاب رمـى وأمـذى أيضا.المختار [491].

ويتألم بحدة البول وبلذعه، فإن البول لا بد فيه من مرار حار يخالطه لينبيه على وقت وجوب إخراجه. وذلك المرار يؤلم المجرى اللين ويؤذيه فلذلك مجرى البول لا بد فيه من صلابة، ومجرى المنى لا بد من أن يكون لينا لينفعل عن حدة المني فيغرض فيه حينئذ شبه تفرق اتصال مؤلم ألما ما ثم بعد ذلك يلتحم ذلك التفرق بما في المني من الغروية واللزوجة فيعود بذلك الاتصال الذي كان قد تفرق وعود هذا الاتصال يكون دفعة لأجل سرعة حركة المني كما تعرفه بعد، وعود الاتصال دفعة لذيذة فلذلك يكون خروج المني لذيذا، وإذ يجري يحتاج أن يكون لينا فهولا محالة يحدث له الانطباق والتضيق وخروج المادة من المجرى المنطبق الضيق عسر لا محالة وبطئ وخروج المني لينصب في داخل الرحم يجب أن يكون سريعا جدا وفي زمان قصير، وذلك لأن المني يفيد في الإحبال إذا كان باقيا على مزاجه وطول زمان خروجه، مما يفسد مزاجه ويبرده فلا يصلح التوليد.

ولذلك يجب أن يكون مجرى المني عند سيلان المني فيه سهل الانفتاح غير معاوق له عن سرعة الخروج، وإنما يمكن ذلك بأن تسيل عليه رطوبة متلينة تلينا يسهل معه اتساعه، وهذه الرطوبة لا بد من أن يكون سيلانها على ذلك المجرى قبيل سيلان المني للخروج قبل تحريكه له إلى ذلك تحرك تلك الرطوبة وسيلانها لتليين مجرى المني، وسيلان المني وخروجه إنما سببه قوى الشهوة ... وهذه الشهوة قبل قوتها تكون ضعيفة فلذلك الرطوبة الملينة لمجرى المني لا بد من أن يكون سيلانها عند ابتداء شهوة الجماع، وقبل قوتها وتلك الرطوبة هي المذي(1).

فإن المذي من شأنه السيلان عند شهوة الجماع إذا لم تكن بعد اشتدت فإذا اشتدت أسالت المني وأخرجته فلذلك لا بد من أن يكون سيلان المذي متقدما على سيلان المني لكنه قد يكون السائل منه بقدر تلين مجرى المني فقط ولا يسيل إلى

(1) كتاب ابن النفيس: شرح تشريح القانون لابن سينا.

خارج فلا يجس سيلانه، وسيلان المذي لا يمكن أن يكون في مجرى المني، وإلا كان المني يختلط به فيفسد، فلا بد من أن يكون في مجرى آخر.

ويجب أن يكون ذلك المجرى فوق مجرى المني حتى يكون نفوذ قوته إلى مجرى المني أكثر فإنه يلين الرطوبة لما يسيل فوقه أزيد من تلينها لما يسيل من تحته وكيفية خروج هذا المذي وتحركه أن تكون شهوة الجماع إذا اشتدت حركت أجزاء القضيب لأجل التهيئة للجماع ويلزم ذلك انضغاط غدة موضوعة في ابتداء مجرى المذي ويلزم انضغاطها سيلان الرطوبة منها وأما مجرى البول فيجب أن يكون فوق هذين المجريين ليكون له فائدة في تلينها والبول لا يخلو من حدة فلذلك طول زمان مروره بالمجرى مما يلزمه تألم ذلك المجرى وانسحاجه، فلذلك لا بد من رطوبة أخرى تسيل عند إرادة البول لتلين مجراه ولا بد أيضا من رياح تنفذ معه لتعين على انفتاح ذلك المجرى لئلا يعسر خروج البول، وهذه الرطوبة هي الودي، ولا يحتاج إلى مجرى آخر بل نفوذها في مجرى البول أولى لأن تلينها له حينئذ يكون مع أن مخالطة البول لها لا ضرر فيه كما يضر اختلاط المني بغيره فلذلك كان سيلان الودي في مجرى البول، وذلك بأن جعل في ابتدائه غدة إذا تحرك البول للخروج ضغط تلك الغدة فسالت منها تلك الرطوبة.

ولقائل أن يقول: لو كان الأجود في البول أن يكون خروجه بسرعة لكان يجب أن يكون مجراه مستقيما، فإن قطع المسافة المستقيمة أسرع لا محالة من قطع المعوجة ... ولمجرى البول في الرجال ثلاثة تعاريج، وفي النساء تعريج واحد؟

والجواب على ذلك: أن هذه التعاريج ليست لإطالة زمان خروج البول فإن ضرر ذلك ظاهر بل تلك التعاريج الغرض منها تمكن القضيب من الانتشار فإن

مجرى البول كما بيناه أو لا لا بد من أن يكون إلى صلابة، والأجسام الصلبة ليس يسهل تمددها عند انتشار القضيب فإنه حين يخرج لا بد من أن يزداد طوله[1].

فلو لم يكن هذه التعاريج لما أمكن انتشار القضيب لأن المجرى إذا استقام طال ما بين طرفيه وإنما كانت هذه التعاريج في الرجال كثيرة ليتمكن القضيب من الطول الكبير الذي لا بد منه في الانتشار.

وأما التعريج الذي للنساء فليمكن الفرج من البروز عند الجماع، ولما كان هذا البروز يسيرا لا جرم كفى من تعريج واحد، والمجاري الثلاثة تتحد عند رأس القضيب لأنها لو بقيت نافذة إلى طرفه لبقي له ثلاثة أبخاش ظاهرة وكان ذلك معرضه لكثرة التضرر بنفوذ ما عسى أن ينفذ فيها، فلذلك احتيج إلى اجتماع تلك المجاري جميعها عند رأس القضيب فلا يدرك فيه هناك سوى منفذ واحد، والقضيب في جميع الماشية يبرز عند الانتشار ويختفي عند الاسترخاء إلا في الإنسان فإنه يطول ويغلظ عند الانتشار ويقصر ويدق عند الاسترخاء، وسبب ذلك أن جميع الماشية فإن المسافة ما بين صلبها وظاهر بطنها أكثر كثيرا مما بين جوانبها فتجد القضيب ما بين الصلب ومقابله مسافة كثيرة ويتسع له عند الاسترخاء فلذلك بقيت في تلك المسافة لأن ذلك أو في له.

وأما في الإنسان فإن المسافة بين صلبه ومقدم بدنه أقل كثيرا مما بين جانبيه فتقصر مسافة ما بين خلفه وقدامه عن اختفاء القضيب فيها، وانتشار القضيب هو لأجل ما ينفذ في عروقه وأعصابه وأربطته من الروح الشهو أني والرياح التي تكون في العروق وأرواح كثيرة حيوانية، ولأجل نفوذ هذه الروح إليه ينفذ فيه دم كثر شرياني فإن هذه لروح لا تخلو عن مصاحبة الدم الشرياني لها ولأجل كثرة الدم وكثرة الأرواح يعرض له أن يسخن كثيرا. والله ولي التوفيق[2].

(1) شرح تشريح القانون لابن سينا.

(2) كتاب ابن النفيس: شرح تشريح القانون لابن سينا.

ب- المواد المكونة للجنين

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [2]. أي جعل الله سبحانه وتعالى، ذرية آدم متناسلة من نطفة ضعيفة رقيقة مهينة... وورد في الأثر: إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعضو منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله، ثم أحضره كل عرق له دون آدم[3].

قال شارح القانون: إن المادة التي يتكون منها البدن محال أن تكون متشابهة الأجزاء وإلا لم يكن تكون بعضها عظما أولى من تكونه عصبا ورباطا بل لحما وجلدا ونحو ذلك فلذلك لا بد من أن تكون هذه المادة مختلفة الأجزاء، وإن كان ذلك الاختلاف قد لا يظهر للحس فلذلك يكون بعضها أولى بأن يكون عظميا وبعضها أولى بأن يكون عصبيا وبعضها أولى أن يكون عروقا ونحو ذلك لا بد من أن يكون هذه الأجزاء المختلفة المزاج والقوام معدودة بعدد الأعضاء التي لا بد منها في تكون الإنسان حتى يكون كل واحد منها على مزاج وقوام يستعد لأجلهما لأن يكون مثلا عظما أو عصبا أو رباطا ونحو ذلك وهذه المادة إما أن تكون منفصلة من بدن آخر ليكون منها بدن الجاذب فيكون تكون الإنسان ونحوه بالتوالد، أو لا يكون كذلك فيكون تكون الإنسان ونحوه حينئذ هو بالتكون كما يكون آدم عليه السلام فإن تكونه من طين مختلف الأجزاء في المزاج والقوام حتى كان كل جزء من ذلك الطين مستعدا لعضو من الأعضاء الإنسانية بحسب ماله من ذلك المزاج وذلك القوام.

---

(1) سورة المرسلات20

(2) سورة السجدة آية 8

(3) أخرجه الطبراني في الكبير "19/ (644) وفي "الصغير" له (100). وقال ابن منده: إسناده متصل مشهور على وفق أبي عيسى والنسائي وغيرهما .

والله تعالى لكرمه لا يمنع مستحقا من مستحقه فيعطي كل واحد من تلك الأجزاء ما يستعد له من صور الأعضاء فيكون حينئذ بدن آدم عليه السلام هذا.

وأما التكوين بالتوالد فقد يكون في البيض، وقد يكون في داخل البدن. والمادة التي يتولد عنها في داخل البدن تسمى المنى، وهذا المنى إنما تكون أجزاؤه على الصفة التي ذكرناها إذا كان كل جزء منه قد يعدل في عضو حتى صار في مزاجه وقوامه شبيها بذلك العضو وإنما يمكن ذلك بأن يكون قد انهضم الهضم الرابع الذي عرفته، وإنما يكون كذلك إذا كان من الرطوبة الثانية فإن الدم إنما يصل إلى الأعضاء حتى ينهضم فيها الهضم الرابع إذا صار من هذه الرطوبة.

وهذه الرطوبة قد بينا أن ما يتكون منها في البدن الذي هي فيه فإن أصنافه ثلاثة وهي:

الرطوبة المحصورة في أطراف العروق الساقية للأعضاء	والرطوبة المنبثة على الأعضاء كالطل	والرطوبة القريبة العهد بالانعقاد

يقول الشارح يتكون المنى من الرطوبة الكلية وذلك:

لأن القريبة العهد بالانعقاد التي قد صارت من جوهر العضو الذي فيه وخرجت على أن تكون قابلة للسيلان، ومثل هذه لا يمكن أن يكون منها المنى.

وأما الرطوبة المحصورة في أطراف العروق الصغار فلأن تلك لم تتصل بالأعضاء فلم يحصل لها بعد الهضم الرابع .. فلذلك تكون المنى إنما يتكون من الرطوبة المبثوثة على الأعضاء كالطل، وهذه الرطوبة كيف يمكن وصولها إلى الأنثيين ثم إلى القضيب حتى يصير منيا.

ومعلوم أنه ليس ما كل جزء من كل واحد من الأعضاء مجرى يسيل منه ما هناك من تلك الرطوبة إلى الأنثيين. فكيف يمكن وصولها إلى هناك؟

هذا إنما يمكن بأن تتبخر تلك الرطوبة من كل واحد من الأعضاء حتى يتصعد إلى أعلى البدن وهو الدماغ، وهناك تفارقها الحرارة المتبخرة فيبرد ويتكاثف ويعود إلى قوامها قبل التبخر ثم من هناك ينزل إلى الأنثيين ... ثم يقول الشارح: أنها تنزل في العروق التي خلف الأذنين وتنفذ إلى النخاع في عروق هناك وفائدة نزولها مع النخاع أن ينحفظ عليها ما أفاده الدماغ من التعدل فلا يعرض لها أن تتبخر بالحرارة كرة أخرى، حتى وصلت قرب الأنثيين صادفت هناك عروقا واصلة من الكليتين إلى الأنثيين، وتلك العروق مملوءة من دم قد يسخن في الكليتين ويعدل فيحيله ذلك النازل من الدماغ إلى مشابهه بعض الاستحالة فلذلك يقرب من البياض ثم بعد ذلك ينفذ إلى الأنثيين فيكمل فيهما تعدله وبياضه ونضجه.

ومنهما يندفع إلى أو عيته، وهذا الدم الذي يكمل نضجه وبياضه في الأنثيين يقال له منى على سبيل التجوز، وذلك لأجل مشابهته للمنى الحقيقي وهو النازل من الدماغ وفي الحقيقة فإن المتكون في الأنثيين هو فضلة غذائهما وليس بمختلف لأن أجزاؤه متشابهة وليس بمحيل إلى المنى الحقيقي المذكور.

وأما أن الأنثيين من الأعضاء الرئيسة، وأنها تعطي هذه المادة التي كالمنى قوة مولدة ومصورة فلذلك قد بينا بطلانه فيما سلف. وعبارة الكتاب لا خفاء فيها. والله ولي التوفيق.انتهى كلامه رحمه الله[1].

جـ نظام الرحم مع مني الرجل

قال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[2] النطفة: هي مني الرجال، تخرج من أصلابهم، فتستقر متمكنة في أرحام النساء.

(1) كتاب ابن النفيس: شرح تشريح القانون لابن سينا.

(2) سورة المؤمنون: آية 13

إن الرحم بطبعه شديد الاشتياق إلى مني الرجل حتى إنه يحصل له عند الجماع أن يعرض له الارتعاد ويتحرك إلى البروز للتوصل إلى مني الرجل لو لا الأربطة المانعة من البروز، فإذا كان كذلك فهو لا محالة يشتد جذبه لما حصل في داخله من مني الرجل.

وإذا لاقى هذا المني جرم الرحم التذ به لا محالة كثيرا جدا بما فيه من السخونة والإدفاء المعتدلين وصار ذلك كماء معتدل السخونة صب على بدن قد برد، ومع هذا الالتذاذ الشديد لا بد من أن يحدث له تألم بما يحدثه ذلك المني بحدته من اللذع، وتفريق اتصال جرم الرحم فتختلط تلك اللذة الشديدة بهذا الألم فيشتاق لذلك الرحم إلى ما يزيل ذلك السبب المؤلم، ومني المرأة رطب قليل الحرارة فلذلك يحتاج جرم الرحم إلى جذبه لدفع ذلك الألم فينجذب المنيان إلى سطح الرحم ويلزم ذلك شدة اختلاطها وجميع الأجسام التي في هذا العالم المختلفة الطبائع يحدث لها لا محالة تفاعل يؤدي إلى كيفية متوسطة بين تلك الطبائع المختلفة.

ويكون دخول المني إلى داخل الرحم من خلال المنفذ وهو ما يسمى عنق [1] الرحم والذي يتم إيلاج القضيب فيه، ثم يذهب المني إلى الرحم .. فلذلك لا بد من أن يكون مع ذلك شديد القبول للتمدد والاتساع ليمكن خروج الطفل منه عند الولادة، فلذلك لا يمكن أن يكون جرمه شديد الصلابة كالعظم ونحوه ولا يكن أيضا شديد اللين كاللحم، وإلا لكان ينحرق عند شدة تمدده ليتسع لخروج الطفل ولا بد من أن يكون مع ذلك آخذا من الرحم إلى أسفل ليكون خروج ما يخرج منه من الأشياء التي لها ثقل أسهل.

ذكر الشيخ شمس الدين ابن القيم: أن داخل الرحم خشن كالإسفنج، وجعل فيه قبولا للمني كطلب الأرض العطشى للماء فجعله طالبا مشتاقا إليه بالطبع، فلذلك يمسكه ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء،

(1) وهو يشبه ذكرا مقلوبا.

فيأذن الله للملك الرحم في عقده وطبخه أربعين يوما وفي تلك الأربعين يجمع خلقه ... وإن المني إذا اشتمل عليه الرحم ولم يقذفه استدار على نفسه واشتد إلى تمام ستة أيام فينقط فيه ثلاث نقط في مواضع القلب والدماغ والكبد، ثم يظهر فيما بين تلك النقط خطوط خمسة إلى تمام ثلاثة أيام، ثم تنفذ الدموية فيه إلى تمام خمسة عشر فتتميز الأعضاء الثلاثة، ثم تمتد رطوبة النخاع إلى تمام اثني عشر يوما ثم ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الضلوع والبطن عن الجنين في تسعة أيام، ثم يتم هذا التمييز بحيث يظهر للحس في أربعة أيام فيكمل أربعين يوما، فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم "يجمع خلقه في أربعين يوما" وفيه تفصيل ما أجمل فيه.

ولا ينافي ذلك قوله "ثم تكون علقة مثل ذلك" فإن العلقة وإن كانت قطعة دم لكنها في هذه الأربعين الثانية تنتقل عن صورة المني ويظهر التخطيط فيها ظهورا خفيا على التدريج، ثم يتصلب في الأربعين يوما بتزايد ذلك التخليق شيئا فشيئا حتى يصير مضغة مخلقة ويظهر للحس ظهورا لا خفاء به. وعند تمام الأربعين الثالثة والطعن في الأربعين الرابعة ينفخ فيه الروح كما وقع في هذا الحديث الصحيح، وهو ما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي، حتى قال كثير من فضلاء الأطباء وحذاق الفلاسفة إنما يعرف ذلك بالتوهم والظن البعيد، واختلفوا في النقطة الأولى أيها أسبق والأكثر نقط القلب. وقال قوم: أول ما يخلق منه السرة لأن حاجته من الغذاء أشد من حاجته إلى آلات قواه، فإن من السرة ينبعث الغذاء، والحجب التي على الجنين في السرة كأنها مربوط بعضها ببعض والسرة في وسطها ومنها يتنفس الجنين ويتربى وينجذب غذاؤه منها.

قال القرطبي في "المفهم": المراد أن المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافعة مبثوثا متفرقا فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم ... والمراد بالنطفة المني وأصله الماء الصافي القليل، والأصل في ذلك أن ماء الرجل إذا لاقى

ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق من ذلك جنينا هيأ أسباب ذلك، لأن في رحم المرأة قوتين:

قوة انبساط: عند ورود مني الرجل حتى ينتشر في جسد المرأة.

وقوة انقباض: بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوسا ومع كون المني ثقيلا بطبعه.

وفي مني الرجل قوة الفعل وفي مني المرأة قوة الانفعال، فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالإنفحة للبن، وقيل في كل منهما قوة فعل وانفعال لكن الأول في الرجل أكثر وبالعكس في المرأة، وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إنما يتكون من دم الحيض، وأحاديث الباب تبطل ذلك، وما ذكر أولا أقرب إلى موافقة الحديث والله أعلم.

وقال ابن الأثير في النهاية: يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم، أي تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير ثم تخلق بعد ذلك، وقيل إن ابن مسعود فسره بأن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشرا طارت في جسد المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين يوما ثم تنزل دما في الرحم فذلك جمعها.

وقد وقع في رواية عبد الله بن ربيعة عن ابن مسعود أن النطفة التي تقضى منها النفس إذا وقعت في الرحم كانت في الجسد أربعين يوما ثم تحادرت دما فكانت علقة ... وفي حديث جابر أن النطفة إذا استقرت في الرحم أربعين يوما أو ليلة أذن الله في خلقها. ونحوه في حديث عبد الله بن عمرو، وفي حديث حذيفة بن أسيد من رواية عكرمة بن خالد عن أبي الطفيل عنه أن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك.

د- مراحل تخلق الطفل في بطن أمه

إذا تقرر ما سبق فنقول فمرحلة التخلق تمر على عدة مراحل ضرورية، من أجل أن يكون الجنين على أكمل خلقه له، وهذه المراحل تبدءا بما يلي:

أ- المرحلة الأولى النطفة

ما إن يتم التحام النطفة [1] بالبيضة، حتى تباشر البيضة الملقحة بالانقسام إلى خليتين، فأربع، فثمانٍ، وهكذا ... دون زيادة في حجم مجموع هذه الخلايا عن حجم البيضة الملقحة، وتتم عملية الانقسام هذه والبيضة في طريقها إلى الرحم، تدفعها حركة أهداب البوق، والتقلصات العضلية المنتظمة لعضلات جدار البوق. حتى إذا وصلت إلى الرحم كانت كتلة من الخلايا الصغيرة الضلعة، يطلق عليها اسم التوته، حيث تشبه ثمرة التوت بتقسيمها الخارجي، ثم لاتلبث الخلايا السطحية لهذه الكتلة أن تفترق عن الخلايا الداخلية، وتصبح بشكل خلايا أسطوانية، ومهمة هذه الخلايا تأمين الغذاء وتسمى بالخلايا المغذية، وبذلك يصبح محصول الحمل قابلًا للتعشيش، فتغرس الخلايا المغذية استطالاتها في مخاطبة الرحم، وتستمر عملية العلوق مدة (24) أربع وعشرين ساعة، وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقة[2].

وقد لا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة بالعلقة إلا من شاهد تلك الكتلة الخلوية وهي عالقة علوقًا – وليس التصاقًا – بواسطة تلك الاستطالات التي غرستها في مخاطبة الرحم.

---

(1) قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ المؤمنون: 14

(2) بحث عن: تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام: مقدم من د. محمد حسن محمد سبتان.أشار فيه إلى المرجع التالي:مع الطب في القرآن الكريم للدكتور/ عبد الحميد دياب، د / أحمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن دمشق ص 80 وما بعدها. بتصرف مني.

وقد اختلف في أول ما يتشكل من أعضاء الجنين فقيل قلبه لأنه الأساس وهو معدن الحركة الغريزية، وقيل الدماغ لأنه مجمع الحواس ومنه ينبعث، وقيل الكبد لأن فيه النمو والاغتذاء الذي هو قوام البدن، ورجحه بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعي، لأن النمو هو المطلوب أولا ولا حاجة له حينئذ إلى حس ولا حركة إرادية لأنه حينئذ بمنزلة النبات، وإنما يكون له قوة الحس والإرادة عند تعلق النفس به فيقدم الكبد ثم القلب ثم الدماغ. وقد تكون الإجابة على هذه التساؤلات في النقاط التالية في الحديث عن العلقة ودورها التكويني.

2ـ المرحلة الثانية العلقة

بعد عملية العلوق تبدأ مرحلة المضغة في الأسبوع الثالث، بتشكل اللوحة المضغية، وذلك ابتداءً من الخلايا المضغية، وهي الخلايا التي بقيت بعد انفصال الخلايا المغذية. وحتى نهاية الأسبوع الرابع لا يكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة بالمضغة غير المخلقة.

واللوحة المضغية مكونة من ثلاثة مراحل، وهي تبدءا بمرحلتين ثم تدخل في مرحله ثالثة، وهذه المرحلة تتشكل بين الخارجية والداخلية كما هي في الشكل التالي:

المرحلة الأولى خارجية	المرحلة الثانية داخلية	المرحلة الثالثة متوسطة

المرحلة الأولى خارجية: يتشكل منها: -

الدماغ	والأعصاب	وبشرة الجلد
ولواحقه من الغدد	والأشعار	والأغشية المخاطية بالفم والأنف

المرحلة الثانية داخلية: ويتشكل منها: -

مخاطية الجهاز التنفسي	والطريق المضمي	والغدة الدرقية
والغدة جار الدرقية	والكبد	والبنكرياس

المرحلة الثالثة متوسطة: يتشكل منها: -

القلب	والأوعية الدموية	والدم	والعظام
والعضلات	والكليتين	وأدمغة الجلد	وقسم من الغدد الصماء

3ـ المرحلة الثالثة المضغة

ثم يمر الحمل في أدق مراحله وأصعبها، حيث يطرأ على اللوحة المضغية جملة تغيرات نسيجية هادفة ومدهشة ابتداء من الأسبوع الخامس، وتسمى بعملية التمايز، أو كما أسماها القرآن (التخلق)، فكل زمرة من خلايا هذه المراحل تأخذ على عاتقها تشكيلًا واحدًا من أجهزة الجسم أو أعضائه، وذلك في إطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة، وهي تنمو وتتطور، ليكون الإنسان في أحسن تقويم، وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريبًا، ويكون طول الجنين عندها (10) سم، ويزن حوالي (55) ج .. ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة المضغة المخلقة.

فطور المضغة يمر إذًا بمرحلتين: المرحلة الأولى حيث لم يتشكل فيها أي عضو أو جهاز وأسميناها مرحلة المضغة المخلقة وهكذا يتضح جليًا إعجاز القرآن الكريم في وصفه لطور المضغة بقوله: ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[1].

(1) سورة الحج:5

وبشكل عام فإن أهم ما يطرأ على الجنين بعد الشهر الثالث هو: الحركة، ونبضان القلب واستقلاله، وتسعى الأجهزة التي تشكلت نحو التكامل، حتى إن بعض الأجهزة تبدأ عملها أثناء الحياة الجنينية، كالقلب وجهاز الهضم، ويقوم نقي العظام بتكوين عناصر الدم ... وإفراز المشيمة الغدي، والنمو المتسارع في حجم الجنين وتكامل شكله الخارجي.

أما نبضات القلب، فتبدأ بعد بداية الشهر الرابع، ويمكن سماعها أيضًا، وتكون واضحة في الشهر الخامس ... وبالنسبة لاستقلال المشيمة الغدي، فهو مباشرتها بإفراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد أن أصبحت الكميات التي يفرزها المبيض غير كافية، ولأن متطلبات الحمل من هذه الهرمونات تصبح أكبر بكثير من كفاءة المبيض.

أما نمو الجنين فيكون سريعًا في هذه المرحلة، فبعد أن كان وزنه في نهاية الشهر الثالث (55) غ، وطوله (10) سم، يصبح وزنه عند تمام الحمل حوالي (3250) غ، وطوله (50) سم وخلال هذه الفترة، يتكامل شكله الخارجي، فيصبح لون الجلد أحمر، وتنبسط تجعداته، وتسقط عنه الأوبار، وتنفتح الجفون، وتتكامل الأظافر. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

اللغز المحير: لا بد أن يستوقفنا ونحن نتكلم على عملية التخلق سؤال هام، وهو: كيف يمكن للخلايا المضغية، المتماثلة تمامًا في بنائها أن تعطي تلك المراحل الثلاث (الداخلية، والخارجية، والمتوسطة)المختلفة بعضها عن بعض؟، ثم كيف يمكن للخلايا المتماثلة في كل مرحلة على حدة أن تعطي الأجهزة المختلفة في بنائها ووظائفها وخصائصها؟

كيف تم ذلك؟ ومن الذي دفع هذه الخلايا المتماثلة الضعيفة لتعطي كل هذا من مراكز التفكير والشعور والإبداع ؟ وكل هذا من مصانع الدم والسكاكر

والبروتين؟ وكل هذا من أجهزة التكيف والراحة ومن وسائل الوقاية والحماية والأمن في الجسم؟[1].

إنه اللغز الذي حير وما زال يحير كل علماء الدنيا حتى يعلموا أن المبدع والموجه في هذه الحياة، هو الله ...ويوم يَصِلون إلى حل هذا اللغز فسيوقنون أكثر أنه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

4- الكروموسوم و تحديد نوع الجنين

لقد أحدث الطب الحديث ثورة علمية، حين أكتشف الزوج الجنسي، وأن هذا الزوج له خاصية مهمة من ناحية تحديد الجنس، واختلاف الزوج الجنسي كذلك بين الرجال، والنساء، من الناحية الوظيفية، وأما من الناحية الشكلية، فهما لا يختلفان، وأنهما متشابهين بدرجة عالية في الشكل والطول.

كما أن كل زوج من هذه الأزواج المتطابقة، يعطيه الأطباء رقما يميزه عن الآخر، ابتداء برقم واحد لزوج الأول إلى الزوج الأخير رقم 23. وفي المقابل يطلق على بقية الأزواج من 1 إلى 22 الأزواج غير الجنسية وذلك تميزا لها.

وفي العادة أن الزوج الثالث والعشرون، لا يعطي رقم، لأنه الزوج المحدد للجنس ... ويتم تحديد الجنس بطريقة الترميز، إذا كان كلا النسختين طويلتين (تسمى كروموسوم اكس (x)) فإنها الطفل يكون أنثى .. وأما إذا كانت أحداها طويل (x) و الأخرى قصيرة (y) فان الطفل يصبح ذكر.

---

(1) تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام: مقدم من د. محمد حسن محمد سبتان.

(2) سورة الحشر آية :24

في كل خلية من خلايا الأبوين يوجد نسختين من كل كروموسوم، ماعدا البويضة، والحيوان المنوي، فكل واحد منها لديه نسخه واحدة من كل كروموسوم.

1- جميع البويضات الموجودة في ((مبيض)) المرأة متشابهة، حيث تحتوي كل واحدة منها على نسخة واحدة، من كروموسوم (x) (إضافة إلى بقية الأخرى الـ 22 كروموسوم).

2- كما يختلف الوضع عند الرجل، في وجود نوعين من الحيوانات المنوية في (الخصية)، وتحتوي الحيوانات المنوية على نسخة من كروموسوم (x) (إضافة إلى بقية الـ 22 كروموسوم الآخر ى) والبعض الأخر يحتوي على نسخة من كروموسوم y.

ولذلك فإذا لقح حيوان منوي يحمل على كروموسوم (x) بويضة فان الزوجان يرزقان بابنه بإذن الله .. (x) من الأب + (x) من الأم = (x) (x) أنثى).

أما إذا كان الحيوان المنوي يحمل كروموسوم (x) فان المولود يكون ولد وهو (y من الأب + (x) من الأم = yx ذكر).

5ـ مدة حمل الجنين في الرحم

وقد نقل الفاضل علي بن المهذب الحموي الطبيب اتفاق الأطباء على أن خلق الجنين في الرحم يكون في نحو الأربعين، وفيها تتميز أعضاء الذكر دون الأنثى، لحرارة مزاجه وقواه، وأعبد إلى قوام المني الذي تتكون أعضاؤه منه ونضجه، فيكون أقبل للشكل والتصوير، ثم يكون علقة مثل ذلك.

لقد بين الله جلا وعلا هذا الأمر أحسن بيان وكذلك رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ

أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [1] .. والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى ؛ وقيل: الفصال بمعنى وقت الفصل أي الفطم فهو معطوف على مدة الحمل، والمراد بالفصال الرضاع التام المنتهى بالفطام ولذلك عبر بالفصال عنه أو عن وقته دون الرضاع المطلق فإنه لا يفيد ذلك.

كما تدل الآية الكريمة على أن الإنسان، يمر بمراحل من النمو والتطور في بطن أمه، وفي الآية بيان لما تكابده الأم وتقاسيه في تربية الولد مبالغة في التوصية لها، ولذا اعتنى الشارع ببرها فوق الاعتناء ببر الأب، فقد روي «أن رجلا قال: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أباك» وقد أشير في الآية إلى ما يقتضي البر بها على الخصوص في ثلاث مراتب فتكون الأوامر في الخبر كالمأخوذة من ذلك.

أ- مدة الحمل الطبيعي

قال الخازن فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا. ثم نقل عن ابن عباس أنه قال: إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهرا وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا[2].

وقال ابن العربي في أحكام القرآن: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أقل الحمل ستة أشهر ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ والفصال في عامين، ثم قال تعالى: متبعاً مدة الرضاعة التامة للطفل بقوله﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ فإذا أسقطت حولين من ثلاثين شهرا بقيت منه ستة أشهر؛ وهي مدة الحمل ؛ وهذا من بديع الاستنباط .

---

(1) سورة الأحقاف: آية 15

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل – للخازن – والخازن هو أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي الخازن (678 – 741هـ، 1280 – 1341م). أصله من حلب. وُلد في بغداد، ثم سكن دمشق وتوفي بحلب. وترك مصنفات كثيرة.

واختلف الناس في فائدة هذا التقدير على قولين: فمنهم من قال: معناه إذا ولدت لستة أشهر أرضعت حولين، وإن ولدت لتسعة أشهر أرضعت واحدا وعشرين شهرا، وهكذا تتداخل مدة الحمل ومدة الرضاع، ويأخذ الواحد من الآخر. وقال ابن العربي إذا اختلف الأبوان في مدة الرضاع فالفصل في فصاله من الحاكم حولان .وأنه لا حد لأقله، وأكثره محدود بحولين مع التراضي بنص القرآن[1].

قال شهاب الدين الألوسي: قال الأطباء: قال جالينوس: كنت شديد الفحص عن مقدار زمن الحمل فرأيت امرأة ولدت لمائة وأربع وثمانين ليلة. وادعى ابن سينا أنه شاهد ذلك .. وأما أكثر مدة الحمل فليس في القرآن العظيم ما يدل عليه ؛ وقال ابن سينا في الشفا: بلغني من جهة من أثق به كل الثقة أن امرأة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا نبتت أسنانه، وحكي عن أرسطو أنه قال: أزمنة الحمل لكل حيوان مضبوطة سوى الإنسان فربما وضعت المرأة لسبعة أشهر وربما وضعت لثمانية وقلما يعيش الولد في الثامن إلا في بلاد معينة مثل مصر، ولعل تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع بالبيان في القرآن الكريم بطريق الصراحة والدلالة دون أكثر الحمل، وأقل الرضاع وأوسطهما لانضباطهما بعدم النقص والزيادة بخلاف ما ذكر ؛ وتحقق ارتباط حكم النسب بأقل مدة الحمل حتى لو وضعته فيما دونه لما يثبت نسبه منه وبعده يثبت وتبرأ من الزنا[2].

بـ تشخيص الحمل اليقيني والعدة

إن الشعور بحركة الجنين، وسماع نبضات القلب، هما العلامتان اليقينيتان لتشخيص الحمل، وكل العلامات التي تسبقها كانقطاع الطمث، وأعراض الوحام، وحتى إيجابية تفاعل الحمل الحيوي، لا تعد علامات يقينية نستطيع على أساسها

(1) أحكام القرآن لابن العربي: ابن العربي، هو أبو بكر (468 – 543هـ 1076 – 1148م).

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.

القطع بحصول الحمل، فهناك حالات مرضية، يمكن أن تعطي نفس الأعراض، كالرحى العدارية، والورم الكوريوني البشري، والحمل الهستريائي.

وكما يلاحظ بأن هاتين العلامتين: شعور الحامل بحركة جنينها، وسماع الطبيب لدقات قلب الجنين، يحصلان بعد الشهر الرابع، وهذا ما بينه القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، حيث قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1].

ووجه الدلالة في هذه الآية الكريمة، تدل على ما يسمى بعدة المرأة التي توفي زوجها، حيث حددت المدة التي يصبح عندها أو بعدها تشخيص الحمل يقينيًّا ... أما عن الحكمة في هذه العدة فيعلمها الأطباء الشرعيون، إذ يجب أن يعرف ما إذا كان الحمل من الزوج المتوفى أم لا، وحتى لا تنسب المرأة حملًا حملته سفاحًا لزوجها المتوفى، وحتى لا ينكر أهل الزوج المتوفى بنوة الجنين الجديد لأبيه بغية التخلص من ميراثه، ويتهمون الأم البريئة بأن حملها هذا سفاحًا أو من زوجها الجديد ...وإلى آخر ما هنالك من المشكلات أو المظالم التي قد تقع.

6ـ لمحة عن الملائكة الموكلين بالأرحام

وفي الأثر أنهُ: يدخل الملك على النطفة، بعد ما تستقر في الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين، ليلة، فيقول: يا رب، أشقي، أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب، أذكر، أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله، وأثره، وأجله، ورزقه، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد فيها ولا ينقص[2].

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر، كما جاء في الحديث: عن زيد بن وهب، عن عبد الله، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه

(1) البقرة :234

(2) أخرجه مسلم 8/ 45(6818).

وسلم، وهو الصادق المصدوق: أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثـم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بـأربع كلمـات: بكتـب رزقـه، وأجلـه، وعملـه، وشـقي، أو سعيد[1].

وقال العلماء والمراد بإرسال الملك في هذه الأشياء أمره بها وبالتـصرف فيهـا بهذه الأفعال، وإلا فقد صرح في الحديث بأنه موكل بـالرحم، وأنـه يقـول: يـا رب نطفة، يا رب علقة .. كما جاء عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسـلم، أنه قال: إن الله، عز وجل، قد وكل بالرحم ملكـا، فيقـول: أي رب نطفـة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فـإذا أراد الله أن يقـضي خلقـا، قـال: قـال الملـك: أي رب، ذكـر، أو أنثـى؟ شـقي، أو سـعيد؟ فمـا الـرزق؟ فمـا الأجـل؟ فيكتـب كـذلك في بطن أمه[2].

ويؤخذ من الحديث أن تصير المضغة عظاما بعد نفخ الروح، ثم تكون عظاما أربعين ليلة ثم يكسو الله العظام لحما ' كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً

(1) أخرجـــه البخـــاري' 4/ 135(3208) وفي 4/ 161(3332) ومـــسلم' 8/ 44(6816) وفي (6817) تكملة الحديث: فو الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمـل بعمـل أهـل الجنـة، حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النـار، فيدخلـها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النـار، حتـى مـا يكـون بينـه وبينهـا إلا ذراع، فيـسبق عليـه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها.

(2) أخرجـــه البخـــاري' 1/ 87(318) وفي 4/ 162(3333) وفي 8/ 152(6595) ومـــسلم' 8/ 46(6823) .

فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (1).

وقد رتب الأطوار في الآية بالفاء لأن المراد أنه لا يتخلل بين الطورين طور آخر، ورتبها في الحديث بـ ثم إشارة إلى المدة التي تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور، وإنما أتى بـ ثم بين النطفة والعلقة لأن النطفة قد لا تتكون إنسانا، وأتى بـ ثم في آخر الآية عند قوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ ليدل على ما يتجدد له بعد الخروج من بطن أمه ... وأما الإتيان بـ ثم في أول القصة بين السلالة والنطفة فللإشارة إلى ما تخلل بين خلق آدم وخلق ولده.

وقد أشكل حديث حذيفة بن أسيد الغفاري على حفاظ الحديث حيث قالوا بأن ظاهر الحديث يخالف باقي الأحاديث الأخر والآية نفسه كذلك، ونص الرواية تقول: "إذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون، وفي نسخة ثنتان وأربعون، ليلة بعث الله إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم قال: أي رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله" الحديث(2).

---

(1) سورة المؤمنون آية 14. وفي تفسير هذه الآية: ثم خلقنا النطفة علقة أي: دمًا أحمر، فخلقنا العلقة بعد أربعين يومًا مضغة أي: قطعة لحم قَدْر ما يُمْضغ، فخلقنا المضغة اللينة عظامًا، فكسونا العظام لحمًا، ثم أنشأناه خلقًا آخر بنفخ الروح فيه، فتبارك الله، الذي أحسن كل شيء خلقه.

(2) أخرجه مسلم (8/ 45). وقال الحافظ في الفتح: هذه رواية عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد في مسلم، وقد نسبها عياض في ثلاثة مواضع من شرح هذا الحديث إلى رواية ابن مسعود وهو وهم، وإنما لابن مسعود في أول الرواية ذكر في قوله: "الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره" فقط .(أخرجه مسلم 8/ 28(6729) و(ابن ماجة) 46 .

وقد علق القاضي عياض على حديث، حذيفة بن أسيد، بقوله: وحمل هذا على ظاهره لا يصح لأن التصوير بأثر النطفة وأول العلقة في أول الأربعين الثانية غير موجود ولا معهود، وإنما يقع التصوير في آخر الأربعين الثالثة كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾(1).

قال: فيكون معنى قوله: "فصورها إلخ" أي كتب ذلك ثم يفعله بعد ذلك بدليل قوله بعد "أذكر أو أنثى" قال: وخلقه جميع الأعضاء والذكورية والأنوثية يقع في وقت متفق وهو مشاهد فيما يوجد من أجنة الحيوان وهو الذي تقتضيه الخلقة واستواء الصورة، ثم يكون للملك فيه تصور آخر وهو وقت نفخ الروح فيه حين يكمل له أربعة أشهر، كما اتفق عليه العلماء أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر. انتهى ملخصا.

قال العلماء: طريق الجمع بين هذه الروايات أن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة، وأنه يقول: يا رب هذه علقة، هذه مضغة، في أوقاتها. فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى، وهو أعلم سبحانه، ولكلام الملك وتصرفه أوقات: أحدها حين يخلقها الله تعالى نطفة، ثم ينقلها علقة، وهو أول علم الملك بأنه ولد؛ لأنه ليس كل نطفة تصير ولدا، وذلك عقب الأربعين الأولى، وحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته، ثم للملك فيه تصرف آخر في وقت آخر، وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده وعظمه، وكونه ذكرا أم أنثى،

(1) سورة المؤمنون آية 14. وفي تفسير هذه الآية: ثم خلقنا النطفة علقة أي: دمًا أحمر، فخلقنا العلقة بعد أربعين يومًا مضغة أي: قطعة لحم قَدْر ما يُمْضغ، فخلقنا المضغة اللينة عظامًا، فكسونا العظام لحمًا، ثم أنشأناه خلقًا آخر بنفخ الروح فيه، فتبارك الله، الذي أحسن كل شيء خلقه.

وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة، وهي مدة المضغة، وقبل انقضاء هذه الأربعين، وقبل نفخ الروح فيه؛ لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته.

قال ابن العربي: الحكمة في كون الملك يكتب ذلك كونه قابلا للنسخ والمحو والإثبات، بخلاف ما كتبه الله تعالى فإنه لا يتغير ... وقال الكرماني: إذا ثبت أن المراد بالملك من جعل إليه أمر تلك الرحم فكيف يبعث أو يرسل؟ وأجاب بأن المراد أن الذي يبعث بالكلمات غير الملك الموكل بالرحم الذي يقول يا رب نطفة إلخ، ثم قال: ويحتمل أن يكون المراد بالبعث أنه يؤمر بذلك. قال أهل العلم: وهو الذي ينبغي أن يعول عليه، وبه جزم القاضي عياض وغيره .انتهى والله أعلم بالصواب.

7ـ هل يتأثر نمو الطفل وتطوره قبل ولادته بعمر أمه؟

إن عدم التوافق بين العمر الزمني، والعمر البيولوجي يعرقل التنبؤ بالحالة الفردية لكل حامل، كما أنهُ ليس من السهل في الحصول على استنتاج تأثير النمو بعمر الأم، إلا إذا كانت الاستنتاجات التي يتم الحصول عليها من دراسة معينة في هذا المجال تتفق مع استنتاجات دراسات أخرى قد أجريت في المجال نفسه، فعند ذلك يكون من الممكن صياغة استنتاجات عامة بخصوص سن دون سن أخر بشكل عام.

كما أن العمر الزمني بالنسبة للمرأة من السهل ممكن تحديده، وذلك بمعرفة كم سنة مضت عليها من تاريخ ولادتها، وأما العمر البيولوجي وهو سير الجسم نحو النضج، ثم الشباب ثم الشيخوخة، فالسير نحو النضج ثم الشيخوخة، فدورة الحياة هي عملية مستمرة تبدأ بالاخصاب وتستمر في كل لحظة من حياة الإنسان، فنمو خلايا الجسم وانقسام وتطور الأعضاء تجري بتدريج حتى إكتمال قوتها وكفاءتها، وبعد ذلك يبدأ الجسم ببطء في فقدان كفاءته وقوته، ومن الصعب تحديد أو التنبؤ بمدى القوة أو الضعف بالعمر البيولوجي إلا في النادر.

ويرجع الاختلاف في هذا التفاوت عند الكبار في العمر الزمني بأن البعض منهم يبدو أنه أصغر سنن ممن يماثله في العمر، كما يبدو التفاوت بينهم في مرونة العضلات وفي قلة تجعيد الجلد وفي نشاط العقل وغيرها من المزايا المختلفة والتي يتميز بها شخص دون أخرى من حيث الكم والكيف ... كما يختلف العمر الذي يحدث فيه البلوغ عند الإناث من بلد لآخر، يعتبر البلوغ بالنسبة للأنثى مرحلة انتقالية للجسم من جسم الطفلة إلى جسم المرأة البالغة، و تصبح الأنثى بعد البلوغ قادرة على إنجاب الأطفال، وفي كثير من الأحيان يحدث البلوغ في الفترة ما بين عمر 9 إلى 13 سنة بشكل وسطي، و هو عمر أصغر من العمر الذي يبلغ فيه الذكور و لذلك قد يلاحظ أن البنات يبدون أطول و أنضج من الذكور في تلك الفترة.

وقد أجريت دراسة استنتاج على مجموعة من الأمهات الولادات، واللواتي تتراوح أعمارهن على:

سن ما بين 17 سنه – و 23 سنه	و سن ما بين 23 سنه – و 29 سنه
وسن مابين 30 سنه – و 35 سنه	وسن ما بين 35سنه – و 40سنه

ومما لاشك فيه أن أعمار النساء من الناحية العمرية الزمنية هو مكان اتفاق، ولكن المختلف فيه هو أن العمر البيولوجي يختلف من امرأة وأخرى، وكذلك اختلاف المجتمعات والبيئات كذلك يلعب دور مهم، وبناءً على ذلك لا يعتمد على دراسة معينة في هذا المجال ما لم تكن خاصة ومحدودة في مجالها، ولا تؤخذا من الناحية العامة أو تعميمها على جميع المجتمعات أو الأشخاص، ولكن تبقى لها أهمية من الناحية العلمية والمعرفية.

وعند الحديث عن أفضل الفترات المناسبة للحمل بالنسبة للمرأة فيؤخذ بعين الاعتبار بالفترة ما بين 23 سنه و 29 سنه، لأن الجهاز التناسلي يكون

في حالة نضج وقوة للمرأة، كما أن هـذا الجهـاز التناسـلي يكـون مـدة قوتـه خمـس سنوات، إلا أن هذا التحديد ليسا هو التحديد النهـائي، وإنمـا هـذه الفـترة معروفـة بأنها أفضل بالنسبة للعمر البيولوجي، وعلى أن قوة جسم المرأة خـلال هـذا العمـر يقوم بوظائفه على أحسن وجه، وملائمة للإنجـاب، كمـا يرشـد هـذا العمـر المـرأة للعناية بنفسها وبجنينها، وكذلك علـى الاحتيـاط في حالـة أرادة الإنجـاب أو تكـثير الذرية، وهذا ما أشارة إليه الدراسات التي أجريت علـى عمـر الأم علـى أن الفـترة التي يكون فيها الحمـل محفوفـاً بالمخـاطر هـي الـتي تكـون فيهـا الأم صـغيرة جـداً أو كبيرة جداً[1].

ومن الارتباطات التي تعتبر أكثر إثارة وترويع من غيرها من الارتباطات التي برزت في الدراسـات الـتي أجريـت علـى عمـر الأمهـات، كـان الارتبـاط الـذي تم التوصل إليه في عام 1959 م بين عمر الأم وأعراض (داون down) والتي تـسمى بـ (المنغولية mongolism) والتي تظهر على الأطفال ... وهذه الحالـة هـي شـكل من أشكال التأخر العقلي، والـذي وصـفه لأول مـرة (ج. لانجـدون داون في عـام 1866 م وهو طبيب إنجليزي. وقد أطلـق (داون down) علـى الأطفـال المـصابين بهذه الحالة اسم (البلـهاء المنغـوليين) وذلـك لأن عيـونهم تـشبه عيـون القوقـازيين أو المنغوليين ... كما أجريت دراسات عدة وذلـك لأجـل معرفـة أسـباب أعـراض (داون down) ولم يتوصلوا إلى استنتاج واضح لحل هذا المرض، إلا بعد ماتم الـربط بين المرض وبين أعمار الأمهات اللواتي أنجبنا أطفال مصابين بتلك الأعراض[2].

كما يوجد دليل يشير إلى أن عمر الأب وقت إخصاب طفلـه يـرتبط بـشكل مهم بكثير من المتاعب التي قد يعاني منها الطفل، وخاصة الآباء كبـار الـسن الـذي يحـصل أن يتزوجـوا أمهـات أصـغر مـنهم في العمـر ... وهـذا الموضـوع معقـد

(1) عاية الطفل قبل الولادة ص124بتصرف .

(2) المصدر السابق ص131.

ومتداخل، ويدخل فيه عدة عوامل ومن الصعب فيه تحديد المشكلة من غيرها، ولكن من خلال التوقعات والقياس والمقارنة قد يتوصل فيها إلى نتائج مهمة ومعتبرة، إذا ما قارنا بمعدل عمر الأم، زائد نموها وتقدمها في الشيخوخة، وكذلك ينطبق الكلام على الأب وتقدمه في العمر ونموه، وإذا أخذنا كل ذلك في الحسبان فسوف نصل إلى نتائج إذا لم نقل 100٪ في 100٪، ولكن تكون جيده ومقبولة، لأنا سوف نصل في النهاية إلى الوقاية من كثير من المخاطر، والوقاية خيراً من العلاج.

8ـ مرحلة ما قبل الولادة ومدى تأثيرها على النمو

إن الكثير من الدراسات وبشكل عام تنظر إلى مرحلة الرضاعة ومرحلة الطفولة بأنهما فترتان هامتان في حياة الإنسان، إلا أن فترة ما قبل الولادة قليل البحث فيها، كما أن مرحلة ما قبل الولادة هي أكثر أهمية منهما في تكوين حياة الطفل، فكما أن سلوك الطفل واتجاهاته تتكون أثناء فترة الرضاعة، والطفولة المبكرة، فكذلك يتكون بنائه الجسمي والنفسي خلال أسابيع ما قبل الولادة .

فالجهاز العظمي مثلاً يتطور من لاشيء بالمرة إلى التركيب المعقد للعظام الذي سيكون الدعامة التي يقوم عليها جسم الفرد في جميع حياته، وتتكون أعظائه وتتطور إلى آلية معقدة تستخدم في العناية بتنفسه، وبدورته الدموية وتغذيته، وإخراج فضلاته وجهازه التناسلي .. وتظهر العضلات وتنتشر حول الجسم في شبكة معقدة تتحكم في حركاته ... وكذلك خلق دماغه وجهازه العصبي فهما يبدآن بالنمو والتطور باتخاذ تراكيب معقدة تجعل من الممكن بالنسبة للطفل أن يرى وأن يشم وأن يشعر وحتى أن يفكر.

كما أن كل جهاز من هذه الأجهزة، يعتمد في نجاح تطور الطفل على المؤثرات التي تحيط به بشكل مباشر خلال فترة ماقبل الولادة. وإن مدى التأثير في

الطفل في هذه المرحلة لهو أوسع مدى من جميع مراحل حياته التالية، حيث أن التأثير في هذه المرحلة وهي مرحلة ما قبل الولادة، يشمل جميع المراحل التالية.

وفي الحقيقة فإن فترة ما قبل الولادة وهي فترة قصيرة بالسبة لما بعدها ولكنها تعتبر هي الأهم والأخطر لما يحصل فيها من تأثير بشكل رئيسي، حيث أن فترة الثلث الأول من الحمل هي الفترة التي يحصل فيها التطور والنمو بالنسبة للجنين في بطن أمه، وخلال هذه الفترة الحيوية فإن نمو جسم الطفل يسير بحسب توقيت زمني دقيق وبشكل تام من حيث النمو المختلف للأعضاء وتطورها في مرحلة الحمل وبشكل لا مثيل له في الدقة والتوقيت بالنسبة لمراحل النمو في حياة الإنسان.

وكذلك يظهر نفس المستوى من الدقة من حيث ارتباط النمو بالمؤثرات المختلفة في المراحل التالية من حياة الجنين، كما أن هذه العملية من حيث الدقة والتعقيد، لا تقارنها أي وسيلة إلكترونية، مهمة بلغة دقتها في تعقيد ولا وجه للمقارنة بينها وبين خلق الإنسان وتطوره في بطن أمه ... فالمعملية منظمة بشكل بالغ الدقة إلى حد أن المختص في علم الأجنة يستطيع وبسهوله وصف جدول زمني لظهور وتطور ونمو كل عضو من أعضاء الجسم، كما يحدد كيف أن كل عضو يتلاءم مع باقي الأعضاء، فالعملية عملية انسجام وتكامل وتطور في النمو وبشكل دقيق وتام.

والحاصل أن الفترة الحرجة لتشكيل أي عضو معين في الجسم، أو في أي وظيفة من وظائف أي عضو إنما هي في فترة قصيرة، وقد تدوم لمدة بضع ساعات أو بضعة أيام، وحتى بالنسبة للأجهزة التي تستغرق تشكيلها مدة أطول ممكنة، كما أن هذه المدة لا تدوم لأكثر من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع.

كما أن فترة الثلث الأول من الحمل هي أهم المراحل بنسبة لفترة ما قبل الولادة، وهذا لا يعني بالطبع أن بقية الأسابيع الأخرى من الحمل ليست مهمة،

فإنه لا يوجد شيء يحصل للطفل قبل ولادته غير مهم ... ومهما يكن فإن خلال الأسابيع الإثنى عشر الأولى من الحمل تبدأ الأعضاء الرئيسة والأنسجة الأساسية بالظهور وتأخذا في التطور بشكل مستمر وتدريجي، وهي في أثناء تطورها يمكن التأثير فيها بسهولة، ولكن عندما يتوقف تطورها فإنه يكون من الصعب إن لم يكن من المستحيل التأثير فيها بأي طريقة بشكل رئيسي.

وهكذا فإن الأسابيع الإثنى عشر أو الثلاثة عشر الأولى من بداية الحمل هي الأسابيع التي يتيسر من خلالها للأم أعظم فرصة للتأثير في نمو طفلها وتطوره، لأن هذه الفرصة لان تتكرر مرة أخرى في حياة هذا الطفل وبهذا القدر في خلال هذه الفترة[1].

9ـ المشيمة وأهميتها في النمو بنسبة للطفل

تتحد الخلايا الخارجية مع جزء من البطانة التي تغطي جدار الرحم لتكوين المشيمة وذلك خلال الشهر الرابع، ومن خلال هذا التركيب المتكون من الزغب والمشيمة يمد جسم الأم بشكل أساسي الطفل الذي في الرحم بالمواد المختلفة التي تساعد الطفل على النمو والتطور، والمشيمة هي العضو الذي له أكبر الأثر في حدوث نمو الطفل[2].

كما أن تشكل المشيمة يسير بشكل أبطأ من تشكل أي عضو رئيسي أخر، وهي تتشكل بين الجدار الداخلي للرحم والجدار الخارجي للطفل وهو على شكل مضغة، وعندما يتم نموها بشكل طبيعي تكون مستديرة ومنبسطة، ويكون قطرها حوالي سبع بوصات، وسمكها بوصة واحدة، ومن جانب المشيمة المواجه للطفل

---

(1) رعاية الطفل قبل الولادة: ص 46- 48 بتصرف يسير - تأليف : أشلي مونتاجو: تعريب عبدالرحيم صالح عبدالله _ الطبعة الأولى دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن- عمان 1412هـ - 1992م.

(2) المصدر السابق نفسه ص54.

ينطلق الحبل السري، وهو يحتوي على أوعية دموية كبيرة، ويتصل بجسم الإنسان، وأما جانب المشيمة المواجه للأم، فهو مغطى بزغب دقيق يشبه الجذور، وهي تحتوي على أوعية دموية دقيقة جداً، وتتعمق الجذور في جدار رحم الأم حيث يكون دم الأم وافراً، وعدد هذا الزغب أو الجذور هائل، حيث يقدر عددها الذي ينبت على مشيمة متوسطة الحجم بما يقرب من سبعمائة وسبعين ألف، ويقدر المجموع الكلي لمساحة سطوحها التي تمر من خلالها جزيئات الغذاء والأكسجين بما يعادل 140 قدماً مربع.

المشيمة عضو فعال ذو كفاءة عالية وذلك أن هذا العضو ينظم مرور المواد التي تلزم لتزويد الطفل حاجاته الضرورية لنموه بشكل طبيعي، وهو في بطن أمه، ولذلك ينبغي الحذر على سلامة هذا العضو من أي خلال خارجي أو داخلي قد يؤثر فيه.

والوظيفة الرئيسة للمشيمة هي أن تخدم كممر يتم من خلاله مرور المقادير اللازمة من التغذية والأكسجين إلى الطفل، وطرد نواتج الفضلات، كما تعود أهمية المشيمة إلى أن الطفل لايستطيع أن ينمو بدونها، وتطور المشيمة بشكل صحي أمر ضروري وذلك لحصول نمو الطفل بشكل ملائم، وهو من الأمور الضرورية تماماً، مثل العمل الوظيفي لقلب الأم أو كبدها لنمو الطفل بشكل جيد ... إن وظيفة المشيمة خلال الحمل تشكل قناة رئيسة وتنظيمية، بين الأم والطفل، وذلك أن من خلال تلك المشيمة، يحصل الطفل على غذائه المناسب وأكسجينه كذلك .

10ـ التغذية وأهميتها في نمو الجنين في بطن أمه

وبالإضافة إلى ذلك فإن تغذية الأم يمكن أن يكون سبباً غير مباشر في التأثير على الجنين الذي تحمله، حيث أن التغذية قد تؤثر في أكثر من اتجاه، مثال ذلك تغذية الأم الجيد بشكل طبيعي منذ كانت جنيناً في بطن أمها فسوف يؤهلها ذلك

بأن تلد طفلاً على مستوى عالي من الصحة، لأن جسمها نما بشكل سليم فهو يتسم بدرجة عالية من الصحة، ومهما كانت الأسباب المؤدية إلى التغذية السيئة، فإنه يجب عدم إغفال الحقيقة التي تعنينا، وهي أن الغذاء الجيد للمرأة الحامل هو سبب مباشر للنمو الصحي للطفل الجنين، وفي المقابل فإن الغذاء السيئ بنسبة للأم فه سبب نقص في نمو الطفل الجنين كذلك.

ولذلك فإن المرأة التي كانت في سابق أيامها تعيش في حرمان من التغذية الجيدة فإنها تستطيع بواسطة تناولها الغذاء الجيد أن تعوض إلى حد كبير النواقص التي لديها، ومهما كانت أيامها السابقة، فهي تستطيع بواسطة تناول الغذاء الجيد أن تبطل مفعول أي تأثير يكون ضار على الجنين. ومن الممكن بأن تتزود الأم الحامل على برنامج غذائي مناسب لها وذلك من خلال الطبيب المختص.

ولقد أجريت أنواع مختلفة من الدراسات العلمية على تغذية الأمهات الحوامل في ظروف مختلفة، كما قسمة تلك الدراسات من حيث الظروف المختلفة التي إجريت من خلاله تلك الدراسات في الأماكن التالية:

1- دراسة أجريت في العيادات.

2- دراسة أجريت في ظروف الحرب المدمرة للمدن.

3- دراسة أجريت في البيئات المحرومة والميسورة.

4- دراسة أجريت في المختبرات على الحيوانات.

إلى غير ذلك من تلك الدراسات [1]، كما أجريت أبحاث عديدة عن أثار الغذاء على المرأة الحامل ومدى تأثير ذلك على نمو الطفل ومن تلك الدراسات التي أجريت في عيادة الحوامل في مستشفى بوسطن مابين (1939 م – 1941 م) على ما يقارب مائتي امرأة حامل كما قسم البحث على ثلاثة أقسام:

(1) المصدر السابق نفسه ص68.

القسم الأول: على الحوامل اللواتي تناولن أغذية ممتازة.

القسم الثاني: على الحوامل اللواتي يتناولن أغذية جيدة.

القسم الثالث: على الحوامل اللواتي يتناولن أغذية فقيرة.

ثم خرجت نتائج تلك الدراسة بأن معظم الأطفال الذين ولدتهم أمهاتهم اللواتي تناولن الأغذية الممتازة كانوا في الأحوال الصحية الجيدة والممتازة وذلك عند ولادتهم، أما في المقابل من ذلك بنسبة للأمهات اللواتي تناولن أغذية فقيرة، فإن الأطفال الذين ولدوا يعانون من نقص في النمو أو قد يولدوا غير أحياء أو يولدوا قبل الأوان وذلك قبل اكتمال ولدتهم.

وقد كشفت تلك الدراسة بأن العلاقة بين الغذاء وبين صعوبة الولادة أثناء المخاض يتوقف إلى حد كبير على اهتمام الأم الحامل على ما كان تفعله قبل الولادة، فالأمهات اللواتي يتناولن الأغذية الجيدة يقل ما يعانينه من صعوبات أو من مضاعفات الحمل المختلفة، بينما تتكرر جميع اضطرابات الحمل المختلفة بين النساء الحوامل اللواتي يتناولن الأغذية السيئة بشكل أكثر بكثير من تكرارها بين الحوامل الأخريات، إضافة إلى ذلك أن أطفال الحوامل واللواتي يتناولن أغذية جيدة أثقل وزناً من الأطفال الآخرين[1].

11ـ الأكسجين وأهميته في نمو الجنين في بطن أمه

فالغذاء له أهميته في نمو الطفل في بطن أمه، فالتغذية الجيدة ضرورية للنمو الملائم لكل فرد ولا يمكن الاستغناء عنها أبداً، ولكن معا أن حاجتنا للتغذية عظيمة إلا أننا نحتاجها بشكل متقطع، وهذا لا يقلل من أهمية الغذاء للحياة، ولكن الأمر الذي لابد من معرفته وهو أن الأكسجين نحتاجه بشكل مستمر وبدون إنقطاع وفي كل لحظة من لحظات حياتنا.

---

(1) المصدر السابق نفسه ص 70بتصرف.

إن حرمان الإنسان من الهواء الذي يصل إلى رئتيه لمدة بضع دقائق قد يؤدي إلى وفاته، وإذا لم يصل به هذا الحال إلى الوفاة، فقد يؤدي به إلى إلحاق الضرر بدماغه، إلى حد الإتلاف بحيث لا يمكن إصلاح هذا التلف.

ولذلك فإن البالغ يستطيع أن يوفر لنفسه الهواء المناسب الذي يؤهله على العيش بشكل جيد، ولكن المشكلة هي في كيفية توفير الأكسجين المناسب للطفل وهو في بطن أمه، ولهذا السبب يجب على الأم توفير الحماية الكافية للطفل من الأكسجين لأنها إحدى المهام الأساسية التي يجب على الأم القيام بها.

كما يصل الأكسجين للطفل من خلال مجرى دم أمه، حيث أن دمها الذي يحمل جزيئات الأكسجين معه في سيره يغمر مئات الآلاف من الزغب التي تشبه الجذور الدقيقة المنتشرة على سطح المشيمة والمتصلة بها، كما تمر جزيئات الأكسجين بشكل بطيء جداً من خلال جدران الزغب ومن ثم خلال الأوعية الدموية الدقيقة التي توجد داخل الزغب، وهذه بدورها توصل رأساً إلى المشيمة، ومنها إلى الحبل السري، وأخيراً إلى الأوعية الدموية في جسم الطفل الذي هو في حالة مستمرة من النمو المستمر، كما تسير جزيئات الأكسجين في مجرى دمه إلى قلبه، ومن هناك تضخ خارج القلب منتشرة خلال الجسم إلى جميع الأنسجة التي هي في حالة دائبة من النمو والتطور، ولذا فإن الأكسجين ضروري ولا يستغنى عنه الطفل أبداً من أجل استمرار عملية نموه وانقسام خلاياه[1].

وخلاصة القول في هذا فإن أفضل ضمان يمكن اتخاذه لوقاية الطفل من الحرمان من الأكسجين الكافي لنمو الطفل قبل ولادته، هو أن تعيش الأم خلال حملها بصحة جيده وتامة وهذا يعتمد على عدة أمور يجب أن تأخذ بها الأم وألا تتهاون في أي منها وهي:

1- أن تأكل بشكل جيد وملائم.

(1) المصدر السابق ص 94.

2- أن تستريح بشكل كاف بحيث لا تتعرض للإنهاك.
3- يجب على الأم بأن تحافظ على صحتها لأن المرض يستنزف قوى البدن، لذا يجب على الأم الحامل أن تبذل كل ما يمكنها من تجنب الجهد من أجل تجنب المرض بأقصى حد ممكن.

كما يجب على الحامل بأن تتجنب التدخين، والعقاقير إلا في حالة الضرورة التي يقررها الطبيب أو الطبيبة بالنسبة للعلاج، وأما بالنسبة للتدخين فهو ضار على جميع الأحوال ... وإذا حققت الأم الحامل هذه الأمور وغيرها من الإرشادات بشكل واعي فإن جسمها سوف يقوم بوظائفه الطبيعية، وسوف يحمل دمها التغذية والأكسجين اللذان يحتاجهما جسم الأم والطفل كذلك[1].

ولقد أجريت عدة دراسات على أثر التدخين على الحوامل وعلى الجنين ومنها دراسات مطولة وواسعة ومنها دراسات مختصرة، كما أظهرت تلك الدراسات على أن الولادة قبل أوانها الطبيعي وكذلك صعوبات الحمل تنتشر بين الحوامل المدخنات أثناء الحمل، أكثر مما تحدث عند الحوامل الغير مدخنات، وفي أواخر عام 1962 م أجرى الدكتور هـ. ج. هيرون، تقريراً عن دراسة مفصلة أجراها على عينة من الحوامل، ومواليدهن بعد الولادة واشتملت تلك الدراسة على ثمانية وخمسون مدخنة، ومجموعة مماثلة من الأمهات غير المدخنات وكان قد وجه انتباهه بشكل خاص نحو الأمهات اللواتي استمررن في التدخين خلال المرحلة الأولى من المخاض وقد وجد في هذه الدراسة ما يلي:

1- مستوى أول أكسيد الكربون في دم هؤلاء المدخنات في فترة المخاض وفي دم أطفالهن ضعف ما هو في دم الأمهات غير المدخنات ودم أطفالهن.

(1) المصدر السابق ص 104.

2- جميع الأمهات غير المدخنات باستثناء ثلاثة أطفال منهم قد صرخ كل منهم بقوة خلال نصف الدقيقة الأولى بعد ولادته، بينما (81 ٪) من أطفال الأمهات المدخنات لم يصرخ أي منهم إلا بعد مرور حوالي ثلاث دقائق بعد ولادته.

3- معدل تكرار الولادة المبكرة بين المدخنات يعادل ثلاثة أضعاف معدل تكرارها بين غير المدخنات.

4- أطفال الأمهات المدخنات أقل وزناً من أطفال الأمهات غير المدخنات[1].

إن الغالبية من الأطفال يرثون وبشكل طبيعي عن آبائهم وأمهاتهم أجساماً صحية وعقولاً سليمة تقوم بوظائفها على أحسن وجه، ولكن الأب المدخن أو الأم المدخنة يعملان على إضعاف الفرص الصحية أمام أطفالهم لحصولهم على هذا الميراث السيىء، إن حماقة الأب أو الأم في عدم تفكيرهم في مصلحة أطفالهم قد يؤدي إلى وجود أطفال يعانون من أمراض ومشكلات قاسية في حياتهم، والأخطر في ذلك ما يلحق الطفل من نقصاً في الأكسجين (الأنوكسيا) في الدم وهو ما يتسبب في تلف الدماغ، وهناك أمراض عقلية ناشئة عن حصول خلل في بعض أجزاء الدماغ، وهذه الحالات تحدث بسبب نقص الأكسجين الذي يصل خلايا الدماغ، فالحاصل يجب على الأب والأم تجنب التدخين أو المسكرات والتي ثبتت خطرهم على من يتعاطها وكذلك وعلى نمو الأطفال كذلك.

ومما لاشك فيه لدى كل عاقل بأن التدخين ضار بالنسبة للإنسان العادي، وأما بالنسبة للمرأة الحامل يتأكد عليها الضرر وعلى طفلها، وهو ذوا رائحة كريها ومؤذيه لأصحاب الفطر السليمة، والدخان له أضرار صحية وبيئية في نفس الوقت

(1) المصدر السابق ص 199.

ولهُ علقة بكثير من الأمـراض الخطـيرة ومنهـا القلـب والرئـة والكبـد والأعـصاب والدماغ.

وفي ضوء جميع الدراسات الـتي أجريـت علـى الآلاف مـن النـساء الحوامـل في عدة سنوات لم يعد أي مجال للشك في أن التدخين هـو أحـد العوامـل الأساسـية التي تؤثر في الأطفال تأثيراً ضاراً قبل الولادة(1).

وأما بالنسبة للكحول والمخدرات، فهي تؤثر في النفس والمجتمع تـأثيراً بالغـاً، فهي تضعف العقل وقدراته على التفكير، وتضعف كذلك الدماغ والجهـاز العـصبي وتعيقهما عن الحركات الإرادية ولا إرادية للجسم، كما تتسبب المسكرات في خلـق حركـات لا إراديـة غـير منـضبطة لـشخص، وهـذا ملاحـظ بـشكل واضـح علـى السكران، مما تجعل متعاطي هذه المـسكرات خطـر علـى نفسه وعلـى الآخـرين .. ولذلك فإن المرأة التي تتعاطى المـسكرات أو زوجهـا يـصبحان خطـر علـى المجتمـع لأنهما عرضه للإنجاب أطفال مشوهين أو يحملان أمـراض تكـون وراثيـة، ولـذلك فليحذر الـزوجين مـن تعـاطي المـسكرات، لألا يكونـان الـسبب في فـساد الأسـرة والفرد والمجتمع، وذلك من إنجاب ذرية تكـون عالـة علـى الأسـرة وعلـى المجتمـع، وهذا مما يـضعف تقـدم النمـو البـشري، ويتـسبب في زيـادة خلـق أزمـة اجتماعيـة ونفسية.

ولقد أدركت بعض شعوب الدول الغربية، بأن المسكرات خطر علـى الفـرد، وعلى المجتمع، لما يترتب عليها من مخاطر جسيمة، ولذلك تكونـت جمعيـات عديـدة للتحذير من المسكرات، ومن المضار الخلقية والاجتماعية والماليـة، ولأجـل الـسعي من التقليل في تعاطي تلك المسكرات ... ولقد سبقهم الإسلام إلى ذلك فحـذر مـن جميع المسكرات، غاية التحذير ورتب على ذلـك العقوبـات الدنيويـة، والأخرويـة، وهو معلوم من الدين بالضرورة لدى عامة الناس.

(1) المصدر السابق ص208 .

وقد أجمع علماء الشريعة، والطب، والنفس والاجتماع، أن للخمر مضار كثيرة، ومن مضاره أنه يصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، ومن مضاره أنه يفسد المعدة ويغير الخلقة فيتمدد البطن وتجحظ العيون، ويشوه الخلقة ويسبب الهرم والشيخوخة المبكرة ويسبب حدوث السل الرئوي، وتقرح الأمعاء، وإضعاف النسل أو يقطعه بالكلية.

ومن مضاره فساد التصور والإدراك عند السكر حتى يكون صاحبه بمنزلة المجانين ثم هو بعد ذلك يضعف العقل وربما أدى إلى الجنون الدائم ... ومن مضاره إيقاع العداوة والبغضاء بين شاربيه وبينهم وبين من يتصل بهم من المعاشرين والمعاملين لأن قلوب أهل الخمر معلقة به، فهم في ضيق وغم لا يفرحون ولا يسرون بشيء إلا بالاجتماع عليه كل كلمة تثيرهم وكل عمل يضجرهم. ومن مضاره قتل المعنويات والأخلاق الفاضلة وأنه يغري صاحبه بالزنا واللواط وكبائر الإثم والفواحش، فصلوات الله وسلامه على من سماه أم الخبائث ومفتاح كل شر. ومن مضاره أنه يستهلك الأموال ويستنفد الثروات حتى يدع الغني فقيرا وربما بلغت به الحال أن يبيع عرضه أو عرض حرمه للحصول على المسكرات.

12ـ العقاقير ومدى تأثيرها على النمو

كما أن الانسجام والتكامل في النمو والتطور للطفل في بطن أمه، من الممكن بأن يتأثر في أثناء الحمل وذلك لأسباب عديدة قد تكون متعلقة بالأم أو تكون من الأمور الخارجية، ومن الأمثلة على ذلك استعمال العقاقير الدوائية، وكذلك المسكرات والمخدرات والتدخين ... وقد لوحظ وبشكل واضح وبارز للعيان بأن استعمال عقار ((ثاليدوميد rhalidomide)) الذي وقع في صيف 1962م كما أوضح هذا العقار حقيقتين هامتين:

إحداها: أنه عندما يؤخذا عقار ثاليدوميد خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل يمكن أن يضر الأطفال وبشكل خطير.

وأما الأمر الثاني: وهو أن هذا العقار على الرغم من أنه قابل لإلحاق الأذى بالطفل وبشكل محقق في بعض فترات الحمل إلا أنه لم يؤثر في أطفال العديد من النساء اللواتي تناولنه خلال فترات أخرى من الحمل.

وقد وجد بأن التأثير الخطير لفعل الثاليدوميد السام على الحامل يكون في الفترة الواقعة بين اليوم السابع والعشرين، والأربعين بعد الإخصاب، وأما في بقية الأيام الأخرى من فترة الحمل لا يمكن أن تتأثر بهذا العقار الخطير .. وذلك يدل على أن التأثير الأقوى يقع خلال فترة وأخرى من فترات الحمل. كما أن شيوع هذا العقار واكتشاف أخطاره يعطيان مثالاً واضحاً على التهديد الذي ينطوي عليه استعمال النساء الحوامل للمستحضرات الطبية، إذ أنه قد يعرض أطفالهن لأخطار جسيمة، كما أن قصة هذا العقار كان ناقوس خطر ينذر بخطر التهام أي حبوب بدون أي تمييز وبدون أي تفكير.

كما أن النتائج التي من الممكن حدوثها بسبب مرور العقاقير من الأم إلى الطفل عديدة ومختلفة، وهي تعتمد على الطفل وعلى العقار وعلى فترة بداية الحمل، ولذا يجب على الأم أو الطبيب أو الصيدلي بأن يتحمل مسؤولية نفسه اتجاه المخاطر من نتائج تناول أو صرف العقاقير وأن يكونا على حذر تام، وعلى الرغم من أن كثير من العقاقير لم يكن مشكوكاً فيها من قبل، إلا أن الاهتمام العام على عقار الثاليدوميد دفع كل شخص لأن يأخذ الحذر والحيطة، كما أصدرت كل من وزارة الصحة البريطانية ومجلس السموم تحذيراً رسمياً يحذر من استخدام (البريلودين preludin) وقد حذر الأطباء البريطانيون وغيرهم من استعمال العقاقير بدون وصف طبي، وخاصة العقاقير التي تستخدمها الحامل .. كما أن

الدراسات في الوقت الحالي عاجزة عن مواكبة التطورات الحاصلة في ميدان العقاقير وذلك لكثرة شركات ومصانع الأدوية التي أصبحت تجارية بدرجة الأولى.

والقاعدة التي يجب أن تتذكرها جميع النساء الحوامل: بأن جميع العقاقير قادرة على اختراق المشيمة من الأم إلى الطفل، لأن الجزيئات التي يحملها دم الأم تخترق الجداران الدقيقة للزغب التي تشبه الجذور الرقيقة الموجودة على المشيمة، فتنتقل إلى الحبل السري ومن هناك تنتقل إلى دورة الطفل الدموية[1].

وفي مؤتمر خاص لدراسة عيوب الحمل والولادة، اجتمع علماء لهذا الشأن في ((أن آربر في ميشيغان وذلك في خريف 1962 م)) واصدرو بيان أجمعوا فيه: على النساء الحوامل ألا يتناولن أي عقار بالمرة حتى لو كان أبسط العقاقير، وهذا يتضمن كما قالوا الأسبرين والمستحضرات الطبية التي تستخدم للتخلص من غثيان دوار البحر[2].

*****

(1) رعاية الطفل قبل الولادة ص169.

(2) المصدر السابق نفسه ص168.

الفصل الثاني

خصائص مراحل الطفل الأولى

غريزة الأبوة والأمومة هي الأساس في بقاء وتطور المجتمعات حيث يطمح الأبناء والبنات البالغون في تكوين الأسرة، وإنجاب الأطفال وتربيتم في جو من الحنان والحب يصل إلى درجة التضحية بالنفس في سبيلهم، فنراهم يكدون ويتعبون طوال النهار من أجل تأمين الحياة السعيدة والعيش الهانئ لأبنائهم، ولولا هذه الغريزة لما تحملت الأم، ولا تحمل الأب تبعات المصاعب والمشاق التي يصادفونها في تربيتهم ومساعدتهم في بناء مستقبل يليق بهم .. كما تستثار هذه الغريزة في المراحل الأولى من حياة الإنسان إن هذه الغريزة لها أهمية قصوى في تربية أبنائنا على روح المحبة والتعاون، حيث أن المحبة والتعاون ركنان أساسيان من الأركان التي يبنى على أساسها المجتمع، وهي السبيل لتقدمه ورقيه وتطوره، ورفاهه .

إن الطفل أول مايولد فهو يبدءا حياة جديدة، وأول ما يستهل حيلته بالصياح، ولذلك سميت ب"صيحة الميلاد" وهي التي تبدأ بها مظاهر الحياة عند الطفل، وتختلف هذه الصيحة من طفل لآخر، وذلك حسب حالته الصحية، أو نوع الولادة، فصيحة القوي حادة وصيحة الضعيف خافتة ومتقطعة. وتتطور صرخة الميلاد فتصبح صراخاً معبراً عن حالة الطفل الانفعالية أو الوجدانية، وعن رغباته النفسية، فالصرخة الرتيبة المتقطعة تدل على الضيق، والصرخة الحادة تدل على الألم، والصرخة الطويلة تدل على الغيظ والغضب ... ومن ذلك يستدل على نمط صوت الطفل على قوة نموه في داخل بطن أمه، ولذلك ينبغي على الطبيب أو الطبيبة تشخيص صوت الطفل عند الولادة لأجل معرفة مدى رعاية الأم بطفلها وهو في بطن أمه ولأجل مساعدة الأم لترشيدها لحمل أفضل في الحاضر والمستقبل.

1ـ حاجات الطفل الأساسية

فالطفل في مرحلة المهد (الرضاعة) لا يريد سوى إشباع حاجاته الأساسية ومنها:

حاجته إلى الراحة والبعد عن الألم	وحاجته إلى التعلق والدفء العاطفي	وحاجته إلى الاستثارة والتنشيط
وحاجته إلى الاستقرار والثبات في المعاملة وفي البيئة المحيطة	وحاجته البيولوجية من تغذية وإخراج وغير ذلك	

ولكي تنمي الأم هذه العلاقة، عليها أن تسارع إلى تلبية حاجات طفلها دون بطء، وتحرص على التفاعل المستمر بينها وبين طفلها، في هذه المرحلة، فالطفل بحاجة إلى جميع أنواع التغذية ومنها التغذية العاطفية، وعلى الأم ملاعبة طفلها ومعانقته والتحدث معه وعدم عزله، بل وتشترك معه في ألعابه، كما تشجعه على استطلاع البيئة من حوله .. ومن الأشياء المهمة أن تكون على علم تام بشخصية طفلها وحالته المزاجية ؛حتى يمكن تربية طفلها على أساس سليم.

2ـ دور الأم في مرحلة الرضاعة من الناحية الجسمية والعقلية والنفسية والحركية

يجب على الأم إرضاع الطفل من صدرها طالما لا يوجد لديها موانع طبية تمنعها من ذلك، وعليها أن تعمل على وقاية الطفل من الأمراض، وتنمية المناعة عنده، وذلك من خلال تحصينه وتطعيمه ضد الأمراض الشائعة وتغذيته بالغذاء المناسب؛ حتى ينمو نموًا سريعًا.

3ـ ثدي الأم وأهميته في نمو الطفل

إن دور الأم في هذه المرحلة وهي مرحلة الرضاعة مؤثر للغاية على النمو للطفل؛ فعليها أن تساعد طفلها على الانطلاق إلى المراحل العمرية، دون أن

يتعرض لصعوبات قد تعوق نموه، وتكون العلاقة بينها وبين طفلها أساسها العاطفة والوعي .. ولأن حليب الأم مهيأ بالأساس للمولود الجديد بما يتناسب مع جسده وعقله، فكل طفل لهُ رزقه حتى من حليب ولدته، ينبغي على الأم ألا تحرم وليدها من هذا الخير، كما يختلف حليب، البنات عن حليب الأولاد في صدور الأمهات، فاللبنات حليب يتناسب مع بنيتهم الأساسية وكذلك الأولاد، ومن المحتمل أن يكون لحليب الأم تأثير على نمو الطفل المستر ضع منها من الناحية الصحية، كما أن لهذا الأثر من الناحية الشرعية وهي الحرمة من الرضاعة، والله أعلم، ومن أجل ذلك ينبغي على الأم الحرص على إكمال الرضاعة لطفلها لما تشكله الرضاعة من أهمية أساسية في نمو الطفل الجسدية والعقلية والنفسية.

الثدي عضو خلق لتكوين اللبن ..والحاجة إلى الثدي، هو توليد اللبن ليكون غذاء الطفل، وإنما احتيج إلى ذلك ليكون هذا الغذاء شبيهاً جداً بجوهر الطفل، لأنه يتولد من المادة التي تكون منها أعضاؤه وبها تغذت، وبيان ذلك أن كل حيوان يلد حيوانا، فإنه لا بد من أن يكون في بدنه رطوبة زائدة منها يتكون ذلك الحيوان ويغتذى منها مدة تكونه فما صلح من تلك الرطوبة للاستحالة إلى جواهر أعضائه كانت غذاء لها .. وما لم يصلح لذلك وكان غير بعيد جدا عن جواهر تلك الأعضاء اندفع إلى الثدي واستحال فيه إلى حالة يصلح لتغذية أعضائه بعد الانفصال عن الرحم، وذلك هو اللبن، فلذلك كل حيوان يلد حيوانا، فإنه يتكون فيه اللبن وبه يغتذي طفله بعد الولادة(1).

وتختلف الحيوانات في عدد أثدائها لاختلافها في عدد الأولاد فيكون عدد الثدي في كل حيوان بعدد أكبر ما يولد لها في العادة. وأكثر ما للإنسان في العادة ولدان، فلذلك يكون له ثديان فقط. وأما الكلاب فأكثر عدد يولد لها عادة هو ثمانية، ولذلك لها ثمانية أثداء.

(1) ابن النفيس ، عن الشيخ الرئيس ابن سينا في كتاب شرح تشريح القانون.

ومن خواص الإنسان أن ثدييه في صدره، وثديا الفيل يقربان من صدره. وثديا غيره يقرب من الرحم، وسبب ذلك أن قرب الثدي من الرحم أولى ليكون وصول المادة إليه من الرحم في حال الحمل أسهل. وطفل غير الإنسان يتمكن من الارتضاع من ثدي أمه وهو بقرب الرحم فلذلك وجب أن يخلق الثدي هناك في غير الإنسان من الماشية وغير ذلك.

وأما الإنسان فإن ذلك تعذر فيه لأن طفل الإنسان لا يقوى على القعود ولا على القيام عقيب الولادة بل إنما يقوى على ذلك بعد مدة يعتد بها، وفي تلك المدة لا يتمكن من الارتضاع من الثدي إذا كان كما في الماشية. لأنه في تلك المدة يكون مستلقيا، فإنما يسهل ارتضاعه بأن يكون الثدي مرتفعا عن وركي المرأة في حال قعودها بقدر يعتد به. وذلك بأن يكون في الصدر فإنه حينئذ يسهل دخول الحلمة في فم الطفل إذا كان مستلقيا على وركي أمه.

4ـ حاجة الطفل إلى النوم والراحة

وعلى الأم أن تحرص على راحة طفلها كما يلاحَظ أن الطفل الصغير ينام كثيرًا جدًا، وفي بعض الأحيان قد يبدي بعض الأطفال الصغار انزعاجهم وخوفهم وذلك بارتعاش جسد الطفل، وذلك من صراخ أحد أخوته عليه، أو أي رفع صوته عنده، وأحياناً لا يستيقظ بعض صغار الأطفال إلا للغذاء، ومدة النوم عند الأطفال ليست منظمة أو منضبطة، وهي تقل تدريجياً إلى أن تصل إلى حدها الأدنى عند البالغين .

والوضع السليم للطفل أثناء نومه، أن تكون رأسه أعلى من بقية جسمه، وذلك بوضع وسادة صغيرة تحت رأسه؛ لأن ذلك يمنع رجوع اللبن والقيء.

5ـ ما يحرم من الرضاعة

عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: جاء عمي من الرضاعة فاستأذن علي فأبيت أن آذن له حتى اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله

صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال: انه عمك فاذني له. قالت: فقلت: يا رسول الله إنما ارضعتنى المرأة ولم يرضعني الرجل. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انه عمك فليلج عليك. قالت عائشة: وذلك بعد أن ضرب علينا الحجاب .. قالت عائشة: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة[1].

والمحرمات من النسب بنص القرآن والإجماع: الأمهات وإن علون من كل جهة، والبنات وإن نزلن من كل جهة، والأخوات مطلقا، وبنات الإخوة، وبنات الأخوات، وإن نزلن، والعمات ، والخالات ... فجميع القرابات حرام، إلا بنات الأعمام، وبنات العمات، وبنات الأخوال، وبنات الخالات .. وهذه السبع محرمات في الرضاع من جهة المرضعة، وصاحب اللبن، إذا كان الرضاع خمس رضعات فأكثر، في الحولين.

وأما من جهة أقارب الراضع، فإن التحريم يختص بذرية الراضع. وأما أبوه من النسب وأمه وأصولهم وفروعهم، فلا تعلق لهم بالتحريم .. وكذلك يحرم الجمع بين الأختين، وبين المرأة وعمتها، أو خالتها في النسب. ومثل ذلك في الرضاع.

وكذلك تحرم أمهات الزوجة وإن علون، وبناتها وإن نزلن، إذا كان قد دخل بزوجته، وزوجات الآباء وإن علوا، وزوجات الأبناء وإن نزلوا من كل جهة، ومثل ذلك في الرضاع.

ومسائل تحريم الجمع، والصهر، في الرضاع فيه خلاف. ولكن مذهب جمهور العلماء والأئمة الأربعة، تحريم ذلك لعمومات الأدلة الشرعية.

---

(1) أخرجه البخاري 3/ 222 وفي 6/ 150 وفي 7/ 12 وفي 7/ 49 ومسلم 4/ 162 و163 و164 .

6ـ التسمية والعقيقة للمولود الجديد

عن سودة بنت مسرح الكندية قالت: كنت فيمن حضر فاطمة حين ضربها المخاض، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف هي؟ كيف ابنتي فديتها؟ قلت: إنها لتجهد يا رسول الله ! قال: فإذا وضعت فلا تحدثي شيئا حتى تؤذنيني قالت: فوضعته وفي لفظ: فلا تسبقني به بشئ قالت: فوضعته فسررته [1] ولففته في خرقة صفراء، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعلت ابنتي فديتها وما حالها وكيف هي ؟ فقلت: يا رسول الله ! وضعته، وسررته وجعلته في خرقة صفراء، قال: لقد عصيتني ! قلت: أعوذ بالله من معصية الله ومعصية رسوله ! سررته يا رسول الله ولم أجد من ذلك بدا، قال: ائتيني به، فأتيته به فألقى عنه الخرقة الصفراء ولفه في خرقة بيضاء وتفل في فيه وألبأه [2] بريقه، ثم قال: ادعي لي عليا، فدعوته، فقال: ما سميته يا علي ! قال سميته جعفرا يا رسول الله ! قال: لا، ولكنه حسن وبعده حسين وأنت أبو الحسن والحسين[3].

وعن محمد بن ثابت بن سباع؛ أن أم كرز أخبرته .. أنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة. فقال: عن الغلام شاتان، وعن الأنثى واحدة. ولا يضركم ذكرانا كن أم إناثا[4].

---

(1) فسررته: وفيه (أنه عليه السلام ولد معذورا مسرورا) أي مقطوع السرة، وهي ما يبقى بعد القطع مما تقطعه القابلة، والسرر ما تقطعه، وهو السر بالضم أيضا.النهاية 2 / 359.

(2) ألبأه: أي صب ريقه في فيه، كما يصب اللبأ في فم الصبي، وهو أول ما يحلب عند الولادة. النهاية 4 / 221.

(3) انظر: كنز العمال حديث رقم: 37652 - ج13ص651. وقال صاحب الكنز: أخرجه (ابن منده وأبو نعيم، ورجاله ثقات).

(4) أخرجه "الترمذي" 1516 وأحمد 6/ 422 وفي6/ 422: قال الحافظ في "الفتح" 9 / 592: أخرجه أصحاب السنن الأربعة و قال الترمذي: صحيح .

وعن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل غلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه و يحلق و يسمى"[1].

قال في فيض القدير: (الغلام مرتهن بعقيقته) قال أحمد: محتبس عن الشفاعة لوالديه وتعقبه ابن القيم بأن شفاعة الولد في والده ليست بأولى من العكس وبأنه لا يقال لمن شفع لغيره إنه مرتهن بل المراد أن العقيقة تخليص له من الشيطان ومنعه من سعيه في مصالح آخرته. والشافعي ندب ذبح شاتين عن الذكر إظهارا لشرفه وإبانة لمحله لذا فضل به على الأنثى كما فضله في الدية والإرث وغيرهما قالوا: وندب إماطة الأذى يعرفك أن ما اعتيد من لطخ رأس المولود بدم العقيقة غير جائز لأنه تنجس له بلا ضرورة وذلك من أكبر الأذى وقد جاء النهي عنه صريحا لأنه فعل الجاهلية[2].

أ- تعريف العقيقة

قال الأصمعي وغيره: العقيقة أصلها الشعر الذي يكون على رأس الصبي، وإنما سميت الشاة التي تذبح: عقيقة، لأنه يحلق رأس الصبي عند ذبحها.

قال الطبري: فسمت العرب الذبيحة التي يذبحونها عند حلق ذلك الشعر باسم ذلك الشعر، كما سموا النجو: عذرة، وإنما العذرة فناء الدار؛ لأنهم كانوا يلقون ذلك بأفنيتهم، وكما قالوا الغائط للحدث، والغائط المطمئن من الأرض؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك فيما اطمأن من الأرض، وذلك كثير في كلام العرب، أن ينقلوا اسم الشيء إلى ما صاحبه إذا كثرت مصاحبته له.

---

(1) قال الحافظ في "الفتح" 9 / 593: أخرجه أصحاب السنن وقال الترمذي: حسن صحيح .: وقال في "البلوغ" 1 / 283: صححه الترمذي .

(2) فيض القدير ج4ص547

قال المهلب: ومعنى أمره صلى الله عليه وسلم، بإماطة الأذى عنه، وإراقة الدم يوم سابعه نسيكة لله تعالى ليبارك فيه، تفاؤلا بطهرة الله له بذلك، وليس ذلك على الحتم، لما تقدم من تسميته صلى الله عليه وسلم - لابن أبى طلحة وابن الزبير وتحنيكه لهما قبل الأسبوع.

ب- حكم العقيقة

لقد حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على أن يختار الأب لولده أسماً حسناً، لأن اختيار الاسم له معنى وله مدلول، وأن يبتعد عن الأسماء المستكرهة أو التي تشتمل على معان غير لائقة .. قال المهلب: تسمية المولود حين يولد، وبعد ذلك بليلة وليلتين وما شاء إذا لم ينو الأب العقيقة عنه يوم سابعه جائز، فإن أراد أن ينسك عنه فالسنة أن يؤخر تسميته إلى يوم النسك وهو السابع .

قال مالك: فإن جاوز السابع لم يعق عنه، ولا يعق عن كبير وروى عنه ابن وهب أنه إن لم يعق عنه يوم السابع عق عنه في السابع الثاني، وهو قول عطاء. وعن عائشة: إن لم يعق عنه في السابع الثاني عق عنه في السابع الثالث، وهو قول ابن وهب وإسحاق.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «مع الغلام عقيقته» حجة لقول مالك أنه لا يعق عن الكبير، وعلى هذا أئمة الفتوى بالأمصار، واختلفوا في وجوب العقيقة، فأوجبها الحسن البصري وأهل الظاهر وتأولوا قوله صلى الله عليه وسلم: «مع الغلام عقيقته» على الوجوب.

وقال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وإسحاق: العقيقة سنة يجب العمل بها ولا ينبغي تركها لمن قدر عليها ... وقال الكوفيون: ليست بسنة. وقولهم خلاف ما عليه العلماء من الترغيب فيها والحض عليها، ألا ترى قول مالك أنها من الأمر الذي لم يزل عليه أمر الناس عندنا.

وقال محمد بن الحسن: العقيقة تطوع ونسخها الأضحى. ولا أصل لقوله، إذ لاسلف له ولا أثر به... وروى أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس:«أن الرسول عق عن الحسن والحسين بكبشين، كبش عن كل واحد منهما».

جـ. الحث على التسمية الحسنه

عن أبو موسى قال ولد لي غلام، فأتيت به النبي ؛ صلى الله عليه وسلم، فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إلي ؛ وكان أكبر ولد أبى موسى[1] .. وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهّ قال: إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن.[2] وفي رواية: خير الأسماء عبد الله و عبد الرحمن و أصدق الأسماء همام و حارث و شر الأسماء حرب و مرة[3].

وفي الحديث الأخر: عليكم من الأسماء بيزيد، فإنه ليس أحد إلا و هو يزيد في الخير و الشر و الحارث، فإن ليس أحد إلا و هو يحرث لآخرته أو دنياه، و همام، فإن ليس أحد إلا و يهم بآخرته أو دنياه، فإن أخطأتم هذه الأسماء فعبدوا[4]. وروي أيضاً في الحديث الأخر: إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم[5].

*****

---

(1) أخرجه البخاري (7/ 108) وفي (8/ 54). وفي الأدب المفرد (840) ومسلم (6/ 175) وأحمد (4/ 399).

(2) أخرجه "مسلم" 6/ 169(5638) والترمذي" 2833 وفي (2834) وأبو داود" 4949 وابن ماجة" 3728 .

(3) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " 3 / 33 :حديث رقم: 1040 - إسناده مرسل صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم .

(4) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " على حديث برقم (904) حسن لغيره.

(5) أخرجه أبو داود" 4948 والدارمي" 2694 قال الحافظ في " الفتح" 10 / 577: صححه ابن حبان، و رجاله ثقات إلا أن في سنده انقطاعا.

الفصل الثالث
مظاهر النمو في مرحلة المهد

مرحلة المهد، هي المرحلة التي تبدأ من نهاية مرحلة الوليد، أي بعد أسبوعين .. وتستمر حتى نهاية السنة الثانية، وهي كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ (1) ... وقال تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ (2).والمهد في اللغة: (مهد الصبي، ومهد الصبي موضعه الذي يُهيأ له ويوطّأ لينام فيه ... والجمع مُهود). و(المهد) هو الفراش الذي ينام به المولود حال صغره، والمراد هنا حال الصغر قبل أوان الكلام.

فإن مرحلة المهد مرحلة عناية ومسؤولية على الولدين، وهذه المرحلة تسمى "الهو" عند أصحاب المدرسة التحليلية، لأن الطفل بحاجة إلى الرعاية والعناية من قبل ولديه، وكذلك عطفهم وحنانهم على أبناهم يساهم في زيادة قدراتهم ونموهم النمو الصحيح، وحتى ينشأ الطفل نشأة صحيحة فلا بد من أن تأخذ مرحلة الطفولة حقها في العناية والاهتمام، وهي فترة تسمى تدليل أو تدليع الطفل .. فتبدءا هذه المرحلة من السنة الأولى إلى 6-7 سنين، وتشتمل تلك الفترة في تداخله مع سن الطفولة المبكرة .. ثم تبدءا بعد ذلك فترة التربية والتعليم، وتمتد هذه المرحلة من التربية والعناية بالطفل إلى بداية الطفولة المتأخرة، ثم إلى المراهقة المبكرة فهي إلى مابين 12-13سنه.

كما تُعدُّ تلك المراحل من عملية النمو من أهم مراحل الطفولة ؛ حيث يوضع فيها أساس نمو الشخصية فيما بعد، ويشهد الطفل نموًا جسميًا سريعًا، وتآزرًا حسيًا حركيًا ملحوظًا، فيستطيع تأدية بعض الحركات كالجلوس والحبو والوقوف والمشي، وفيها يتعلم الكلام، ويستطيع الاعتماد على نفسه نسبيًا، ويبدأ

---

(1) سورة البقرة: آية 233

(2) سورة الأحقاف: 15

الاحتكاك بالعالم الخارجي فمعرفة الأم وفهمها للحالة المزاجية للطفل تجعلها في موقف أحسن من حيث توجيه الطفل في تخطي مراحل تعتبر من أصعب المراحل عليه وهي مرحلة التأسيس، وبناء الطابق الأرضي.

1ـ النمو الحركي في مرحلة المهد

يبدأ الطفل في إظهار عملية الحركة من حيث القلب على بطنه ثم الحبو ثم الجلوس من الشهر الثاني إلى الشهر الرابع إلى السادس، ويمكن أن يبدأ الطفل حبوه في الشهر السادس حتى السنة الأولي من العمر، ومهما كانت طريقة الطفل في الحبو فيترك وشأنه ولا يحاول أحد تعليمه كيف يحبو، فالحبو أمر طبيعي ويفيد عضلات الطفل، ويجب أن يأخذ وقته حتى يتهيأ للوقوف ثم المشي.

وتذكر كثير من الدراسات في مجال علم نفس النمو بخطأ كثيراً من العائلات، حينما يحاولن مساعدة الطفل على الجلوس أو الوقوف، وقد يتسرعن في شراء المعدات اللاتي يعتقدن أنها تساعد الطفل على المشي أو الوقوف، وهذا لا فائدة منه؛ فقد أثبتت التجارب أن الطفل يمشي أو يقف عندما يتمكن من ذلك، فالتعجل في مشي الطفل؛ يسبب أضرار للطفل في رجليه، والأفضل أن يترك للتطور الطبيعي.

2ـ النمو اللغوي في مرحلة المهد

يرى بعض الباحثين أن العمر الذي يبدأ فيه الطفل بالكلام دليل على نموه العقلي المقبل .. وتدل بعض الأبحاث على أن الكلمة الأولى تبدأ في الظهور عند الطفل الموهوب في الشهر الحادي عشر، وعند المتوسط في الشهر السادس عشر، وعند ضعيف العقل في الشهر التاسع والثلاثين تقريباً... وتدل بعض الأبحاث كذلك على أن المحصول اللفظي فيما بين السنة الأولى والثانية يبدأ بطيئاً ثم يزداد بنسبة كبيرة تخضع في جوهرها لعمر الطفل ومظاهر نموه الأخرى. وقد أثبتت البحوث أن الحواس تولد شعوراً باللذة عند الطفل أكبر مما تولده عند البالغ .. وتبعاً لذلك ينصح أخصائيو علم النفس بضرورة تعريض الطفل في هذه المرحلة

لأكبر قدر ممكن من المعلومات والمفاهيم المعرفية المختلفة بطريقة مبسّطة وصحيحة لتسهل عليه عملية اكتسابها، ولتضمن له نمواً معرفياً سليماً، حيث إن تلقي الطفل في هذه المرحلة لأي معلومة خاطئة يصعب تغييرها لاحقاً مما يؤثر على ثقافة الطفل ومفاهيمه في المستقبل، ولذلك فإن حرمان الطفل من المعلومات الجيدة والمفاهيم الصحيحة في هذه المرحلة قد يؤثر سلباً على نموه المعرفي في المستقبل مما يسبب لهُ تأخر في النمو العقلي والنفسي.

3ـ النمو العقلي في مرحلة المهد

فإن مرحلة النمو العقلي في مرحلة المهد أمر ضروري متابعتها، فهي لا تقل أهمية من غيرها من المكملات الإنمائية، كما ينبغي إجراء الملاحظات المستمرة، لأجل تدارك الأخطار التي قد يتعرض لها الطفل في أثناء الحمل، ولذلك كثير من أمراض التوحد لا يتم معرفتها إلا بعد مرور مرحلة كبيرة في حياة الطفل، ويرجع ذلك لعدم معرفة الأسرة بخطر الأمراض العقلية التي قد تعترض الأطفال في أثناء حياتهم العمرية المبكرة، ولذلك فإن عملية الملاحظة المستمرة والدقيقة في هذه المرحلة من مراحل عمر الطفل من الممكن تجنب كثير من الأطفال الوقوع في الأمراض المزمنة والخطيرة، لأن الطفل في المرحلة المبكرة من السهل يتم علاجه، لأنهُ لا يزال غضاً طرياً، وهذا الأمر راجع للأسرة ومدى تفهمها لسلامة الأطفال في مراحل العمر المختلفة ... كما يمكن ملاحظة النمو العقلي من جهتين على الأقل هما:

1- القياس العقلي الكمي: الذي يحدد كمية ما يمتلكه الطفل من القدرة العقلية، بالنسبة لأقرانه.

2- والقياس النفسي: الذي يحدد نوع القدرات والمفاهيم التي يبديها الطفل، وكيف تنمو تلك القدرات والمفاهيم خلال السنتين الأوليتين من الحياة.

4- النمو الجسدي في مرحلة المهد

يكون النمو في الطول والوزن أقل سرعة خلال فترة ما قبل المدرسة، منه في مرحلة الرضاعة، لكن ضربي النمو المذكورين يستمران في الزيادة بنسبة أسرع من نسبة تزايدهما في فترة الطفولة المتوسطة. يبلغ طول الطفل في نهاية السنة الثانية حوالي نصف طوله النهائي كراشد بالغ، فيكون للطفل الكثير الحركة الذي يبلغ طوله 80 سم حظ في آن يزيد طوله على 180سم عند رشده. ويزداد طول الطفل بمعدل 17سم في السنة وذلك قبل السنة الثانية، في حين لا يزيد معدل الزيادة السنوية بين السنتين الثانية والخامسة على 7سم في العام. وتبطؤ زيادة الوزن أو تتوقف لفترة عندما يكون الطفل الكثير الحركة ثقيل الجسم، الأمر الذي قد يجعله يغدو طويلاً نحيلاً دون أن يكتسب أي وزن خلال جانب من فترة ما قبل المدرسة.

أ- المداعبة والتقبيل وأهميتها على نمو الطفل

المداعبة وهي الممازحة، والمداعبة مطلوبة محبوبة لكن في مواطن مخصوصة فليس كل آن يصلح المزاح ولا في كل وقت يحسن الجد فكونه محمودا هو الاقتصاد، لأن الإفراط يذهب البهاء، وتركه يقبض المؤانس ويوحش المخالط، لكن الاقتصاد فيه صعب جدا لا يكاد يوقف عليه، ولذلك تحرج عنه أكثر الحكماء حيث قيل المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للإخاء. ومن المزاح المنهي عنه، هو الذي يشغل عن ما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة، أو يلهي عن التفكر في المهمات الضرورية، ومن المنهي عنه من المزح أيضاً، ما يؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء بالآخرين، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار.

التعريف اللغوي للمداعبة: قال صاحب العين: المداعبة: المضاحكة، دعب يدعب دعبا وداعبه والاسم الدعابة، وتداعب القوم داعب بعضهم بعضا وأدعب الرجل: جاء بشيء يستملح، والملحة، والملحة: الكلمة المليحة والجمع ملح ،

وأملح: جاء بكلمة مليحة، والفاكه: المزاح والتفاكه: التمازح، وفكهت القوم بملح الكلام، والاسم الفكيهة والفكاهة والمصدر الفكاهة.

وقال صاحب العين: المزح: نقيض الجد، مزح يمزح مزحا ومزاحا ومازحته ممازحة، ومزاحا والاسم المزاح والمزاحة.

وقال في "المصباح" دعب يدعب، كمزح يمزح، وزنا ومعنى، فهو داعب، والدعابة بالضم: اسم لما يستملح منه ذلك. وقال الزمخشري: الدعابة كالنكاية، والمزاحة مصدر داعب: إذ مزح، والمداعبة مفاعلة منه.

ب- مداعبة الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال

عن أنس، قال: كان لي أخ صغير [1]، وكان له نغر يلعب به، فمات نغره الذي كان يلعب به، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فرآه حزينا، فقال: ما شأن أبي عمير حزينا؟ فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به، يا رسول الله، فقال: أبا عمير، ما فعل النغير؟ أبا عمير، ما فعل النغير ؟[2]. - وفي رواية: عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير ؟ طائر كان يلعب به، قال: ونضح بساط لنا، قال: فصلى عليه، وصفنا خلفه. - وفي رواية: كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور أم سليم، ولها ابن صغير، يقال له: أبو عمير، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا أبا عمير، ما فعل النغير ؟ قال: نغر يلعب به، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور أم سليم أحيانا، ويتحدث عندها، فتدركه الصلاة، فيصلي على بساط، وهو حصير، ينضحه بالماء[3].

---

(1) أي: لاخيه من أمه.

(2) أخرجه: "البخاري" في (الأدب المفرد) 384 و"أبو داود" 4969 و(أبو يعلى) 3347 و(ابن حبان) 109 وأحمد 3/ 222(13358).

(3) أخرجه :"البخاري" 8/ 37(6129)، وفي (الأدب المفرد) 269 و"مسلم" 2/ 127(1445) و6/ 176(5673) والترمذي" 333 و1989، وفي (الشمائل) 236 وأحمد" 3/ 119 (12223).

ج- تقبيل الأطفال ومحبتهم

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: من لا يرحم لا يرحم[1].

كما أتى النبي صلى الله عليه وسلم، رجل، ومعه صبي، فجعل يضمه إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أترحمه؟ قال: نعم، قال: فالله أرحم بك منك به، وهو أرحم الراحمين[2].

وعن البراء، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا الحسن بن علي، رضي الله عنه، على عاتقه، وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه – وفي رواية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حاملا الحسن، فقال: إني أحبه فأحبه[3].

وعن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق بني قينقاع متكئا على يدي، فطاف فيها ثم رجع فاحتبى في المسجد وقال، أين لكاع ادعوا لي لكاعا. فجاء الحسن عليه السلام فاشتد حتى وثب في حبوته، فأدخل فمه في فمه، ثم قال اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه. ثلاثا، قال أبو هريرة، ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني، أو دمعت عيني أو بكت[4].

*****

(1) أخرجه: البخاري في الجامع الصحيح: 5997، وفي الأدب المفرد 91 ومسلم 6097 وفي (6098) والترمذي 1911 وأبو داود 5218.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد 377 والنسائي في الكبرى 7664 عن أبي هريرة، قال: فذكر الحديث:

(3) أخرجه: البخاري 5/ 33(3749) وفي (الأدب المفرد) 86 ومسلم 7/ 130(6338) وفي (6339) والترمذي 3783 والنسائي في الكبرى 8107 .

(4) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (1183) وأحمد 2/ 532(10904).

الفصل الرابع
مظاهر الطفولة المبكرة

مرحلة الطفولة المبكرة، هي مرحلة ما قبل المدرسة، كما تعتبر الأكثر أهمية في حياة الطفل أيضاً، حيث أن نمو الطفل يكون فيها سريعاً وبخاصة في مجال النمو اللغوي والعقلي، كما تشهد هذه المرحلة مجموعة من التغيرات:

تكوين مفاهيم اجتماعية	نمو سريع في اللغة	محاولة التعرف إلى البيئة المحيطة
اكتساب مهارات من الوالدين	زيادة الميل إلى الحرية	اتزان فسيولوجي والتحكم في عملية الإخراج

ويستطيع الطفل في هذه المرحلة التمييز بين الصواب والخطأ، والخير والشر، وبداية نمو الذات وازدياد وضوح الفوارق في الشخصية، حتى تصبح واضحة المعالم في نهاية المرحلة و ينمو وعيه بالانفصال والاستقلالية، فلم يعد ذلك المخلوق الذي كان يحمل على الكتف، أو يحبو، وذلك يترتب على الأهل فهم التغيرات لإيجاد الطرق والوسائل التربوية الصحيحة للتعامل مع مرحلة جديدة من مراحل النمو في حياة الطفل. فهو مهيأ للمعرفة وللفهم، فهو ينجذب إلى الاتصال بالعالم المحيط ومكوناته لاستكشافه والتعرف إليه، ففي هذه المرحلة يكتسب الطفل معلوماته عن العالم الخارجي وذلك عن طريق حواسه، وقد أثبتت البحوث أن الحواس تولد شعوراً باللذة عند الطفل أكبر مما تولده عند البالغ.

وان استطاعت الأسرة استثمار أسئلة الطفل في هذه المرحلة بإجابات منطقية وعلمية فإنها تشكل لديه الأساس لبناء منظومته المعرفية لاحقا، فالطفل في هذه المرحلة يستخدم الأسئلة والاستفسارات الموجهة للمحيطين به لمعرفة المزيد عن العالم الخارجي، حيث يكوّن كل طفل لنفسه ما يُسمّى ببنك المعلومات، فاللحاء المخي في هذه الفترة يكون في غاية الحساسية، وهذا يجعل من السهل تخزين المعلومات والخبرات ورموز الأشياء لاستخدامها في اكتساب الخبرات في المستقبل وتفسيرها والتعامل معها.

*****

الفصل الخامس
مظاهر الطفولة المتأخرة

الطفولة المتأخرة، وهي المتمثلة في التاسعة والعاشرة من العمر، كما تشير أكثر الدراسات إلى هذه المرحلة من النماء عند الطفل، حيث تجعلها مرحلة مستقلة عن المراحل النمو الأخرى سابقة الذكر ... فمرحلة الطفولة المتأخرة، تعتبر ذات أهمية بالغة بنسبة للمتخصصين بشؤون مراحل النمو لدى الطفل، وهي تمتد من: **سن 6سنوات إلى سن 13سنه**، حيث أن أخر هذه المرحلة هي بداية لظهور علامات البلوغ، و في هذه المرحلة تقل سرعة النمو بصفة عامة حيث يزداد نمو العضلات و تصير العظام اقوى، وأيضا تتساقط الأسنان اللبنية ليحل محلها الأسنان الدائمة و يتسع النمو، ويبدأ الطفل بدخول مرحلة جديدة، وهذا ما يمكنه من الاستقلال جزئياً عن أسرته إذ يكون قادرا على القيام بنفسه بكثير من حاجاته و متطلباته.

كما أن هناك الكثير من البحوث المختلفة التي أجريت، والتي تشير إلى أهميَّة الشعور بالاطمئنان في المراحل المبكِّرة من حياة الطفل، ليستطيع الوقوف في مواجهة المثبِّطات، والسلبيات في مراحل لاحقة من العمر ... فالتعامل مع الطفل بإيجابية ومحبة، واحترام فرديته، يساهم في تفتح شخصيته، وتنمية قدراته الإبداعيَّة، وهذا موكولٌ بالأسرة التي تستطيع أن تهيئ له فرصة التعبير عن أفكارٍ جديدةٍ وإيجابية، وتوفر له فرص القراءة والمناقشة وطرح الأسئلة ... إن من حسن الحظ أن الاتجاه الحديث في النشاط المعاصر لعلم النفس والتربية، قد اتجه إلى التركيز على سيكولوجية النمو الجسمي، والعقلي، والانفعالي، والاجتماعي، والفسيولوجي لدى الطفل .. ولقد أثبتت تلك الاتجاهات بأن الإهتمام بتلك الفعاليات، تزيد في مهارة الطفل وقدرته على التجميع وربط الأشياء بعضها مع بعض؛ وباتساع عالم الطفل بالتحاقه بالمدرسة تتزايد ميوله، ومع تنوع الميول يزداد فهمه للناس، وبذلك يستفيد من جميع تلك الفعاليات لأجل أن يكون قادراً على الإتصال بنفسه وبالآخرين .. كما أن (الفعاليات والقدرات النفسية) أمكن دراستها دون استحضار للمفاهيم السلبية، التي تأتي من الخارج، إذا أنها تعتمد على التجارب المستمرة.

المبحث الأول: الفروق الجنسية في مظاهر النمو لدى الأطفال

كان علماء النفس يعتقدون أن نسبة الذكاء ثابتة، غير قابلة للتغيير، ولا زال البعض منهم يأخذ بهذه الفكرة، غير أن الدلائل تشير إلى أن النمو في قدرة الطفل العقلية لا تسير على وتيرة واحدة، وبشكل منتظم، بل تتخلله حالات من البطء ،وحالات من السرعة، وهي تتوقف على طبيعة النمو، وعوامله المختلفة ... إن الذكاء يتأثر حتماً بالتفاعل بين عاملي [الوراثة] و[البيئة]، وإذا ما تبين أن ذوي التلميذ لا يعانون من أي عوق أو تخلف عقلي أو اضطرابات نفسية، وإذا ما توفرت البيئة الصحية والطبيعية الملائمة، فإن النمو يجري على أحسن الوجوه.

لاشك بأن هناك فروقاً فطرية، وسيكولوجية بين الصبيان والبنات ولا شك أن عزل الصبي عن البنت خلال الطفولة المتوسطة يؤدي وظيفة نافعة في نمو الشخصية الذكرية، والأنثوية كذلك على حداً سواء كما تميز كل جنس بخاصيته، المتميزة كما أن الأولاد الذين لا يشاركون بنشاط في اهتمامات أقرانهم من الجنس نفسه أو الذين يصرفون وقتاً طويلاً مع الجنس الآخر إنما يخسرون فرصاً ضخمة لتمييز أنفسهم كصبيان أو كبنات، وهذا ما يمكن أن ينعكس عليهم ويجعلهم عاجزين عن إقامة العلاقات الجنسية الغيرية في مرحلة المراهقة ... وهذا إضافة إلى عجزهم عن تحقيق التكيف مع الناشئة من جنسهم.. وقد أرشدنا الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، إلى التنبه في تربية الأبناء والتفريق بينهم في مرحلة الطفولة المتأخرة كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع، وإذا أنكح أحدكم عبده، أو أجيره، فلا ينظرن إلى شيء من عورته، فإن ما أسفل من سرته إلى ركبتيه، من عورته[1].

(1) أخرجه أحمد 2/ 180(6689) وأبو داود 495 قال النووي في (رياض الصالحين 120/ 1): رواه أبو داود بإسناد حسن .

1ـ الفروق الفئوية في الذكاء

الكثير من الآباء والأمهات الحريصين على أبنائهم يتشكون من حالة التأخر الدراسي التي يعاني منها أبناءهم، غير مدركين للأسباب الحقيقية وراء هذا التأخر وسبل علاجها، وقد يلجأ البعض منهم إلى الأساليب غير التربوية والعقيمة، كالعقاب البدني مثلاً في سعيهم لحث أبنائهم على الاجتهاد. ولاشك أن الأساليب القسرية لا يمكن أن تؤدي إلى تحسين أوضاع أبنائهم، بل على العكس يمكن أن تعطينا نتائج عكسية لما نتوخاه[1].

ولقد كان العلماء فيما مضى يهتمون بكمية الذكاء لدى الطفل بصورة عامة، إلا أن الأبحاث الجديدة كشفت أن للذكاء أنواع متعددة، فقد تجد تلميذاً متفوقاً في الرياضيات، ولكنه ضعيف في الإنشاء والتعبير.

لقد أثبتت الدراسات على أن الفروق في تأهيل الأهل للصبيان وللبنات تولد فروقاً نفسية كبيرة بين الجنسين وأن تلك الفروق تتضح باكراً .. كما أن معيار الذكاء بالفروق الفردية والفئوية في عمر متأخر، يختلف عن معيار الذكاء لعمر الثالثة، وما بعده تغدو أدوات تنبؤية تتمتع بدرجة من الثبات والصدق تفوق كثيراً نظيرتها لمعيار المرحلة السابقة، ويمكن بسبب الثبات النسبي لعامل الذكاء العملي خلال هذه الفترة استخدام معايير لتقدير مساهمات العوامل المحيطية في الذكاء العملي ومنها: قورنت فئات متماثلة البنية (أي يفترض أن تكون ذات أصل وراثي واحد في الذكاء فلم تمكن الفروق العقلية القائمة بين فئة وأخرى من اتخاذ أي حكم قاطع بصدد تأثر الذكاء بكل من الوراثة والبيئة ... وبتعبير آخر لم يكن بالإمكان في مثل تلك المقارنات عزل العامل البيئي عن العامل الوراثي وبنتيجة ذلك تعذر تحقيق الهدف الذي يتمثل في تحديد دور العامل البيئي في الذكاء ... أما

---

(1) انظر: كتاب كيف نربي أبناءنا ـ دراسة تربوية ـ حامد شريف سليمان الحمداني من مواليد مدينة الموصل 1932.

مقارنة الفئات مختلفة البنية ذات الأصول الوراثية المتباينة والتي تهدف إلى تحديد دور العامل الوراثي في الذكاء فتمكن بدرجة ما من عزل العامل الوراثي عن العامل البيئي.

ومن المفيد والممكن معاً عد الفروق داخل الفئة الواحدة دليلاً جيداً لأثر العامل البيئي خاصة وأن للفئة الواحدة أصلاً وراثياً يفترض أن يكون واحداً ... وعلى أي حال لا بد للدراسة العلمية الصحيحة من أن تتجاوز الحدود الفئوية وأن تميز الفروق القائمة بين فئة وأخرى.

2ـ أثر المكانة الاجتماعية والاقتصادية في الذكاء

تتفق نتائج الدراسات كلها على أن الذكاء يرتبط إيجابياً بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية للفرد، كما تقاس المكانة الاجتماعية والاقتصادية بمجموعة إجراءات تشمل مستوى التحصيل الدراسي للوالدين ودخلهم ... وبهدف كشف دور المكانة الاجتماعية والاقتصادية في الذكاء حددت معاملات الذكاء ومدى ترابطها بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي عند مختلف الفئات العرقية للسكان ولقد تبين أن معامل الذكاء يترابط مع المستوى الاجتماعي والاقتصادي لأطفال ما قبل المدرسة السود بمقدار 0,24 والبيض بمقدار 0,33 على حسب إحصائية تلك الدراسة.

ولم يتخط معامل الترابط بين الذكاء والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأمريكيين الهنود درجة الصفر... ولقد أجريت دراسات أخرى بهدف مقارنة متوسطات معاملات الذكاء للبيض وللسود من الطبقات الاجتماعية كلها وتوصلت إلى تأكيد وجود فروق بين معاملات ذكاء مختلف الطبقات، إلا أن تلك الفروق لم تكن على درجة كبيرة من الوضوح. بحسب رأي الباحث.

إن الأمر في جملته مشابه لمعاملات الترابط السابقة، إذ تدل تلك المعاملات على وجود ترابط ملموس بين الذكاء والمستوى الاجتماعي الاقتصادي لكن نسبة

الترابط لم تتعد الجذر التربيعي للرقم 0,35 والرقم 0,30 كما يقال، أي أن تلك النسبة تراوحت حول الخمسين بالمئة ولم تتجاوزها، يبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى ضرورة توفر قدر محدد من الذكاء للنجاح الاقتصادي في المجتمع، وهذا القدر من الذكاء يكون مسؤولاً عن ترابط المستوى الاجتماعي والاقتصادي بعامل الذكاء.

3ـ الفروق العرقية في الذكاء.

الذكاء هو القدرة على التعلم، واكتساب الخبرات، وكلما زاد الذكاء، كلما زادت القدرة على التعلم، وطبيعي أن الأطفال جميعاً يختلفون بعضهم عن بعض بنسبة الذكاء، كاختلافهم في القدرة الجسمية سواء بسواء.

كما تعرضت مقاييس الذكاء ونظرية القدرات العقلية بمجملها لهجوم عنيف من قبل بعض علماء النفس الذين يرون أن بعض روائز الذكاء لم تجدي نفعاً، ولا شك أن العمل المدرسي يتطلب أكثر من معامل ذكاء مرتفع من أجل التكيف المناسب مع المدرسة ومطالبه، كما قدمت في أواخر الستينات محاولة لإيضاح الفروق بين السود والبيض في الذكاء، غير أن تلك المحاولة استندت إلى فرضية متحيزة لصالح البيض إذ تدنت نقطة السود عن المتوسط كثيراً فاقترح (آرثر جنسن) (1) أن السبب قد يرجع إلى الوراثة أكثر من رجوعه للمحيط.

وجمع الباحث قدراً كبيراً من الأدلة الإحصائية تدعى فرضيته ولكن الفرضية أثارت قدراً كبيراً من الجدل ... وعلى هذا الأساس يمكن عد معامل الذكاء قياسا معقولاً للفروق داخل الفئات، وذلك لتحديد أثر الوراثة والمحيط، عندما يمكن التسليم بتماثل الوسط واستمراريته ...فالباحث يفترض أن معامل

(1) آرثر جنسن: – 24 أغسطس 1923 – الأمريكي– المتخصص في علم النفس و التربية ، مؤلف أكثر من 300 مادة، وفصول الكتب والكتب. بكالوريوس في علم النفس (1945) وأستاذ مساعد في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، (1958–1992)

الذكاء قياس متساوي، والصدق للفروق الوراثية والأصل سواء بين الفئات أم داخلها ... ويقال أن السؤال الذي يبقى معلقاً يتخطى مشكلة تشابه العوامل في مختلف الفئات متسائلاً عن بروز هذا العامل أو ذاك في هذه الفئة أو تلك؟

إن لاختبارات الذكاء أهمية عظيمة، وذلك لاكتشاف قدرات الطفل ومهاراته حيث يتم من خلال ذلك تقوية جانب الضعف أو استثمار جانب القوة، وينبغي على الأسرة والمدرسة أن تولي هذا الجانب أهمية لكي يستطيع الطفل أن يؤدي المراحل العمرية بنجاح وتفوق عالي ... ومن الأنواع الشائعة لهذه الاختبارات:

- **الاختبار على القدرة الأدبية .**
- **الاختبار على القدرة الفنية، من رسم ونحت وتمثيل .**
- **الاختبار على القدرة الميكانيكية.**

كما تتسع الفرضية لتشمل المعايير كلها، كما أن بوسع الباحث افتراض عامل أو عدد من العوامل تتشبع بها مجموعات معينة من المعايير مثل معيار القدرات الطائفية والخاصة واستخدم التحليل العاملي لاختبار ثبات البنية العاملية للذكاء في الفئات ذات الأصول العرقية المتباينة ... ومن جهة أخرى تجد أن مناقشة (آرثر جنسن) خاطئة من وجهة نظر علم النفس ... لأن المعيار، وخاصة تلك التي استخدمها (آرثر جنسن) تقيس الصفات المختلفة بين الفئات وليس داخلها فمعيار الثبات التي وضعها (بياجه) مثلا تعطي تقويما معقولا للنمو المعرفي الإدراكي للأطفال من أوساط متماثلة.

كما تبين من إحدى الدراسات أن البنية العقلية واحدة عند الأطفال بين الخامسة والتاسعة بيضاً وسوداً على السواء ... كما شملت أبحاث عن تلاميذ السنة الأولى من صينيين ويهود وسود وبورتوريكيين وتساوى عدد البنات مع عدد

الصبيان في الدراسة وتوازنت العينة في الأصل الاجتماعي الاقتصادي لكل طائفة عرقية ... كما أعطي الصغار معاير قابلية عدلت لتلائم الخبرات الماضية لكل فئة ولتخفف من أثر انعدام خبرة الأولاد في المعاير ومن أثر التوافق بين الفاحص والمفحوص ... وبنتيجة الدراسة وجدت فروق جدية في القابليات الأربع وهي:

المنطقية	واللغوية	والتذكرية	والمكانية

وذلك بين مختلف الفئات كما وجدت علاقة قاطعة بين نقط المستوى الاجتماعي والاقتصادي وبين نقط الفئات المختلفة في القابليات الأربع. وقيل أنه تأكدت النتائج في دراسة أخرى. وفي دراسة أخرى قورن أطفال السنة الرابعة الفقراء من أصول صينية وإيطالية وسود وبورتوريكيين. طلب إلى الأولاد تصميم مكعبات والتعرف على أجزاء شيء منها، ونسخ الأشكال الهندسية كما أعطيت لهم معاير في الطلاقة التعبيرية ... كما تميز الصينيون في بناء المكعبات والتعرف على الأجزاء وتميز البورتوريكيون في معيار الطلاقة اللغوية.

وأجريت دراسات مقارنة بين السود والبيض في مقياس فكسلر للأطفال فتميز السود في المعاير اللفظية وتخلفوا في المعاير العملية، أما البيض الذين عيرت المعاير عليهم في الأصل فقد تساوى تحصيلهم في مجموعتي المعاير ... وفي دراسة أخرى لأطفال الرابعة تم قياس البيض والسود في ستة من العوامل وهي:

الفهم اللغوي	والطلاقة الفكرية	والسرعة الإدراكية
والتفكير الصوري	ومدى الذاكرة	وذاكرة الصور

فلم يتفوق الأطفال البيض على السود إلا في معيار الفهم اللغوي، كما تشير الأدلة المنوه عنها إلى تشابه البنية الفكرية للأطفال من مختلف الأصول العرقية ... كما تشير في الوقت نفسه إلى تباين مستوى الإنجاز من فئة لأخرى في

هذا المعيار أو ذاك ... ولا يمكن الاعتماد على الدراسات السابقة في معرفة أسباب التفوق في القابليات العقلية المختلفة، أهي وراثية أم ناجمة عن عوامل ثقافية اجتماعية صرفه ... ولم تبتعد الدراسات الأخرى في نتائجها عن الخط العام الذي يؤكد وحدة البنية العقلية لفئات الناس كلها على الرغم من أنها وجدت تبايناً طفيفاً في أنماط البنى العقلية لفئات من أصول عرقية مختلفة.

خلاصة القول في: ماذا تكشف لنا اختبارات الذكاء؟ وما أهميتها؟

- **تساعدنا على تحديد نواحي الضعف التي يمكن معالجتها لدى التلميذ. وتساعدنا على نواحي القوة والتفوق لدى التلميذ، والتي يمكن الاستعانة بها على معالجة نواحي الضعف لديه .**
- **توضح لنا الفروق الفردية بين التلاميذ.**
- **تساعدنا على توجيه التلميذ الوجهة الصحيحة.**

كما أن هناك أنواع عدة من اختبارات الذكاء: ومنها نوع يقيس القدرة العقلية بصورة عامة، من أجل أن ويوضح لنا العلاقة بين: ((العمر العقلي)) و ((العمر الزمني)) للتلميذ، وتعبر عنه هذه النتيجة بـ(نسبة الذكاء)حيث، تقاس نسبة الذكاء بحاصل قسمة العمر العقلي على العمر الزمني مضروباً في- 100 - فلو فرض أن طفلاً عمره الزمني يعادل - 10 سنوات، وأن نتائج اختبارات الذكاء بينت، أن عمره العقلي يعادل 9 سنوات فإن نسبة الذكاء لديه تساوي 90٪ ... وأن التلميذ المتوسط تكون نسبة ذكائه 100 ٪ - ومن كان نسبة ذكائه ما بين 80إلى 90٪ كان دون المتوسط ... ومن كان نسبة ذكائه من بين 90 إلى 110 كان متوسط الذكاء ... ومن كانت نسبة ذكائه ما بين 110 إلى 120 كان ذكياً ...

ومن كانت نسبة ذكائه ما بين 120 إلى 140 كـان ذكيـاً جـداً ... ومـن كـان نـسبة ذكائه ما فوق 140 كان التلميذ عبقرياً[1].

وعلى كل حال يمكننا أن نحصل علـى النتـائج المفيـدة إلى حـد بعيـد، إذا مـا كانت الاختبارات التي نجريها دقيقة، غير أن هناك حقيقة لا ينبغي إغفالها وهـي أن اختبارات الذكاء قد لا توصلنا إلى حد الكمال، بسبب وجـود عوامـل مختلفـة تـؤثر على مدى دقتها، كالمرض والاضطراب النفسي، والخبرة الـتي اكتـسبها الطفـل مـن بيئته لأنها تلعـب دوراً مهمـاً في الموضـوع ... إن معالجـة المشاكل التعليميـة لـدى الأبناء تتطلب منـا الاسـتعانة بالأسـاليب التربويـة الحديثـة، والقائمـة علـى العلـم والمعرفة، فالعلم هو النور الذي يمكن أن يـضيء لنـا الطريـق للوصـول بـه إلى مـا نصبوا إليه لرضا الله، ولأجل مـستقبل أبنائنـا وتنميـة مجتمعنـا التنميـة الـصحيحة، وهذا بدوره يتطلب منا الإجابة على الأسئلة التالية:

- **كيف نحدد التأخر العلمي ؟**
- **ما هي أنواع التأخر العلمي ؟**
- **ما هي مسببات التأخر العلمي ؟**
- **كيف يمكن علاج التأخر العلمي ؟**

---

(1) انظر: كتاب كيف نربي أبناءنا ـ دراسة تربوية ـ حامد شريف سليمان الحمداني مـن مواليـد مدينة الموصل 1932.

المبحث الثاني: الطفولة المتأخرة وإختلالات النمو فيها

إن الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة يبدءا في توسيع دارة المعرفة الاجتماعية لديه، ويبدأ حياته الاجتماعية، حيث يرتبط بصداقات مع زملائه خارج نطاق الأسرة، ويحاول دائمًا التأكيد على استقلاله وقدرته على التكيف مع المجتمع .. ولأجل أن يشعر نفسه والآخرين بأنهُ ليس بالشخص الذي تعرفونه من قبل، ثم يبدءا بالإكثار من القول بأني لستوا صغيراً عندكم، فهو بذلك يدخل في عالم الأنا كما يصفه فرويد، وفي هذا السن يستطيع اكتساب العديد من المهارات في جميع النواحي المعرفية والحركية والفنية.

وتلاحظ خلال هذه الفترة فروقات عديدة بمظاهر النمو والتي تشتمل على نواحي عدة ومنها كما في الشكل التالي:

الفروقات	والفروقات	والفروقات	والفروقات
الجسمية	الحركية	الفسيولوجية	الانفعالية

الفروقات	الفروقات	الفروقات
اللغوية	العقلية	الاجتماعية

1- الحركة واللعب عند الأطفال

فطر الله تعالي الطفل على حب اللعب وكثرة الحركة ؛ لأن ذلك وسيلة للتعبير عما بداخله من طاقات طفولية فطرية ... إن البدن هو وعاء العقل وإطار الروح والجمال الذي تتحرك فيه وتتفاعل قوى النفس، وهو مطية الإنسان لتحقيق أهدافه وبلوغ أمانيه، فلا بد من رعاية هذا البدن حق الرعاية. لأن ارتباط النمو العقلي، والنفسي، والاجتماعي، بالنمو الجسمي. ومن هذا المنطلق لا بد لنا من التركيز على جانب النمو الجسمي والتربية الجسمية إذ بهذا الجسم السليم القوي تتفتح العقول، وتستنير البصائر، ويذهب الملل والفراغ.

فلا شك أن الصحة والقوة وحسن النمو واللياقة البدنية تسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في النمو العقلي للفرد، وفي تكامل شخصيته وفي نجاحه في الحياة وتقرر الحكمة الشهيرة "العقل السليم في الجسم السليم" قاعدة صحية عامة

نلمسها في حياتنا، إذ أن مصدر سعادة الإنسان تكمن في سلامة العقل والجسم معًا، وليس في مقدور الرجل الذي يعاني من الأمراض، والخائر القوى، والضعيف الجسم، أن ينتفع بذكائه وقدراته العقلية، فهو حبيس جسده العليل، وأسير أمراضه وعلله.

خطوات النجاح للوصول إلى الطفل الرياضي:

الوعي الغذائي الصحي السليم	الاهتمام بأساليب النظافة الذاتية	الاهتمام باللياقة البدنية للطفل	العناية بالراحة والاستجمام الكافي بعد التعب
الاهتمام ببرامج الترويح	الاهتمام بأساليب الوقاية الصحية	الاهتمام بأساليب العلاج الطبي السليم	استثمار قوة البدن وقدراته وطاقاته

2ـ تنمية القدرات الذهنية من خلال اللعب

إن دور الأهل في تنمية القدرات الذهنية لطفل، يأتي من خلال اللعب، ومن باب اللعب سوف نستطيع التحكم في سلوك الطفل وتوجيهها الوجه الصحيحة، واللعب بنسبة للأطفال هو الوسيلة الوحيدة الذي يسعد الطفل ويساعده على النمو من جميع النواحي، فهو الفرصة المثلى التي يجد فيها الطفل مجالا لا يعوض لاكتساب كل ما يعز عليه اكتسابه في مجال الجد .. ولعب الطفل تلقائي غير مخطط ولا منظم، وهو في العادة لعب فردي.

وإذا كان الأهل ينظرون إلى اللعب على أنه مجرد وسيلة لملء وقت الفراغ، فهذا أمر يخطئ فيه كثير من الآباء والأمهات، ولذلك على الأهل أن يغيروا وجهة نظرهم هذه إتجاه الطفل، وعليهم أن يعتبروا اللعب عامل من عوامل النمو.

ولذلك يجب على الأهل أن يحاولوا توفير الألعاب المناسبة لطفل وتنظيمها وللأم دورها في انتقاء اللعبة المناسبة لقدرات طفلها، وذلك حتى تؤدي اللعبة الغرض منها. وعلى الأهل محاولة التوفيق بين نوع اللعب وحالة الطفل النفسية، فإذا كان الطفل يشعر أنه قوي، فإن اللعب العنيف إلى حد ما سوف يوافق مزاجه، أما إذا كان الطفل يشعر بالتعب والمرض فإن مثل هذه الألعاب تشعره بالإحباط

والمضايقة، وفي هذه الفترة من عمر الطفل يمكن مساعدته على القيام بكثير من الأشياء والحركات مما لا يستطيع أن يقوم بها بمفرده.

ولذلك قد يحتاج الطفل إلى لُعَب مُصمَّمة بطريقة آمنة، ومُلونة ويسهل الإمساك بها، وأفضل أدوات اللعب هي التي تمد الطفل بخبرات متعددة، وتكوين أشكال وأوزان وملابس مختلفة، ويمكن للأم أن تمد الطفل بالأشياء الموجودة في المنزل بشرط ألا تكون ضارة، فلا تجرحه أو تسبب له أية إصابة. وفي هذه المرحلة يحتاج الطفل إلى مكان متسع، خال من قطع الأثاث، ذي أرضية ناعمة، سهلة التنظيف، حتى تُتاح للطفل حرية الحركة.

ويجب على الأم مداعبة طفلها، ما دام ذلك يجلب له السعادة، ويكون سببًا في راحته النفسية، لذلك فإن أي طفل تبدأ الأم في ملاعبته على الفور يسارع بالاستجابة، وعلى الأم أن تعلم، أن الأساس المتين الذي يمكن أن يبني عليه شعور الطفل بالثقة، والأمان مستقبلا هو مقدار تقبلها له ولعبها معه.

3. إسهامات اللعب في النمو

تؤكد الكثير من الدراسات العلمية أنَّ للعب وظائف مهمة بالنسبة للطفل؛ لأن اللعب وسيلة للتعبير عند الطفل، عن الانفعالات وتصريف الطاقة الزائدة في أنشطة مقبولة، كما أن اللعب يسمح بالتدريب على المهارات والأنشطة والعلاقات الاجتماعية، وبلورة سمات الشخصية ومفهوم الذات، وبالإضافة إلى ذلك فإن اللعب يتيح للأطفال فرصة اختبار قدراتهم عند التفاعل مع البيئة. كما يتمتع لعب الأطفال بمكانة خاصة بين الطرائق التفريقية، ولا يختلف لعب الأطفال، من بعض جوانبه عن الأساليب الإسقاطية، إذ أنه يمكن الأطفال من الكشف عن جوانب ذواتهم العميقة دون أن يعرفوا أنهم يكشفون تلك الجوانب.

ويمر تطور اللعب بالمراحل التالية:

اللعب الإنشائي [1]	الأنشطة البسيطة [2]	اللعب الرمزي أو الدرامي [3]	اللعب ذو القواعد والقوانين [4]

ويغلب على الأطفال في هذه المرحلة اللعب الاستكشافي، الذي يتمثل في الفك والتركيب باستخدام العدد والآلات، وفي نهاية المرحلة يتركز نشاط الطفل على المهارات والتفوق، وليس مجرد الحصول على المتعة والسرور، كما أن لهذه المرحلة العديد من المطالب التي يجب أن يسيطر عليها الطفل، إذا كان له أن يتوافق مع بيئته ومع أقرانه توافقًا جيدًا، وأن يستطيع مسايرة المجتمع تبعًا لما هو مُتوقَّع منه، ويمكن تلخيص مطالب النمو في هذه المرحلة فيما يأتي:

تعليم الطفل المفاهيم الضرورية للحياة اليومية	تعليمه مهارات أساسية مثل القراءة والكتابة والحساب	تكوين الضمير والخلق الرفيع	تكوين الاتجاهات المناسبة نحو الجماعة الإسلامية الحق

تعلم المهارات الحركية الضرورية من الألعاب الشائعة على قدر المرحلة العمرية لطفل	تعريف الطفل وتعليمه على فهم كيفية التعامل الجيد مع الزملاء من نفس العمر لأجل التوافق مع الآخرين	تعليم الطفل الاستقلالية من أجل ثقته بذاته وبقدراته المحدودة لأجل أن يصبح فردًا مستقلا

4- إسهامات اللعب في إختبار شخصية الطفل

يولي أنصار مدرسة التحليل النفسي أهمية خاصة للعب، فاللعب عندهم تعبير رمزي عن رغبات محبطة أو مخاوف ملازمة أو متاعب لا شعورية، وهو تعبير من شأنه خفض مستوى التوتر والقلق لدى الطفل ... ومن هذه الناحية يعد اللعب أداة هامة في الكشف عن أعماق شخصية الطفل، بالإضافة إلى إعانة الطفل

(1) ويغلب عليه توظيف أدوات اللعب في أنشطة جديدة قد تكون ابتكارية.

(2) وهي أنشطة حسية حركية ذات نمط متكرر.

(3) مثل توظيف اللغة في الأداء التمثيلي ولعب الأدوار.وهذا النوع يستمر من 2- 7سنه تقريباً.

(4) مثل: الألعاب التي يوجد فيها تحكيم.

على التخفيف مما يعانيه من قلق. المألوف في "وضع" اللعب أن يطلق الأطفال في غرفة فيها عدد من الدمى، ومخابيء الدمى، والمكعبات، والصور، والأدوات، والمواد الخام اللازمة للرسم. فلمعرفة المشكلات العاطفية للطفل، مثلاً، يوضع هذا في موقف لعب موجه في مكان يحتوي على دمى عامة وبشرية وأثاث منزلي. فإن وضع الطفل دمى الأم والأب والأخت في غرفة بعيدة عن غرفته أمكن الافتراض بأنه يشعر أنه مرفوض من أهله، أو معزول عنهم ... وللتأكيد من صحة هذا الافتراض، يسأل الطفل أن يروي ما فعل ويستفسر عن بعض الفعاليات التي يقوم بها، أو يحكي أنه قام بها.

ويراقب الباحثون حركات الأطفال في واحدة من الصيغ الأساسية للعب وهي:

اللعب الحر الذي يترك فيه الطفل يفعل ما يشاء	اللعب الموجه حيث يحدد الباحث موضوع اللعب	اللعب نصف الموجه ويقوم فيه الباحث أو أحد اللاعبين بإيحاء فكرة اللعبة المقترحة

ويعد الباحثين أن اللعب الحر أفضل صيغ اللعب لكشف المكنونات العميقة للشخصية، ولا يعني هذا انعدام أهمية الصيغتين الأخريين، لأن الباحث يستطيع معرفة الكثير عن الجوانب العميقة لشخصية الطفل المبحوث من معرفة ردود فعله على اللعب الموجه أو نصف الموجه.

إن لعب الأطفال مصدر ضخم لمعلومات غنية وذكية عن المبحوثين وخاصة منهم الأطفال ... فقد طلب أريكسون من الأطفال بناء قلاع من المكعبات المتوفرة لديهم ثم لاحظ أبنيتهم وصورها فوجد فروقاً جنسية جوهرية، إذ مال الصبيان لإقامة بنايات طويلة، في حين مالت البنات لإقامة مساحات مغلقة يصعب دخولها.

كما اقترح الباحث في تفسير الوقائع المذكورة إلى إرجاع التوجه المكاني المميز لكل من الجنسي إلى الفروق العضوية بينهما، وليس إلى ضرب من الرمزية

المميزة لكل جنس ... كما يتصف اللعب، كطريقة بحث في حقل العلم، بالمرونة التي تجعله يجيب عن أسئلة من مختلف الأنماط السببية أو الترابطية، أو التفريقية ... والمهم أن يشغل اللعب الحيز الذي يجب أن يشغله وألا يتخطى الوظيفة التي يستطيع أداءها .. أما المعلومات الأكثر دقة عن الفرد أو الفئة فيجب تحصيلها بواسطة الأساليب الممكنة شريطة ألا يقرأ في نتائج أي أسلوب أكثر مما تحتمله تلك النتائج أو أكثر مما يسمح به ذاك الأسلوب(1).

5ـ المشكلات العقلية لدى الأطفال

لقد حدثت تطورات كثيرة وكبيرة خلال القرنين الماضيين، وذلك في الوسائل الحديثة، وذلك في مجال الموصلات الجوية منها والبرية والبحرية، ووسائل الاتصالات، والتي تشتمل على المرئية والمقروءة والمسموعة، وكان ذلك التطور التكنولوجي ونموه المستمر، بسبب الثورة العلمية، والثروة المعرفية، والتي حصلت عليها كثيراً من بلدان العالم المتحضر، فكان ذلك النمو والتقدم هو ناتج معرفي، ووعي بأهمية وقيمة الإنسان وحريته، ومن أجل أن يتنج هذا الإنسان ويبدع، قدمت لهُ جميع الوسائل المتاحة التي تمكنه من أداء رسالته، وذلك لتحقيق أهدافه على الوجه المطلوب لأجل أن يخدم مجتمعه.

ولذلك فإن الرعاية من قبل الأهل في المنزل، والرعاية من قبل المدرسة، هي التي تساهم في تخريج نخبة من المهرة والمبدعين، فالرابطة بين الأسرة وبين المدرسة هي روابط تكاملية، وذلك من أجل إنشاء جيل متعلم وواعي، ومهيىء بأن يقوم بدور فاعل في المجتمع.

وفي المقابل إذا لم تقم الأسرة بدورها، والمدرسة كذلك فإن المجتمع يصبح مجتمع فاسد، لا يفرز إلا الفاسدين والمفسدين في الأرض.

---

(1) من كتاب: مشكلات الطفولة والمراهقة بقلم الدكتور ميخائيل إبراهيم الأسعد الناشر: دار الجيل – بيروت

أو تتلقفهم وسائل تعليمية غير آمنة، كما هو حاصل في هذا الوقت، وذلك ما نشاهده من تلقي الأطفال ثقافتهم من قبل القنوات الفضائية، ونحنو نعلم أو لا نعلم بخطورة هذه الوسائل على عقول أطفالنا، وإن من أكبر الأخطار هو ترك الأطفال أمام شاشات التلفاز دون رقابة على ما يعرض لهم من برامج ومسلسلات، والتي هي بالأساس مستهدفه عقول الأطفال وبيوت أفكارهم ... فإن وسائل الإعلام المختلفة هي سلطة جديدة في مجتمع العالم، وخاصة منها القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية وهي شبكة الإنترنت، وهذه السلطات أثبتت مقدرتهما على التأثير على المجتمعات، وبأشكال مختلفة.

إن غسيل عقول العامة مسؤولية من، إذا لم تكن من مهمات الدولة ومسؤولياتها فلماذا إذاً تسمى دولة أو حكومة، فإن الدولة من مهماتها الضرورية هي حفظ العقل للمجتمعات، وإذا كانت الحكومات لا ترعى موطنيها فعلى هذه الدول السلام.

وللأسف فإن الكثير من أطفالنا، أو شبابنا، لا يحمل أي ثقافة غير ثقافة القنوات الفضائية، أو شبكات الإنترنت، ولو أجريت إحصائيات أو دراسات ميدانية في هذا الشأن، وذلك ما يحمله الأطفال والشباب، من معلومات ومعارف، لوجدنا أن الأطفال والشباب لا يحملون من العلوم والمعارف إلا ما شاهده أو سمعه من تلك المعارف، وللأسف فإن ما يشاهد أو يسمع من قبل تلك المعارف لا يفي بالمطلوب أو يعبر عن الحقيقة، ولذلك فلابد من التحقق من صحة ما يسمع أو يشاهد، حتى يبني الإنسان معلوماته على الوجه الصحيح .

المبحث الثالث: المشكلات النفسية لدى الأطفال

إنَّ التنشئة الاجتماعية، هي عملية تربوية تقوم على التفاعل بين الطفل والأسرة وإن جذور المشكلة توجد دائماً في العلاقات التي تقوم بين الأطفال ووالديهم في المراحل المبكرة من حياتهم. فحينما تتذبذب العاطفة الأسرية بين الوالدين فإنها تأتي سلباً على الأطفال، فيصبح الأطفال هم الضحية للمشاكل الأسرية، وحينما يكون اتجاه الوالدين في تنشئة أبنائهم بهذا الشكل فإن الاحتمال الأكبر أن يصاب الأبناء عندئــذ بالمشاكل والاضطرابات في الشخصية لديهم .

ولا شك أن الأطفال يتشبهون دائماً بآبائهم وأمهاتهم، ويقلدونهم في حركاتهم وتصرفاتهم، ويأخذون منهم الكثير من الصفات والعادات. وهذا ما أشار إليه الحديث الصحيح، الذي يرويه أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[1].

وقد اتضح من الدراسات التي أجراها العديد من العلماء أن الأطفال ذوي المشكلات الشخصية هم في الغالب ينتمون إلى أسرٍ يعاني فيها أحد الوالدين، وربما كلاهما من نفس المشكلات ... كما أوضحت الدراسات التي أجريت على العديد من أسر الأطفال المراهقين ذوي المشكلات الشخصية، وجود العديد من الخصائص التي تجمع بين الوالدين والأبناء ، ومن بينها التسلط والقسوة، والتحكم الزائد، فالوالدان يعلّمان أطفالهما ،سواء عن قصد أو دون قصد أن العالم من حولهم مخيف، وأن الفرد الذي يعيش فيه يتعرض تلقائيا للتوتر والقلق ويحذرونهم باستمرار من أن أي أخطاء يرتكبونها تعرضهم للنبذ والرفض من الآخرين .

(1) رواه مسلم وروه الترمذي وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

إن هذه الأساليب تسبب للطفل الشعور المستمر بالخجل مما يجعله يتجنب لقاء الآخرين أو جلب انتباههم لكي لا يتعرض للنقد أو الرفض، وبالتالي يسيطر عليه الجبن والعزلة الاجتماعية ... وقد تلجأ بعض الأسر إلى توجيه النقد لأطفالهم باستمرار من أي عمل أو تصرف تأتوا به، فهم ينتقدونهم على مظهرهم، أو ملابسهم، أو عاداتهم، أو خصائصهم الشخصية، أو أصدقائهم، أو قدراتهم وإنجازاتهم الدراسية، وقد يوجهون لهم صفات سيئة جداً، كأن يصفونهم بالغباء، أو القبح أو التفاهة، وغيرها من الصفات السيئة التي تؤثر بالغ التأثير على حالتهم النفسية.

كما أن بعض الأسر تغالي في حرصها الشديد على أطفالها ،وتسعى لتوفير الحماية الزائدة لهم من المخاطر المحتملة، وتحذرهم باستمرار من الآخرين، أو من الكلاب أو غيرها من الحيوانات ويحاولون أن يصوروا لهم صورة مفزعة عما يمكن أن يحدث لهم إن هم ابتعدوا عنهم ،وهكذا يخلقون لدى أطفالهم شعوراً بأن ذويهم يحاولون فعلاً تجنب المواقف والناس لشعورهم بالخطر ... وفي أحوال أخرى تحاول بعض الأسر تشجيع أطفالها على تأكيد ذاتهم، واستقلاليتهم وقد يوجهون لهم العقوبة إذا ما مارسوا أموراً تعبر عن عدم الاستقلالية بتوجيه الاتهامات لهم بعدم الكفاءة والقدرة ، وفي أحيان كثيرة يشجعون أطفالهم على اتخاذ القرارات بأنفسهم لكنهم يعاقبونهم إذا أخطئ ... وقد نجد البعض يشجعون أطفالهم على التحدث وفي الوقت نفسه يخبرون الآخرين الجالسين معهم بأن طفلهم يشعر بالخجل، وغير ذلك من الصفات التي تعبر عن عدم الكفاءة، وهذه الازدواجية في التعامل مع أطفالهم يمكن أن تعرضهم إلى الكثير من المشاكل النفسية كالارتباك والقلق، والغضب، والجمود.

ينبغي على الوالدين وعلى المربين أن يحرصوا على عدم توجيه أي عبارات تنم عن الاستهانة بالأطفال، أو تحط من قدرهم أو قابليتهم، أو إشعارهم بالإحباط إذا ما أخطاؤا في عمل ما، فالذي لا يعمل هو فقط الذي لا يخطئ. إن الواجب

يقتضي منا تقويم أخطائهم إن حدثت بروح من التفهم والاحترام لمشاعرهم، وتنمية شعورهم بالثقة بالنفس، وبعث الشجاعة الأدبية لديهم لكي نمكنهم من مواجهة المجتمع والعالم المحيط بهم بكل همة ونشاط وهم على أكمل استعداد.

فالوظيفة الأساسية للأسرة ينبغي لها أن تعلم الطفل على المبادئ الأساسية للإسلام أولاً، ثم لثقافة الجماعة ولغتها وقيمها وتقاليدها المبنية على المعتقدات الصحيحة. وهذا كفيلٌ بتهيئة الطفل للدخول في الحياة الاجتماعيَّة من بابها الواسع، ويمكِّنه من السلوك بطريقة متوافقة مع الجماعة، والتكيف مع الوسط الذي يعيش فيه[1].

1- الغيرة عند الأطفال

الغيرة هي حالة إنفعالية يشعر بها الشخص، ويحاول إخفاءها، ولا تظهر إلا من خلال أفعال سلوكية يقوم بها الشخص .. وهي مزيج من الإحساس بالفشل وانفعال الغضب .. تظهر الغيرة بأسلوب تعويضي مصطنع، حيث يخفى الطفل مشاعره الحقيقية ويقوم بدور الممثل نحو أخيه المولود الجديد الذي يأخذ في ضمه وتقبيله ولكنه في حقيقة الأمر يود قرصه أو ضربه، وقد جعل الله سبحانه هذه الغير الفطرية قوة في الإنسان سببا لصيانة الأعراض وحفظا لماء الوجه للإنسان، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت العفة في نسائها.

لغة الغيرة: المصدر من قولك، غيرة وغيراء وغارا وغيارا، وكما يقال غار الرجل على أهله .. قال ابن سيده: وغار الرجل على امرأته، والمرأة على بعلها تغار [2]. وتقول العرب: أغير من الحمى، أي أنها تلازم المحموم ملازمة الغيور لبعلها[3].

---

(1) مقالات في الفكر التربوي إعداد: يوسف السيد أحمد- بتصرف

(2) ابن منظور لسان العرب المجلد الخاص 42، 41 طبعة دار صادر بيروت.

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة الراغب الأصفهانى 347، تحقيق أبواليزيد العجمى الطبعة الثانية دار الوفاء مصر 1407هـ/ 1987م.

ولم يرد في القرآن لفظ الغيرة وإنما جاء في القرآن لفظ الحمية وفي سياق يدل على أنه غيرة يبغضها الله سبحانه، لأنها غضب من أجل باطل، ونعرة كاذبة، لذا وصفت بأنها حمية الجاهلية ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[1].

واصطلاحا: الغيرة ثوران الغضب حمية على أكرم الحرم، وأكثر ما تراعى النساء.

الغيرة الفطرية

من أنواع الغيرة نعرف التفريق ومنها: غيرة الأطفال بعضهم من بعض وغيرة الرجال على النساء، وغيرة النساء على الرجال، وغيرة المرأة من المرأة ضرتها، وغيرة المؤمن إذا انتهكت حرمات الله، كل ذلك فطرة وجبلة في الإنسان .. والغيرة منها ما يحمد ومنها ما يذم، ولأن الغيرة حمية وغضب، فكان من اللائق بالمسلم أن يعلم الدوافع والغايات فإذا كانت الدوافع رعاية حق الله، والأهداف إزالة الريب، وتحقيق مقاصد الشرع كانت هي الغيرة التي يحبها الله، وإذا كانت غير ذلك كانت الغيرة التي يبغضها الله سبحانه إن من الغيرة ما يحبه الله، ومنها ما يبغض الله... وقد ربطت السنة بين غيرة المؤمن وغيرة الله تعالى: بقوله عليه الصلاة والسلام: إن الله يغار وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه)[2].

فأما الغيرة التي يحبه الله، التي تدفع صاحبها إلى تحقيق الإصلاح في الأرض والتي تشتمل على التنافس في فعل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمفهوم العام والشامل للحياة الإنسانية، وأما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة التي

(1) سورة الفتح: 26

(2) أخرجه: مسلم 2395.

تؤدي بصاحبها إلى الانشغال فيما لا فائدة منه، من التجس والمراقبة لما عند الغير من نعمة وغير ذلك حتى تؤدي بصاحبها إلى الحسد والغيبة والنميمة.

أـ علامات الغيرة عند الأطفال

وتظهر الغيرة بمظاهر سلوكية مختلفة عند الأطفال منها قضم الأظافر، أو الرغبة في شد انتباه الآخرين، وجلب عطفهم أو بمظاهر العدوان بشتى الطرق لو أدى الأمر إلى التكسير لبعض أثاث المنزل أو ألعابه، أو التظاهر بالمرض أو الكذب، أو الخوف. وهذا قد يؤدي بالطفل إلى النتائج الغير جيده ومنها التبول اللاإرادي أو مص الأصابع .. أو الشعور بالنقص مما يؤدي بالطفل إلى عدم التوافق النفسي وينتج من ذلك صراعات نفسية خطيرة على مستقبل الطفل.

بـ خطوات وقائية للغيرة السلبية

وللوقاية من آثار الغيرة السلبية لدى الأطفال نتبع الخطوات التالية:

1- بعث الثقة في نفس الطفل وتخفيف حدة الشعور بالنقص أو العجز عنده.

2- لايعط المولود الجديد من العناية إلا بقدر حاجته، لأن المولود الجديد هو أكبر تحدي بنسبة لطفل الأكبر منه.

3- تعويد الطفل على عدم الأنانية، واحترام وتقدير الجماعة، ومشاركة الأطفال في اللعب وفيما يملكه من أدوات.

4- على الآباء والأمهات اعتبار كل طفل شخصية مستقلة لها استعداداتها ومزاياها الخاصة بها.

5- تنمية الهوايات المختلفة بين الأخوة والمساواة في المعاملة بين الأولاد والبنات في المعاملة

6- تعليم الطفل على أن الحياة أخذ وعطاء، وتعويد الطفل على أن يشاركه غيره، وأن يحترم حقوق الآخرين.

إذاً فالغيـرة هي عامل من العوامل المشتركة، للكثير من المشاكل النفسية عنـد الأطفال، لأن الغيرة قوة نفسية، إذا لم تتهذب التهـذيب الجيـد، فـسوف تتحـول إلى الأنانية البغيضة، والأنانية من الأمراض المدمرة للطفل، وللأسـرة وللمجتمـع، وإذا لم نتنبه لهذه الغيرة في مراحلها المبكرة، وإلا قد تكون سبب مـن الأسـباب الرئيـسية في إحباط الطفل، وتعرضه للكثير من المشاكل النفسية والعقبات التي تـستقبل حيـاة الطفل ... كما أن الإيمان الحقيقي، يجعـل الإنـسان صـاحب مبـدأ يـسعى لتحقيقـه فتكون حياته تحمل معنى ساميا نبيلا يدفعـه إلى العمـل والجهـاد في سبيله وبـذلك يبتعد عن حياة الأنانية الضيقة، وتكون حياته لصالح مجتمعه وأمته التي يعيش فيهـا، فالإنسان عندما يعيش لنفسه تصبح أيامه معدودة وغاياته محدودة أما عنـدما يعـيش للفكرة التي يحملها فإن الحياة تبدو طويلة جميلة تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتـد بعد مفارقتها لوجه الأرض، وبذلك يتـضاعف شـعوره بأيامـه وسـاعاته ولحظاتـه. فالحياة الأسرية هي نواة الحيـاة الاجتماعيـة في كـل الأمـم، فـإذا مـا قامـت الحيـاة الأسرية على أساس متين في علاقات بعض أفرادها بـبعض، فـسوف يقـع الـصراع والشقاق بين الأزواج، وكثرة الطلاق وتشرد الأولاد، وانتـشار الأمـراض وتعـاطي المخدرات والإدمان عليها، وفقد كل من الزوجين ثقتـه بـالآخر، وذلـك كلـه سـببه الأنانية وسوء التربية. والله الهادي إلى سواء السبيل.

2ـ مشكلة العناد والخوف لدى الأطفال والمراهقين

العناد ظاهرة شائعة لدى الأطفال والمراهقين، وهو من المشاكل الشائعة لـدى المجتمعات، والكثير يعاني من مشكلة عناد الطفل، والعنـاد قـد يكـون مـن الـسلوك السلبي، كما يعتبر العناد من النزعـات العدوانيـة، وهـو تعـبير عـن الـرفض للقيـام بعمل ما لو كان مفيد أو الإنهاء من عمل مـا لـو كـان خاطئـا.. ويتميـز بالإصـرار وعدم التراجع حتى في حالة الإكراه، حيث يحتفظ المعاند برأيه ومواقفـه الخاطئـة .. وعندما يكون العناد مستشريا كظـاهر قويـة فـإن ذلـك قـد يـصبح ظـاهرة مرضـية تتسبب في اضطراب الشخصية لدى الطفل ... وحـين يـصبح العنـاد سمـة راسـخ

وثابتة في شخصية الطفل أو المراهق، فإن ذلك يؤدي إلى اضطراب شديد في السلوك والانفعالات والعلاقة مع الآخرين بسبب النزوع للمشاكسة والخلاف مع الناس بسبب أو بدون سبب وهذا الشكل من العناد درجه مرضية وتحتاج لاستشارة المختصين لعلاجها.

أسباب العناد

إن أهم أسباب العناد لدى الأطفال والمراهقين هي بالأساس متولدة من مشاعر سلبية يشعر فيها المعاند بالنقص أو العجز أو العزلة، كما ترجع تلك المشاعر إلى، حرمان الأطفال والمراهقين من مشاعر الدفء العاطفي أو عدم إشباع رغباتهم كالحب والحنان أو عدم تقبلهم في البيت أو المجتمع وكل ذلك هو بسبب سيطرة الأسرة أو السلطة الحاكمة في المجتمع بصورة غير صحيحة.

وعندما تكون طلبات الأسرة أو المجتمع الذي يعيش فيه الطفل أو المراهق تفوق إمكاناته وغير مناسبة لقدراته، أو بعيدة عن الواقع، فينتج عن ذلك بتأكيد شعور بالفشل، وخاصة عندما يصر الآباء أو الأمهات أو المربين على قناعتهم وتوقعاتهم، فيبدأ الطفل بالرفض كسلوك عنادي، وهو في الحقيقة لا يعاند الكبار ولكنه يرفض الوقوع في الفشل الذي يصر من حوله من الكبار على الوقوع فيه غير آبهين بمشاعر الخوف والإحباط عنده وهو في هذه الحالة أفضل منهم في تقدير إمكاناته وما يمكنه فعله وليس من الغريب أن تختلط الحقيقة بالخيال عند الأطفال فيصر الطفل بموقف غير واقعي ضاربا عرض الحائط برأي الكبار مما ينشأ عنه نوع من التنازل مهما حاول معهما أسلوب الإقناع والحوار الهادئ عندما يطلبان منه شيئا ما وذلك ما يعرف بأسلوب التعلم بالمحاكاة.

فالعناد هو محصلة للتصادم بين رغبات الطفل وطموحاته، وأوامر الكبار ونواهيهم، كما أنه قد يظهر ويختفي تحت ظروف ومواقف معينه، فقد يظهر في البيت ويختفي في الشارع والعكس، وقد يكون الطفل واعياً ومدركاً لسلوكه ألعنادي ولكنه يفعله لتحقيق رغبة أو هدف ما، وحين ما يحققه يتخلى عن

عناده ... كما تشير كثير من الدراسات بأن ظاهرة العناد تنتشر بين الأطفال في مرحلة الطفولة الأولى والمتأخرة بنسبة 15 إلى25٪، وفي هذه السن يكون انتشاره أكثر بين الذكور منه بين الإناث ولكن النسبة تتساوى بعد ذلك في مرحلة المراهقة.

3ـ الشعور بالخوف

إنَّ الوظيفة الأساسية للأسرة هي توفير الأمن والطمأنينة للطفل، ورعايته في جوٍّ من الحنان والاستقرار والمحبة، إذ يعتبر ذلك من الشروط الأساسية التي يحتاج إليها الطفل كي يتمتع بشخصية متوازنة، قادرة على الإنتاج والعطاء، فمن حق الطفل أن يكبر في جوٍّ مفعمٍ بالمحبة، وفي أسرةٍ يحكم علاقاتها التفاهم والثقة.

كما يستجيب الطفل منذ ولادته لمؤثرات العالم الخارجي الذي يحيط به وتختلف الاستجابة باختلاف شدة المثير ومدى تأثيره بالطفل فشدة الضوء تجعله يحرك عينيه بسرعة والأصوات العالية من حوله تدعوه إلى الصراخ، والقيام بحركات دفاعية لاشعورية. وهذا السلوك الذي يتخذه الطفل تجاه تلك الأحداث فطري ... فالخوف هو إذا ما يعبر عنه مجموع الحركات، كالصراخ، وتغييرات اللون، واتساع حدقة العين، وتسرع ضربات القلب التي تقترن بالخطر المفاجيء، وهذه الردود الجسدية ليست إلا جهود الطفل للتخلص من مثير يؤلمه أو يهدد حياته.

ويبدأ الخوف عند الطفل على هيئة فزع عميق يتجلى في ملامح الوجه عامة تتبعه رعشة وصراخ مصحوب بتغيرات عضوية داخلية مما يؤدي في النهاية إلى ارتجاف الشفتين والتلعثم في الكلام، ولا يقتصر الخوف على الصغار وحدهم بل كثيراً ما يحدث عند الأحداث والراشدين، ويعد الخوف إحدى القوى الفاعلة في بناء الشخصية أو هدمها فقد يؤدي إلى تشتيت الطاقة العقلية المتجهة إلى هدف ما، وقد يستخدم الخوف من قبل منظمات حكوميه لأجل تسير الفرد نحوا أهداف تلك الدول وبرامجها الإيديولوجية، أو قد يوجه الفرد إلى الطريق الصحيح ويدفع عنه القوى المؤذية.

كما أجريت العديد من البحوث وبيّنت أن الخوف والقلق مكتسب خارجي والأطفال يتعلمون الخوف في محيط الأسرة أو المجتمع، وهم يبدون استعداداً قوياً لالتقاط مخاوف آباءهم.

فالشعور بالخوف: هو حالة انفعالية داخلية وطبيعية موجودة لدى كل إنسان، يسلك خلالها سلوكاً يبعده عن مصادر الأذى. فعندما نقف على سطح عمارة بدون سياج، نجد أنفسنا ونحن نبتعد عن حافة السطح شعوراً منا بالخوف من السقوط، وعندما نسمع ونحن نسير في طريق ما صوت إطلاق الرصاص فإننا نسرع إلى الاحتماء في مكان أمين خوفاً من الإصابة والموت، وهكذا فالخوف طريقة وقائية تقي الإنسان من المخاطر، وهذا هو شعور فطري لدى الإنسان، هام وضروري.

غير أن الخوف ذاته قد يكون غير طبيعي [مرضي] وضار جداً، وهو يرتبط بشيء معين، بصورة لا تتناسب مع حقيقة هذا الشيء في الواقع [أي أن الخوف يرتبط بشيء غير مخيف في طبيعته] ويدوم ذلك لفترة زمنية طويلة مسببا تجنب الطفل للشيء المخيف، مما يعرضه لسوء التكيف الذي ينعكس بوضوح على سلوكه في صورة قصور وإحجام، وقد يرتبط هذا الخوف بأي شيء واقعي، أو حدث تخيلي ... كأن يخاف الطفل من المدرسة، أو الامتحانات ،أو الخطأ أمام الآخرين، أو المناسبات الاجتماعية، أو الطبيب والممرضة، أو من فقدان أحد الوالدين أو كلاهما، أو الظلام أو الرعد والبرق، أو الأشباح والعفاريت وقد يصاحب الخوف لديهم نوبات من الهلع الحاد، ويتمثل ذلك في:

سرعة دقات القلب	**سرعة التنفس**	**الدوار أو الغثيان**
التعّرق الشديد	**تكرار التبول والهزال**	**عدم السيطرة على النفس**

كما يعرف الانفعال بأنه حدوث استجابة فسيولوجية على شيء من الشدة، يصاحب ذلك زيادة مفاجئة في ضربات القلب، أو تعرق شديد أو انقباضات تقلصية لعضلات الجهاز الهضمي، أو ازدياد ضغط الدم، أو توتراً في الجهاز

العضلي، أو إفراز لهرمون الأدرينالين وغيرها. بحيث يحدث هذا الارتباط مع الصراع بين قوة الرغبة والحاجة، مع قوة العائق والحائل للوصول إلى تلك الحاجة، أو صراع بين النفس وبين صورة ذهنية أو صورة بصرية، أو الخوف من الأنظمة التسلطية، فالفرد حينما يخاف من الشرطة فتصبح الأنظمة مصدر قلق وخوف ورعب لدى الأطفال فتصبح تلك الأنظمة تشكل خطراً على المجتمع، مما يجب على تلك الأنظمة إصلاح وضعها مع المجتمع، وحينما يقال انفعال الخوف أو الغضب أو الفرح يتحدد بحسب الشخص مع نفسه أو مع مجتمعه، و طبيعة الحاجة الداخلية أو ما يدل عليه معنى المثير الخارجي المؤدي لذلك الانفعال.

ومن ابرز النمو الانفعالي، الشعور بالخوف وما ينتاب الطفل من نوبات غضب، وأهم مظاهر الخوف هو توتر في عضلات المعدة وشعور بالضيق والتوتر وهو أكبر عائق يقف في سبيل نموهم الصحي النفسي السليم. وللآباء تأثير كبير في تعلم هذا الانفعال، فبالرغم من أن بمقدورهم أن يساعدوا أطفالهم بالتغلب على مخاوفهم إلا أنهم في الوقت نفسه يكون لهم دور سلبي باعتبارهم مصدراً أساسياً لتلك المخاوف ... فإن الطفل قد يخاف والده أيضاً إذا قلّد سلوك أمه، فالأم التي تخاف زوجها ويتحول هذا الخوف إلى سلوك ذي مظاهر واضحة ومؤثرة على الطفل، وبذلك يغدو الأب موضع خوف وموضوع منفر ينتج عنه سلوكيات خاصة تمثل الموقف الجديد للطفل تجاهه.

وفي سن الخامسة يتكون نوع من الاستقرار في حياة الطفل الانفعالية نتيجة، للأمان والطمأنينة التي تسود علاقته بأمه، ومع ذلك فهو لا يزال عنيدا، ويستمر ذلك معه حتى نهاية المرحلة ... وهكذا يلاحظ أن حالة الطفل الانفعالية في هذه المرحلة بكل ما فيها من حب، وقلق، وخوف وحاجة للأمن والطمأنينة، والتحكم في البيئة التي لن تتحقق إلا بخفض التوترات عند الطفل وأفضل طريقة لذلك هي إزالة جميع المسببات المرتبطة بهذه الجانب الانفعالي.

كما تقسم مخاوف الأطفال إلى نوعين:

الأول: وهو يتعلق بدافع المحافظة على البقاء ويشمل: مخاوف الأطفال العادية التي تظهر في الحياة اليومية وتسهل ملاحظتها كالخوف من الظلام والحيوانات واللصوص.

الثاني: وهو يرتبط بالشعور بالإثم في نفس الطفل نتيجة لصلته بالقائمين على توجيه سلوكه.

أ- نتائج الشعور بالخوف لدى الأطفال

وقد يسبب الخوف لأبنائنا مشاكل وخصالاً خطيرة معطلة لنموهم الطبيعي تسبب لهم الضرر الكبير والتي يمكن أن نلخصها بما يلي:

الانكماش والاكتئاب	الحركات العصبية غير الطبيعية	الحساسية الزائدة	التهتهة	القلق والنوم المضطرب
التبول اللاإرادي	الجبن	عدم الجرأة	الخجل	التشاؤم

ونستطيع أن نوجز أهم العوامل النفسية التي تلعب دوراً هاماً في حياة أبنائنا وتسبب لهم العديد من المشاكل هي ما يلي:

الشعور بالخوف	ضعف الثقة بالنفس

بـ ضعف الثقة بالنفس

ومن أبرز نتائج ضعف الثقة بالنفس تتمثل في ما يلي:

التردد	انعقاد اللسان	الخجل والانكماش	عدم الجرأة
التهاون	عدم القدرة على التفكير المستقل	توقع الشر وتصاعد شعور الخوف في أبسط المواقف التي تجابه الفرد	

ج- مسببات الشعور بالنقص ؟

1- **الخوف:** إن مما يثير الخوف في نفوس الأبناء هو خوف الكبار، فعندما يرى الصغير أباه ،أو أمه، أو معلمه يخافون من أمر ما فإنه يشعر تلقائياً بهذا

الخوف، على سبيل المثال أن أفعى أو أي حيوان قد يظهر في فناء المدرسة أو الدار، فيسبب اضطرب للمعلم أو للأب، مما ينتج عنه هروب وركض خوفاً منها فإن ذلك من الطبيعي سوف نشاهد الأطفال يضطربون ويهربون رعباً وفزعاً، وسوف يركّز في نفوس الأطفال الخوف ولو بأقل الأسباب.

ومما يثير الخوف أيضاً في نفوس الأطفال الحرص والقلق الشديد الذي يبديه الكبار عليهم، فعندما يتعرض الطفل لأبسط الحوادث التي تقع له، كأن يسقط على الأرض مثلاً، فليس جديراً بنا أن نضطرب ونبدي علامات القلق عليه، بل علينا أن نكون هادئين في تصرفنا، رافعين لمعنوياته، ومخففين من اثر السقوط عليه، وإفهامه أنه بطل وشجاع وقوي ...الخ، حيث أن لهذه الكلمات تأثير نفسي كبير على شخصية الطفل[1].

كما أن النزاع والخصام بين الأباء والأمهات في البيت أمام الأبناء يخلق الخوف عندهم، ويسبب لهم الاضطراب العصبي ... وهناك الكثير من الآباء والأمهات والمعلمين يلجاؤن إلى التخويف كأسلوب في تربية الأبناء وهم يدّعون أنهم قد تمكنوا من أن يجعلوا سلوكهم ينتظم ويتحسن. غير أن الحقيقة التي ينبغي أن لا تغيب عن بالهم هي أن هذا السلوك ليس حقيقياً أولاً، وليس تلقائياً وذاتياً ثانياً، وهو بالتالي لن يدوم أبداً ،إن هذه الأساليب التي يلجأ إليها الكثير من الأباء والأمهات والمعلمين تؤدي إلى إحدى نتيجتين:

1. عدم إقلاع الأبناء عن فعل معين رغم تخويفهم بعقاب ما ثم لا يوقع ذلك العقاب، فعند ذلك يحس الأبناء بضعف المعلم أو الأب أو الأم، وبالتالي يضعف تأثيرهم بنظر الأبناء.

(1) حامد شريف سليمان الحمداني من مواليد مدينة الموصل 1932: كيف نربي أبناءنا ـ دراسة تربوية ـ ويقع في 144 صفحة من القطع المتوسط

أما إذا لجأ المربي إلى العقاب فعلاً ،وهو أسلوب خاطئ بكل تأكيد، فإن الطفل حتى وإن توقف عن ذلك السلوك فإن هذا التوقف لن يكون دائمي أبداً، ولابد أن يزول بزوال المؤثر [العقاب] ،لأن هذا التوقف جاء ليس عن طريق القناعة، بل بطريقة قسرية.

2. خضوع الأبناء، وهذا الخضوع يخلق فيهم حالة من الانكماش تجعلهم مشلولي النشاط، جبناء خاضعين دون قناعة، فاقدي، أو ضعيفي الشخصية ،وكلتا النتيجتين تعودان عليهم بالضرر البليغ.

2- **العاهات الجسمية**: فهناك العديد من الأبناء المبتلين بعاهات جسمية متنوعة، وهذه العاهات تجعلهم يشعرون بأنهم غير جديرين، وعلى الأهل و المعلمين أن يهتموا بهذه الناحية اهتماماً بالغاً وذلك بأن يكون موقفهم من هؤلاء الأبناء طبيعياً وعادياً كبقية الأبناء الآخرين بحيث لا نشعرهم بأنهم مبتلين بتلك العاهات، دون عطف زائد عليهم، وعدم فسح المجال لزملائهم بالسخرية منهم وتذكيرهم بالعاهة، وحثهم على احترام زملائهم والتعامل معهم بشكل طبيعي مشبع بروح الاحترام وأن أي سلوك أخر تجاه هؤلاء الأبناء يؤدي بهم إلى ما يلي:

التباعد والانكماش	الخمول والركود	النقمة والثورة على المجتمع وآدابه وتقاليده

3- **الشعور بالنقص العقلي**: فقد يكون هناك بعض الأبناء قد تأخروا في بعض الدروس لأسباب معينة لا يدركونها، أو لا يشعرون بها هم أنفسهم، وهي ربما تكون بسبب مرضي، أو لظروف اجتماعية، أو بيئية، أو اقتصادية، فعلينا والحالة هذه أن ندرس بجدية أوضاعهم وسبل معالجتها، وأن نقف منهم موقفاً إيجابياً كي نبعد عنهم روح الاستسلام والفشل، كما ينبغي على المعلمين أن

لا يحمّلوا التلاميذ من الواجبات أكثر من طاقاتهم فيشعرونهم بأنهم ضعفاء عقلياً، ويخلق لديهم التشاؤم، والخجل، والحساسية الزائدة والجبن.

فالشخصية التي تعاني من ضعف الثقة بالنفس تتردد كثيراً عند توجيه سؤل ما إليه، بسبب عدم ثقته بالقدرة على الإجابة الصحيحة، وهذا ناجم من الخوف من الوقوع في الخطأ، ولذلك نجد البعض يتجنب المشاركة في أي نقاش أو حديث لهذا السبب، كما يحاول الشخص تجنب مجابهة الصعاب والأخطار التي تصادفه في حياته ... فإن الشعور بالنقص هو أحد معالم زعزعة الثقة في النفس وهو المغذي لهذا المرض، فإن زوال الشعور بالنقص، من الممكن أن يعالج الثقة بالنفس، ويعزز في النفس مكانته ودورها في المجتمع.

د- كيف نزيل الخوف عند الأبناء

ولذلك ينبغي علينا كمربين، أباء وأمهات ومعلمين ،بأن يقوموا بدوار المطلوب لمعالجة هذه الظواهر لدى الأطفال، وعدم التأخر في معالجتها، كي لا تتأصل لديهم وبالتالي تصبح معالجتها أمراً عسيراً، ويكون لها تأثيراً سيئاً جداً على شخصيتهم وسلوكهم. ومستقبلهم.

إن باستطاعتنا أن نعمل على إزالة اثر الخوف غير الطبيعي لدى أبنائنا بإتباعنا الإجراءات التالية:

1- منع الاستثارة للخوف، وذلك بالابتعاد عن كل ما من شأنه أن يسبب الخوف عندهم.

2- توضيح المخاوف الغريبة لدى الأطفال، وتقريبها من إدراكهم، وربطها بأمور سارة، فالطفل الذي يخاف القطة مثلاً يمكننا أن ندعه يربيها في البيت.

3- تجنب استخدام أساليب العنف لحل المشكلات التي تجابهنا في تربية الأبناء[1].

(1) أسس الصحة النفسية ـ د. عبد العزيز القوصي ـ ص ـ 364 .

3ـ الشعور بالقلق

يعتقد العديد من العلماء والمفكرين التربويين، ومنهم (فرويد) أن القلق يعتبر عاملاً أساسياً في حدوث المشكلات النفسية لدى الطفل خلال مراحل النمو، ابتداءً من الميلاد وحتى الطفولة المبكرة ، حيث يواجه الطفل ضغوطاً مستمرة من الوالدين وغيرهم من أفراد الأسرة المحيطين به، لكي يستطيع التكيف مع العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، وهم يسعون إلى كفّ غرائزه الأولية ومنع إشباعها الفوري.

أما الطفل فيحاول نتيجة لتلك الضغوط كبت الغرائز المقبولة وغير المقبولة لدى الأسرة، والتي غالباً ما تنطوي على رغبات جنسية وعدوانية، بسبب تلك الضغوط المسلطة عليه أثناء عملية تدريبه وتنشئته الاجتماعية من قبل أسرته، غير أن شدة تأثير وسيطرة تلك الغرائز على الطفل تحول دون كبتها بصورة تامة، حيث تبقى ضاغطة على الطفل طلباً للإشباع، وهذا ما يؤدي إلى أن تصبح الغرائز مصدراً للتهديد بالظهور والإفصاح عن نفسها من وقت إلى آخر[1].

ويسود الاعتقاد لدى العلماء أن تهديد الغرائز بالظهور إلى منطقة الشعور، ومحاولة الطفل إشباعها تعتبر السبب الأساسي لحدوث(القلق)[2] لدى الطفل حيث يُجبر على بذل أقصى الجهد لمنع ظهور تلك الغرائز إلى الشعور، وقد يؤدي

(1) تربية الأطفال والمنحرفين سلوكياً ـ ج 1 ـ ص 243 .بتصرف

(2) القلق ظاهرة لا تقتصر على المرضى النفسيين فقط، بل هو عام في شرائح المجتمع جميعا ، والقلق المستمر الزائد عن الطبيعي يشعر به المريض بصورة مزعجة، لا يستطيع معها التكيف أو القيام بأعماله اليومية أو المشاركة في الحياة الاجتماعية. والقلق النفسي يختلف عن الشعور بالعصبية والقلق الذي يسبق حدوث شيء معلوم، حيث أن القلق النفسي يكون لا سبب له ولا يمكن التحكم في إيقاف الشعور بالقلق. وفي الحالة المرضية يكون القلق أحد أسباب عدم التقدم أو التفكير في حل.

إخفاقه في كبت غرائزه إلى التعرض إلى (القلق الحاد)، وربما إلى (الهلع) لدى البعض الآخر، وقد يتسبب ذلك في حدوث أعراض جانبية أخرى كالمخاوف المرضية، والشكوى من بعض الأشياء البينة، والشكوى من بعض الآلام الجسمية دون سبب عضوي واضح، وقد يوجه الطفل دوافعه العدوانية إلى نفسه، حيث يظهر ذلك في صورة أعراض (الاكتئاب)[1] (والخوف) من الانفصال عن الوالدين، أو من المدرسة، كما يمكن أن يحدث الاكتئاب نتيجة محاولة الطفل التحكم في الغضب، والحزن، لا شعورياً، وذلك بتوجيه تلك المشاعر نحو الذات.

ويرى (أريكسن) أن خبرة الطفل في اكتساب الثقة بدلاً من الشكوك تعد مرحلة مهمة في حياته، والتي سوف يبني بموجبها علاقاته مع الآخرين، ومع العالم من حوله مستقبلاً، فإذا أخفقت تلك الخبرات المبكرة في توفير مشاعر الأمن والارتباط بالآخرين فإنه سوف ينظر للعالم من حوله باعتباره عالماً مخيفاً لا يوفر الأمن الكافي والتقبل به، وهذا يقود بدوره إلى أن يصبح القلق أمرٌ حقيقي في وجوده، وقد يتعرض في المراحل التالية من حياته إلى نتائج مدمرة تسبب له القلق واليأس ... كما تشمل تلك المراحل في نظر (أريكسن) الاستقلال في مقابل الخجل والريبة، والمبادأة مقابل الشعور بالإثم والذنب، والمثابرة مقابل الشعور بالعدوانية والشعور بالهوية مقابل تشويه الهوية.

ويسبب عدم قدرة الطفل على التعامل مع العالم المحيط به بثقة، فإنه يتعرض للشعور المزمن بالقلق، والميول الدفاعية، والانطواء [2] وكل ذلك يؤدي في النهاية إلى نشوء مشكلات نفسية شديدة، وقد تتخذ صور الجبن، والعزلة الاجتماعية والاكتئاب.

---

(1) الاكتئاب هو المرض النفسى الذي يؤثر بطريقة سلبية علي طريقة التفكير والتصرف.

(2) يعرف الشخص الانطوائي بأنه شارد الذهن يعيش في عالم الخيال بعيداً عن الواقع، مشغولاً في أفكاره وفي ذاته، يستمتع عندما يكون وحيداً مع نفسه ويشعر بالقلق عندما يكون بين الناس.

كما أن أساليب التخويف الذي تمارسها الأسرة تجاه الأطفال يمكن أن تتحول إلى محفز أساسي للقلق، ثم أن الخوف يتحول إلى حالة مرضية لدى الطفل من خلال المعايشة والمواجهات الاجتماعية، فعندما يرى الطفل والده يواجه متطلبات الحياة باستمرار بحالة من الخوف أو يتحدث أمامه بأسلوب يعبر عن اليأس والاكتئاب والقلق من المستقبل ،فإنه يمكن أن ينقل تلك المشاعر والأفكار المؤذية لطفله، حيث ينتاب الطفل شعور بأن العالم من حوله مكان مخيف، ويدفعه إلى الانكماش والإنعزال والجبن، والخجل الشديد والتخوف من النقد.

وللوقاية من الخوف الزائد لا بد من مراعاة القواعد العامة والصحيحة في تربية الطفل وخاصة ما يتعلق بتوفير متطلباته وحاجاته الأساسية من محبة وعطف وشعور بالطمأنينة والأمان ومنحه حرية التصرف في بعض شؤونه وتحمله لمسؤوليات تتناسب مع نموه ومراحل تطوره مع عدم إخافته أو حتى الإيحاء إليه بالخوف إلا في بعض الأمور التي يجب تحذيره منها وتنبيهه إليها بعيداً عن الاستهزاء أو التوبيخ أو الفظاظة وبالإقناع بأن الشيء الذي يخافه هو غير مخيف وغير مؤذ ... والخطة العملية والجدية هي أن تعطي الطفل الشعور بالاطمئنان والحماية والاحترام والثقة ونجعله أكثر تعرضاً للشيء الذي يخيفه، فإذا كان يخاف الظلام فإننا نداعبه مرات متعددة بإطفاء النور وإشعاله مع بعض الحركات المرحة.

إن على الآباء والأمهات أن يدركوا أن أبناؤهم يراقبونهم دائماً في كل حركاتهم وتصرفاتهم ويقلدونهم ويتعلمون منهم، ولذلك يتوجب عليهم أن يكونوا قدوة مثالية لأبنائهم ويمدونهم بكل ما هو جيد ومفيد، ويبعدوا عنهم أي شعور بالخوف أو القلق، ويوضحوا لهم أن الحياة شيء جميل ورائع مهما واجه الإنسان من مصاعب، وأن السعادة كل السعادة في أن يواجه الإنسان الصعاب ويتغلب عليها بجده وجهاده، ولا شك في أنه قادر على تحقيق ذلك إنشاء الله تعالى.

المبحث الرابع: العوامل النفسية واضطرابات النمو الشائعة

1ـ مرض التوحد

التوحد هو الانطواء على النفس ورفض التعامل مع الآخرين سواءً أفراد الأسرة أوفي المدرسة أو المجتمع ككل، وهو على حسب قوة الحالة وضعفها، وعادة ما يكون سلوك معتاد عليه، وعلماء النفس يصفونه بأنه (إضطراب إنفعالى، يظهر في سلوكيات الطفل) .. إن معظم الباحثين المهتمين بتشخيص إعاقة التوحد يشيرون إلى تشابه السلوك المرتبط بها مع الإعاقات الأخرى، ويهمنا هنا الإشارة إلى العلاقة بين إعاقة التوحد وكل من الإعاقة العقلية وفصام الطفولة واضطرابات التواصل والاضطرابات السمعية والبصرية[1] ... وكلمة توحد، مترجمة عن اليونانية، والتي تعني، العزلة أو الانعزال، ومرض التوحد عند الأطباء لا يحمل مفهوم الانطوائي بالمصطلح الخاص، وإنما يحمل هذا المفهوم على العام، لأن مفهوم التوحد تعني رفض للتعامل مع الآخرين، وقد يكونون نشيطين مخربين، أو إنطوائيين ساكنين، وأما الإنطوائ فهو يحمل صفة السكون، مما يعني أن كل متوحد إنطوايء وليس كل إنطوايء متوحد بينهما خصوص وعموم.

وسمي التوحد بـ متلازمة ريت [2] باسم مكتشفها الطبيب النمساوي [3] الذي أكتشف وجود حالات تختلف في أعراضها وسماتها عن التوحد ... ويقال التوحد، وطيف التوحد ... ويقال أن طيف التوحد هو ما يسمى أشباه التوحد، وهي حالات الإضطراب العام في التطور، ويقصد به الأطفال الذين تظهر لديهم العديد من المشاكل في أساسيات التطور النفسي في نفس الوقت وبدرجة شديدة، أما التوحد فهو مرض محدد بذاته، وفيه نوع شديد من إضطرابات التطور العامة.

---

(1) التوحد الطفولي – أسبابه – خصائصه–تشخيصه– علاجه:ص50: إعداد: د.سوسن الجلبي: مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع دمشق–سوريا ط .الأولى:2004م.

(2) Rett`s syndrome

(3)Dr. Andreas Rett

التوحد مرض غامض، يتركز على السلوك وطريقة بناء النمو المعرفي واللغوي، إضطراب النفس وأسرارها، وهذه الإضطرابات النفسية قابلة بأن تتطور، وهي تظهر في السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل، وبعض الأطباء يقول بأنها نتيجة خلل وظيفي في المخ والأعصاب ... ويمكن تلخيص الحالة في النقاط التالية:

إضطراب التواصل مع المجتمع لغوياً وغير لغوياً	إضطراب التفاعل الإجتماعي	إضطراب القدرة الإبداعية والقدرة على التخيل

2ـ الأعراض المرضية لتوحد

ومن أهم الأعراض المرضية التي تتواجد في الطفل التوحدي فهي كما يلي:

المثابرة على اللعب وحده وعدم الرغبة في اللعب مع أقرانه.	تجاهل الآخرين حتى يضنون أنه مصاب بالصمم .	الصمت التام أو الصراخ الدائم المستمر بدون مسببات.
صعوبة فهم الإشارة ومشاكل في فهم الأشياء المرئية.	الإنعزال الإجتماعي، فهناك رفض للتفاعل والتعامل مع أسرته والمجتمع.	مشاكل عاطفية، ومشاكل في التعامل مع الآخرين.
الخمول التام أو الحركة المستمرة بدون هدف.	عدم التركيز بالنضر (بالعين) لما حوله.	تأخر الحواس (اللمس، الشم، التذوق).
عدم الإحساس بالحر والبرد.	الضحك من غير سبب.	الخوف وعدم الخوف .
الرتابة، وعدم اللعب الإبتكاري، فلعبه يعتمد على التكرار والرتابة والنمطيه.	مقاومة التغيير، فعند محاولة تغيير اللعب النمطي أو توجيهه فإنه يثور بشدة.	

*****

القسم الثاني

مرحلة المراهقة وخصائصه

مقدمة القسم الثاني

إن مرحلة المراهقة فترة صعبة، ففي فترة المراهقة المبكرة، يشعر فيها المراهق التغيرات الجسدية الطارئة عليه في فترة البلوغ ، ويميل إدراك الذات في هذا العمر للتركيز حول المزايا الخارجية، حول صورة الجسم، ومن الشائع عند صغار المراهقين أن يتفحصوا مظهرهم وأن يشعروا بأن كل شخص آخر ينظر إليهم، ومن الاحتمالات الشائعة وجود نظره خاطئة للبيئة الداخلية والخارجية لدى المراهق.

تعد سن المراهقة عند بعض التربويين من أهم مراحل النمو، لأنها على درجة كبيرة من الأهمية في التكوين الشخصي للفرد، ولكن هذه الفترة تعتمد على ما قبلها من المراحل العمرية من فترات النمو، وتسير مراحل النمو على النحو التالي:

مرحلة ما قبل الحمل وبعد الحمل إلى الميلاد	مرحلة الوليد [1]	مرحلة سن المهد [2]	مرحلة الطفولة المبكرة[3]
مرحلة الطفولة المتأخرة[4]	مرحلة المراهقة المبكرة[5]	مرحلة المراهقة الوسطي[6]	مرحلة المراهقة المتأخرة[7]
مرحلة الرشد المبكر[8]	مرحلة العمر الأوسط[9]	مرحلة الشيخوخة[10]	

(1) من الميلاد حتى نهاية الأسبوع الثاني.

(2) من نهاية الأسبوع الثاني وحتى نهاية السنة الثانية.

(3) من سن سنتين وحتى ست سنوات.

(4) من السادسة وحتى العاشرة أو الأثني عشر.

(5) وتمتد من الحادية عشر أو الثانية عشر إلى سن الرابعة عشر.

(6) وتمتد من الخامسة عشر إلى سن الثامنة عشر.

(7) وتمتد من الثامنة عشر وحتى سن الواحدة والعشرين.

(8) وتمتد من الواحدة والعشرين وحتى سن الأربعين.

(9) وهي من سن الأربعين وحتى سن الستين.

(10) وهي من سن الستين وحتى الوفاة.

كلما كانت المرحلة السابقة أخذت حقها ودورها في النمو، فتصبح ما بعدها أسهل، لأن كل مرحلة من المراحل العمرية تبنا على ما كان قبلها ومقومة لها، فتعتبر المراحل كالأساس والفروع، فمرحلة ما قبل الحمل مثلاً، أساس لفترة الحمل، ومرحلة الحمل أساس لما بعد الولادة، وفترة ما بعد الولادة أساس للمهد وهكذا. كما أن الأساس إذا صلح، صلح معه باقي الفروع، فالنمو مثل الشجرة إذا قومتها وسقيتها من البداية فسوف تقوم وتستقيم وتتعدل، وإذا أهملت من البداية فمن الصعب تعديلها في النهاية، فكذلك الإنسان، فعلى قدر ما تعطى المراحل العمرية من الصغر حقها في النمو تصبح الفترة التي تليها أسهل وهكذا...وكما قال الشاعر:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهلٍ ولـيس ينفع بعد الكبرة الأدب
إنّ الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت ولن تلينَ إذا قوّمتَها الخُشُبُ

إن التنبه للمرحلة العمرية لدى المراهقين ومشكلاتها، تساعد الأهل في تحسين أداء الأبناء في المستقبل من العمر، لأن المراهق في هذه الفترة الحرجة فهو يمر بمرحلة من العمر فيحتاج فيها من يفهمه ويشعر بمتطلباته، المرحلية، ففي هذه الفترة يشعر فيها المراهق، بأنه يمر بحياة جديدة وأن أمراً يحصل في داخله يحتاج إلى تفسير، فهو بحاجة إلى الإجابة على تلك الأسئلة والمتنوعة، ولذلك لابد من التنبه لخطورة هذه المرحلة وأن تتسم هذه الفترة بالمرونة والليونة مع الشباب مع التنبه إلى عدم المواجهة معهم بالقوة.

1ـ تعريف المراهقة والبلوغ

المراهقة: بضم الميم مصدر راهق، مرحلة من العمر يقارب فيها الإنسان البلوغ(1). وكلمة مراهقة يقال للمرأة التي لم تأخذ الحشوة في حيضها، فدمها يسيل على فخذيها، وقال الأزهري: في تهذيب اللغة وأنشد ثعلب قوله:

(1) معجم لغة الفقهاء: ج1ص420.

ألم ترنـــي تركـــت أبـــا يزيـــد وصـــاحبه كمعـــساء الجـــواري
بـــلا خـــبط ولا نبـــك ولـــكن يـــدا بيـــد فهـــا عيشـــي جعـــار

قال هذا رجل طعن رجلا ثم قال تركته كمعساء الجواري يسيل الدم عليه كالمرأة التي لم تأخذ الحشوة في حيضها، فدمها يسيل والمعساء من الجواري المراهقة التي يظن من رآها أنها قد توضأت .. وفي معنى توضأت قال الزَّبيدي [1] في: تاج العروس من جواهر القاموس عن أبي عمرو: وتَوَضَّأَ الغُلامُ والجارِيَةُ: أَدْرَكا أي بلَغَ كلٌّ منهما الاحْتِلامَ ... وقال أبو حاتم: وتَوَضَّأْتُ للصلاةِ وُضُوءاً وتَطَهَّرْتُ طُهُوراً ويقال تَوَضَّأْتُ أَتَوَضَّأُ توضُّؤاً ووُضوءاً من الوَضَاءةِ وهي الحُسْنُ ... وامْرَأَةٌ وَضِيئَةٌ يعني جميلة.

المراهقة في اللغة العربية: هي من كلمة راهق، وتعني الاقتراب من شيء .. أما إذا أطلقة كلمة مراهقة، عند علماء النفس فهي تشير إلى مرحلة إنتقالية من (الهو) كما يقول فرويد إلى مرحلة (الأنا)، أي فهي مرحلة متوسطة، من اقتراب الفرد من النضوج الجسماني، والعقلي، والاجتماعي والنفسي .. ونستطيع القول بأن هذه المرحلة من العمر تسمى بداية الأشد وهي كما سماها الله جل وعلا في كتابه كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [2].

2ـ الحد القانوني المعتبر للبلوغ عند الفقهاء

المراهقة، والبلوغ، هما مصطلحان مترادفان حيث إذا ذكر أحدها لزم منهُ الأخر، بمعنى أن بينهما عموم وخصوص، يعني يقال مثلاً كل مراهق بالغ، وليس كل بالغ مراهق، وهناك من يقول أن البلوغ هو العلامة المتميزة كبداية مرحلة

(1) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، خلف أعمال أدبية كثيرة يقال أن لهُ (106) مؤلف، بين رسالة وكتاب

(2) سورة الأحقاف:آية 15

المراهقة، ومنهم من يقول أن المراهقة أعم فالبلوغ يختص بالنمو الجنسي أو النمو العضوي والجنسي، والمراهقة تشمل ما سوى ذلك .. يعني لأن المراهقة هي عبارة عن تغيرات جسدية وعقليه وعاطفية واجتماعيه. أما البلوغ فهو تغير جسدي يدل على أن الفرد أصبح قادر على النسل فقط.

كما اختلف أهل العلم في الشريعة الإسلامية في حد البلوغ الذي إذا بلغه الصبي يقام عليه الحد الشرعي، وغيرها من التكاليف الأخرى الاجتماعية .. قال الخطابي في معالم السنن:

قال الشافعي: إذا احتلم الغلام أو بلغ خمس عشرة سنة كان حكمه حكم البالغين في إقامة الحدود عليه، وكذلك الجارية إذا بلغت خمس عشرة سنة أو حاضت [1] وأما الإنبات فإنه لا يكون حدا للبلوغ وإنما يفصل به بين أهل الشرك وغيرهم انتهى مختصراً[2].

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.[3] .. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق يرون أن الغلام إذا استكمل خمس عشرة سنة فحكمه حكم الرجال، وإن احتلم قبل خمس عشرة فحكمه حكم الرجال، و قال أحمد وإسحق، البلوغ ثلاثة منازل:

---

(1) دم الحيض هو دم جبلة وطبيعة، يرخيه الرحم بعد البلوغ في أوقات معتادة، وسمي حيضا لأنه يسيل، ويقال: حاض الوادي إذا سال .

(2) عون المعبود: على شرح حديث برقم - 3827 -

(3) أخرجه البخاري 3/ 232(2664) وفي 5/ 137(4097) ومسلم 6/ 29(4870) وفي 6/ 30(4871).

بلوغ خمس عشرة	أو الاحتلام إذا لم يعرف سنه ولا احتلامه	الإنبات، يعني شعر العانة

وذكر ابن عيينة في حديثه، قال نافع فحدثنا به عمر بن عبد العزيز فقال هذا حد ما بين الذرية والمقاتلة ... وقال في شرح السنة العمل على هذا عند أكثر أهل العلم. قالوا: إذا استكمل الغلام أو الجارية خمس عشرة سنة كان بالغا. وبه قال الشافعي وأحمد وغيرهما. وإذا احتلم واحد منهما قبل بلوغه هذا المبلغ بعد استكمال تسع سنين يحكم ببلوغه. وكذلك إذا حاضت الجارية بعد تسع ولا حيض ولا احتلام قبل بلوغ التسع انتهى.

وقال في الهداية: بلوغ الغلام بالاحتلام والإحبال والإنزال إذا وطىء. فإن لم يوجد فحتى يتم له ثمان عشرة سنة ... وبلوغ الجارية بالحيض والاحتلام والحبل، فإن لم يوجد ذلك فحتى يتم لها سبع عشرة سنة. وهذا عند أبي حنيفة رحمه الله ... وقال إذا تم للغلام والجارية خمس عشرة فقد بلغا. وهو رواية عن أبي حنيفة رحمه الله، وهو قول الشافعي انتهى.

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: غسل يوم الجمعة واجب، على كل محتلم [1]. وفي رواية: أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغسل يوم الجمعة، على كل محتلم[2].

---

(1) قال ابن حجر: وقال الداودي فيه دليل على سقوط الجمعة ، عن النساء ، لأن الفروض تجب عليهن في الأكثر بالحيض ، لا بالاحتلام، وتعقب بأن الحيض في حقهن علامة للبلوغ كالاحتلام، وليس الاحتلام مختصا بالرجال، وإنما ذكر في الخبر لكونه الغالب وإلا فقد لا يحتلم الإنسان أصلا ويبلغ بالإنزال أو السن وحكمه حكم المحتلم .(انتهى من فتح الباري لابن حجر).

(2) أخرجه: البخاري 1/ 217(858) و3/ 232(2665) وفي 2/ 3(879) وفي 2/ 6(895) ومسلم 3/ 3(1909).

قال ابن بطال على شرح البخاري: وقد أجمع العلماء على أن الاحتلام في الرجال والحيض في النساء هو البلوغ الذي تلزم به العبادات والحدود والاستئذان وغيره، وأن من بلغ الحلم فأونس منه الرشد جازت شهادته ولزمته الفرائض وأحكام الشريعة، فعلق الغسل بالاحتلام .. بموجب الحديث السابق .

وببلوغ الحلم وإيناس الرشد يجوز دفع ماله إليه؛ لقوله: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[1]وبلوع النكاح هو الاحتلام[2].

واختلفوا فيمن تأخر احتلامه من الرجال أو حيضته من النساء: فروى عن القاسم وسالم أن الإنبات حد البلوغ. وهو قول الليث، وبه قال أحمد وإسحاق. وقال مالك، بالإنبات أو أن يبلغ من السن ما يعلم أن مثله قد بلغ .. قال ابن القاسم: وذلك سبع عشرة أو ثمان عشرة سنة، وفي النساء هذه الأوصاف أو الحبل .. إلا أن مالكا لا يقيم الحد بالإنبات إذا زنى أو سرق ما لم يحتلم، أو يبلغ من السن ما يعلم أن مثله لا يبلغه حتى يحتلم فيكون عليه الحد.

قال ابن المنذر: اختلف العلماء في شهادة الصبي غير البالغ، فقالت طائفة: لا تجوز شهادته ؛ لأنه ليس ممن يرضى، وإنما قال الله: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [3]، روى هذا عن ابن عباس وعن القاسم، وسالم وعطاء، والشعبي والحسن وابن أبى ليلى، وهو قول الثوري والكوفيين، والشافعي وأحمد، وإسحاق وأبى ثور وأبى عبيد.

---

(1) سورة النساء آية: 6

(2) شرح البخاري لابن بطال

(3) سورة البقرة آية: 282

وقالت طائفة: تجوز شهادتهم بعضهم على بعض في الجراح والدم. روى عن على بن أبى طالب وابن الزبير، وشريح وعروة، والنخعى وربيعة، والزهري ومالك.

ويؤخذ بأول قولهم ما لم ينخسوا أو يتفرقوا. قال مالك: فإذا تفرقوا فلا شهادة لهم، إلا أن يكونوا قد أشهدوا العدول قبل أن يتفرقوا. قال أبو الزناد: وهى السنة أن تؤخذ شهادة الصبيان أول ما يسألون عنه ويكون مع الولي كذلك وإن هم أحدثوا ما يخالف شهادتهم الأولى لم يلتفت إليه، ويؤخذ بالأول من شهادتهم، وبذلك كان يقضى عمر بن عبد العزيز(1).

واعلم أن الشافعي وأصحابه قالوا: ويستحب ألا يزوج الأب والجد البكر حتى تبلغ، ويستأذنها لئلا يوقعها في أسر الزوج وهي كارهة، وهذا الذي قالوه لا يخالف حديث عائشة لأن مرادهم أنه لا يزوجها قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فوتها بالتأخير كحديث عائشة، فيستحب تحصيل ذلك الزوج لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها. والله أعلم(2).

*****

(1) شرح البخاري لابن بطال.

(2) شرح النووي على مسلم

الفصل الأول

مظاهر البلوغ الجسدي لدى المراهق

في مقدمة يذكرها أحد الحكماء، ربط النمو بالحركة الكونية، حيثُ يقول: أن دورة القمر، تكتمل في مدة ثمانية وعشرين يوما وشيء تقريباً، فإذا قسمنا هذه المدة أربعة أقسام، يصبح كل قسم منها سبعة، ولهذا السبب قدرا الشهر بالأسابيع الأربعة، ولهذه الأسابيع، تأثيرات عظيمة في اختلاف أحوال هذا العالم.

ويشير هذا الأمر إلى أن الكون منظم في دورته اليومية، ثم الأسبوعية، ثم الشهرية وعلى ذلك، والنمو الإنسان كذلك فهو ينتقل من مرحلة إلى أخرى بطريقة منظمة ومرتبة، بحيث لا تسبق مرحلة أختها في التدرج حتى وهو في بطن أمه، متدرج في التكوين الخلق، ثم مرحلة الطفولة، ثم مرحلة المراهقة، فلا بد بأن تأخذا كل مرحلة حقها في النضج والاكتمال، وإلا يصبح النمو ناقص ومختل المعاير، لأن كل فترة من تلك الفترات تشكل معيار قوة أو ضعف، في الشخصية، وبناءً على ذلك فالانتقال والتدرج، لابد بأن يأخذ مراحله العمرية من النمو حتى يسير النمو في الاتجاه الصحيح.

ولذلك فقد قسمى المحققين من أصحاب التجارب مدة سن النماء والنشوء، إلى أربعة أسابيع، ويحصل للآدمي بحسب انتهاء كل أسبوع من هذه الأسابيع الأربعة نوع من التغير يؤدي إلى كماله ومنها كما يلي:

أ- **عند تمام الأسبوع الأول من العمر**: فتصلب أعضاءه بعض الصلابة، وتقوى أفعاله أيضا بعض القوة، وتتبدل أسنانه الضعيفة الواهية بأسنان قوية وتكون قوة الشهوة في هذا الأسبوع أقوى في الهضم مما كان قبل ذلك.

ب- **نهاية الأسبوع الثاني**: فتقوى الحرارة وتقل الرطوبات وتتسع المجاري وتقوى قوة الهضم وتقوى الأعضاء وتصلب قوة وصلابة كافية ويتولد فيه مادة الزرع، وعند هذا يحكم الشرع عليه بالبلوغ، على قول الشافعي رضي الله

عنه، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه، لأن هـذا الوقـت لما قويـت الحـرارة الغريزية قلت الرطوبات واعتدل الدماغ فتكمل القـوى النفـسانية الـتي هـي الفكر والذكر، فلا جرم يحكم عليه بكمال العقل، فلا جرم حكمت الـشريعة بالبلوغ وتوجه التكاليف الشرعية فما أحسن قول من ضبط البلوغ الـشرعي بخمس عشرة سنة.

ويتفرع على حصول هذه الحالة أحوال في ظاهر البدن منها:

1- انفـراق طـرف الأرنبـة لأن الرطوبـة الغريزيـة الـتي هنـاك تنـتقص فيظهـر الانفراق.

2- نتوء الحنجرة وغلظ الصوت لأن الحرارة التي تنهض في ذلك الوقـت توسـع الحنجرة فتنتوء ويغلظ الصوت.

3- تغير ريح الإبط وهي الفضلة العفينة الـتي يـدفعها القلـب إلى ذلـك الموضـع وذلك لأن القلب لما قويـت حرارتـه، لا جـرم قويـت علـى إنـضاج المـادة، ودفعها إلى اللحم الغددي الرخو الذي في الإبط.

4- نبات الشعر وحصول الاحتلام، وكل ذلك لأن الحرارة قويت فقدرت علـى توليد الأبخرة المولدة للشعر وعلى توليد مادة الزرع، وفي هذا الوقت تتحـرك الشهوة في الصبايا وينهد ثديهن وينزل حيضهن وكل ذلك بسبب أن الحـرارة الغريزية التي فيهن قويت في آخر هذا الأسبوع.

ج- **أما في الأسبوع الثالث**: فيدخل في حد الكمال وينبت للذكر اللحيـة ويـزداد حسنه وكماله.

د- **وأما في الأسبوع الرابع**: فلا تزال هذه الأحوال فيه متكاملـة متزايـدة، وعنـد انتهاء الأسبوع الرابع نهاية أن لا يظهر الازدياد.

لمحة عن النمو الفيزيولوجي لدى المراهق

إن وتيرة النمو في جسم الإنسان تختلف من مرحلة لأخرى لدى الفرد، ولذلك أستنبط المحققين ثلاثة مراتب من النمو في جسم الإنسان، وذلك أن بدن الحيوان لا يتكون إلا برطوبة غريزية، وحرارة غريزية، ولا شك أن الرطوبة الغريزية غالبة في أول العمر وناقصة في آخر العمر، والانتقال من الزيادة إلى النقصان لا يعقل حصوله إلا إذا حصل الاستواء في وسط هاتين المدتين، فثبت أن مدة العمر منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الأعضاء قابلة للتمدد في ذواتها وللزيادة بحسب الطول، والعرض، والعمق وهذا هو سن النشوء والنماء.

وفي هذه الفترة يبدأ البلوغ عند أكثر الإناث بنمو الثديين، و قد يلاحظ عند بدء البلوغ أن أحد أو كلا الثديين أصبح على شكل كتلة قاسية تحت حلمة الثدي، و تأخذ هذه الكتلة بالنمو خلال السنوات القادمة، لتأخذ شكل الثدي الناضج، و قد تكون هذه الكتلة مؤلمة قليلاً في بداية ظهورها. ويعتبر البلوغ بالنسبة للأنثى مرحلة انتقالية للجسم من جسم الطفلة إلى جسم المرأة البالغة، و يختلف العمر الذي يحدث فيه البلوغ عند الإناث من بلد لآخر، و عادة يحدث البلوغ في الفترة ما بين عمر 9 إلى 13 سنة بشكل وسطي، و هو عمر أصغر من العمر الذي يبلغ فيه الذكور و لذلك قد يلاحظ أن البنات يبدون أطول وأنضج من الذكور في تلك الفترة ... وفي فترة البلوغ تتغير المشاعر أيضاً، و قد تتغير نظرتك و شعورك تجاه نفسك و تجاه أسرتك و أصدقاؤك و عالمك كله!! و قد تشعر أن كل شيء قد تغير! و خلال مرحلة البلوغ سيكون عليك اتخاذ قرارات مهمة في حياتك، و تحمل مسؤولية واحدة أو أكثر و ستصبح أكثر استقلالية.

والقسم الثاني: وهي المرتبة المتوسطة أن تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان، وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب.

والقسم الثالث: وهي المرتبة الأخيرة أن تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية .. ثم هذا النقصان على قسمين:

الأول: هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة	**والثاني: هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة. فهذا ضبط معلوم .**

مشكلة البدانة لدى المراهقين

في الوقت الذي ينشغل فيه العالم حول سوء التغذية في الدول الفقيرة، فقد ظهرت مشكلة في الدول الغنية وذلك بسبب زيادة في وزن الجسم، كما أن نسبة البدانة في العالم تزداد بشكل كبير وفي جميع بلدان العالم، لقد تم دراسة تأثير الوراثة على البدانة، وقد لوحظ أن العوامل الوراثية أكثر شيوعاً عند زيادة التأهب لحدوث البدانة، ومن خلال ذلك يفترض أن في جسم الإنسان موروثات مسؤولة عن توازن الوزن واستقراره في الجسم، ولعل بعض هذه الموروثات يكون مسؤولاً عن منع حدوث البدانة، وبعضها الآخر مسؤولاً عن حدوث البدانة.

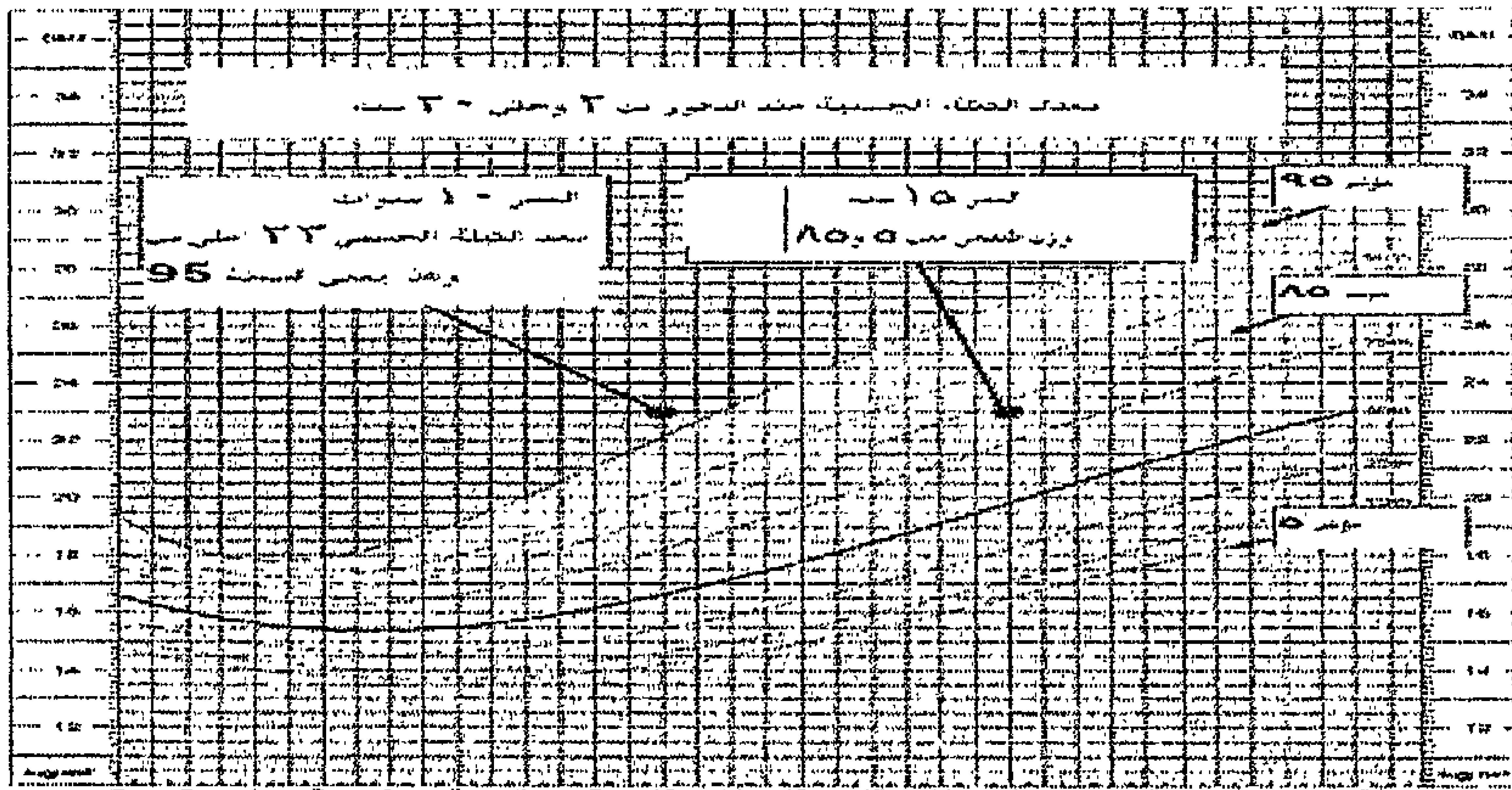
كما تعد البدانة من أكثر مشاكل التغذية انتشاراً في العالم في وقتنا الحالي، فهي لها تأثيراتها السيئة على الوضع الصحي والنفسي لدى الشخص البدين، ولذلك أصبحت البدانة مجالاً للبحث الطبي، كما أن هناك كثيراً من النظريات حول جذور الأسباب المؤدية للبدانة، والتي تؤخذ من جمع المعلومات من أصحاب العلاقة ومن الأبحاث والدراسات الطبية والتوصيات الدولية.

وكل نظرية تبقى قاصرة إلى حداً ما في شرح الطيف الواسع للمرض وأسباب صعوبة المعالجة ... وعلى الرغم من أن الطبيب والمريض على حدا سواء يعتقدان أن البدانة هي مشكلة طبية كبيرة، فإن العلاج الطويل الأمد يحقق نسبياً من النجاح وذلك لأسباب كثيرة تحتاج إلى بحث وتفصيل.

تعرف البدانة بشكل عام بأنها زيادة الوزن فوق الحد الطبيعي، وهـو تعريـف منطقي ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ماهو الحد الطبيعي للبدانة؟

ولهذا لم يعد هذا التعريف دقيقاً لأن أي تعريف للبدانة لايكون مفيـداً إلا إذا اقترن بالمشاكل الطبية الناجمة عن المـرض لأن معظـم الاختلاطـات الطبيـة والآثـار السيئة الناجمة عن البدانة تنجم عن تراكم دهون الجسم وليست بسبب زيادة الكتلـة العضلية فيه، فـإذا كانـت زيـادة الـوزن علـى حـساب الكتلـة العـضلية كمـا عنـد الرياضيين فإن ذلك لا يعد بدانة[1].

لأن قياس البدانة إنما هو محاولة لتقدير العنصر الدهني في الجسم وحتـى الآن ليس هناك طريقة عملية دقيقة لقياس دهون الجسم، ولذلك فمعظـم الطـرق حالياً تعتمد على وزن الجسم لتقدير هذه الكتلة الدهنيـة علـى حـسب الطـول والعـرض بنسبة للجسم ... وبالتالي فلا بد من ربـط الطـول والعمـر بـالوزن كمـا تم إجـراء مخططات نمو خاصة حسب العمر والجنس كما في الشكل التالي:



(1) البدانة عند الأطفال والمراهقين الأسباب والمشاكل والوقاية والعلاج .. ص13 لدكتور ماهر وليـد عبـاس – أخـصائي بـأمراض الأطفـال – دار القـدس للعلـوم دمـشق الطبعـة الأولى 2007م .

كما تقوم هذه المخططات بإعطاء دلائل عامة لقياس مشعر كتلة الجسم خلال مرحلة الطفولة والمراهقة كما يتم تغير هذا المشعر مع تقدم السن، وبالتالي معرفة فيما إذا كان الشخص ضمن الحدود الطبيعية أم أنه يقترب من الحدود الخطرة للبدانة أم أنه في مرحلة متقدمة من البدانة(1).

وأمام هذه الأمور المتداخلة فإن على طبيب الأطفال أن يأخذ دوره من خلال عدة إجراءات هامة وهي:

1- المعرفة والفهم لكل ماهو هام في هذا الموضوع من أسباب البدانة ونتائجها واختلاطاتها.

2- وضع خطة واضحة للوقاية من البدانة وتحديد الأطفال الذين هم على خطورة لحدوث البدانة وإعطائهم الإرشادات اللازمة للوقاية من حدوثها.

3- التنبيه على المشاكل الطبية والنفسية الناجمة عن البدانة وعلاجها بشكل مناسب.

4- الإسهام في التعليم والحث على تغيير العادات والثقافات التي تساعد على نشوء البدانة.

5- المساعدة في علاج حالات البدانة وتدبيرها.

النمو السيكولوجي لدى المراهق

السيكولوجية ،تعني التعلّم والتفكير، وما يدخل في محتوى السلوك، الذي يتمثل في الرغبات التي تحاول التعبير عن نفسها بطريقة عقلية، وتعد المراهقة من أصعب المراحل التي يمر بها الإنسان في فترة حياته العمرية، وهذه المرحلة من العمر يسميها فرويد مرحلة إنتقالية من (الهو) إلى مرحلة (الأنا)، ومن خلال تلك الرحلة العمرية تبدءا التغيرات والتي تتميز، بالتجدد المستمر، وذلك في مظاهر النمو المختلفة:

فسيولوجياً	وعقلياً	وجسمياً	وانفعالياً	واجتماعياً

(1) المصدر السابق. ص15.

والمراهقة هي مرحلة مختلفة تماماً عن مراحل النمو السابقة، وهي مرحلة إنتقالية من الطفولة إلى سن الرشد، يتزايد فيها الجسم نمواً وتغيراً في الطول والعرض، عند البنات والأولاد، فمرحلة المراهقة هي بداية للإستقلالية وصناعة الذات، وهي مرحلة فطرية ولذلك فلابد من أن تأخذا حقها في النمو والتكامل، وإن معرفتنا وفهمنا لخطورة هذه المرحلة وإعطائها علاجها المناسب فسوف يساهم في توجيه تلك الطاقة إلى، الوجهة السليمة، وسوف تساهم أيضاً، في إيجاد حلول مناسبة لوضع العلاج المناسب لكل مرحلة من مراحل فترة المراهقة المبكرة والمتأخرة على حداً سواء، وكذلك سوف تساهم في المحافظة على الطاقة البشرية الموجودة لدى الأبناء، بحيث يتم استهلاكها الاستهلاك الجيد والمفيد.

وتتميز فترة المراهقة في نظرية بياجه بالانتقال من التفكير العملي المميز لأطفال سن المدرسة، إلى العمليات المنطقية المنهجية، وتتضمن القدرة على التعامل مع الأفكار المجردة مثل التعابير الجبرية، وبشكل عام يتوافق تطور التفكير الأخلاقي تقريباً مع التطور المعرفي العام، حيث أن معظم الأطفال قبل سن المراهقة ينظرون للصحيح، والخطأ على أنه قطعي لا نقاش فيه، وإن التفكير العملي مع القدرة على اتخاذه قد يؤدي بالطفل إلى فعله، مثل القيام بممارسة خاطئة دون رادع قانوني. وقد يكون بعض صغار المراهقين قادرين على تطبيق التفكير الخاطئ في الأعمال المدرسية ولكنهم لا يستطيعون ذلك في المعضلات الشخصية.

و يتضح التفكير التطبيقي مبكراً، عند بعض المراهقين، فيما يكتسب آخرون هذه القدرة لاحقاً، في حين لا يكتسبها بعضهم نهائياً. و يقول بعض الباحثين بأن الانتقال من العمليات الواقعية (الملموسة) إلى العمليات المنطقية المنهجية (المجردة) والخبرة مع كفاءة هذه المعرفة أكثر مما يتبع إعادة تنظيم نوعي في التفكير، ومما يوافق هذه الفكرة المعلومات التي تبدي ارتفاعاً ثابتاً في سرعة المسيرة المعرفية من أواخر الطفولة ومروراً بأوائل فترة المراهقة.

جدول لبيان أهم القضايا الرئيسية في المراهقة المبكرة والمتوسطة والمتأخرة:

المراهقة المبكرة	المراهقة المتوسطة	المراهقة المتأخرة
من 10-13 سنة	من 14- 16 سنة	17-20وما بعد
التغيرات الجسدية	التغيرات الجسدية	التغيرات الجسدية
صفات جنسية ثانوية، تبدأ بنمو سريع غير متناسب	يبلغ النمو الطولي ذروته، بتغير شكل وتكوين الجسم، ومنها بدء الحيض أو الاحتلام	نمو غير سريع
التغيرات الجنسية	التغيرات الجنسية	التغيرات الجنسية
يتفوق الاهتمام الجنسي عادة على الفعالية الجنسية	يجيش الدافع الجنسي، والتجريب والأسئلة حول التوجه الجنسي	تعزيز الهوية الجنسية
معرفياً وأخلاقياً	معرفياً وأخلاقياً	معرفياً وأخلاقياً
العمليات المنطقية، الأخلاقيات التقليدية	ظهور التفكير المجرد، والتمحور حول الذات	المثالية، والقطعية (الحتمية)
مفهوم الذات	مفهوم الذات	مفهوم الذات
الانشغال بتغيرات الجسم، الشعور بالذات	الاهتمام بالجاذبية، ازدياد الاهتمام بالآراء الذاتية	تصور ثابت نسبياً عن الجسم
العائلة	العائلة	العائلة
يسعى لزيادة الاستقلالية، والتناقض الوجداني	استمرار الصراع للحصول على القبول بالاستقلالية ذاتية	استقلال عملي، ولكن تبقى العائلة القاعدة الآمنة
الأقران	الأقران	الأقران
مجموعات من نفس الجنس، والتجمع في عصابة، الانسجام	مواعيد، نقص أهمية مجموعة الأقران	صداقات حميمة
العلاقة مع المجتمع	العلاقة مع المجتمع	العلاقة مع المجتمع
تتوافق مع ما بعدها من بداية المرحلة المتوسطة	يقدر مدى مهارته وفرصه	قرارات مسيرته (مثلاً ترك العمل، الكلية)

*****

الفصل الثاني
المشكلات الفكرية لدى المراهقين

إن أحلام اليقظة هو استغراق في التأمل تشبع في الحالم، عادة بعض الرغبات المكبوتة أو اللاواعية غير المتحققة في تجربة الحالم اليومية ... وهي عبارة عن تدفق الأفكار أو المعاني أو الكلمات على نحو متحرر من أيما قيد، وهي ظاهرة عقلية غريزة فطرية في الإنسان، فالأحلام هي سلسلة من الصور أو الأفكار أو الانفعالات التي تتمثل لعقل المرء أثناء النوم ...وهي عبارة عن (مسرحيات) عقلية تصور جانبا من حياة النائم غير الواعية.

وأما الخيال فهو عنصر أساسي من عناصر الأدب بعامة، والشعر بخاصة ... وهو يلعب دورا أساسياً في مجال العلم والاختراع: وهو إبداع (أو القدرة على إبداع) الصور الذهنية عن أشياء غير ماثلة أمام الحواس أو عن أشياء لم تشاهد من قبل في عالم الحقيقة والواقع. إن معظم الكشوف العلمية، والمخترعات التقنية تمثلت لأصحابها من طريق الخيال قبل أن تتخذ سبيلها الطويل إلى التنظير العلمي أو التحقيق العملي.

كما يستطيع الشخص عبر تخيلاته القفز فوق حواجز الزمان والمكان، وبلوغ ما تعجز عنه قواه الخاصة وتجاوز حدود قبضته، كما يمكن للإنسان بأن يتجاوز مخاوف حياته اليومية وأن يحقق مطامحه وأن يستضيء بنور الأمل وذلك عبر التخيل أو الحلم ... كما يعتبر تسجيل هذه الأفكار أو المعاني أو الكلمات ودراستها إحدى الدعامتين الأساسيتين اللتين يقوم عليهما التحليل النفسي. أما الدعامة الأساسية الأخرى فهي دراسة الأحلام وتأويلها.

فالتخيلات والأحلام ليست وسيلة هروب من الواقع المؤلم فحسب كما يفهمه الكثير على هذا النحو، بل هي وسيلة من الوسائل التي قد تؤدي إلى العديد من الوظائف التي تفيد في تسيير حياة المتخيل لمجابهة المشكلات المرتبطة بحياته، وتبعاً

لذلك يرسم المتخيل سلسة طويلة من التوقعات والآمال والمطامح التي يحتضنها الشخص لمستقبل حياته[1].

كما تحقق أكثر وظائف التخيل نفعاً للشخص وذلك في إطار مساعدة الشخص على أن يرى الماضي والحاضر في إطار المستقبل، والشخص الذي لا يربط ماضيه بالحاضر والمستقبل قد يتعرض إلى السقوط في عملية تخيلية مستقبلية، دون أن تتعرض إلى تجارب مرتبطة بالماضي والحاضر، ولا شك أن التخيل فعل من أنواع المحاولة والخطأ، وأن الشخص ميال بطبعه وذلك بسبب دوره النمائي لأن يلاحظ نتائج فعله في مجاله الحيوي، وذلك يساعده على أن يكتشف الخطأ ويصححه، ولكن هذا لا يعني بأن لا يكون للشخص أي معرفة أو تجربة سابقه من غيره يستفيد منها.

فالإنسان الذي يتحرك باتجاه بناء شخصيته المستقلة، تعترضه مصاعب وعراقيل عدة، ولا يمكن بأن يتجاوزها إلا باكتمال الصورة الذهنية والواقعية لديه، ولأجل أن يتعامل مع كل ما يعترضه من عراقيل قد تؤدي به إلى فقد مستقبله، أو قد يقع فريسة للتخيلات والأحلام المضللة، فالتخيلات والأحلام تعد استمراراً طبيعياً لحياة الإنسان، إلا أن الحياة الخيالية تتسم بالغنى والتنوع والغموض، ونادراً ماتسمح للملاحظ الخارجي بمراقبتها وكشفها أو التفريق بين ما هو خيال وما هو واقعي، كما أن الخيال هو وسيلة من الوسائل المسلية للإنسان، لأجل الهروب من واقع يتسم بالخوف والمعانة والألم، والصراع بين الرغبة النفسية والعائق لها، إلى الهروب إلى عالم الأحلام بالأماني والأمل لأجل رسم مستقبل مليء بالتفاؤل والطموح.

ولذلك ينبغي علينا أن نربط بين أحلامنا بالمستقبل مع حاضرنا، وذلك لأجل التوافيق بين الواقعَ وصورته الذهنية التي هي في مخطط عقولنا، حتى

(1) شخصية المراهق المشكلات والحلول: ص 60: تأليف أنس شكشك الناشر شعاع للنشر والعلوم سورية حلب: الطبعة الأولى 2010م.

لا يصبح هناك تعارض بين الخيال والواقع، إن التخيل والأحلام، هي فعل من الأفعال الخفية والمعنوية، تدفع فيها النفس إلى إظهار ما تخفيه، من صواب أو خطأ ... إن الحلم ظاهرة عقلية توجد في جميع الأفراد، إلا أنها تختلف تلك الأحلام بين شخص وأخر وبين مرحلة عمرية وأخر، وبين وقت وأخر، وكذلك أحلام اليقظة، تختلف عن أحلام النوم وهكذا.

كما يعتبر أحلام اليقظة وسيلة من وسائل التنفيس عن الآمال ومشروعاته المستقبلية، وفي المقابل يعد البعض أن أحلام النوم هو التنفس والتخلص من الانفعالات والتعب التي توجه الفرد في يقظته ... وهذا الأمر يختلف بين شخص وأخر لأن الأحلام في النوم تعكس عن هوية صاحبها وهي تشكل جزاء لا يتجزءا من كيانه الشخصي وتجربته الانفعالية، وتبعاً لذلك فإن الأحلام وبما تنطوي عليه من رغبات وبما تتضمنه من صور وحوادث تعد استمراراً طبيعياً لحياة الفرد والواقعي ومعاناته ...وقد عني الناس، منذ القدم، بتأويل الأحلام .. ولكن دراسة الأحلام في العلوم النفسية الحديثة لم تبدأ إلا في مطلع القرن العشرين بعد أن أصدر فرويد كتابه (تأويل الأحلام) [1] (عام 1899 م) وقد ذهب فيه إلى القول بأن الحلم ينبع من اللاوعي أو ما دون الوعي وأنه عبارة عن رغبة مكبوتة تشبع من طريق الرؤيا ... كما أن الصعوبة في تأويل الأحلام إنما ترجع إلى أن هذه الرغبة المكبوتة تتبدى على شكل مقنع، ومن هنا وضعت مجموعة من الرموز التي تعتبر (مفاتيح) يستعان بها على فهم الحلم.

أما ألفرد أدلر [2] فذهب إلى أن للحلم (وظيفة توقعية) بمعنى أن الحالم يتوقع أن يواجه مشكلة ما عما قريب، فهو يستعد لهذه المواجهة من طريق الحلم.

---

(1)The Interpretation of Dreams

(2) صاحب علم النفس الفردي وهو مذهب ألفرد أدلر. وهو القائل بأن فكر الإنسان وسلوكه محكومان، لا بالغرائز الوراثية كما زعم فرويد، بل بدوافع اجتماعية مختلفة، وأن الدافع البشري المهيمن هو كفاح الفرد من أجل التفوق والسيطرة، تعويضا عن شعوره بالدونية

وأما يونغ فاعتبر الحلم عملية آلية تقوم على نشاطات اللاوعي المستقلة... وأما ما كان من الظاهر، فيظن الناس أن به اليقظة، وأن اليقظة أولى بالمعرفة، مع أنه لا يبصر في اليقظة شيء من عالم الغيب وما يبصر بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يبصر من طريق الحواس.

فالواقع أن الناس جميعا يحلمون أحلامهم بيد أن كثيرا منهم يعجزون عن تذكر هذه الأحلام عند اليقظة. كما أن مثيرات الأحلام بعضها سيكولوجي وبعضها فيسيولوجي.

فأما المثيرات السيكولوجية: فتتمثل في الرغبات الدفينة التي تحاول التعبير عن نفسها خلال النوم.

وأما المثيرات الفيسيولوجية: فتنشأ عن أوضاع كثيرة نذكر منها، على سبيل المثال، تناول المرء قبيل الرقاد عشاء ثقيلا يعجز جهازه الهضمي عن تمثله.

1ـ الأحلام والرؤى في النوم في المفهوم الشرعي

يعد الإسلام الرؤية بأنه جزء من النبوة، مما يعني بأن الرائي قد يوحى إليه في المنام، بأمور قد تقع له على وجه الحقيقة مثل فلق الصبح، كما عد الإسلام الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة .. وقد جاء بذلك الروايات الصحيحة: عن عروة بن الزبير؛ أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته؛ أنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله في من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم.

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، يتحنث فيه **(وهو التعبد الليالي أولات العدد)** قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذالك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها. حتى فجئه الحق وهو في

أو النقص. ويقول بأن للإنسان (نفسا مبدعة) تبلور أسلوب حياته وتوجهه نحو هدف في الحياة لا يكاد يعيه

غار حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قال: قلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني. فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة .. فقال: زملوني. زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة، مالي؟ واخبرها الخبر. قال: لقد خشيت على نفسي. قالت له خديجة: كلا، ابشر فو الله لا يخزيك الله أبدا ... والله إنك تصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها. وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له خديجة: أي عم اسمع من ابن أخيك. قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رآه.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي انزل على موسى صلى الله عليه وسلم، ياليتني فيها جذعا، ياليتني أكون حيا حين يخرجك قومك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا[1].

---

(1) أخرجه البخاري 1/ 3 و6/ 214 و215 و9/ 37 ومسلم 1/ 97 و98 والترمذي 3632 وهذه اللفظ من رواية يونس، عند مسلم 1/ 97.

المبشرات في الرؤية ودورها في التنمية الاجتماعية

فالتخيلات الجيدة وأحلام النوم أو اليقظة تعتبر من باب من أبواب العلم والمعرفة، كما يقول بذلك أبو حامد الغزالي، أن لنفس بابين للعلوم وهي:

عالم الأحلام	وعالم اليقظة

وهو الباب الظاهر إلى الخارج، فإن نام غلق باب الحواس، فيفتح له باب الباطن ويكشف له غيب من عالم الملكوت، ومن اللوح المحفوظ؛ فيكون مثل الضوء، وربما احتاج كشفه إلى شيء من تعبير الأحلام ... ومن الناس من يزعم أنه (لا يرى في المنام أحلاما).

وعن ابن عباس قال: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم[1] .. وفي الحديث الأخر: لا نبوة بعدى إلا المبشرات، قال قيل وما المبشرات يا رسول الله، قال الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة[2]. وفي الحديث الأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات[3].

(1) أخرجه (مسلم) 2/ 48(1007) وفي 2/ 48 (1008) وأبو داود 876 و(ابن ماجة) 3899.

(2) أخرجه أحمد 5/ 454(24205)

(3) أخرجه الحميدي (348). وابن ماجة 3896. عن أم كرز الكعبية. قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :فذكر الحديث:

انقطاع النبوة والرسالة إلا جزء منها

وفي لفظ أخر: إن النبوة والرسالة قد انقطعت، فجزع الناس، قال: قد بقيت مبشرات، وهي جزء من النبوة[1] .. وفي حديثاً أخر: لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة[2] .. وعن عائشة. أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يبقى بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات. قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له[3].

قال المهلب ما حاصله: التعبير بالمبشرات خرج للأغلب، فإن من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمؤمن رفقاً به ليستعد لما يقع قبل وقوعه.

وقال ابن التين: معنى الحديث أن الوحي ينقطع بموتي ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا، ويرد عليه الإلهام فإن فيه إخبارا بما سيكون، وهو للأنبياء بالنسبة للوحي كالرؤيا، ويقع لغير الأنبياء كما في الحديث الماضي في مناقب عمر " قد كان فيمن مضى من الأمم محدثون " وفسر المحدث بفتح الدال بالملهم بالفتح أيضا، وقد أخبر كثير من الأولياء عن أمور مغيبة فكانت كما أخبروا، والجواب أن الحصر في المنام لكونه يشمل آحاد المؤمنين بخلاف الإلهام فإنه مختص بالبعض، ومع كونه مختصا فإنه نادر، فإنما ذكر المنام لشموله وكثرة وقوعه، ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " فإن يكن " وكان السر في ندور الإلهام في زمنه وكثرته من بعده غلبة الوحي إليه صلى الله عليه وسلم في اليقظة وإرادة إظهار المعجزات منه، فكان المناسب أن لا يقع لغيره منه في زمانه شيء، فلما انقطع الوحي بموته وقع الإلهام لمن اختصه الله به للأمن من اللبس في ذلك، وفي إنكار وقوع ذلك مع كثرته واشتهاره مكابرة ممن أنكره .

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة 11/ 53(20448) و(أبو يعلى) 3947 وأحمد 3/ 267(13860) والترمذي 2272 عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ثم ذكر الحديث.

(2) أخرجه البخاري (6990)

(3) أخرجه أحمد 6/ 129

الرؤيا جزء من النبوة

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، قال: وقال: الرؤيا ثلاثة:

فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، عز وجل	والرؤيا تحزينا من الشيطان	والرؤيا من الشيء يحدث به الإنسان نفسه

فإذا رأى أحدكم ما يكره فلا يحدثه أحدا، وليقم فليصل، قال: وأحب القيد في النوم، وأكره الغل، القيد: ثبات في الدين ... وفي رواية: الرؤيا ثلاث:

فرؤيا حق	ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه	ورؤيا تحزين من الشيطان

فمن رأى ما يكره فليقم فليصل، وكان يقول: يعجبني القيد، وأكره الغل، القيد: ثبات في الدين، وكان يقول: من رآني فإني أنا هو، فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي، وكان يقول: لا تقص الرؤيا إلا على عالم، أو ناصح ... وفي رواية: الرؤيا الصالحة بشارة من الله، والتحزين من الشيطان، ومن الرؤيا يحدث به الرجل نفسه، فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليقم فليصل، وأكره الغل في النوم، ويعجبني القيد، فإن القيد ثبات في الدين ... وفي رواية: إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا، والرؤيا جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة(1).

قال أبو هريرة: أحب القيد في النوم، وأكره الغل، القيد في النوم: ثبات في الدين. وقال أبو هريرة: اللبن في المنام الفطرة. موقوف.

(1) أخرجه البخاري 7017 ومسلم 5967 والترمذي 2270.

2ـ الوهم والوسواس القهري ومدى تأثيره على النمو

وفي مقابل التخيلات والأحلام، هو الوهم، كما يؤدي هذا بدوره إلى أمراض نفسية ومن أخطر تلك الأمراض والتي منشأها الوهم هو الوسواس القهري، فالوهم هو اعتقاد غير متفق مع الوقائع، وقد ينشأ عن إجهاد أو تعب شديد، والوهم لا يعدو أن يكون إحساساً أسيء تفسيره، كأن يحسب المتوهم التمثال بأنهُ حقيقة حية تتحرك وتتحدث أمامه وكأنها حقيقة. وفي الغالب أن المرء الذي يقع ضحية الوهم على نحو موصول قد يكون عليل العقل.

إن تمكّن الشيطان من بيت أفكارك وإراداتك، فانه يفسدها عليك فسادا يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرّة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعنته على نفسك، بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك ... فمثلك معه مثال صاحب رحى يطحن فيها جيّد الحبوب، فأتاه شخص معه حمل تراب وبعر فحم وغثاء ليطحنه في طاحونه، فان طرده ولم يمكنه من إلقاء ما معه في الطاحون استمر على طحن ما ينفعه، وان مكّنه من إلقاء ذلك في الطاحون أفسد ما فيها من الحب وخرج الطحين كله فاسدا ... والذي يلقيه الشيطان في النفس لا يخرج عن الفكر فيما كان ودخل في الوجود لو كان على خلاف ذلك، وفيما لم يكن لو كان كيف كان يكون ... أو فيما يملك الفكر فيه من أنواع الفواحش والحرام، أو في خيالات وهمية لا حقيقة لها، أو في باطل، أو فيما لا سبيل إلى إدراكه من أنواع ما طوي عنه علمه، فيلقيه في تلك الخواطر التي لا يبلغ منها غاية، ولا يقف منها على نهاية، فيجعل ذلك مجال فكره ومسرح همّه.

ويقول ابن القيم رحمه الله [1]: خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولا بد لها من شيء تطحنه، فان وضع فيها حب طحنته، وان وضع فيها تراب أو حصى طحنته. فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لا بد من شيء يوضع فيها ... فمن الناس من تطحن رحاه حبا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره. وأكثرهم يطحن رملا وحصى وتبنا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت تاعجن والخبز تبيّن له حقيقة طحينة. فإذا دفعت الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما بعده، وان قبلته صار فكرا جوّالا، فاستخدم الإرادة فتساعد هي والفكر على استخدام الجوارح، فأن تعذّر استخدامها رجعا إلى القلب بالتمني والشهوة، وتوجههو إلى جهة المراد.

- **ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار.**
- **وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات.**
- **وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل.**
- **وتداركه أسهل من قطع العوائد.**

---

(1) ابن قيم الجوزية أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية. (ولد في اليوم السابع من شهر صفر لعام 691هـالثاني من شهر فبراير 1292م. وقيل أنه ولد في ازرع جنوب سوريا وقيل في دمشق). كما أشتهر بإبن قيم الجوزية. وقيم الجوزية هو والده فقد كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن، وأشتهر بذلك اللقب ذريته وحفدتهم من بعد ذلك، وقد شاركه بعض أهل العلم بهذه التسمية. وتقع هذه المدرسة بالبزورية المسمى قديما سوق القمح أو سوق البزورية (أحد اسواق دمشق)، وبقي منها الآن بقية ثم صارت محكمة إلى سنة 1372هـ1952م.

الخواطر والأفكار وما ينتج عنها وهي مبدأ كل علم نظري واختياري وذلك بما ينتج عنها أنها:

- **توجب التصورات.**
- **والتصورات تدعو إلى الإرادات.**
- **والإرادات تقتضي وقوع الفعل.**
- **وكثرة تكراره تعطي العادة.**

فصلاح هذه المراتب في نظر ابن القيم هي: بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها. فإن صلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها وإلهها صاعدة إليه، دائرة على مرضاته ومحابه، فانه سبحانه به كل صلاح، ومن عنده كل هدى، ومن توفيقه كل رشد، ومن تولّيه وإعراضه عنه كل ضلال وشقاء.

فيظفر العبد بكل خير وهدى ورشد، بقدر إثبات عين فكرته في آلائه ونعمه وتوحيده، وطرق معرفته، وطرق عبوديته، وإنزاله إياه حاضرا معه، مشاهدا له، ناظرا إليه، رقيبا عليه، مطّلعا على خواطره وإرادته وهمّه فحينئذ يستحيي منه، ويجله أن يطلعه منه على عورة يكره أن يطلع عليها مخلوق مثله، أو يرى في نفسه خاطرا يمقته عليه. فمتى أنزل ربه هذه المنزلة منه رفعه وقرّبه منه، وأكرمه واجتباه ووالاه، وبقدر ذلك يبعد عنه الأوساخ والدناءات والخواطر الرديئة والأفكار الدنيئة. كما أنه كلما بعد منه وأعرض عنه قرب من الأوساخ والدناءات والأقذار، ويقطع عنه جميع الكمالات ويتصل بجميع النقائص. فالإنسان خير المخلوقات، إذا تقرّب من بارئه، والتزم أوامره ونواهيه، وعمل بمرضاته وآثره على هواه ... وشرّ المخلوقات إذا تباعد عنه ولم يتحرك قلبه لقربه وطاعته وابتغاء مرضاته ... فمتى اختار التقرّب إليه، وآثره على نفسه وهواه، فقد حكّم قلبه وعقله وإيمانه على نفسه وشيطانه، وحكّم رشده على غيّه، وهداه على هواه. ومتى اختار التباعد

منه فقد حكم نفسه وهواه وشيطانه على عقله وقلبه ورشده ... وبالجملة، فالقلب لا يخلو قط من الفكر وذلك:

- **إما في واجب آخرته ومصالحها.**
- **وإما في مصالح دنياه ومعاشه.**
- **وإما في الوساوس والأماني الباطلة والمقدرات المفروضة.**

وقد تقدم أن النفس مثلها كمثل رحى تدور بما يلقى فيها، فان ألقيت فيها حبا دارت به، وان ألقيت فيها حصى وزجاجا وبعرا دارت به. والله سبحانه هو قيّم تلك الرحى ومالكها ومصرّفها وقد أقام لها:

- **ملكا يلقي فيها ما ينفعها فتدور به**
- **وشيطانا يلقي فيها ما يضر فتدور به**
- **فالملك يلم مرة والشيطان يلم بها مرة**
- **فالحب الذي يلقيه الملك أيعاد بالخير وتصديق بالوعد**
- **والحب الذي يلقيه الشيطان أيعاد بالشر وتكذيب بالوعد.**

والطحين على قدر الحب، وصاحب الحب المضر لا يتمكن من إلقائه إلا إذا وجد الرحى فارغة من الحب وقيّمها قد أهملها وأعرض عنها، فحينئذ يبادر إلى إلقاء ما معه فيها.

3ـ خصائص شخصية المريض بالوهم

كما أن الأوهام في صورها الخفية أحداث مادية يومية، فهي تخيل للشخص بأنه قد ترك المنزل ولم يحكم إغلاق الباب، أو أنه قد ترك الأنوار مضاءة، أو أنه ترك محرك السيارة يعمل دون أن يطفئه، أو غير ذلك من الأوهام الشيطانية، فإذا أصبحت الأفكار الوهمية ملحة ومتصلة باستمرار فإنها تعطل ما يكون الفرد

بصدده من النشاط ... حينها نكون قد دخلنا في نطاق العصاب وهنا تكون الأفكار الوهمية مصحوبة في كثير من الأحيان بدرجة طاغية من القلق، ومن الواضح أن هذا المزيج من الأفكار المعطلة والقلق الملح تكون عبئاً ثقيلاً على الفرد، على أن بعض العصابيين يحاولون مواجهة القلق الخطير من هذا النوع. كما أن أسبابها تكون في كثير من الأحيان على النحو التالي:

الأفعال أو المواقف التي تثير وخز الضمير.
كل ما يمس كرامة الفرد واحترامه لنفسه،وكل ما يحول بينه وبين توكيد ذاته.
حين تثبت الظروف للفرد أنه ليس من الأهمية أو من القوة ما كان يظن.
حين يستبد به الخوف من فقدان مركزه الاجتماعي أو حين يتوهم ذلك أو حين يفقده بالفعل.
حين يشعر بالعجز وقلة الحيلة إزاء عادة سيئة يريد الإقلاع عنها.
حين يبتلى برئيس مستبد.
حين يعاقب عقاباً لا يستحقه.
حين يمنع من تحقيق ما يريد منعاً تعسفياً.
حين يشعر ببعد الشقة بين مستوى طموحه ومستوى اقتداره.
حين يشعر ببعد الشقة بين ما يملك وما يراه حقاً له.
حين يرى الغير يكافئون دون استحقاق[1].

ومن المعلوم أن الوسواس القهري هو عبارة عن صور ذهنية تفقد الاستقرار. والوسواس القهري: هو الاسم الشائع بين الناس والاسم الحقيقي هو (الأفكار التسلطية والسلوك القهري) كما باللغة اللاتينية (الوسواس والقهر) هما في حقيقة الأمر نوعان متمايزان من السلوك الشاذ.

(1) كتاب أصول علم النفس :د.أحمد عزت راجح أستاذ علم النفس بتصرف469

- **أما الوساوس فهي أفكار مزعجة تقطع على الفرد سلسلة أفكاره دائماً .**
- **وأما القهار فانه على خلاف ذلك وهو أفعال من قبيل العادات أو الطقوس .**

وقد أظهرت الدراسات الإحصائية الحديثة بأن الوسواس القهري ،هو رابع الأمراض النفسية انتشاراً ويحصل بنسبة 1- 2٪ من عدد السكان على مدى الحياة.

وقد وردت كلمة الوسواس في القاموس العربي الطبي الموحد كترجمة لكلمة (Obsession الإنجليزية وهو عرض نفسي يحصل على شكل فكرة أو دافع، أو تخيل متكرر برغم مقاومة المصاب له، وهي سلسة من الأعمال بصورة قهرية أي برغم مقاومة المصاب وأحيانا بصورة متكررة، ويكون محتواه عادة مزعجاً، وغالباً ما تجتمع الوساوس والأعمال القهرية معاً ولذا سميت الحالة الوسواس القهري وبعض الكتب العربية تستعمل كلمة التسلطي بدل القهري ... وكلمة الوسواس في الأدب العربي والكتابات القديمة عن الأمراض النفسية تعني الخوف من المرض، أو القلق على المرض والانشغال الزائد بالصحة، وأحيانا توهم المرض والاعتقاد الجازم بوجوده برغم عدم وجود الدليل على ذلك.

فالشخصية المريضة بالوهم تبقى داخل نفس المريض ما دامت في نطاق الأفكار والصور والدوافع، ولا يمكن لأي شخص آخر معرفة حدوثها عنده إلا إذا تكلم عنها ... كما يتميز أصحاب هذه الشخصية بأنهم يهتمون جدا بالسيطرة على تصرفاتهم وعلى محيطهم، وتراهم حذرين، مفكرين، متعمدين وغير عفويين، جافين، وليست لديهم روح النكتة، ويهتمون بدقة الألفاظ أو اللغة وبخاصة في الحالات الشديدة، وهم يؤكدون اهتمامهم بمنطقية الأشياء على حساب العواطف والحدث ونتيجة لذلك تظهر عليهم الجدية والبرود العاطفي، ومن ناحية أخرى تتوافر لديهم الأمانة وحيوية الضمير والتشبث بالهدف والاعتمادية ... وبالإضافة إلى تقيدهم وسيطرتهم على أنفسهم، فإنهم يحبون أن يلزموا الآخرين والأشياء بهذا النظام والسيطرة ويكونون عنيدين إذا ما خالفهم أو تحداهم احد كما أنهم

يلتزمون بالعدالة والأمانة ويحرصون على ما يملكون ويصرفون أموالهم بحرص واضح ... إن هذه الشخصية لا تعني أنهم أكثر استعدادا للإصابة بمرض الوسواس القهري ولا تسبب لهم أية معاناة شخصية إلا إذا وصلت درجة عالية من التطرف[1] ... كما أن المسألة تختلف عند حدوث سلوك قهري يصعب أو يستحيل إخفاؤه وعادة ما يقتصر السلوك القهري على حين يكون المريض لوحده خشية الإحراج ... وقد تتلو الأعمال القهرية الأفكار الوسواسية، مثلا أن أحد المرضى كلما أطفأ النور خطر في باله أن والده سيموت فصار كلما ضغط على زر وأطفأه عاد إلى لمسه مرة أخرى ويردد "لا لا لن يحدث" وشخص آخر خطر على باله أن والدته المريضة سوف تموت إلا إذا صعد على شجرة عالية ولمس أعلى غصن فيها.

وكذلك تأخذ الأعمال القهرية أشكالا متعددة مثل العد وإعادة العد والتأكد من إغلاق الباب مرة أو مرات أو إطفاء الغاز مرة أو مرات أو التنظيف وتكرار التنظيف والترتيب وإعادة الترتيب والطقوس الغريبة، مثل أن يشرب الماء من كأس على 35 جرعة أو أن يمشي بخطوط مستقيمة ويحرف بزوايا أو يجري بعض الطقوس داخل الحمام للتأكد من أنه لم يتنجس ... والمريض يعرف أن هذه التصرفات أو الأعمال سخيفة لا لزوم لها، لكنه لا يستطيع أن يتجاهلها أو أن لا يفعلها، لأنه إذا تجاهلها شعر بقلق شديد جدا مما يجعله يقوم بها، وقد لا يدرك المريض ولا من حوله معناها ... والأعمال القهرية قد تكون بسيطة غريبة

---

(1) التطرّف، تعبير يستعمل للوصف أفكار أو أعمال ينظر إليها من قبل مطلقي هذا التعبير بأنها غير مبرّرة. كما يستعمل هذا التعبير لوصم الأيديولوجية السياسية التي تعتبر بعيدة عن التوجه السياسي للمجتمع. مصطلح "التطرف" أو "متطرّف" يطلقان بشكل دائم تقريبا من قبل الآخرين، بدلا من مجموعة معينة يمكن أن تعتبر نفسها كذلك، على سبيل المثال، ليس هناك طائفة الإسلامية أو مسيحية تدعو نفسها بالمتطرفة، و ليس هناك حزب سياسي يدعو نفسه بمتطرّف يميني أو متطرّف يساري.

أو مضحكة تتعلق أحيانا بطريقة ترتيب صحون الطعام وملحقاتها عند الجلوس على مائدة الطعام أو طريقة اللبس عند النوم أو ترتيب الأمور التي يعملها عند الصحو من النوم أو عند الاستحمام أو دخول المرحاض.. إلخ.

4ـ أمراض الوهم والوسواس القهري وأسبابها

فإن الأمراض المصاحبة لمرض الوسواس القهري كثيرة ومن جملة ذلك:

الاكتئاب	الرهاب	معاقرة الخمور وإدمان المخدرات	اضطراب القلق العام	اضطراب الهلع

يعتبر الاغتراب النفسي هو بمثابة شعور الشخص بالانفصال عن نفسه وعن مجتمعه، وما يتبع ذلك من فقد المعنى للحياة ومن شعور الشخص بالعجز والغرابة النفسية وانعدام المعايير، كما ينظر علم النفس إلى حالة نفسية مركبة تنطوي على مجموعة من المشاعر المتناقضة، كشعور المراهق بالضياع والعجز والغربة النفسية والشيئية وانعدام معنى الحياة وهدف الوجود، وانعدام المعايير والانفصال عن الذات والواقع، بحيث يكون لكل انعكاس مباشر في سلوك الفرد الظاهر والكامن ... فيظهر ذلك الشخص المغترب مشتتاً في أفكاره ومتناقضاً في سلوكه، منفصلاً عن واقعه الاجتماعي، غير مكترثاً بمجريات الأحداث المحيطة، فهو غريب عن المجتمع، والمجتمع غريب عنه، بل أنه غريب حتى عن نفسه ... كما يرافق الاغتراب الكثير من المشاعر والاعتراض كالسخط والعدوانية والقلق ومركزية الذات وسرعة الاستثارة والتمرد على كل شيء ورفض كل شيء والاعتراض على كل شيء[1].

كما يعتبر مفهوم الذات من المفاهيم الأساسية في دراسة الشخصية والتوافق، والذات تعني الأفكار والمشاعر والجهود المعترف بها والمنسوبة إلى فرد ما وتشمل إدراك الفرد لنفسه وانطباعاته عن جسمه وصورته، أما تعبير الذات المستلبة تعني أن الفرد يفقد ذاته الفردية والاجتماعية الحقيقية محاولاً امتلاك ذات أخرى،

---

(1) شخصية المراهق المشكلات والحلول: ص85.

فالذات التي يفقدها هذا الشخص أو ذاك فهي الذات التي تسمى بـ" الدفاعية" وهذه الذات هي التي تزود الشخص بالمواد الدفاعية من الداخل ليستطيع الإنسان الدفاع عن نفسه من العدو الخارجي، كما أن هناك دوافع إيجابية أخلاقية تهدف للوصول إلى الذات المثالية، ودوافع سلبية غير أخلاقية تهدف إلى التخلص من الذات الحقيقية .. كما يساهم الدافع الأخلاقي في تجاوز الأزمة الاستلابية الأخلاقية، في اللحظة التي تظهر فيها إمكانية حدوث ثغرة في جدار الأزمة الاستلابية.

كما يلاحظ في حالة الفرح استرخاء عضلي، بينما يلاحظ في الانكماش حالة من الكره، ويلاحظ في حالة الانفعال والغضب ترتفع قوة الصراع الغريزي، مما يعرقل في تحقيق الذات المثالية الأخلاقية [1] ... إن الشخص السوي مفعم بالقوة والحيوية الروحية والعقلية، ويتميز بالدوافع القوية التي تمكنه من الدفاع عن ما يهدده في حياته، ولكن القوة لا تأتي إلا من قبل التعليم أو التجارب على أمور الحياة، إن التكوين الجسمي المتناسق والسمة الجذابة المنظمة والذكاء الخاص، تميز الشخص عادة بسلوك انفعالي مقبول.

وأما الأسباب المؤدية لهذا المرض من الناحية الشرعية فهي كما قال أحد الحكماء[2]: بأن المؤمن يبتلى بوساوس الشيطان، وبوساوس الكفر التي يضيق بها

(1) شخصية المراهق المشكلات والحلول: ص78.

(2) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، تقي الدين أبو العباس (الملقب بشيخ الإسلام ولد في 661هـ هو أحد علماء المسلمين. ولد في حران وهي بلدة تقع في الشمال الشرقي من بلاد الشام في جزيرة ابن عمرو بين دجلة والفرات. وحين استولى المغول على بلاد حران وجاروا على أهلها، انتقل مع والده وأهله إلى دمشق سنة 667هـ فنشأ فيها وتلقى على أبيه وعلماء عصره العلوم المعروفة في تلك الأيام. كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها. قرأ الحديث والتفسير واللغة وشرع في التأليف من

صدره .. كما قال الصحابة: يا رسول الله، إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به ... قال:" ذاك صريح الإيمان" وفي رواية: ما يتعاظم أن يتكلم به ... قال: الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة"[1].

أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهية العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه؛ فهذا أعظم الجهاد، و(الصريح) الخالص، كاللبن الصريح. وإنما صار صريحا لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحا.

ولابد لعامة الخلق من هذه الوساوس؛ فمن الناس من يستجيب لها ويستسلم، فيصير كافرا أو منافقا، ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها إلا إذا طلب الدين، فإما أن يصير مؤمنا وإما أن يصير منافقا ... ولهذا يعرض للناس من الوساوس في الصلاة ما لا يعرض لهم إذا لم يصلوا، لأن الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به؟

فلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم، ويعرض لخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة، ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم، لأنه لم يسلك شرع الله ومنهاجه؟؟ بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه.

وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة فإنه عدوهم يطلب صدهم عن الله. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[2] ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن

ذلك الحين. بَعُدَ صيته في تفسير القرآن وانتهت إليه الإمامة في العلم والعمل وكان من مذهبه التوفيق بين المعقول و المنقول.

(1) أخرجه ((مسلم)) 1/ 83(257) و((البخاري))، في (الأدب المفرد) 1284 .

(2) (فاطر: 6)

قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الإيمان العظيم، وتزيده يقينا وطمأنينة وشفا ... وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [1]وقال تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [3].

5ـعوامل نفسية واجتماعية مسببة لمرض الوهم

كما تلعب العوامل البيئية والشخصية دورا فعالا في درجة ذلك الإحباط. كما يتأثر الأفراد بمواقف ذلك الصراع الذي يؤدي إلى الإحباط بدرجات مختلفة، والفرد الذي يقع تحت تأثير الإحباط ويشوب تفكيره نوع من التشاؤم والتعميم في الوقوع في مشاكل معقدة يجد نفسه قد ضعف و انهار أمام تلك المشاكل ... أما الفرد الذي يقف أمام مشكلته في تصميم وعزم في حلها فإنه يكسب ثقته بنفسه وبالآخرين كما تتكون لديه مهارات مختلفة لحل المشاكل المتنوعة التي يتعرض لها في المستقبل ... وهكذا فإن قدرة الفرد على مواجهة المشاكل تتأتى من قدرته على مواجهة وتحمل الإحباط. كما إن القدرات التي يتمتع بها الفرد وتلك الكفاءات تساعده على مواجهة أي نوع من المشاكل برباطة جأش ومرونة وتكيف مع المشاكل مما يؤدي إلى شحذ الذهن على التخلص منها ... كما تتفاعل ثلاثة قوى رئيسية والمحصلة يكون الإحباط، وتتمثل هذه القوى بما يلي:

قوة الحاجة	وقوة العائق	وقوة استمرار العائق

وكلما زاد حجم العائق كلما زادت خطورته وأدى إلى التوتر. كما إن الإحباط يؤدي إلى رد فعل عدواني ويعتمد في شدته على شدة العائق واستمراريته

(1) (الإسراء: 82)

(2) (البقرة: 2)

(3) (التوبة: 124)

ويتناسب طرديا معه ... وكذلك يؤدي الإحباط إلى سلوكيات أخرى، هي الارتداد إلى سلوكيات لا تتناسب مع المستوى الذي يكون عليه الفرد ... فالمواقف الإحباطية التي تتطلب الدفاع ورد فعل انعكاسي قوي فإنها تدفع الفرد إلى التخلص من هذا التهديد بشتى الطرق الدفاعية إن كانت بسلوك عدواني خارجي أو بسلوك عدواني داخلي أي يرتد بالعدوان على نفسه.

كما تلعب الحالة النفسية للفرد دورا فعالا في تلك المواجهة فالفرد المتعب والمتوتر والمريض جسميا والذي يعاني من حالات واضطرابات نفسية تكون درجة الإحباط لديه اشد قوة من الفرد الذي لا يعاني من تلك المواصفات، فدرجة الإحباط تؤثر وتتأثر بحسب الظروف والمواصفات، لدى الشخص.

إن للصراع النفسي أنواع مختلفة هي بمثابة عقبات أو حواجز تعترض إرضاء دوافع الفرد وتحقيق أهدافه، وأن الصراع الخارجي يؤثر بطريقة غير مباشرة حين يصبح صراعاً داخلياً نفسياً، وأن صراعات الطفولة اللاشعورية ذات أثر باق في المصير النفسي للفرد. كما يميل علماء النفس إلى قصر اصطلاح "الصراع" على الصراع النفسي الداخلي حين لا يكون عابراً مؤقتاً ... فيكون تعريفه أنه تعارض موصول بين دافعين لا يمكن إرضاؤهما في وقت واحد. وقد يعرف أحياناً بأنه حالة نفسية ثابتة نسبياً من القلق والتوتر تنشأ من هذا التعارض ... وبهذا المعنى يكون الصراع مرادفاً للأزمة النفسية[1].

فمن الصراعات العابرة التعارض بين رغبة الطالب في الذهاب إلى اللعب ورغبته في البقاء في البيت للمذاكرة.ومن الصراعات الباقية في نفس الفرد من عهد الطفولة كتلك التي تدور حول رغبته في الاعتماد على أمه ،أو كرهه لأبيه ،أو حنينه إلى العطف .. وهذه صراعات لا شعورية.

---

(1) كتاب أصول علم النفس :د.أحمد عزت راجح أستاذ علم النفس بتصرف

فالشعوري هو الذي يفطن الفرد إلى طرفيه أي إلى القوتين أو الدافعين المتعارضين فيه. أما الصراع اللاشعوري فهو الذي يكون أحد طرفيه أو كلاهما خافياً لا يشعر الفرد بوجوده كالصراع بين حب الطفل الشعوري لأبيه وكرهه اللاشعوري له، أو بين ثقتك الشعورية بشخص وارتيابك اللاشعوري فيه، أو بين رغبة محظورة وبين ضمير الفرد- والضمير نفس لا شعوري[1].

وتر مدرسة التحليل النفسي أن الصرعات الشعورية لاينجم عنها ضرر بليغ. فهي قد تسبب لصاحبها بعض الضيق والنرفزة لكنها لاتسبب إضطراباً في الشخصية ... أما الصراعات اللا شعورية فعامل أساسي في إضطراب الشخصية وتفككها أي في الأمراض النفسية وكثير من الأمراض العقلية ... وذلك أن الصراع الشعوري يمكن سياسته وتدبير أمره وحسمه بطريقة أو بأخرى، وهذا على العكس الصراع اللا شعوري الذي يستحيل على الفرد حله وحسمه فإذا به ينزع إلى الأزمان والدوام.

ومن أخطر هذه الصراعات اللاشعورية وأبقاها أثراً في شخصية الفرد وسلوكه تلك الصراعات الأساسية والجذرية التي تتكون في مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة من أتصال الطفل بأمه وأبيه وأخونه وأخواته، والتي تعتبر أهم العوامل الممهدة للإصابة بالأمراض النفسية في عهد الكبر – بل يعتبر هذا من أهم الكشوف التي أضافها "فرويد" إلى الطب النفسي الحديث[2].

يتعرض الأفراد إلى مواقف تثير لديهم الإحباط وتختلف شدة هذا الإحباط باختلاف أنماط شخصياتهم، كما أن الفرد الذي يحاول حل مشكلته يؤدي ذلك إلى ثقته بنفسه وزيادة مهاراته التي تمكنه في حل المشاكل التي يتعرض لها في المستقبل

---

(1) كتاب أصول علم النفس د.أحمد عزت راجح أستاذ علم النفس بجامعة الإسكندرية ص466 بتصرف

(2) المصدر السابق ص467

بعكس الفرد الذي يتهرب من حل المشاكل تكون درجة الإحباط لديه أصعب و أقوى مما يؤدي إلى فقدان الثقة بنفسه، كما يتميز الأفراد الذين يشكون من الإحباط بالتوتر والضيق والقلق. وتعتمد تلك الحالات على مقدار قوة الحاجة وحجم العائق وطبيعته ،ومدى استمراره. كما يختلف سلوك الناس حيال ما يعترضهم من عقبات ومشكلات اختلافاً كبيراً:

فمنهم من يمضي في التفكير والتقدير وبذل الجهد للخروج من المأزق حتى إن كان في حالة من التوتر الشديد

ومنهم من يسارع إلى الاستسلام والتخاذل على الفور.

ومنهم من يضطرب ويختل ميزانه بعد محاولات تطول أو تقصر فإذا به قد أصبح نهباً للغضب أو الذعر أو الخزي وغير تلك من المشاعر التي تنجم عن الفشل والإخفاق

كما أن هناك اضطراب يسمى الشخصية الوسواسية منذ الطفولة ومراحل المراهقة الأولى كما يقال أن فلان وسواسي بطبعه، وهذا يختلف عن ما يسمى بمرض الوسواس القهري، إذ أنها أخف وطأة وأقل إزعاجا للمريض والمحيطين به ... كما أن فرويد أخذ مبدأ ما يسمى الآن بالوسواس القهري وسماها آنذاك العصاب الوسواسي. ويعتقد فرويد أنها وسيلة دفاع ضد المخاوف والقلق كما يعتقد أيضا بنظرية (النكوص) أو الرجوع إلى المرحلة الشرجية [1]من مراحل النمو الأولى في تطور شخصية الإنسان.

ومن أهم الأسباب في وجود لمثل تلك الأمراض الخطيرة وهي التي تحصل على شكل أفكار أو كلمات أو تخيلات (صور ذهنية) تفرض نفسها على وعي المصاب ضد إرادته وتكون عادة مزعجة ويحاول أن يبعدها عن وعيه إلا أنها تعود

(1)Anal Stage

مثل أن يخطر في باله فكرة أو صورة ذهنية له وهو يمارس الجنس مع محرم أو يحاول أن يبعد هذه الصورة ولكنها تعود.. وهكذا وقد تحصل حالة اجترار لمشكلة دينية أو فلسفية فتظل المشكلة تخطر على باله رغماً عنه ويحاول أن يبعدها عن وعيه ولكن سرعان ما تعود، مثلاً هل القرآن مخلوق؟ هل الأرض كروية؟ ويحصل لديه صراع داخلي لا ينتهي إلى قرار.

وتبعاً لنظرية الاستجابة الشرطية فإن بعض العوامل المحايدة في حياة المريض تصبح مصاحبة أو مهيجة للقلق والخوف ولذلك يلجأ المريض لتخفيف وساوسه (الأفكار المتسلطة أو الجزء الخفي من المرض) إلى القيام بالـ(السلوك القهري أو الجزء الظاهر من المرض) وعندما يجد المريض أن قيامه بالطقوس يخفف قلقه فإنه يدخل في حلقة مفرغة بين هذه الأشياء: فكره – قلق – طقوس. وهكذا.

كما أن أسباب مرض الوسواس كثيرة ومتعددة ولذلك البعض يرجع السبب على أنه من العوامل السلوكية ومنهم من يرجعها إجتماعية ومنهم من يرجعها نفسية ومنهم من يرجعها بيولوجية [1] ومن الأمثلة كما يقال أنها بيولوجية وهي:

1- **اضطراب نسبة النواقل العصبية** وذلك في الفراغات الموصلة بين خلايا الدماغ وأهمها مادة السيروتونين [2] التي أثبتت البحوث أنها المادة الأهم في هذا المرض فانخفاضها في هذه الفراغات الموصلة تؤدي للكثير من الاضطرابات كالوسواس القهري والاكتئاب وأمراض القلق الأخرى.

---

(1) وهي عبارة عن أنماطا سلوكية دورية إيقاعية (بالإنجليزية:(rhythmic cycles) ، أي تحدث عند فواصل زمنية منتظمة، تتفق غالبا مع دورة الليل والنهار، أو مع تعاقب الفصول، أو مع دورة المد والجزر ، أو مع التموجات التي تحدث في العوامل البيئية مثل الضوء والحرارة والرطوبة النسبية و بالضغط البارومتري، فالسلوك الذي يحدث يوميا يعرف بالإيقاع أو التواتر اليومي .

(2) Serotonin

2- الصور الاشعاعيه للدماغ (المقطعية والرنين المغناطيسي) كما يقال أنها أثبتت وجود اختلال بوظائف بعض فصوص الدماغ (الفص الأمامي)، نواة الكودات، ومناطق أخرى.

3- الوراثة: كما أثبتت الدراسات أهمية العامل الوراثي في هذا المرض إذ تصل نسبة الإصابة في أقرباء المريض من الدرجة الأولى إلى ما نسبته 35٪ كما أن دراسة التوائم أثبتت أن التوائم المتماثلة أكثر بكثير مما هو الحال في التوائم غير المتماثلة.

4- **عوامل بيولوجية أخرى:** كما أثبتت دراسات التخطيط الكهربي للدماغ (EEG) ودراسات الهرمونات وجود اختلالات شبيهة بتلك الموجودة في الاكتئاب كتأخر وصول المريض لمرحلة حركة العين السريعة REM أثناء النوم وكذلك قصور تأثر هرمون النمو بعد حقن مادة الكلونيدين[1][2].

كذلك يقال أن التداخل الجراحي الذي يفصل الأنوية القاعدية للدماغ عن الفص الجبهي للدماغ له تأثير شفائي على حالة الوسواس القهري والعمليات الجراحية المفضلة هذه الأيام لعلاج الوسواس القهري هي[3].

---

(1) يُستعمل الكلونيدين في تدبير ارتفاع ضغط الدم الشرياني، وقد يُستعمل بمشاركة أحد الافيونات في علاج الألم المصاحب للسرطان(كحُقن في منطقة فوق الجافية)، وهذان إستعمال مصرح بهما، وله إستعمالات أخرى مثل: تشخيص ورم خلايا الكروماتين القاتمة pheochromocytoma، في علاج إلتهاب الكولون التقرحي، وفي علاج التسمم بالميثادون،...إلخ آثاره الجانبية: كثيرة، أذكر منها: – أنه يعتبر من الأدوية المشوهة للأجنة، ويصنف من المجموعة C – يزيد من شدة الاكتئاب. –الصداع، والدوار والأرق، والكوابيس، ويجعل المريض عصبياً ومرهقاً. –الإمساك، الغثيان والإقياء، وفقدان الشهية العصبي. –التثدي، وزيادة الوزن

(2) د. علي جابر السلامة – استشاري الطب النفسي

(3)cingulotomy capsulectomy

الخلل في وظائف الدوبامين: - الدوبامين" Dopamine: هي مادة كيميائية تشبه الهرمون، وتعتبر هذه المادة عند الباحثين أنها، المحرك الأساسي لحالات السرور الإنساني ... ويعد "دوبامين" من الناقلات العصبية neurotransmitters التي تحمل الرسائل الكيميائية بين خلايا المخ... كما أن الدوبامين هو أحد المجموعات الكيميائية التي تسمى الناقلات العصبية التي تحمل المعلومات من عصبون خلية عصبية، إلى آخر. ويؤدي الدوبامين دورًا رئيسيًا في الإحساس بالمتعة والسعادة والإدمان. وينقل الدوبامين معلومات تتعلّق بالشعور بحالات الانتشاء والألم، فمثلا الشعور بالبهجة نتيجة لتناول وجبة طعام لذيذة، أو نتيجة للحصول على ترقية، أو- أي شيء يجلب السعادة – يتم حمله ولو جزئيا عن طريق الدوبامين. كما تسبب الزيادة الكبيرة أو الانخفاض الكبير في الدوبامين كثيرًا من الأمراض البدنية والعقلية. وتكون مستويات الدوبامين في الدماغ عالية في مراحل الطفولة الأولى وتنخفض بمرور الزمن وتقدم الحياة. وهناك خمسة أنواع من مستقبلات الدوبامين. وتعتمد تأثيرات الدوبامين على المكان الذي تُطلق فيه، والكمية التي يتم إطلاقها، وكذلك على أنواع المستقبلات التي جرى تنشيطها.

6.أثر الغدد الصماء على زيادة مرض الوسواس والتوهم

أظهرت دراسات متعددة زيادة الأعراض عند سن البلوغ وقبل الطمث الشهري عند الفتيات. كما تعتبر حالة قضم الأظافر وحالة نتف الشعر من مظاهر السلوك القهري. كما أن الخلل في وظائف الأنوية القاعدية والدليل وجود الأعراض القهرية عند المرضى المصابين بالعرات الحركية ومرض توريت (1). و الخلل في وظائف السيروتونين.

---

(1) متلازمة توريت Tourette syndrome هي عبارة عن خلل عصبي وراثي يظهر منذ الطفولة المبكرة تظهر أعراضه على شكل حركات عصبية لاإرادية متلازمة يصحبها متلازمات صوتية متكررة. تلعب العوامل الجينية والبيئية تلعب دوراً في هذا المرض إلا أن الأسباب

إن الإستجابة والإستسلام للوساويس والأفكار السيئة التي تهدد حياة الإنسان في أمنه واستقراره ... وفي حاضره ومستقبله هو دليل فشل وإحباط ونكوص وهي مما تعتبر اضطراب ونقص في سمات الشخصية وتكوينها الصحيح، وهي كذلك مخلة في ثبات الشخصية و توازنها. كما أن مصير سير حالة الوسواس القهري والذي بصورة عامة يسير هذا المريض سيرا مزمنا وكثيرا ما يسير بشكل متقطع أي تتخلله فترات من زوال الأعراض قد تطول أو تقصر ومن مؤشرات المصير الجديد:

- **قصر المدة بين بدء المرض ومراجعة الطبيب المختص.**
- **أن تكون هناك عوامل بيئية سلبية لها علاقة أو مصاحبة لبدء المرض**
- **أن يكون المحيط الذي سيعود إليه المريض بعد العلاج محيطا اجتماعيا متفهما وداعما.**
- **كلما كان تكيف المريض الاجتماعي وعلاقته مع الناس أفضل كانت إمكانية الشفاء أفضل.**

وقد وجد إحصائيا أن 25٪ من الحالات تشفى و 50٪ تتحسن و25٪ تبقى كما هي أو تتجه نحو الأسوأ.

وقد يسبب هذا المرض معاناة كبيرة للمريض ولأسرته وقد يفقده وظيفته وبالتالي دخله وحياته الاجتماعية وقد تكون الطقوس شديدة ومتكررة لدرجه لا يساعد فيها المصاب أو المصابة في إدارة شؤون المنزل والخوف من التلوث والقذارة المبالغ فيه قد يدفع الأسرة إلى تغيير المنزل والتنقل بكثرة وفي بعض الحالات قد

المباشرة غير معروفة. في أغلب الحالات ليس ضرورياً تناول علاج معين لعلاج المتلازمات المختلفة. كانت متلازمة توريت تعتبر مرض أو عرض غريب شاذ نادر خاصة أنه يصحبه في العادة ألفاظ بذيئة تخرج بشكل لا إرادي، إلا أن ذلك العرض نادر مع مصابي المرض.

يؤدي إلى العزلة عن المجتمع لان الزوار لا يشجعون على الزيارة خوفا من تلويثهم للمنزل وفي بعض الحالات الشديدة قد يجبر الأطفال على خلع ملابسهم لدى دخولهم باب المنزل خوفا من التلوث وقد يؤدي الجدال حول هذه الأعراض إلى الشجار الأسري وربما الطلاق.

خلاصة القول: فالخيال أمره واسع، وهو يدل على نباهة و ذكاء الطفل أو المراهق، كما يدل الخيال على أن شخصية الطفل والمراهق إجتماعي أو غير اجتماعي، بحيث إذا وجدنا الأطفال يتفاعلون مع المجتمع بالحديث عن ما استقر في أذهانهم مما يشاهدونه أو يسمعونه، ومن خلال الخيال من الممكن اكتشاف حالة الشخص ونفسيته، ما إذا كان يخبيء هذا الشخص في ذهنه من أفكار، نافعة ومفيدة، أو أنها أفكار ضارة وفاسدة، وكذلك من الممكن التعرف على خصائص الشخصية ومدى قوتها وضعفها، وذلك من خلال قراءة خيال الشخص ومزاجه.

ولذلك ينبغي الاهتمام والمراقبة لخيال الطفل من بداية طفولته المبكرة حتى البلوغ والنضوج، إن تنمية الخيال لدى الطفل لهو أهمية بالغة، كما يساعد على شعور الطفل بالاهتمام المشترك لدى والأسرة وينمي فيه روح التعاون والتآلف، كما يساعد الطفل على تناسق أفكاره وتواصلها وترابطها، حيث يستطيع من خلال ذلك الربط بين ماضيه وحاضره ومستقبله، والحذر من ترك بيت أفكار الطفل للوسائل الهدامة، والتي تعبث بأفكار أبنائنا، مثل القنوات الفضائية الغير هادفة، والانترنت المفتوح على مصراعيه، أو أصدقاء السوء الذين يزينون لهُ الباطل، أو المربية والمربين الغير مأهلين للتربية، وغيرها الكثير في هذا العصر والتي تعمل من أجل خطف أبنائنا وبناتنا، بطريقة جذابة وساحرة، يجب علينا كمربين أو مسؤلين بأن نعمل ونحذر من أجل وقاية الأبناء والمجتمع من تلك الوسائل والنظم والبرامج الممنهجة الهدامة.

وبالجملة، فقيّم الرحى إذا تخلى عنها وعن إصلاحها وعن إلقاء الحب النافع فيها وجد العدو السبيل إلى إفسادها وإدارتها بما معه ... وأصل صلاح هذه الرحى

بالاشتغال بما يعنيك، وفسادها كله الاشتغال بما لا يعنيك، وما أحسن ما قال بعض العقلاء: لما وجدت أنواع الذخائر منصوبة غرضا للمتآلف، ورأيت الزوال حاكما عليها مدركا لها، انصرفت عن جميعها إلى ما لا ينازع فيه ذو الحجا أنه أنفع الذخائر وأفضل المكاسب وأربح المتاجر.

كما أن عادة ما يتجه المصابون بالوسواس القهري إلى أطباء آخرين، غير الطبيب النفسي أو الباحث الإجتماعي، كأطباء الجراحة والباطنية والجلدية وقد يتأخر طلب الخدمة الطبية النفسية المتخصصة إلى مدة طويلة، يظل خلالها المريض يعاني دون طلب المساعدة مع شدة الأعراض مما يؤدي إلى ظهور مضاعفات أخرى. كالاكتئاب وتناول الخمور ومحاولات الانتحار وتغير طبيعة الشخصية وأشياء أخرى.

كما أن العلاج السلوكي النفسي والأسري مجتمعين يحقق نجاح سريع في تحسن المصاب بهذا المرض ولا يكفي في استخدام دواء واحد أو سلوك واحد لا بد من التنويع.

وهي المساندة المستمرة للمريض والوقوف بجانبه ومناقشة أعراضه وهمومه ومخاوفه من أهم ركائز العلاج النفسي. كذلك مساعدته على التأقلم مع الظروف المحيطة به والتي تثير الوساوس لديه. التشجيع الدائم على المثابرة وعدم الاستسلام والانتظام على الدواء الشرعي وما زال بعض المعالجين النفسيين التحليليين يعتقدون أن الوساوس الطقوسية هي أعراض لصراعات نفسية ذات طبيعة عدوانية وهذا العلاج غير مجد كما أن طرق علاج المرض لم تثبت نجاحها[1].

(1) كما لا ننصح بتعاطي العلاج الدوائي، لمثل تلك الأعراض والحالات النفسية وإنما مثل تلك الأمراض أصحابها بحاجة إلى علاج سلوكي رياضي وكذلك علاج شرعي على حداً سواء. ولا داعي لستخدام العقاقير الدوائية والتي ينتج عنها مضاعفات كثيرة، وقد تكون ضررها أكبر من نفعه. وكذلك بما يسمى بالعلاج الجراحي النفسي. والله المستعان

كما اتّضح أن بعض العلاجات [1] وقد وجهت لها انتقادات والتي ذهبت إلى حد اتهام مكتب الغذاء والدواء بالتصرف بعدم مسؤولية والتواطؤ مع الشركة المصنّعة.. وهو ما سبّب ذلك الدواء أعراضاً جانبية سيئة جداً منها الضغط الرئوي المفرط وهو حالة نادرة من ضغط الدم المرتفع الذي يصيب أوردة الرئتين، والآثار الجانبية الأخطر بنظر معارضي استخدام هذا العقار كانت في تسببه بأضرار في الدماغ. في طليعة المنتقدين البروفسور جون عارفي من جامعة فيلادلفيا الذي يؤكد أن مركّب الـ Dexfenfluramine الموجود بمعدّل كثيف في عقار الـ Redux يؤدي إلى تلف الخلايا العصبية "أي أخصائي في الصيدلية كان على علم بأنه دواء غير مأمون، لذا لم يتفاجأ احد عندما تمّ سحبه من الأسواق"[2].

*****

(1) مثل الريدوكس Redux وغيرها من العلاجات المنتشرة في الصيدليات .

(2) منقول من موقع طرطوس.كوم

الفصل الثالث

المشكلات النفسية لدى المراهق

يضن الكثير من المربين من الآباء والأمهات أن ظهور علامة الاضطراب النفسي أو الجسدية لدى الأبناء من الأولاد والبنات، لا يعدو عن كونه مجرد مشكلة بسيطة تتعلق بمراحل النمو، وأنها ستزول عند الكبر، وهذا المفهوم السائد غير صحيح، كما أن بعض المربين ربما يحاولون تجنب مثل هؤلاء الأطفال الذين لا يتميزون بمواهب ملحوظة، ولا يثيرون المشاكل في الصف أو المدرسة غير مدركين حقيقية ما يعانونه من اضطرابات نفسية.

وهذا ما يؤدي بالأطفال أو المراهقين في المجتمع، وخاصة ذوي المشكلات الشخصية من التشاؤم، وفقدان الأمل في إشباع حاجاتهم، والإحباط، وتجنب الإقدام والمثابرة الاجتماعية الإيجابية، وقد يدعم هذا شعورهم بفقدان المعاني، وأنه لا يوجد شيء في الحياة يستحق البقاء، وتنتابهم نوبات من الحزن، ولوم النفس واليأس الذي قد يجعلهم يفكرون بالانتحار إذا ما ساءت أحوالهم، ولم تجرِ معالجتهم في الوقت المناسب.

إن هذه السمات والخصائص هي بالأساس ناتجة عن سوء فهم في مجال التربية وعدم إحساس بالإنسانية وبالمسؤولية كذلك من قبل الأسرة، أو المدرسة، إن المربي يستطيع من خلال خبرته وتجربته أن يتلمس المشكلات التي يعاني منها هؤلاء الأطفال والمراهقين من خلال الملاحظات التالية:

- **انخفاض مستواهم الدراسي بصورة كبيرة لا تتناسب مع قدراتهم العقلية .**
- **ظهور علامات الانزعاج لأتفه الأسباب .**
- **ظهور علامات الخجل والانكماش والابتعاد عن المشاركة في الأنشطة العامة وحتى الدراسة .**

- القلق وعدم الشعور بالأمان، أو المرض العصبي .
- الاكتئاب والانطواء، وقد يعقبها حالة من الثورة والبكاء[1].

فقد تظهر تلك السمات أو بعضها لدى الآخرين من غير ذوي المشكلات الشخصية، ولكن عندما تبدأ هذه الخصائص في التأثير على عادات الطفل العادية، وقدرته على الشعور بالراحة وإقامة علاقات عادية مع الآخرين، وهبوط مستواه الدراسي دون مستوى قدراته العقلية، عند ذلك يمكن القول أن الطفل يتعرض للمشاكل الشخصية، ويتطلب من المربين من ذوي المؤهلات المتخصصين في العلاج النفسي التدخل لعلاجه.

الإيحاء ومدى تأثيره على تغير الثقافة لدى المراهقين والمجتمع

يؤثر الإيحاء على البسطاء من الناس حتى يؤدي بهم الحال إلى مصادرة العقل والجري وراء بعض الشخصيات المؤثرة، دينياً، أو سياسياً، أو فكرياً.

ويؤكد علماء الصحة النفسية أن الأفراد الأكثر تأثراً بالإيحاء هم الشخصيات الوسواسية التسلطية ومن خصائصها، أن صاحبها في حالة تحفز دائم للشك، وهو يرى أن في ما يعمله هو الصواب، فهو دائم الرجوع إلى نفسه ومحاسبتها ويسعى نحو الكمال في كل شئ وهو عنيد في الرأي وكأنه ملزم على هذا العناد، إذا خطرت له فكرة لم يستقر أو يهدأ حتى ينفذ ما أو حت له به، وهنالك بعض الصفات الثانوية التي يتميز بها من أهمها الحساسية والانطواء المشوب بالخجل فضلا عن التشاؤم والمثالية، ونلاحظ على البعض الناس التواضع الزائد على اللزوم والاهتمام بالتفاصيل وعدم التساهل مع النفس أو مع الآخرين.

(1) تربية الأطفال والمراهقين المنحرفين سلوكياً ـ ج1 ـ ص 236 .

التقبل السريع للمؤثرات الخارجية

الإيحاء مدخلا سيكولوجياً لمصادرة الاستبصار، و يعد الاستبصار عند علماء النفس: هو إدراك الواقع كما يريده الفرد وليس كما يصوره الآخر ... حين تتشوه المدركات تتغير الصور وتتداخل وتتشابك حتى تبدو محرفة، ولذلك يلعب الإيحاء دوراً مهماً في توجيه سلوك الفرد، واختيار علاقاته وطرائق تعامله وأساليب حياته، حتى عد أنهُ المحرك الذي يوجه الفرد نحوا الأهداف الذي يتأثر بها.

لقد عبر فرويد عن الإيحاء بقوله: يقال عادة عن شخص انه خضع لإيحاء إن خطرت له فكرة أو اعتنق عقيدة، أو شَعر بميل دون أن يدرك أن الفكرة أو العقيدة أو الميل يصدر في الحقيقة عن فعل خارجي مباشر أو عن إرادة مستقلة عنه.

مصادر الإيحاء

إن تقبل الإيحاء يربك الاتزان وخصوصاً إذا ما كانت الشخصية تعاني من مرض الوسواس فيكون تأثيرها فعال جداً، فنراه كثير الشك، كثير التدقيق، كثير البحث عن مبررات وحلول يقتنع بها، ولا يطبقها ،فيعيش صراع لا منتهي بين ما يراه خطأ وسخيف، ويمارسه ويسير وراءه وبين ضياع استبصاره العقلي.

و للإيحاءات مصدران: **خارجي – وداخلي.**

والبيئة تتحكم في الخبرة عن طريق تأثيرها الثقافي على البيئة، فظهور عوامل مؤثرة في البيئة مع تدني القوة النفسية والمناعة، ووجود عوامل تكوينية تساعد على الإيحاء، يجد الإيحاء طريقه سالكا إلى عقول الناس مهما اختلفت وتباينت ثقافاتهم وبيئاتهم.

كما يؤكد ذلك "رالف لينتون [1]" عن الإيحاء بقوله: ليس ثمة شك في أن الثقافة مسؤولة عن الجزء الأكبر من محتوى أي شخصية وكذلك عن جانب مهم

(1) لينتون، رالف (1893 ـ 1953م). عالم أمريكي متخصص في علم الإنسان .

من التنظير السطحي للشخصية وذلك عن طريق تشديدها على اهتمامات أو أهداف معينة فتكوين الشخصية واستعدادها وتأثير الثقافة لهم الدور الأكبر في استقبال واستلام الإيحاءات الصادرة من الآخرين، ومدى تقبلها فيكون الفرد حساساً إلى الدرجة التي يدرك بها أية استثارة خارجية، حتى تلعب الدور الأكبر في إدارة سلوكه وهذا الإيحاء ليس شرطاً أن يكون فردياً، مخصص لفرد بعينه، بل ربما لجمهرة من الناس أو حشد من الأفراد يكون التأثير السيكولوجي لأية ظاهرة عليهم قوياً وفعالاً حتى ليبدو هذا الإيحاء أصلاً للمحاكاة التي يرجع إليها تكون الظواهر الجمعية.

*****

الفصل الرابع

علامات عدم النضج لدى المراهق

لاشك أن المراهقين ذوي الاضطرابات الأخلاقية يمارسون سلوكيات تتسم بالعدوان والاندفاع والتدمير، على الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذل من قبل الباحثين والمربين لتعديل السلوك إلا أن كثيراً من المراهقين، يمارسون عملية انتهاك حقوق الآخرين باستمرار، ولا يلتزمون بالمعايير الاجتماعية بما يتناسب مع عمرهم الزمني، ويصرون على ممارسة السلوك العدواني والمواجهة مع الآخرين.

فالمراهق المنحرف يعرف بعلامات تميزهُ عن غيره من المعتدلين، ومن أبرز صفات المنحرف ما يلي:

التهرب من البيت و المدرسة	العناد وعدم الإحترام	الإخفاق في أداء الوجبات	تعاطي المواد المخدرة
تخريب الممتلكات العامة والخاصة	السرقة	الانحراف الجنسي	تكرار الإهمال

وغيرها من الآفات الاجتماعية الأخرى التي قد تتضمن مواجهة جسدية عدوانية. كالسرقة بالإكراه، أو الاعتداء الجنسي العنيف كـ((الاغتصاب))، وقد يمتد هذا السلوك إلى العراك مع الأقران، والاعتداء على الآخرين، والهجوم عليهم، والاغتصاب والقتل[1].

إن وجود مثل تلك المشكلات السلوكية هي بالأساس هي لب المشكلة، لدى المراهقين ولذلك، فإن معالجة ذلك الكم من السلوكيات المنحرفة تتطلب منا،

---

(1) تربية الأطفال المراهقين والمضطربين سلوكياً - جوزيف ريزو و روبرت زابل - ترجمة د. السرطاوي و د.الشخص - ج 1 - ص 295 .

متابعةً مستمرةً من قبل مؤسسات المجتمع المدني وخاصة البيت والمدرسة، ويتطلب ذلك صبراً وأناةً طويلين، مع العلاج الصحيح والمناسب لكل حالة وما يتناسب معها من وسائل وأساليب صحيحة.

علامات الإنحراف لدى المراهق

إن علامات الانحراف كثيرة لدى المراهقين، ولذلك من الصعب القيام بحصر مثل تلك العلامات يصعب حصرها، ومن بين تلك العلامات الدالة هي عدم النضج عند المراهق ومنها:

أـ الأحاسيس المتقلبة

يمكن الاستدلال على الأحاسيس المتقلبة بما نسميه السلوك الانفجاري (سرعة الانفعال)، نوبات الغضب، تدني قدرة تجاوز الخيبة أو الإحباط، عدم انسجام ردود الأفعال مع المسببات، الحساسية الزائدة (المفرطة)، عدم القدرة على تقبل الانتقاد، الغيرة، الغير مبررة، عدم القدرة على التسامح، نزوات مزاجية متقلبة ومتعارضة. إلى غير ذلك.

بـ الاعتمادية الزائدة

فالإعتمادية الزائدة قد تؤدي بالشخص إلى الغرور، والإعجاب بالنفس، وتلك الصفات مذمومة وغير صحية، أما الإعتمادية السليمة فهي تؤدي إلى التنمية الصحيحة وهي تنطلق من المبادئ التالية:

الاعتمادية (1)	الاستقلالية(2)	التكامل (3)

(1) (أنا أحتاجك)

(2) (أنا لا أحتاج إلى أحد)

(3) (نحن نحتاج لبعضنا البعض)

إن تلك العوامل أساسية في حياة الناس، لأجل أن ينطلق الإنسان بكل ثقة وثبات، في ميادين الحياة المختلفة، ولذلك ينبغي علينا أن نضيف إليها، شيئاً من العلم والمعرفة، حتى تؤتي تلك العوامل ثمرتها المرجوة، لأن الكثير من الشباب لا يملكون رصيداً كافياً من التجارب، ولذلك فهم بحاجة ماسة إلى العلم والمعرفة، لكي يتمكنوا من الاعتمادية والاستقلالية في المرحلة المبكرة، كما أن التجرد أيضاً عنصر هام، ومن أهم العناصر التي يحتاجها من يبحث عن الإستقلالية في شخصيته وفي حياته كلها، فالتجرد من قيود الهوى، وتقليد الآباء، والأجداد، تحتاج إلى شخصية قيادية قوية ومتكاملة من جميع أجزائها، ولذلك فإن تلك العناصر تحتاج منا إلى وقفة تأمل وقراءة دقيقة، لأنها تحمل معاني كثيرة بالنسبة لما يهمنا في حاضرنا وفي مستقبلنا.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

ج- سرعة الإثارة والتحفيز

وهذا يشمل الرغبة الفورية في الإشباع وعدم القدرة على الانتظار للحصول على أي شي، هؤلاء الأشخاص غير قادرين على تأجيل رغباتهم، أي ترتيب الرغبات الحالية للحصول على مكافئات مستقبلية، إخلاصهم الشخصي يدوم فقط طالما العلاقة مثمرة وتوفر لهم ما يأملون منها، يهتمون كثيراً لمظهرهم واكسسواراتهم ومتعتهم الشخصية، وفي المقابل فإن حياتهم الاجتماعية والمالية مشوشة للغاية.

فالإثارة هي نقص تطوري في بناء الشخصية لسبب نمط السلوك المرضي المستمر، كما تخرج تلك الإضطرابات إلى المجال الخارجي، وذلك بدلاً من الشعور بالقلق كما أن هناك فئات يتسمون بهذا ومن تلك النماذج وهي كما يلي:

الشخصية	الشخصية	الشخصية	الشخصية
العدوانية [1]	اللا اجتماعية [2]	الواهنة [3]	التسلطية [4]
الشخصية	الشخصية	الشخصية	الشخصية
العصابية القهرية [5]	الدورية [6]	الاكتئابية [1]	غير مستقرة إنفعالياً [2]

(1) فالشخصية العدوانية هي التي يغلب على سلوكها العدوان والتدمير والتخريب ،وقد يقارب هذا المصطلح مصطلح آخر هو الشخصية المضادة للمجتمع أو الإجرامية أو المنحرفة التي تتورط في ارتكاب الجرائم أو الأعمال المضارة للمجتمع، وسلوكها دائماً تعبير عن الإعتماد اللاشعوري الكامن ويأخذ عدوانها شكل نشر الإعلانات والقيل والقال والقذف بالأشياء ، حيث تستجيب بنوبات وتتسم بسهولة الإستثاره واللجوء للتدمير لمجرد الإحباطات البسيطة وحتى تأخذ الإستجابة شكل التذمر المرضي .

(2) وهي شخصية متناقضة مع مجتمعها ،عاجزة عن الولاء لأي فرد أو جماعة أو ميثاق واستجاباتها بعدم النضج الإنفعالي وضعف الحكم ،ويشمل هذا التشخيص الشخصية السيكوباتية. وتشير السيكوباتية إلى.. الميل إلى الإجرام وضعف الضمير الأخلاقي والرغبة في الإستغلال والغش والخداع والنصب والإحتيال والكذب والرغبة في الإنتقام والجمود الإنفعالي وقلة الأصدقاء والأنانية ، وتنتشر السيكوباتية بين المجرمين والأحداث الجانحين ومحترفات الدعارة والمرتشين والمختلسين ومعتادي الإجرام. ويقال في الشخص السيكوباتي بأنه "يقتل ويضحك" إشارة إلى عدم شعوره بالذنب على ضحاياه كما يوصف بأنه يعض اليد التي تتقدم لنجدته. ويمتاز بأنه لا يستفيد من تجاربه ولا يجدي معه العقاب ويصعب علاج الشخصية السيكوباتية

(3) كما يؤكد كرتشمر على أن هذا النوع من الشخصية يقترن بالخصائص العقلية الشبيهة بالفصام وتتميز هذه الشخصية بمشاعر وانفعالات.

(4) معنى أنها تميل إلى التسلط والسيطرة على الغير القابل لأساليب التحكم والإخضاع والمرءوسية

(5) وهي شخصية مصابة بالنزعات العصابية أي بأعراض الأمراض النفسية كالقلق والفوبيا والإكتئاب والوسواس القهري والهستريا وعصاب الوهن أو الضعف وعصاب الصدمة

(6) تتسم بتقلبات مزاج من الإكتئاب إلى المرح نتيجة عوامل داخلية مستقلة عن الظروف المحيطة الخارجية.

د ـ الأنانية

الشخص الأناني لا يجعل اعتباراً للآخرين، مشغول فقط بأحاسيسه وأعراضه، فهو يرغب في اهتمام مستمر، يبحث عن الإطراء، وتكون له مطالب غير مقنعة أو مبررة .. شخصاً عادة لا يكون قادراً على المنافسة، يخسر دوماً، ويرفض العمل أو اللعب إذا لم يستطع أن يفرض رأيه أو طريقته الخاصة. وهذه مرتبطة بقلة أو عدم تقدير الذات.

إن الوظائف النفسية لدى المراهق تنتقل بشكل دينامي [3] صعوداً وهبوطاً عبر مستويات نشطة وعاملة دون إهمال أو استبعاد لأي منها، وتكون قيادة النفس في وحدة العمليات المركزية، ويتثبت هذا النشاط في تلك المستويات حتى تصبح حركته أقل مرونة، وبالتالي يعيش هذا الإنسان وجوداً محدوداً ويغرق في تفاصيل

---

(1) كما تتسم بالحزن واليأس والبطء النفسي والصعوبة في التفكير والشعور بالتفاهة والذنب والإكتئاب

(2) تتسم بشدة الإنفعال في المواقف الضاغطة الخفيفة وبتعطل الأحكام،والجعجعة والجدل والطبع المشاكس،والتقلب والهوائية،وتفتقر إلى الثبات الإنفعالي أي عدم التقلب الإنفعالي ،وسرعة التغير الإنفعالي من حالة إلى أخرى،وعدم النضج الإنفعالي وعدم ملائمة الإستجابات الإنفعاليه بمثيراتها.

(3) دينامية الجماعات Dynamique des groupes: تشير كلمة دينامية في الأصل الاشتقاقي إلى معنى القوة عند اليونان. فقد تناول "ميزونوف" هذا المفهوم (دينامية الجماعة) في كتابه"دينامية الجماعات" وعرفه بقوله: «إن تعبير دينامية الجماعات، مأخوذ في معناه الواسع. يهتم بمجموع المركبات والتطورات التي تتدخل في حياة الجماعات، وخاصة الجماعات"وجها لوجه" أي التي يكون أعضاؤها جميعهم موجودين سيكولوجيا بالنسبة لبعضهم البعض، ويجدون أنفسهم على علاقة متبادلة وتفاعل تقديري». وترجع أغلب الدراسات استخدام كلمة دينامية الجماعات إلى"كورت ليفين" عام 1944 في مقال له حول العلاقات بين النظرية والتطبيق في علم النفس الاجتماعي.

احتياجاته الجسدية والعقلية ويقضي حياته مدافعاً عن ملذاته وممتلكاته ولا يتسع وعيه للمستويات الأعلى من الوجود.

وكان يعتقد فرويد عن مبدأ اللذة أنها، تحكم سلوك الإنسان بشكل كبير، ثم مع تطوره الفكري تحدث عن مبدأ الواقع، ومع تطوره أكثر وأكثر تحدث عن مبدأ الواجب، وبذلك تكون تركيب هرمي متدرج قاعدته مبدأ اللذة وقمته مبدأ الواجب.

فإنا مرحلة الأنا كما يسميها فرويد هي من أصعب مراحل الشخصية حيث ينشأ لدى المراهق التغيرات البيولوجية، الجسدية والنفسية، فيبدأ بالتحرر من سلطة الوالدين ليشعر بالاستقلالية والاعتماد على النفس، وبناء المسؤولية الاجتماعية، كما تؤدي سرعة النمو إلى جعل المهارات الحركية عند المراهق غير دقيقة، وقد يعتري المراهق حالات من اليأس والحزن والألم التي لا يعرف لها سبباً، مما يؤدي إلى خلخلة التوازن النفسي للمراهق، ويزيد من حدة المرحلة ومشاكلها.

*****

الفصل الخامس
خصائص النضج لدى المراهق

إن النضج العاطفي [1] ينشئ إحساساً بالأمان يحول دون جرح مشاعر الشخص فالشخص الناضج عاطفياً يمكنه تبيان ذلك من خلال تعبيره عن الحب وتقبله لتعبيرات الحب من أولئك الذين يحبونه. كما يرى خبرات الحياة كخبرات تعلم وعندما تكون إيجابية فإنه يستمتع ويمرح بالحياة ... يشعر بالأمان دائماً، وهذا الذي يجعله قادراً على إدراك حاجة الآخرين وبالتالي العطاء من مصادره الشخصية، سواء كان العطاء مادياً، وقتاً، جهداً،ليعزز من مستوى حياة أولئك الذين يحبهم ... وعندما تكون غير إيجابية فإنه يتقبل مسؤوليته الشخصية وهو على ثقة أنه سيتعلم منها ليطور من نفسه وحياته .. عندما لا تسير الأمور جيداً فإنه ينظر إليها كفرصة لتحقيق النجاح .. فالتوازن والنضج يتماشيان يداً بيد. فالأشخاص الناضجون يواجهون الواقع بتلهف مدركين أن أسرع الطرق لحل أي مشكلة هو التعامل معها بشكل حازم وفوري.

والشخص الغير ناضج فإنه يضرب بقدميه الأرض، ويحبس أنفاسه ويبكي أو يتحسر على قدره ولكن الشخص الناضج في المقابل فإنه يفكر بطريقة مختلفة وباتجاه مختلف ويستمر مواصلاً حياته الطبيعية. الشخص الناضج يستخدم غضبه كمصدر للطاقة، وحين يشعر بخيبة الأمل أو الإحباط فإنه يضاعف جهده لإيجاد حلول لمشاكله.

1ـ عوامل مساعدة على تكوين النضج

فالبحث عن معانٍ كبيرة في الحياة هي من أهم الأمور في تزويد الشخص وفكره من أجل توضيح الغاية السامية للحياة، وعوضاً عن ذلك المشهد المبنى على نظرة ضيقة نابعة من الرغبات الشخصية فقط، إن التأمل في مخلوقات الله سبحانه

(1) النضج: هو اكتمال الوظائف لدى الإنسان ، الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية والتناغم بينها. وبوجه عام هو الاكتمال والإحكام.

وتعالى تمنح الفكر رقياً وصفاءً، مما يجعلنا، أكثر قدرة على تحديد أهـدافنا في الحيـاة، وبالتالي أكثر قدرة على السعي لتحقيق تلك الأهداف ، إننا حـين نعبـد الله بـيقين، ونتفكر في مخلوقات الله، نستدل بذلك على قدرة الله وعظمته، وبـديع خلقـه، فإننـا بذلك نساهم في بناء قوة أفكارنا من أجل تحقيق الثقة بالله ثم بأنفسنا، والـتي تجعـل من حياتنا أكثر ملائمة مع أنفسنا ومع البيئة التي من حولنا.

كما أن العلاقات الناجحة لا يمكن لأي طرف أن يكون كاسباً على حـساب الطرف الآخر، ولذلك فالعلاقة الجيدة والمبنية على الأسس السليمة، هي التي يجـب أن تكون المكسب ... والمكسب في نفس الوقت هو التعاون مع الآخرين على الـبر والتقوى، والحرص على أن تفعّـل طريقـة أنـت تكـسب، وأنـا أكـسب، والمجتمـع يكسب، فهذه هي العلاقة الجيدة، وذلـك لأجـل حـل خلافاتـك مـع نفـسك ومـع الآخرين، وإذا لم يكن الحل لأي خلاف غير مفيد لكلا الطرفين والمجتمع أيـضاً فإنـه في نهاية المطاف سيخلق شـرخاً قويـاً في العلاقـة بينهمـا إن لم تـصاب في مقتـل ... وأنظر إلى نفسك كمـا يـراك الآخـرون، واطلـب مـن الآخـرين أن يعطـوك تغذيـة راجعة[1] ذات معنى ومغزى حيال سـلوكياتك لتـستطيع مـن خلالهـا أن تبحـث في أعماقك، بعدها كن موضوعياً، وتجنب الـدفاع عـن نفـسك أو التبريـر لـسلوكك،

---

(1) التغذية الراجعة: يقال أن أول من وضع هذا المصطلح هـو: "نـويرت واينـر" عـام 1948 م. وقد تركزت في بدايات الاهتمام بها في مجـال معرفـة النتـائج، وانـصبت في جوهرهـا علـى التأكد فيما إذا تحققت الأهداف التربوية والـسلوكية خـلال عمليـة الـتعلم، أم لا ... كمـا يعتبر مفهوم التغذية الراجعة من المفاهيم التربوية الحديثة التي ظهرت في النصف الثاني مـن القرن العشرين، كما أنها لاقت اهتماما كبيرا من التربويين وعلماء النفس على حـد سـواء. كما يعرفها "مهرنز وليمان" على أنها تزويد الفرد بمستوى أدائه لدفعـه لإنجـاز أفـضل علـى الاختبارات اللاحقة من خلال تصحيح الأخطاء التي يقع فيها. وعرفها "جودين وكلوزماير" وغيرهما بأنها المعلومات التي تقدم معرفة بالنتائج عقب إجابة الطالب .

وعلى العاقل أن يتجنب الأشخاص والمواقف التي تُظهر أسوأ ما فيك، وعوضاً عن ذلك اكشف نفسك للناس والمواقف التي تُظهر أفضل ما فيك.

2ـ المراهق بين العمل العشوائي والعمل المنظم

ينبغي على المراهق السعي إلى التنمية البشرية وذلك من خلال العمل المنظم، والتي تتجه الإدارة الحديثة إلى تنويع نشاطاتها بالقيام بثلاث وظائف رئيسة وهي:

الحصول على الموارد البشرية[1]	تنمية الموارد البشرية[2].	حسن استخدام الموارد البشرية[3].

وهذه الوظائف ليست منفصلة عن بعضها البعض، بل تتكامل مع بعضها البعض من منظومة منسقة للوصول إلى أداء راق لإدارة الأفراد ومن ثم للمجتمع.

مفهوم الإدارة

الإدارة هي عملية اجتماعية، وهي عبارة عن مجموعة من الناس يعملون معا لتحقيق هدف واحد مشترك ... كما ينبغي أن تجتمع في الإداري صفات يستطيع من خلاله أداء عمله بكل كفاءة وإبداع كما نذكر بعض من الموصفات العامة للإداري الماهر وهي كما يلي:

صفات عقلية و فكرية [4]	صفات فنية [5]	صفات ثقافية [6]

(1) وهو الحصول على الموارد البشرية الكفؤة اللازمة للهيئات والمنظمات.

(2) ويقصد بها عملية تنمية المعرفة والمهارات والقدرات للقوى العاملة القادرة على العمل في جميع المجالات.

(3) وذلك ضمانًا لاستخراج أفضل ما في العاملين من طاقات، وحسن معاملتهم وتدبير شؤونهم.

(4) أي أن يكون على قدر من الذكاء.

(5) أي أن يكون ملما بالتخصص الذي يعمل به.

(6) بحيث يكون مطلعا على العلوم الأخرى.

صفات أخلاقية (1)	صفات جسمانية (2)	صفات إنسانية (3)

والإدارة عملية مستمرة، وتأتي بصفة استمراريتها، لعملها من أجل إشباع حاجات الأفراد من السلع، والخدمات وغيرها من أنواع الضروريات الاجتماعية، ولأن هذه الحاجات في تغير مستمر، فلذلك يصبح عمل الإدارة مستمراً طوال الحياة. ومن أجل ذلك فلا بد من معرفة أصول الإدارة من اجل أن نخطط لحاضرنا ومستقبلنا على أحسن وجه ممكن، والشاب الناجح في حياته هو الذي يدرك أهمية النظام والتخطيط الصحيح، حتى لا يتلاعب به الآخرين، وليحذر الشباب في بداية حياتهم أن التخطيط هو مستمر ومتجدد مدى الحياة، ولذلك ينبغي المتابعة والتطوير الدائم.

3ـ أصول الإدارة ومكوناتها الأساسية

وعندما تمارس الإدارة وظيفة التخطيط فإنها تتخذ قرارات معينة في كل مرحلة من مراحل وضع الخطة، سواء عند وضع الهدف، أو رسم السياسات، أو إعداد البرامج، أو تحديد الموارد الملائمة، أو اختيار أفضل الطرق والأساليب لتشغيلها، وعندما تضع الإدارة التنظيم الملائم لمهامها المختلفة وأنشطتها المتعددة فإنها تتخذ قراراتها بشكل صحيح، وعندما تؤدي الإدارة وظيفة الرقابة فإنها أيضًا تتخذ قرارات بشأن تحديد المعايير الملائمة لقياس نتائج الأعمال، والتعديلات لتي سوف تجريها على الخطة والعمل على تصحيح الأخطاء إن وجدت، وهكذا تجري عملية اتخاذ القرارات في دورة مستمرة مع استمرار العملية الإدارية نفسها ... وقد قام هنري فايول بتقسيم أنشطة المؤسسة في كتابه (الإدارة العامة و الصناعية) إلى ست مجموعات:

---

(1) وهي مثل الأمانة و العدل و الإخلاص في العمل.

(2) وذلك حتى يتحمل عبء العمل.

(3) وذلك ليستطيع من خلالها التعامل مع العنصر البشري.

نشاطات فنية [1]	نشاطات تجارية [2]	نشاطات مالية [3]
نشاطات الوقاية و الضمان [4]	نشاطات محاسبية [5]	نشاطات إدارية [6]

و قد تعرض فايول في كتابه[7] إلى ثلاث مواضيع رئيسة في المجال الإداري وهي:

الصفات الإدارية	المبادئ العامة للإدارة	عناصر الإدارة

مبادئ فايول: سوف نذكر ونعرّف الوظائف الأساسية الخمسة للإدارة كما جاء في كتاب هنري فايول "النظرية الكلاسيكية للإدارة"[8] والتي تعرف بأصول "فايول" للإدارة وهي كما يلي:

التخطيط [9]	التنظيم [10]	التوظيف [11]	التوجيه [12]	الرقابة [1]

(1) Technical Activities الإنتاج و التصنيع

(2) Commercial Activities الشراء البيع المبادلة.

(3) Financial Activities البحث و الاستخدام الأمثل لرأس المال.

(4) Security Activities وهي حماية الممتلكات والأشخاص و المحافظة على سلامتهم في المؤسسة.

(5) Accounting Activities وتشمل تسجيل الحسابات و اعداد الميزانية و معرفة التكاليف وعمل الإحصاءات.

(6) Management Activities التخطيط و التنظيم وإصدار الأوامر و التنسيق و الرقابة .

(7) كتاب هنري فايول "النظرية الكلاسيكية للإدارة"

(8) للمؤلف هنري فايول (1841 – 1925)

(9) التخطيط: وهي تهتم بتوقع المستقبل وتحديد أفضل السبل لإنجاز الأهداف التنظيمية.

(10) التنظيم: يعرف التنظيم على أنه الوظيفة الإدارية التي تمزج الموارد البشرية والمادية من خلال تصميم هيكل أساسي للمهام والصلاحيات.

(11) التوظيف: وهو يهتم باختيار وتعيين وتدريب ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب في المنظمة.

(12) التوجيه: وهو إرشاد وتحفيز الموظفين باتجاه أهداف المنظمة.

القاعدة الأولى: التخطيط

فالإنسان منذ القدم يعيش مع الجماعة لأنه مدني بطبعه لا يحب أن يعيش منعزلا عن الناس، فالإدارة وسيلة مهمة لتسيير أمر الجماعة و الفرد نحو أهدافها، و كذلك مهمة لتسيير أمور المؤسسة نحو تحقيق أهدافها، فتطبيق الإدارة داخل المؤسسة، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، تجارية أو صناعية رياضية أو عسكرية، أمراً ضرورياً ... و علي الرغم من وجود قليل من المؤسسات التي حققت نجاحا بدون إدارة فعالة، وذلك يرجع إلى حدا ما من الأمور النادرة، والذي قد يعود إلى الأمور المتوارثة أو المعتاد عليها، إلا أن هذا لا يعني أن التقدم الحضاري يقوم بدون جهود الإدارة.

إن العلم بالإدارة والعمل بالتخصص يكسب الإنسان الصلاحيات والقدرة على تنفيذ القرارات، إذ بدون العلم يبقى المدير تقليدياً يمارس ما تعلمه في ميدان العمل عبر السنين، وبدون الخبرة يبقى علم المدير نظرياً لا يسعفه عند الحاجة إليه في المواقف العلمية، ومن لا يملك الصلاحيات والقدرة على تنفيذ القرارات ليس أكثر من ديكور وضع على مكتب، فكما أنه يجب أن يكون المدير قوياً في غير عنف فكذلك يجب أن يكون متواضعاً في غير ضعف ليكسب القلوب فيسعى الجميع للتعاون معه ولا يحصل ذلك إلا من خلال العلم.

إن الإدارة هي التخطيط ثم التنفيذ لاستغلال الإمكانات الممكنة والتنسيق بينها لتحقيق الأهداف المتوخاة في ظل التوجيه والرقابة ... وما من عمل إلا ويحتاج إلى إدارة، ونتيجة لتطور علم الإدارة وكثرة الدراسات والأبحاث فيه استطاع الدارسون لعلم الإدارة تمييز أنواع كثيرة من الأساليب الإدارية، كما أن هذا التمييز قائم على رصد للواقع في حياة الناس فالإدارة إذاً هي التي يحتاجها

---

(1) الرقابة: وهي الوظيفة الإدارية الأخيرة وهي مراقبة أداء المنظمة وتحديد ما إذا كانت حققت أهدافها أم لا.

الجميع رب الأسرة والموظف والتاجر والفلاح والراعي وكل منهم يحتاج إلى الإدارة في عمله، وبالذات إدارة العاملين في الأعمال الوظيفية.

وحول تطوير الوعي الاستراتيجي انطلاقاً من تشخيص التغيير الشامل للمنظمة المرتبط بالصياغة الإستراتيجية التي تتمحور حول تحديد المسار وطريقة الوصول إلى الهدف.

كما تعتبر الإدارة الإستراتيجية هي ذروة الإبداع الإداري في الفكر والتطبيق ولعل، الفريد شاندلر [1] أول من اهتم من بين الإداريين المعاصرين بالإستراتيجية ... كما أعدت (جوان ودورد) أستاذة الإدارة في جامعة اشتون بحثاً ربطت فيه التغيرات التنظيمية بالتقنية والإستراتيجية المعتمدة وذلك في عام 1965 ... كما عرض (وهلين وهنجر) مفهومهما للإدارة الإستراتيجية وذلك في عام 1976 من خلال بحث شامل للإدارة الإستراتيجية.

ثم جاء (كبنر – وتريجو) ليخوضا في مضمار الإستراتيجية من خلال القول بأن (قوة الدفع) التي تمثل مجال المنتجات أو الأسواق أو القدرات التي تعتبر مصدر القوة للشركة وغيرها من الأعمال الإدارية، هي التي تشكل الإطار العام للإستراتيجية حيث إن تحديد (قوة الدفع) يساهم في صياغة الأهداف الشاملة وأهداف الوحدات المكونة في ظل أن الأهداف الشاملة تعتبر الجسر مابين الإستراتيجية الشاملة وبين استراتيجيات الوحدات المكونة لها.

---

(1) الفريد شاندلر: هو أستاذ التاريخ الإداري في جامعة هارفارد الأمريكية، وهو أول من اهتم من علماء الإدارة المعاصرين بالإستراتيجية في أبحاثه الإدارية، حينما استعرض في كتابه الذي أصدره عام 1962 الهياكل التنظيمية للشركات الكبرى في أمريكا، وخرج بأربع استراتيجيات تتعلق بالنمو والتطور، مؤكداً أن تنمية وتطور الهياكل التنظيمية يعتمد بشكل أساسي على الإستراتيجية.

كما تهتم الإدارة لإستراتيجية بالنظرة الكلية المتكاملة فتهيئ للإداري أن يخرج بفكر استراتيجي متكامل للعملية الإدارية، وتعرفه كيف يفكر تفكيراً استراتيجياً بعيد المدى بصورة منطقية مرتبة ومنظمة، كما أنها تقدم للممارس أيضاً أسلوباً متكاملاً لإدارة منشأته إدارة إستراتيجية تمكنه من تحقيق الفعالية الإدارية، والاستفادة بالمزايا التنافسية ليكون في مكان القيادة والريادة ... وغالبا ما يعدّ التخطيط الوظيفة الأولى من وظائف الإدارة، فهي القاعدة التي تقوم عليها الوظائف الإدارية الأخرى. والتخطيط عملية مستمرة تتضمن تحديد طريقة سير الأمور للإجابة عن الأسئلة التالية:

- **ماذا نريد أن نفعل؟**
- **أين نحن من ذلك الهدف الآن؟**
- **ما هي العوامل التي ستساعدنا أو ستعيقنا عن تحقيق الهدف؟**
- **ما هي البدائل المتاحة لدينا لتحقيق الهدف؟ وما هو البديل الأفضل؟**

كما أنه بواسطة التخطيط سيمكنك إلى حد كبير كمدير من تحديد الأنشطة التنظيمية اللازمة لتحقيق الأهداف ... ومن خلال التخطيط ستحدد طرق سير الأمور التي سيقوم بها الأفراد والإدارات، والمنظمة ككل لمدة أيام، وشهور، وحتى سنوات قادمة. كما أن التخطيط يحقق هذه النتائج من خلال:

- **تحديد الموارد المطلوبة.**
- **تحديد عدد ونوع الموظفين (فنيين، مشرفين، مدراء) المطلوبين.**
- **تطوير قاعدة البيئة التنظيمية حسب الأعمال التي يجب أن تنجز (الهيكل التنظيمي).**
- **تحديد المستويات القياسية في كل مرحلة وبالتالي يمكن قياس مدى تحقيقنا للأهداف مما يمكننا من إجراء التعديلات اللازمة في الوقت المناسب.**

1ـ خطوات إعداد الخطط التنفيذية

كما تهتم الإدارة لإستراتيجية بالنظرة الكلية المتكاملة فتهيء للإداري أن يخرج بفكر استراتيجي متكامل للعملية الإدارية، وتعرفه كيف يفكر تفكيراً استراتيجياً بعيد المدى بصورة منطقية مرتبة ومنظمة، كما أنها تقدم للممارس أيضاً أسلوباً متكاملاً لإدارة منشآته إدارة إستراتيجية تمكنه من تحقيق الفعالية الإدارية، والاستفادة بالمزايا التنافسية ليكون في مكان القيادة والريادة ... كثيرة هي التعاريف التي أطلقت إلى المنهج الاستراتيجي في الإدارة و التوقعات من اعتماد هذا المنهج ولعل أهمها:

وضع الأهداف	تحليل وتقييم البيئة	تحديد البدائل	تقييم البدائل
اختيار الحل الأمثل	تنفيذ الخطة	مراقبة وتقييم النتائج	

2ـ أنواع التخطيط.

كما يمكن تصنيف التخطيط حسب الهدف منه أو اتساعه إلى ثلاث فئات مختلفة تسمى:

التخطيط الاستراتيجي	التخطيط التكتيكي	التخطيط التنفيذي

كما تهدف الإستراتيجية إلى تحقيق هدف السياسة عن طريق الاستخدام المثل لكافة الإمكانات والوسائل المتوفرة. كما تتباين الوسائل التي تستخدمها الإستراتيجية لتحقيق هدفها تبعا للتباين في طبيعة وأهمية ذلك الهدف وتبعا للإمكانات والقدرات المتاحة للظروف والأجواء المحلية والدولية السائدة ... وضمانا لهذا التكامل والتوائم فقد وضعت الإستراتيجية، ثلاثة أنواع من التخطيط وهي:

1ـ التخطيط الاستراتيجي

يهتم التخطيط الاستراتيجي بالشؤون العامة للمنظمة ككل ... ويبدأ التخطيط الإستراتيجي ويوجّه من قبل المستوى الإداري الأعلى ولكن جميع المستويات الإدارة يجب أن تشارك فيها لكي تعمل ... وغاية التخطيط الاستراتيجي هي:

- إيجاد خطة عامة طويلة المدى تبين المهام والمسؤوليات للمنظمة ككل.
- إيجاد مشاركة متعددة المستويات في العملية التخطيطية.
- تطوير المنظمة من حيث تآلف خطط الوحدات الفرعية مع بعضها البعض

2ـ التخطيط التكتيكي

يركز التخطيط التكتيكي على تنفيذ الأنشطة المحددة في الخطط الاستراتيجية. هذه الخطط تهتم بما يجب أن تقوم به كل وحدة من المستوى الأدنى، وكيفية القيام به، ومن سيكون مسؤولاً عن إنجازه. التخطيط التكتيكي ضروري جدا لتحقيق التخطيط الاستراتيجي. المدى الزمني لهذه الخطط أقصر من مدى الخطط الاستراتيجية، كما أنها تركز على الأنشطة القريبة التي يجب إنجازها لتحقيق الاستراتيجيات العامة للمنظمة.

3ـ التخطيط التنفيذي

يستخدم المدير التخطيط التنفيذي لإنجاز مهام ومسؤوليات عمله. ويمكن أن تستخدم مرة واحدة أو عدة مرات. الخطط ذات الاستخدام الواحد تطبق على الأنشطة التي تتكرر. كمثال على الخطط ذات الاستخدام الواحد خطة الموازنة. أما أمثلة الخطط مستمرة الاستخدام فهي خطط السياسات والإجراءات.

القاعدة الثانية: التنظيم

والتنظيم [1] يعني التكامل بين أجزاء وظيفية متفرقة للتقليل من الازدواجية والتكرار والتداخل والالتباس في البرامج والجهود ... وظيفة التنظيم هي عملية دمج الموارد البشرية والمادية من خلال هيكل رسمي يبين المهام والسلطات.

كما أن المحصلة النهائية من عملية التنظيم في المنظمة: أن كل الوحدات التي يتألف منها (النظام) تعمل بتآلف لتنفيذ المهام لتحقيق الأهداف بكفاءة وفاعلية ... كما أن العملية التنظيمية ستجعل تحقيق غاية المنظمة المحددة سابقا في عملية التخطيط أمرا ممكنا. بالإضافة إلى ذلك، فهي تضيف مزايا أخرى ومنها .

توضيح بيئة العمل	تنسيق بيئة العمل	الهيكل الرسمي لاتخاذ القرارات

كما أن هنالك أربعة أنشطة بارزة في التنظيم يبين العلاقات وبين الأنشطة والسلطات[2]:

- **تحديد أنشطة العمل التي يجب أن تنجز لتحقيق الأهداف التنظيمية.**
- **تصنيف أنواع العمل المطلوبة ومجموعات العمل إلى وحدات عمل إدارية.**
- **تفويض العمل إلى أشخاص آخرين مع إعطائهم قدر مناسب من السلطة.**
- **تصميم مستويات اتخاذ القرارات.**

قواعد التنظيم

احترام الخطط والأهداف		تحديد الأنشطة الضرورية لإنجاز الأهداف
تصنيف الأنشطة	تفويض العمل والسلطات	تصميم مستويات العلاقات

(1) Organizing

(2) وارين بلنكت و ريموند اتنر في كتابهم مقدمة الإدارة

القاعدة الثالثة: التوظيف

إن المنظمة مطالبة بتحديد وجذب الموظفين المؤهلين لملء المواقع الشاغرة فيها من خلال التوظيف والمحافظة عليهم. كما تنفق المنظمة أو الحكومة، أموالاً كثيرة لتأهيل كوادرها البشرية والارتقاء بالمستوى المهني لموظفيها إضافة إلى تطبيق برامج وحملات إعلامية منظمة لرفع مستوى الوعي داخل المجتمع ... كما يعتمد الاستقرار والأداء المتميز على العلاقات الودية السائدة بين جميع العاملين فيها. كما أن سيادة هذه العلاقات الإيجابية داخل بيئة العمل تساعد القوى العاملة في الشركة على تقديم خدمة متميزة ومواجهة التحديات متسلحين بقيم التعاون والأخلاق التي تطبقها في مجالات العمل ... ذلك لأننا ندرك أن عملية إدارة الموارد البشرية يجب أن تتسم بالمرونة والديناميكية وكذلك السعي الدؤوب إلى تطوير الإمكانيات والمهارات الفردية علمياً وعملياً والاستفادة مما توفره الشركة من برامج ودورات تدريبية ودراسية لتحديث المعلومات والوقوف على المستجدات بحيث تستوعب تطورات السوق وتواكب متطلباته.

كما أن الناس المتمين لشركتك هم المورد الأكثر أهمية من جميع الموارد الأخرى. كما أن هذه الموارد البشرية حصلت عليها المنظمة من خلال التوظيف...كما أن التوظيف يبدأ بتخطيط الموارد البشرية واختيار الموظفين ويستمر طوال وجودهم بالمنظمة ... كما يمكن تبيين التوظيف على أنها عملية مكونة من ثمان مهام صممت لتزويد المنظمة بالأشخاص المناسبين في المناصب المناسبة. وهذه الخطوات الثمانية تتضمن في الشكل التالي:

تخطيط الموارد البشرية (1)	توفير الموظفين (1)	الاختيار (2)	التعريف بالمنظمة (3)

(1) وهي الغاية من تخطيط الموارد البشرية هي التأكد من تغطية احتياجات المنظمة من الموظفين.

التدريب والتطوير [4]	تقييم الأداء [5]	قرارات التوظيف [6]	إنهاء الخدمة [7]

القاعدة الرابعة: التوجيه

وظيفة التوجيه يشار إليها أحيانا على أنها التحفيز، أو القيادة، أو الإرشاد، أو العلاقات الإنسانية. لهذه الأسباب يعتبر التوجيه الوظيفة الأكثر أهمية في المستوى الإداري الأدنى لأنه ببساطة مكان تركز معظم العاملين في المنظمة ... وبالعودة لتعريفنا للقيادة 'إنجاز الأعمال من خلال الآخرين' إذا أراد أي شخص أن يكون مشرفا أو مديرا فعالا عليه أن يكون قياديا فعالا، فحسن مقدرته على توجيه الناس تبرهن مدى فعاليته.

وذلك بمجرد الانتهاء من صياغة خطط المنظمة وبناء هيكلها التنظيمي وتوظيف العاملين فيها، تكون الخطوة التالية في العملية الإدارية هي توجيه الناس

---

(1) في هذه العملية يجب على الإدارة جذب المرشحين لسد الاحتياجات من الوظائف الشاغرة ... كما تستخدم الإدارة أداتين في هذه الحالة هما مواصفات الوظيفة ومتطلباتها.

(2) بعد عملية التوفير، يتم تقييم هؤلاء المرشحين الذين تقدموا لشغل المواقع المعلن عنها، ويتم اختيار من تتطابق عليه الاحتياجات.

(3) عملية التعريف بالمنظمة تتضمن تعريف مجموعات العمل بالموظف الجديد وإطلاعه على سياسات وأنظمة المنظمة ... بمجرد اختيار الموظف يجب أن يتم دمجه بالمنظمة.

(4) التدريب والتطوير تساعد لمنظمة على زيادة قدرة الموظفين على المشاركة في تحسين كفاءة المنظمة.

(5) يتم تصميم هذا النظام للتأكد من أن الأداء الفعلي للعمل يوافق معايير الأداء المحددة.

(6) قرارات التوظيف تعتمد على نتائج تقييم الأداء _ كالمتعلقة بالمكافآت التشجيعية، النقل، الترقيات، وإنزال الموظف درجة

(7) يجب أن تكون من اهتمامات الإدارة وهي كالاستقالة الاختيارية، والتقاعد، والإيقاف المؤقت، والفصل .

باتجاه تحقيق الأهداف التنظيمية. في هذه الوظيفة الإدارية يكون من واجب المدير تحقيق أهداف المنظمة من خلال إرشاد المرؤوسين وتحفيزهم.

1ـ مفهوم متغيرات التوجيه

كما أن أساس توجيهاتك لمرؤوسيك سيتركز حول نمطك في القيادة، وذلك من خلال الأنماط أو الصفات المعاصرة التالية وهي:

دكتاتوري [1]	ديموقراطي [2]

أي طريقتك في اتخاذ القرارات. كما أن هنالك العديد من المتغيرات التي ستتدخل في قرارك بكيفية توجيه مرؤوسيك مثل: مدى خطورة الحالة، نمطك القيادي، تحفيز المرؤوسين، وغيرها. بالإضافة إلى ذلك، بكونك قائد موجه للآخرين عليك:

- **معرفة جميع الحقائق عن الحالة.**
- **التفكير في الأثر الناجم عن قرارك على المهمة.**

(1) ديكتاتورية أو (ديكتاتور): هي كلمة مشتقه من الفعل (dictate) أي يملي و المصدر dictation أي إملاء و هنالك استخدامين لمفهوم الديكتاتورية: الأول:– في حقبة الجمهورية الرومانية القديمة و قد اختص الديكتاتور الروماني بسلطة مطلقة زمن الطوارئ، و قد كان عليه أن يحصل على تشريع مسبق من مجلس الشيوخ يمنحه هذا المنصب. – والاستعمال الثاني:– وهو المعاصر للكلمة و الذي يشير إلى شكل من أشكال الحكم المطلق لفرد واحد دون التقيد بالدستور أو القوانين أو أي عامل سياسي أو اجتماعي داخل الدولة التي يحكمها.

(2) الديمقراطية: هي شكل من أشكال الحكم السياسي قائمٌ بالإجمال علَى التداول السلمي للسلطة و حكم الأكثريّة و حماية حقوق الأقليّات و الأفراد. و يمكن استخدام مصطلح الديمقراطية بمعنى ضيق لوصف نظام الحكم في دولة ديمقراطيةٍ، أو بمعنى أوسع لوصف مجتمع حر.

- **الأخذ بعين الاعتبار العنصر البشري عند اتخاذك للقرار.**
- **تأكد من أن القرار الذي تم اتخاذه هو القرار السليم الذي كان عليك اتخاذه.**

وإذا كنت صفتك شخص يوجه أنشطة الآخرين فعليك أيضا:

- **تفويض المهام الأولية لجميع العاملين.**
- **جعل الأوامر واضحة ومختصرة.**
- **متابعة كل شخص تم تفويضه، وإعطاء أوامر محددة سواء كانت كتابية أو شفوية.**

2ـ إرشادات حول عملية التوجيه

حاول أن تركز اهتمامك – واهتمام الموظفين- على الأهداف الواجب تحقيقها .وقبل أن تطلب منهم البدء في عمل ثاني انتظر حتى ينتهي العاملون من العمل الأول، المشرفين الجدد يخطئون أحيانا بالتباهي بسلطاتهم. أما المشرفين الأكثر نضجا فغالبا ما يكونون أكثر قربا من موظفيهم(1).

اجعل تعليماتك مختصرة ومباشرة	انتبه للتعليمات المتضاربة (2)	لا تعطي الكثير من الأوامر (3)
تجنب الأساليب الخشنة	انتبه لكلماتك	عليك مراقبة نبرة صوتك.

(1) المقترحات التالية مقتبسة من "ما الذي يجب أن يعرفه كل مشرف" للكاتبان ليستار بيتل و جون نيستروم.

(2) تأكد من أنك لا تقول لموظفيك أمرا ما بينما المشرفين في الإدارات المجاورة يقولون لموظفيهم ما يعارض ذلك

(3) المعلومات الزائدة عن الحد تعتبر مثبطة للعاملين.

حاول عدم تمييز أي شخص	لا تفترض أن الموظفين فهموا كل شيء	أعطهم التفاصيل المهمة فقط (1)
لا تختار العامل المستعد للعمل فقط (2)	لا تلعب التسديدة الكبرى	تأكد من حصولك على التغذية الراجعة بالطريقة الصحيحة (3)

القاعدة الخامسة: الرقابة.

كما أن التّخطيط، والتنظيم، والتّوظيف، والتوجيه يجب أن يتابعوا للحفاظ على كفاءتهم وفاعليتهم ... لذلك فالرقابة آخر الوظائف الخمسة للإدارة، وهي المعنيّة بالفعل بمتابعة كلّ من هذه الوظائف لتقييم أداء المنظّمة تجاه تحقيق أهدافها. في الوظيفة الرقابية للإدارة سوف تنشئ معايير الأداء التي سوف تستخدم لقياس التقدّم نحو الأهداف ... كما أن مقاييس الأداء هذه صمّمت لتحديد ما إذا كان الناس والأجزاء المتنوّعة في المنظّمة على المسار الصحيح في طريقهم نحو الأهداف المخطط تحقيقها.

خطوات لعملية الرقابة

كما أن وظيفة الرقابة مرتبطة بشكل كبير بالتّخطيط. والغرض الأساسيّ من الرقابة هو تحديد مدى نجاح وظيفة التخطيط ... وهذه العمليّة يمكن أن تحصر في

(1) بالنسبة للمساعدين القدماء، لا يوجد ما يضجرهم أكثر من استماعهم لتفاصيل معروفة

(2) تأكد من أنك لا تحمل الشخص المستعد أكثر من طاقته. وتأكد أيضا من إعطاء الأشخاص الصعب قيادتهم نصيبهم من العمل الصعب أيضا

(3) أعط الموظفين الذين يريدون الاعتراض على المهام الفرصة لعمل ذلك في الوقت الذي تفوض فيه المهام لهم. إن معرفة والسيطرة على المعارضة وسوء الفهم قبل بدء العمل أفضل من الانتظار لما بعد.

أربعة خطوات أساسيّة تطبّق على أيّ شخص أو بند أو عملية يراد التحكم بها ومراقبتها وهذه الخطوات الأساسية الأربعة هي:

1- **إعداد معايير الأداء:** المعيار أداة قياس، كمّيّة أو نوعيّة، صمّمت لمساعدة مراقب أداء الناس والسّلع أو العمليّات. المعايير تستخدم لتحديد التقدّم، أو التأخر عن الأهداف.

طبيعة المعيار المستخدم يعتمد على الأمر المراد متابعته. أيّا كانت المعايير، يمكن تصنيفهم جميعا إلى إحدى هاتين المجموعتين:

المعايير الإداريّة	و المعايير التّقنيّة

فيما يلي وصف لكلّ نوع.

أ- **المعايير الإداريّة:** تتضمّن عدة أشياء كالتقارير واللوائح وتقييمات الأداء. ينبغي أن تركّز جميعها على المساحات الأساسيّة ونوع الأداء المطلوب لبلوغ الأهداف المحددة. تعبّر المقاييس الإداريّة عن من، ومتى، ولماذا العمل. مثال: يطالب مدير المبيعات بتقرير شهريّ من كلّ الباعة يبين ما تم عمله خلال الشهر.

ب-**المعايير التّقنيّة:** كما يحدّد ماهية وكيفية العمل وهي تطبق على طرق ومنها:

الإنتاج	والعمليّات	والموادّ
والآلات	ومعدّات السلامة	والموردين

كما يمكن أن تأتي المعايير التّقنيّة من مصادر داخليّة وخارجيّة مثال ذلك: معايير السلامة أمليت من خلال لوائح الحكومة أو مواصفات المصنّعين لمعدّاتهم.

2- **متابعة الأداء الفعليّ:** هذه الخطوة تعتبر مقياس وقائيّ.

3- **قياس الأداء:** في هذه الخطوة، يقيس المديرين الأداء ويحدّدون إن كان يتناسب مع المعايير المحدّدة ... إذا كانت نتائج المقارنة أو القياسات مقبولة - خلال

الحدود المفترضة- فلا حاجة لاتخاذ أي إجراء. إما إن كانت النتائج بعيدة عن ما هو متوقع أو غير مقبولة فيجب اتخاذ الإجراء اللازم.

4- **تصحيح الانحرافات عن المعايير:** تحديد الإجراء الصحيح الواجب اتخاذه يعتمد على ثلاثة أشياء:

1. **المعيار.**
2. **دقّة القياسات التي بيّنت وجود الانحراف.**
3. **وتحليل أداء الشخص أو الآلة لمعرفة سبب الانحراف.**

كما نضع في الاعتبار كذلك أن تلك المعايير قد تكون مرخيّة جدًّا أو صارمة جدًّا. وأن القياسات قد تكون غير دقيقة بسبب رداءة استخدام آلات القياس، أو بسبب وجود عيوب في الآلات نفسها. ومن الممكن أن تصدر عن الناس أحكاما رديئة عند تحديد الإجراءات التّقويميّة الواجب اتخاذها.

القاعدة السادسة: التدريب

كما يعتبر التدريب الإداري في عصرنا الحاضر موضوعًا أساسياً من موضوعات الإدارة نظرًا لما له من ارتباط مباشر بالكتابة الإنتاجية وتنمية الموارد البشرية ... وقد أصبح التدريب يحتل مكانة الصدارة في أولويات عدد كثير من دول العالم، المتقدمة منها والنامية على حداً سواء، وباعتباره أحد السبل المهمة لتكوين جهاز إداري كفؤ، وسد العجز والقصور في الكتابات الإدارية لتحمل أعباء التنمية الاقتصادية والاجتماعية في هذه الدول.

كما يهدف التدريب الإداري إلى تزويد المتدربين بالمعلومات والمهارات والأساليب المختلفة المتجددة عن طبيعة أعمالهم الموكولة لهم وتحسين وتطوير مهاراتهم وقدراتهم، ومحاولة تغيير سلوكهم واتجاههم بشكل إيجابي، وبالتالي رفع مستوي الأداء والكفاءة الإنتاجية.

كما أن التدريب هو مجموعة الأفعال التي تسمح لأعضاء المنظمة أن يكونوا في حالة من الاستعداد والتأهب بشكل دائم ومتقدم من أجل وظائفهم الحالية والمستقبلية في إطار منظمتهم وبيئتها.

يقول **لوديتشينا** كان يعتقد كثير من الناس بأن التخطيطَ المدروسَ لمواجهة الظروف الخارجية لا تأثير له البتة على النجاح في الأسواق الخارجية. ونتيجةً لذلك، يفتقر معظم الشركات في هذه الأيام إلى الوسائل الضرورية لتعرّف الأخطار الخارجيّة وإدارتها، وتجد هذه الشركات نفسها تائهة في خضمّ هذا العالم الذي يتزايد تعقيدًا باستمرار.

كما يقصد بتنمية الموارد البشرية زيادة عملية المعرفة والمهارات والقدرات للقوى العاملة والقادرة على العمل في جميع المجالات، والتي يتم انتقاؤها واختيارها في ضوء ما أُجري من اختبارات مختلفة بغية رفع مستوى كفاءتهم الإنتاجية لأقصى حد ممكن.

كما أن القدرة على أداء الوظيفة شيء مهم، ولقد كان هو الهدف من عملية الاختبار للموظف، ولكن لا يكفي إذ يجب أن نعرف كيف نؤدي هذه الوظيفة بكفاءة وفعالية في إطار المناخ التنظيمي الموجود، أي أن امتلاك المعرفة النظرية والعملية شروط ضرورية للنجاح ولكنها غير كافية إذ لا بد أيضًا من توافر الرغبة في العمل، فالإنسان لا يعمل وحده وإنما يعمل مع آخرين ربما تتعارض أهدافهم أو أغراضهم، ولا بد أن يعرف كيف يعمل الجميع في إطار التعاون وروح الجماعة.

كما تتعدد أنواع التدريب وتختلف من مفهوم إلى آخر، ولكن يمكن أن نقسم التدريب إلى أنواع حسب المكان الذي تم فيه، فهناك نوعان مهمان من التدريب، وهي كما يلي:

التدريب أثناء الخدمة	والتدريب خارج العمل

أولاً: التدريب أثناء الخدمة.

كما يقوم هذا النوع من التدريب على فكرة قديمة فكرة التلمذة المهنية التي تعني أساسًا أن تلقي الموظف الجديد التعليمات والتوجيهات التي تبين له أسلوب العمل من رئيسه الذي يتولاه بالرعاية خلال الفترة الأولى فيبين له الصواب من الخطأ والحقوق والواجبات، وأفضل أسلوب لأداء العمل وآداب السلوك الوظيفي.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن أول واجبات الرئيس المباشر ما زالت تكمن في توجيه من يعملون معه لأفضل الأساليب لأداء العمل، وللسلوك الوظيفي الإيجابي، بل ويستمر هذا الدور ليس فقط في فترة التواؤم مع متطلبات الوظيفة ولكن أيضًا خلال الحياة الوظيفية للموظف، فهو يحتاج باستمرار للتنمية وتطوير

قدراته ومهاراته واستعداداته حتى يتقن ما يقوم به من عمل ويكون مستعدًا للترقية لأعمال ذات مسئولية أكبر وأخطر من مسئولياته الحالية.. ولهذا النوع من التدريب وسائل مختلفة تتم أثناء الخدمة كما الشكل التالي وفي نفس مكان العمل منها:

قضاء فترة تسمى 'فترة التجربة[1]	الدوران بين عدة وظائف أو نشاطات[2]	المكتب المجاور[3]

(1) تمتد لعدة أشهر قبل أن يصبح الموظف الجديد مسؤولاً تمامًا عن عمله.

(2) يعرض فيها المتدرب لرؤية مختلفة لشتى الوظائف التي يحتاج إلى الإلمام بها

(3) حيث يوضع مكتب الموظف الجديد إلى جوار مكتب رئيسه مباشرة، أو إلى جوار مكتب زميله القديم الذي سوف يقوم بتدريبه، فيلاحظ سلوكه وتصرفاته وقراراته، ويسند إليه المدرب بعض الأعمال بالتدريج فيقوم بها في البداية تحت إشرافه ثم يبدأ في الاستقلال بإنجاز أعماله كاملة.

شغل وظائف الغائبين[1]	توجيه الأسئلة[2]	المشاركة في أعمال اللجان[3]	الوثائق والنشرات[4]

ويهذا يمكن أن تساهم إدارة التدريب وتنمية الموارد البشرية بالتعاون مع الرئيس المباشر لكل قسم في وضع أحسن الأساليب لتدريب الموظفين الجدد، أو القدامى المرشحين للترقية، أو الذين يعانون من ضعف الأداء بهدف زيادة كفاءتهم ورفع قدراتهم عن طريق التنمية والتدريب المستمرين.

ثانيًا: التدريب الرسمي خارج العمل

ويقصد بالتدريب الرسمي أن يكون التدريب استعدادات وإجراءات وشهادات حيث يدور في أماكن خارج العمل إما في قسم مستقل تابع لمنشأة نفسها، أو خارجها في جهات متخصصة مثل معاهد الإدارة أو مراكز التدريب أو الجامعات أو بعض الجهات أو المكاتب المتخصصة.

(1) حيث يمكن التدريب عمل طريق تكليف الزملاء بالقيام بأعمال رؤسائهم أو مدربيهم أو زملائهم القدامى لفترة محدودة أثناء غيابهم. مع الرجوع إلى المدير المسؤول في حالة مواجهة صعوبات.

(2) حيث يمكن للرئيس أو الزميل القديم أن يدرب الموظف الجديد عن طريق سؤالين بين الحين والآخر عما يمكن فعله في بعض المواقف، ثم يبدأ يحيل إليه بعض الأمور ويراقبه فيها.

(3) وذلك عن طريق تعرض المتدرب لخبرات وأراء أفراد آخرين، ويحاول المتدرب المتمرس على عرض وجهة نظره بأسلوب منطقي مقنع يعرض فيه لكل الجوانب.

(4) حيث توزع تعليمات على الموظفين الجدد كل فترة من الزمن تشمل تعليمات وتوجيهات حول أفضل الأساليب لأداء العمل والواجبات والمسؤوليات والسلوكيات الوظيفية، ووظائف المنظمة وفرص الترقي، وكيفية تحسين الأداء إلى جانب معلومات متخصصة في وظيفته الجديدة.

كما أن لهذا النوع من التدريب وسائل وأساليب متنوعة منها:

المحاضرات، والحلقات الدراسية، والمؤتمرات، والمناقشات الجامعية، والحوار المفتوح، ودراسة الحالة، وتمثيل الأدوار، وسلة القرارات، والمباريات الإدارية، والزيارات الميدانية ... والمفاضلة بين أسلوب وآخر تركز على اعتبارات وعوامل عديدة يجب مراعاتها قبل عملية اختيار الأسلوب التدريبي الملائم، ومن أهم هذه الاعتبارات:

مدى ملائمة الأسلوب التدريبي للمادة التدريبية وللأفراد المتدربين.
طبيعة المتدربين واتجاهاتهم ومستوياتهم العلمية والتنظيمية.
إمكانية توافر التسهيلات المادية للتدريب، مثل القاعات والأجهزة والمعدات اللازمة لإنجاز العملية التدريبية.
نفقات استخدام كل وسيلة تدريبية وملائمتها مع موازنة التدريب.
مدى ملائمة الوقت والمكان المتاح لكل وسيلة تدريبية.
درجة إلمام المدرب نفسه بالأسلوب التدريبي.
عدد المشتركين في البرنامج التدريبي، فكلما كان عدد المشاركين قليلاً كلما أمكن استخدام الأساليب القائمة على المناقشة.

خطوات التدريب: كما تتكون نظرية التدريب أو خطواتها من أربع مراحل منطقية ومتتابعة، وتبدأ هذه المراحل:

بتحديد الاحتياطات التدريبية[1]	تصميم لبرنامج التدريب[2]	مرحلة تنفيذ برنامج التدريب[3]	تقييم برنامج التدريب[4]

لذا يجب على الشركات أن تضع استراتيجياتٍ للتوسع، حتى في حال وجود ارتياب ومفاجآت خارجية، علماً بأن توفر فرص ذهبية للأعمال في الأسواق الخارجية لا يعني أبدًا عدم وجود أخطار ومجازفات ... ويقال أنه في الثمانينيات من القرن الماضي، أسفرت عمليات الشركات لتخفيض تكاليفها وإعادة هيكلتها عن إنشاء أقسام للتخطيط الاستراتيجي، وهذا أدى إلى أفرز جيلاً جديدًا من قياديي الأعمال الذين كانوا ينظرون إلى العالم نظرةً تتسم بالتفاؤل والأمل.

ويقول لوديتشينا: منذ زمن ليس بالبعيد ، توفرت للشركات المرموقة قدراتٌ متطورةٌ لمراقبة التغيرات التي تستجدّ في محيطها الخارجي ... وثمة شركات مثل: Royal Duch / Shell أضافت إليها أقسامًا متطورة للتخطيط الاستراتيجي وإدارة الأخطار، مهمتها الموازنة بين إفادتها من الفرص التي تعتقد

(1) والتي تعني تحديد المهارات المطلوب رفعها لدى أفراد وإدارات معينة.

(2) يعني ترجمة الأهداف إلى موضوعات تدريبية وتحديد الأسلوب الذي سيتم استخدامه بواسطة المتدربين في توصيل موضوعات التدريب إلى المتدربين كما يتم تحديد المعنيات التدريبية، وكذلك وآجزء من تصميم برنامج التدريب يجب تحديد المدربين في البرنامج، وأيضًا تحديد ميزانية التدريب.

(3) والتي تتضمن الأنشطة مثل تحديد الجدول الزمني للبرنامج، كما يتضمن تحديد مكان التدريب، والمتابعة اليومية لإجراءات تنفيذ البرنامج خطوة بخطوة.

(4) وذلك بعد انتهاء برنامج التدريب يحتاج الأمر إلى تقييم برنامج التدريب، ويتم ذلك من خلال تقييم المتدربين محل التدريب، أو تقييم رأيهم حول إجراءات البرنامج.

بوجودها في بلدان خارجية، وبين ما يمكن أن يحدث في تلك البلدان من اضطرابات سياسية واقتصادية وكوارث طبيعية تؤثر في التوسع العالمي لتلك الشركات(1).

كما يرى لوديتشينا أن الأحداث الهائلة، التي تأخذ مجراها في هذه الأيام، مختلفةٌ جوهرياً عن تلك التي جرت في العصور التاريخية المنصرمة، ذلك أن التِّقانات (التكنولوجيات) الجديدة تختصر المسافات وتنشئ علاقات متبادلة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ... كما يقدّم خطة عملية لفهم التغيرات التي تحدث في العالَم الخارجي، للكيفية التي يمكن أن يتغير بها عالم الأعمال العالمي في المستقبل. كما تستند خطته إلى ما يسميه الدوافع الأساسية الخمسة للتغير وهي:

العولمة	السكّان	المستهلك الجديد	المصادر الطبيعية والبيئة	التنظيمات والنشطاء

وبهذا العرض للمفهوم الإداري في هذا الباب، ننصح شباب الأمة العربية والإسلامية التقدم نحوا الأمام للأخذ بزمام المبادرة، وحسن الإدارة ،في العالم العربي والإسلامي، كما ينبغي معرفة التاريخ الحقيقي للأمة العربية والإسلامية، من أجل بناء المستقبل على أساس صحيح وسليم، كما يجب على شباب وشيوخ الأمة العربية والإسلامية أن يكونوا مدركين، ووعين لما يريدون أن يعملوه لحاضرهم ومستقبلهم، كما يجب على الأمة الواعية والمدركة، أن تقوم بواجبها التنموي في جميع مجالات الحياة، وأن تأخذ حذرها للأخطار المحدقة بها، من الأنظمة الفاسدة التي لا تعمل إلا بما يخدم مصالحها أو مصالح ،القوى الخارجية من الاستعمار وأذنابه.

(1) من ملخص كتاب :عالَمٌ غيرُ مستقرٌ :World out of Balance: المؤلف: Paul A. Laudicina: المدير الإداري لهيئة: A.T. Kearney's Global Business Policy Council من منشورات:Soundview Executive Book Summaries:يناير / كانون الثاني2005

كما ينبغي على الشباب المحافظة على مدخرات الأمة الإسلامية، وأمن منطقتهم العربية والإسلامية، وأن لا يعملوا إلا بما يحقق نمو أمنهم القومي العام وأن يسعوا إلى الوحدة العربية والإسلامية بكل الوسائل المتاحة لديهم، لأن الوحدة هي الأساس الصحيح والسليم للنمو الاجتماعي العام أو النمو الفردي، من الناحية، اللغوية أو العقلية أو الجسدية أو الحسية أو الحركية أو النفسية. فالحاصل أن النمو لهُ عوامل عدة، وهو يتفاعل مع جميع تلك العوامل، وأن أي نقص يطرأ على عملية النمو، يؤثر على الإنسانية جمعا، ولذلك يجب على الإنسانية جمعا أن تقوم بواجبها بكل الوسائل المتاحة لديها، من أجل عدم إحداث فوضى في المجتمعات في مجال النمو، فالمحافظة على نظام النمو الطبيعي الصحيح، واجب إنساني ولذلك كان هذا النظام من جملة التشريعات الربانية التي دعا إليها الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهذا معلوم لدى الشريعة الإسلامية بالضرورة، والله الهادي إلى سواء سبيل.

*****

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي جعل الأعمار مواسم، يربح فيها ممتثل المراسم، ويخسر المضيع الحسير والحاسم، فهي موضوعة لبلوغ الأمل، ورفع الخلل زائدة الأرباح لمن اتجر، مهلكة الأرواح لمن فجر، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر، والسيئة ترد المستقيم إلى حال، وبهذا العمر اليسير يشتري الخلود الدائم في الجنان، والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء الرحمن، ومن فرط في العمر وقع في الخسران، فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر لنفسه في أمره، فيغتنم ما يفوت استدراكه، فربما بتضييعه هلاكه.

وبناءً على ما سبق ومن خلال تتبعنا لموضوع علم نفس النمو، يظهر لنا الأمور التالية:

1- عجز الدول العربية والإسلامية لمفهوم التنمية البشرية.

2- ويظهر أيضاً عدم تطبيق المفاهيم الموجودة والقاصرة، بالطريقة الصحيحة.

3- كما يظهر أيضاً عدم حرص الأنظمة الحالية إلى السعي إلى إيجاد حلول تمكن من النهوض التنموي بالطريقة السليمة في المجتمعات العربية والإسلامية.

4- وللأسف فإن التنمية التي تدار بها في المجتمعات العربية والإسلامية، إنما تدار بطريقة إيديولوجية، وذلك بما يتناسب مع الأنظمة الفاسدة، أو بطريقة خارجية لا تتناسب مع مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ولذلك لا نستغرب عندما تفشل التنمية لأنها تسير بطريقة غير صحيحة.

5- ينبغي على مؤسسات المجتمع المدني العربي الإسلامي، إيجاد آلية موحدة بينهم، تعمل لتصحيح المشكلة التي أحدثتها أجهزة الأنظمة الفاسدة، والتي كانت تعمل من أجل تنمية إيديولوجية ضيقة تخدم مصلحتها الشخصية، أو المصلحة الفئوية.

6- يجب الأخذ بالاعتبار، بالتنمية الحقيقية، التي تخدم المصلحة العامة للمجتمع العربي والإسلامي على حداً سواء.

7- ينبغي على أي عمل تنموي، أن يضع في اعتباره المجالات التنموية العامة والخاصة، ومنها النمو اللغوي، والنمو العقلي، والنمو الحركي، والنمو الحسي، والنمو الجسدي، والنمو المعرفي، والنمو الاجتماعي إلى غير ذلك من مجالات التنمية.

إن التركيز على العنصر البشري وتنميته التنمية الصحيحة، هو أهم من التنمية الحجرية التي تعمل به الأنظمة الفاسدة في المنطقة العربية، لأن العنصر البشري هو أساس التنمية الحقيقية لأي مجتمع من المجتمعات الحضارية .. ولذا ما فائدة الأنظمة الحاكمة في هذا العصر وأجهزتها، وهندستها العمرانية، إذا لم توجد إنسان حر ذو سيادة وكرامة يعيش على وجه الأرض.

لقد سخر الله هذا الكون للإنسان من أجل أن تكون لهُ كرامة وأن تكون لهُ حرية الحركة والتنقل، وأن يكون لهُ عقل يميز به بين الخير والشر وأن يفكر ويعقل، ويحس ويشعر، ولأجل هذا سخر الله هذا الكون للإنسان كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [1] .. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [2] والآيات في هذا الباب كثيرة.التي تتحدث عن حق العيش والكرامة الإنسانية.

(1) سورة إبراهيم:آية 32 – 33.

(2) سورة :آية النحل14

ولذلك على أي نظام قائم على خدمة المجتمع الإنساني، أن يقدم للمجتمع أفضل العيش والراحة والأمن لجميع أفراد المجتمع، وأي تقصير في حق المجتمع يجب أن يحاسب عليها هذا النظام، كما يجب على أفراد المجتمع أن تتعاون مع النظام العادل والذي يسع إلى خدمة الإنسانية جمعاء لأن العدل أساس الملك، أم بنسبة للأنظمة التي لا تحقق الأمن والعدل على شعوبها، يتعين على كل فرد من أفراد المجتمع أن يقوم بمسؤولياته أمام الله ،وأن يلتزم الجماعة حتى تتمكن تلك الجماعة من إزالة الظلم والاستبداد، بكل الوسائل المتاحة لديها من أجل التعاون على البر والتقوى ومحاربة الفساد والمفسدين في الأرض.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*****

مراجع الكتاب

1ـ القرآن الكريم والسنة

1. **أحكام القرآن** لابن العربي : ابن العربي، هو أبو بكر (468 - 543هـ، 1076 - 1148م).
2. **جامع البيان في تأويل القرآن** : تحقيق أحمد محمد شاكر.
3. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** للألوسي : الألُوسي (1217-1270هـ، 1802-1854م).
4. **الذريعة إلى مكارم الشريعة** الراغب الأصفهانى ، تحقيق أبواليزيد العجمى الطبعة الثانية دار الوفاء مصر 1407هـ/ 1987م.
5. **لباب التأويل في معاني التنزيل** – للخازن – والخازن هو أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي الخازن (678 - 741هـ، 1280 - 1341م).
6. **الطب في القرآن الكريم** .د.عبد الحميد دياب ، د / أحمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن دمشق .
7. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** : برهان الدين البقاعي (809 - 885 هـ = 1406 - 1480 م).
8. **تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام** :د. محمد حسن محمد سبتان.
9. **الجامع الصحيح للبخاري** : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، (ت256 هـ) .
10. **صحيح مسلم بشرح النووي**: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت 676 هـ).
11. **سنن أبي داود** : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، (ت 275 هـ) .
12. **سنن ابن ماجة** : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، المعروف بابن ماجة ، (ت 275 هـ).

13. **سنن الترمذي (الجامع المختصر من السنن)** : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي ، (ت 279 هـ) .
14. **سنن النَّسائي بشرح جلال الدين السيوطي** : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مسند أحمد بن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 240 هـ).
15. **سنن الدارقطني** : علي بن عمر الدارقطني ، (ت 385 هـ) .
16. **سنن الدارمي** : أبو محمد عبد الله بن بهرام الدارمي السمرقندي ، (ت 255 هـ) .
17. **السنن الكبرى** : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، (ت 458 هـ) .
18. **فتح الباري شرح صحيح البخاري** : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، (ت852 هـ).
19. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** : محمد ناصر الدين الألباني.
20. **إعلاء السنن** : ظفر أحمد العثماني التهانوي ، (ت 1394 هـ) .
21. **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي** : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت 1303هـ).
22. **مسند الحميدي** : أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، (ت219 هـ) .
23. **المصنف** : أبو بكر عبد الرزاق بن همّام الصنعاني ، (ت211 هـ).
24. **المصنف في الأحاديث والآثار** : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن أبي شيبة (ت 235 هـ).
25. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** : أبو عمر يوسف بن عبد الله محمد ابن عبد البر ، (ت 463 هـ).
26. **جامع المسانيد والسُّنن** : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي ، (ت 774 هـ).
27. **النهاية في غريب الحديث والأثر** : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير ، (ت 606هـ).

28. **مجموع فتاوى ابن تيمية** :لأبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، (ت 728 هـ).

29. **شرح معاني الآثار** : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (229- 321 هـ).

30. **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير** : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، (ت 852 هـ).

31. **المعجم الأوسط** : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، (ت 360 هـ).

2ـ الكتب العلمية

32. **نظام الهندسة النفسية والتنمية الاجتماعية**. للمؤلف: حسين بن سالم الزبيدي الطبعة الأولى 2010م مؤسسة الوراق- عمان الأردن.

33. **أسس الوراثة الطبية** . تأليف د.علي سريو . الناشر شعاع للنشر والعلوم سوريا حلب 2010م.

34. **التوحد الطفولي – أسبابه – خصائصه-تشخيصه- علاجه**: إعداد:د.سوسن الجلبي : مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع دمشق- سوريا ط .الأولى:2004م.

35. **رعاية الطفل قبل الولادة** : تأليف :أشلي مونتاجو : تعريب عبدالرحيم صالح عبدالله _ الطبعة الأولى دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن- عمان 1412هـ - 1992م.

36. **البدانة عند الأطفال والمراهقين الأسباب والمشاكل والوقاية والعلاج** .. لدكتور ماهر وليد عباس – أخصائي بأمراض الأطفال – دار القدس للعلوم دمشق الطبعة الأولى 2007م .

37. **كيف نربي أبناءنا** ـ حامد شريف سليمان الحمداني دراسة تربوية ـ ويقع في 144 صفحة من القطع المتوسط.

38. **علم النفس 2**.تأليف.و.ي.سرجنت. ترجمة.محمد ديركي.الناشر.دار الجليل. دمشق .ط أولى. 1994 م.

39. **التوحـد الطفـولـي – أسـبابه – خصائـصه-تشخيـصه- علاجـه:** إعداد:د.سوسن الجلبي : مؤسسة عـلاء الـدين للطباعـة والتوزيـع دمـشق- سوريا ط .الأولى:2004م.
40. **مشكلات الطفولة والمراهقة** بقلم الدكتور ميخائيل إبراهيم الأسعد الناشر: دار الجيل – بيروت .
41. **تربية الأطفال المراهقين والمضطربين سلوكياً** ـ جوزيـف ريـزو و روبـرت زابل ـ ترجمة د . السرطاوي و د.الشخص .
42. **شخصية المراهق المشكلات والحلول** :تأليف أنس شكـشك الناشـر شـعاع للنشر والعلوم سورية حلب : الطبعة الأولى 2010م .
43. **التحليل الإبستمولوجي التكـويني للمنطـق** – محمـد وقيـدي – مـدارات فلسفية العدد 6 – من موقع الجمعية الفلسفية المغربية.
44. **أصـول علـم الـنفس** د.أحمـد عـزت راجـح أسـتاذ علـم الـنفس بجامعـة الإسكندرية.
45. **أسس الصحة النفسية** ـ د . عبد العزيز القوصي.
46. **جريـدة القـبس** : الجمعـة 8 صـفر 1426 هـــ ـ 18 مـارس 2005 ـ السنة 34 ـ العدد 11412 ـ الكويت ترجمة واعداد: محمد أمين.
47. **المدرسة الإسلامية** ،محمد منير سعد الدين.
48. **تاريخ التربية الإسلامية** ، أحمد شلبي.
49. **جمهرة الأمثال** : للمؤلف : أبو هلال العسكري.
50. **معاني الأحرف العربية** إياد الحصني.
51. **المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية**، دار المعارف.
52. **مقالات في الفكر التربوي** إعداد : يوسف السيد أحمد.
53. **كتاب: شرح تشريح القانون** لابن سينا. لابن النفيس.
54. **نظـم الـدرر في تناسـب الآيـات والـسور** للمؤلـف: برهـان الـدين : 1406 – 1480 م.

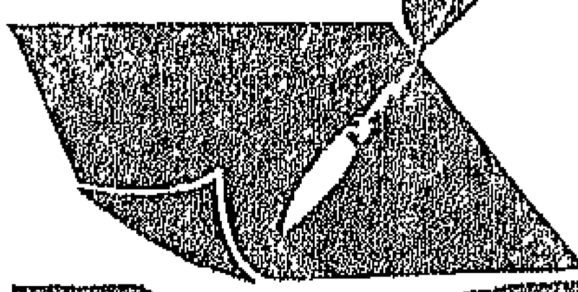
55. **التراث اليهودي الصهيوني في الفكر الفرويدي**، تأليف د. صبري جرجس – عالم الكتاب – طبعة 1970م.
56. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** : لابن قيم الجوزية.
57. **كواشف الزيوف :في المذاهب الفكريّة المعاصرة** – عبد الرّحمن بن حسن حَبَنّكة الميداني.
58. **نظرات في العقيدة القتالية في الإسلام** : محمود سلطان : من موقع : مؤسسة الإسلام اليوم 2009 .
59. **البحث العلمي مفهومه –أدواته–أساليبه**.الناشر دار الفكر – عمان. 1987م.

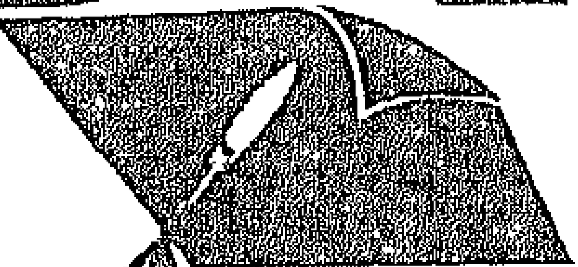
3ـالكتب اللغوية

60. **القاموس المحيط** – الفيروزآبادي الشيرازي ، (ت 817 هـ) .
61. **لسان العرب** :أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري ، (ت 711 هـ) .
62. **المصباح المنير** – أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، (ت 770 هـ).
63. **معجم مقاييس اللغة** – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، (ت 395 هـ).
64. **المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية** طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر ط سنة 1414هـ سنة 1993م.
65. **المعجم الفلسفى** د/ جميل صليبا دار الكتاب اللبنانى ط1 سنة 1973م
66. **المعجم الفلسفى** د/ مراد وهبه. دار الثقافة الجديدة بالقاهرة ط3 سنة 1979م .
67. **المنطق الحديث ومناهج البحث** د/ محمود قاسم دار المعارف بمصر ط6 سنة 1970م
68. **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، دار المعارف ، ط3 .
69. **المنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج** د/ محمد عزيز سالم ط1983م مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية.

70. **مفاهيم إسلامية** : أ.د/ محمد محمد الجوادى : المصدر : موقع وزارة الأوقاف المصرية.
71. **التفكير المنطقى** د/ عبد اللطيف العبد دار الثقافة العربية بالقاهرة ط3 سنة 1417هـ سنة 1997م
72. **المنطق نظرية البحث جون ديوى** ترجمة د/ زكى نجيب محمود، ط1969م دار المعارف بمصر .
73. **تاج العروس من جواهر القاموس** - محمد مرتضى الزبيدي ، (ت 1205 هـ).
74. **مختار الصحاح** ،الرازى (محمد بن أبى بكر ت 616هـ).

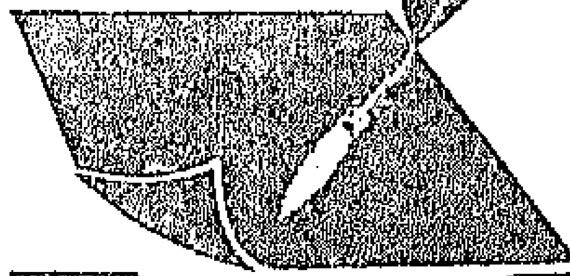
*****

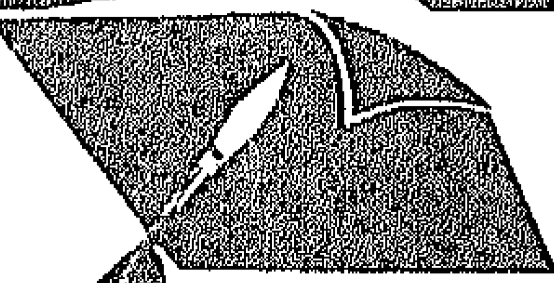

للنشر والتوزيع
الوراق
www.alwaraq-pub.com


www.alwaraq-pub.com

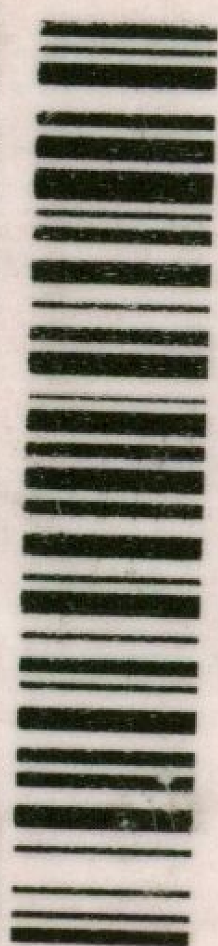
للنشر والتوزيع

الوراق





علم نفس النمو







عمّان - شارع الجامعة الأردنية
مقابل كلية الزراعة
تلفاكس : 7798 533 6 00962
ص.ب 1527 عمان 11953 الأردن
E-mail: info@alwaraq-pub.com
E-mail: halwaraq@hotmail.com
www.alwaraq-pub.com